

المناهج التربوية في إسرائيل المفاهيم والتوجهات الفكرية والثقافية

إشراف علمي

أ.د. سعيد عبد السلام العكش

أ.د. محمد علي الهواري

الناشر

دار الآفاق العربية



العكش ، سعيد عبد السلام
المناهج التربوية في إسرائيل :
المفاهيم والتوجهات الفكرية والثقافية
ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2016
363 ص ، 24 سم

1- التعليم - مناهج - إسرائيل .
أ. الهواري ، محمد علي (مشرف علمي)
ب. العكش ، سعيد عبد السلام (مشرف علمي مشارك)
ج. العنوان 370.72

تدمك : 6 - 343 - 344 - 977 - 978
رقم الإيداع : 2015 / 25452
الطبعة الأولى
1437 هـ / 2016 م

جميع الحقوق محفوظة
لدار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
55 شارع محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر - القاهرة

تليفون : 00202- 22617339
تليفاكس : 00202- 22610164
Email: dar.alafk@yahoo. Com
Email : selim.selim10@yahoo.com

تقديم

انعقد مؤتمر قسم اللغة العبرية وآدابها وعنوانه: "المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل" يوم الخميس ١٧ مايو ٢٠١٢م، في دار الضيافة بجامعة عين شمس تحت رعاية الأستاذ الدكتور/ حسين عيسى نائب رئيس جامعة عين شمس والقائم بأعمال رئيس الجامعة والأستاذ الدكتور/ عبد الناصر حسن، عميد كلية الآداب

وقد كان من المقرر أن ينظم هذا المؤتمر في يومي الاثنين والثلاثاء ٧ و ٨ مايو ٢٠١٢م تحت رعاية الأستاذ الدكتور علاء فايز رئيس الجامعة الذي رحل عن عالمنا فجأة على إثر حادث أليم، ندعو للفقيد بالرحمة والمغفرة، وان يدخله الله فسيح جناته، وأن يلهم آله الصبر والسلوان.. آمين .

وبعد...

جاء عقد هذا المؤتمر بعد أن تزايدت الانتقادات الموجهة إلى عدد من الدول العربية والإسلامية، وخاصة في مناهجها التعليمية وما تتضمنه الكتب الدراسية والدينية، إلى درجة طالت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. وقد ترعمت هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين بعض الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، وكان من الطبيعي أن تنتهز إسرائيل هذه الفرصة حتى تزيد اللهب اشتعالاً، وقد ادّعت هذه الدول أن الكتب الدراسية في الدول العربية والإسلامية تدعو إلى العداوة وإثارة الكراهية والبغضاء بين الشعوب، لذلك كان من الضروري البحث في المناهج التعليمية والكتب الدراسية في دول الغرب وإسرائيل، والتدقيق في محتواها، للوقوف على اهتماماتها وأهدافها والموضوعات والقضايا التي تتناولها وتركز عليها، والبحث في توجهاتها الأيديولوجية، ومدى توظيفها في تشكيل عقلية التلاميذ حتى يشبوا على كراهية الآخر العربي والمسلم .

وباعتبارنا متخصصين في الدراسات العبرية والإسرائيلية، رأينا ضرورة التصدي لهذا الهجوم الشرس الذي ساهمت فيه المؤسسات الإسرائيلية في داخل إسرائيل، وجماعات الضغط الصهيوني خارجها، لقناعتنا بأن دورنا لا يقتصر على تزويد المجتمع بأعداد كبيرة من

الخريجين، لا يعمل معظمهم في تخصصه الدقيق، بل يجب أن يكون لنا دور في التصدي للمزاعم والانتهاكات التي تروج لها دوائر الضغط وصنع القرار السياسي، ووسائل الإعلام الغربية والصهيونية.

لقد سعت الإدارة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وحربها المفتوحة على ما تسميه "الإرهاب" إلى فرض برامج عملية لتغيير مناهج الدراسات والمعاهد الدينية في معظم البلدان الإسلامية التي اعتقدت أنها تنتج إسلاميين "راديكاليين" سواء من تنظيم القاعدة، أو سواهم، وقد ترافق كل ذلك مع حملات وتصريحات علنية بشأن المساعدات والخبرات الأمريكية لإصلاح التعليم في دول العالم الإسلامي، وأهمها: أفغانستان وباكستان واليمن ومصر وإندونيسيا ودول الخليج، وأهمها السعودية التي ركز عليها الإعلام الأمريكي في حملة شرسة استهدفت برامج التعليم، وخاصة التي "تنتج الإرهاب"، حسب زعم الإدارة الأمريكية.

وقد استغلت إسرائيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لتمارس ضغطها مع الولايات المتحدة بصفة خاصة، ودول الغرب بصفة عامة، لإظهار مساوئ المناهج الدراسية في الدول العربية والإسلامية، واعتبار مدارسها ومعاهدها الدينية وغير الدينية مراكز لتفريخ الإرهاب الذي يهدد دول العالم، والتفتت دول الغرب إلى العالمين العربي والإسلامي، دون البحث في المناهج الدراسية في دولة مثل إسرائيل، من هنا كان اهتمامنا بهذا الجانب، وجاء دورنا العلمي والوطني، بحكم تخصصنا، في الكشف عن دور المناهج الدراسية في إسرائيل في غرس بذور كراهية العرب والمسلمين في نفوس التلاميذ، وتصوير العربي بالقاتل والمخادع والغشاش.

وقد أثارت تصريحات الحاخام «عوفاديا يوسف» العنصرية التي أدلى بها في أواخر شهر مارس من العام ٢٠٠١م، ووصف فيها العرب بأنهم أولاد أفاع، وأن الله ندم لأنه خلقهم، وبالتالي فإن من الواجب قتلهم، أثارت موجة من الاستنكار العربي، ولكن من المؤسف أن العرب الذين استشارتهم هذه الأقوال لم يفتنوا، فيما يبدو إلى الكم الهائل من الأدبيات

الإسرائيلية المشابهة التي ردها رواد الصهيونية الأوائل مستندين فيها إلى التوراة والتلمود، وسائر الأدبيات اليهودية التي تشكل العمود الفقري في المناهج الدراسية الإسرائيلية.

وتُعَدُّ التربية والمدرسة في "إسرائيل" من أهم ركائز نشر الفكر الصهيوني ووسيلة أساسية لمحاولة توحيد ما يعتبرونه "الشعب اليهودي"، خاصة أنه المجتمع الذي يحمل أفراد عادات وثقافات متفاوتة ومختلفة في مفهوم اليهودية من جماعة لأخرى، من المتدين إلى الملحد ومن الشرقي إلى الغربي.. ولا يجمع هؤلاء المهاجرين إلا انتباههم الديني.

لذلك ترى الحركة الصهيونية أن المدرسة في "إسرائيل" هي المكان الأول الذي ينبغي أن تُبنى فيه وحدة الأمة، يليه الحي والأهل؛ لذا يجب ألا يقتصر دور المدرسة على نقل المعارف فقط، بل يجب أن تكون المدرسة الأساس الذي يُركّز عليه لتوحيد هؤلاء القادمين من شتى دول العالم، لمواجهة العدو الذي يهددهم.

وفي كتابه الصادر في تل أبيب عام ١٩٨٥م، "وجوه قبيحة في المرأة"، يقول البروفيسور أدير كوهين: "إن هناك أكثر من ١٥٠٠ كتاب من عدة أصناف بين أيدي الناشئة اليهود، تمثل ما لا يمكن وصفه من فوقية واستعلاء وتحقير لكل ما هو عربي ومسلم، ويمكن العثور على هذه الكتب في كل شارع ومكتبة، في أي مدينة أو مستوطنة^(١)"، قد يستغرب البعض هذه الكلمات وخاصة المسحورين بالنظام الديمقراطي الذي تدعي إسرائيل تمثيله في منطقتنا العربية، لكن سرعان ما يزول هذا الاستغراب عندما نعلم أن من يطلق هذا الحكم هو كاتب يهودي النزعة والانتفاء، اشتغل لفترة طويلة في الدراسات التحليلية لقصص وكتب وأدبيات الأطفال في إسرائيل.

وإذا كان هدف التربية كما حدده علماء التربية، هو تحقيق التوافق والانسجام بين الفرد وبيئته المادية والروحية والمحافظة على الخبرة الإنسانية وتحقيق المطالب التي يتوقف عليها استمرار حياة الفرد وأمنه النفسي^(٢)، فإن أسس التربية الإسرائيلية قد اعتمدت منذ البداية منهجاً متطرفاً يقوم على "نزعة التفرد والتميز" ومن ثم فإن مرتكزات أمنها تقوم أساساً على

^١- صحيفة اللواء اللبنانية، لماذا لا تطالب إسرائيل بتغيير منهاجها التربوية؟ ٢٥/٨/٢٠٠٣. ص ١٢.

^٢- الفنيش (أحمد علي) و زيدان (محمد مصطفى)، التوجيه الفني التربوي، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط ١، ١٩٧٩، ص ٦٠.

فكرة "شعب الله المختار" وما يحيط بهذه المقولة من أوهام وتأويلات تحاول أن تؤسس على تعاليم التوراة بأسفاره المختلفة.

ومما لا شك فيه، إن الفرد اليهودي، داخل فلسطين المحتلة وخارجها، هو الأداة الرئيسة التي تنفذ الحركة الصهيونية بواسطته أهدافها، ففي داخل فلسطين تعمل الصهيونية على تحويل اليهودي القادم إلى "إسرائيلي جديد"، وتعمق في نفسه شعور الانتماء إلى الكيان الصهيوني، ويتم ذلك بتضافر جهود مؤسسات تربوية عديدة تعمل من أجل تحقيق هذا الغرض، ويشعر الصهاينة أن مستقبل إسرائيل يتوقف على مدى نجاح هذه المؤسسات التربوية في تنشئة أجيال إسرائيلية مستعدة وقادرة على حمل الرسالة الصهيونية الإسرائيلية، ولا يقل ذلك أهمية في نظر القادة الصهاينة، عن توفر السلاح العسكري.

يقول جاكوب كلازمان: "تؤلف دبابات ستوريون عاملاً من عوامل الأمن والسلامة على المدى القريب، ولكن المدرسة والجامعة هي العوامل الأكثر أهمية بالنسبة للمستقبل البعيد .. وإذا ما ابتلي المستوى الثقافي في إسرائيل بالركود والجمود، بينما يأخذ مستوى الأعداء بالصعود فإن أيام استقلال إسرائيل معدودة. إن التربية هي أيضاً من مستلزمات الدفاع الوطني^(١) .

أما خارج فلسطين، حيث تعتبر الحركة الصهيونية كل يهودي مواطناً إسرائيلياً محتملاً في المستقبل، فتعمل على إقناعه بالهجرة إلى فلسطين، أو بتقديم الدعم المادي والأدبي لإسرائيل، على الأقل، ويتطلب ذلك بذل جهود كبيرة بين اليهود خارج فلسطين، الذين يسمون "يهود الدياسبورا"، أي يهود المنفى أو الشتات أو المهاجر، والمؤسسة التربوية هنا كذلك هي الأداة الأكثر أهمية لتحقيق هذا الهدف الصهيوني، وهو ربط اليهود بإسرائيل تمهيداً لهجرتهم إليها، لذلك أكد الزعماء الإسرائيليون على التربية كسلاح رئيس لعملهم بين يهود "الدياسبورا".

وفي هذا المجال يقول ليفي إشكول، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق: «إننا لا نكافح في الوقت الحاضر من أجل حقوق يهودية ليهود المنفى، ولكن من أجل تأصيل اليهودية بينهم،

^١ -رزوق (أسعد)، في المجتمع الإسرائيلي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١،

أي تأكيد الشخصية اليهودية وقوة عبقريتها، إننا لا نسعى إلى إقامة مدارس لأطفال اليهود، وإنما لتربية يهودية^(١). لذلك اهتمت الحركة الصهيونية - منذ نشأتها - بالتربية، وما من مؤتمر عقدته تلك الحركة إلا وكانت التربية بنداً رئيساً على جدول أعماله، إن هذا الحيز من الأهمية الذي تحتله التربية في المخطط الصهيوني وما تتضمنه من أهداف تسعى جميعها إلى خلق شخصية عنصرية عدائية تكرس الأنا وتقضي الآخر، بل تدعو إلى تصفيته وإلغائه، هو ما دفعنا إلى اختيار هذا الميدان موضوعاً لهذا المؤتمر.

تقول الدكتورة الإسرائيلية "تسيورا شاروني" مخاطبة جمهور الحضور، في يوم دراسي، عن التوجه القومي في برامج التدريس في المدرسة العبرية:

«إن جميع الجنود ممن يؤدون الخدمة العسكرية في المناطق المحتلة، أولئك الشباب الذين يسكنون "أور يهودا: حيث عمليات إحراق العمال العرب، إن ذلك كله نتاج مدرستنا، نتاج البرامج التعليمية، نتاج التربية الرسمية وغير الرسمية، ولكن للتربية الرسمية نصيب الأسد في ذلك، إذ لم ترد كلمة واحدة في البرامج التعليمية لليهود حول التطلع للسلام بين إسرائيل وجاراتها، فمثلاً من منا يذكر كتاباً واحداً في الجغرافيا فيه اسم جبل باللغة العربية، لا وجود لها على الإطلاق، والطلاب يتعلمون ذلك، وكأنه خلق هكذا، الأسماء العربية لا وجود لها على الإطلاق، أنا لا أتكلم عن قرى عربية تم محوها. لا يذكرونها قطعاً، هل هذه تربية؟ وماذا يعني كل هذا؟ لا توجد في الصفوف إطلاقاً، خرائط تشمل الخط الأخضر، "أرض إسرائيل" الكاملة في جميع الخرائط بما فيها القدس والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة كجزء من دولة إسرائيل».

لقد كان الهدف من هذا المؤتمر هو إجراء أبحاث ترصد "المفاهيم الصهيونية الواردة في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل"، وذلك للوقوف على أسس وأهداف هذه الكتب التربوية التي تُقدّمها إسرائيل لأبنائها، بغية التعرف على ماهية تصوراتهم واتجاهاتهم، وبالتالي

^١ - عبد العزيز (مصطفى)، إسرائيل ويهود العالم، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٩، ص

سلوكهم، تجاه أنفسهم من ناحية، وتجاه أبناء الدول الأخرى من ناحية ثانية، ومما لا شك فيه، أن هذه المعرفة ستمكننا من توجيه رسائلنا إليهم وصياغتها بالصورة التي تجعلها أيسر فهماً وأمضى تأثيراً.

وإذا كنا نعتقد أن هذه الأوراق التي أُلقيت في المؤتمر من شأنها أن تضيف شيئاً إلى فهمنا لثقافة الآخر، إلا أننا لا نعتقد أن مثل هذا المؤتمر وحده يكفي لتناول كافة جوانب الموضوع، ومن ثم، فإننا نعتبره بداية لمؤتمرات تالية يستكمل فيها التعرف على المرتكزات والقيم التربوية الصهيونية التي تعتمد عليها كتب العلوم الإنسانية في إسرائيل والمقررة رسمياً في مدارسها الحكومية.

أ.د. محمد الهواري

كلية الآداب – جامعة عين شمس

السيرة النبوية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

أ.د. سعيد عبد السلام العُكش

كلية الآداب - جامعة عين شمس

obeikand.com

مقدمة :

لاشك أن المناهج الدراسية تشكل دوراً مهماً وبارزاً في حياة المجتمعات والشعوب، فهي الأداة الفعالة التي تستخدمها المجتمعات في بناء وتشكيل شخصية الأفراد المنتمين لها ايدولوجياً وفقاً لفلسفاتها وثقافتها ومعتقداتها ، وبالتالي فإن لكل منهج من المناهج الأهداف والغايات التي يسعى إلى تحقيقها من خلال محتوى محدد ، ومن خلال مجموعة من الطرق والأساليب التي تؤدي إلى تحقيق هذه الأهداف وتلك الغايات ، ونظراً لاختلاف وتنوع هذه الشعوب والمجتمعات من حيث الثقافات والسياسات والمعتقدات ، فإنه تبعاً لذلك تختلف وتنوع المناهج الدراسية بها .

من هنا تلعب الكتب الدراسية دوراً أساسياً في صياغة ذهن الطالب أو تعمل بدرجة كبيرة على تحديد كيفية تعامله مع مجتمعه ومع المجتمعات المحيطة به ، وذلك من خلال الصور النمطية التي تغرسها في عقله ووجدانه خلال المراحل التعليمية المختلفة . وقد تعالت الصيحات من قبل بعض الأصوات في الآونة الأخيرة ، خاصة في إسرائيل ، بأن معظم المناهج الدراسية في عالمنا العربي تدعو إلى العداوة وإثارة البغضاء بين الشعوب ، وأفردت الصفحات والمجلات أوراقها بين مؤيد ومعارض لهذه الفرية ، ولهذا كان من الضروري التساؤل عن مناهج دولة إسرائيل ، على ماذا تركز ؟ وما هي منطلقاتها ؟ وما هي الأسس التي بُنيت عليها ؟ وما هي محتوياتها.. إلى غير ذلك من الأسئلة التي قد تسهم في توضيح الحقيقة .

إن تحليل محتوى الكتب الدراسية في إسرائيل من شأنه أن يسهم في معرفة الكيفية التي يتم بها تشكيل هويات طلابهم الفكرية والثقافية ، لا سيما أن هؤلاء الطلاب هم الذين يتعين علينا أن نتعامل معهم سلماً أو حرباً ، مستقبلاً .

تم التركيز في هذا البحث على ما ورد عن النبي محمد (صل الله عليه وسلم) في مناهج التعليم الإسرائيلية بعد اتفاقية السلام في مرحلة التعليم قبل الجامعي، لأن هذه المرحلة تُعد مرحلة أساسية لتكوين وغرس المفاهيم في عقول الطلاب والتي تنمو معهم وتظل محفورة في وجدانهم مدى العمر .

وقد تم إرفاق ملحق بالبحث يضم بعض الرسوم والصور التوضيحية التي تستعين بها الكتب الدراسية لكي تحمل دلالات معينة تسهم في تعميق الفهم والاستيعاب .

ويحاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية :

١ - كيف تم عرض صورة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل ؟

٢ - ما مدى موضوعية الكتب الدراسية في تقديم وجهة النظر الإسرائيلية عن النبي ؟

٣ - ما مدى سعي مؤلفي هذه الكتب للتأثير على حكم القارئ من خلال تقديم بعض المعلومات أو إخفاء أخرى ؟

٤ - هل تم عرض صورة النبي بحيث يتمكن الطالب الإسرائيلي من اتخاذ موقف مبني على معلومات قدمت لتحقيق موقف مغرض ؟

وينشد البحث الوصول إلى الأهداف التالية :

١ - تحديد أهم المفاهيم اليهودية والصهيونية التي قصد مؤلفو الكتب الدراسية الإسرائيلية غرسها عن نبي الإسلام في أذهان الطلاب .

٢ - الكشف عن ملامح صورة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في الكتب الدراسية التعليمية في إسرائيل .

٣ - بيان إلى أي حد تعبر الألفاظ والتراكيب اللغوية والجمل عن الأفكار والآراء المقصودة وبيان ملاءمتها لذلك .

٤ - معرفة كيف استخدم مؤلفو الكتب الدراسية الوسائل الإيضاحية كالصور والرسومات في التعبير عن أفكارهم ومضامينهم .

منهج البحث : يستخدم البحث المنهج التحليلي سواء تحليل المضمون أو تحليل الخطاب

وذلك بعد ترجمة المعلومات المتعلقة بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى العربية ، وإمعان النظر من خلال قراءات متعمقة لدلالة هذه المعلومات ، وقراءة ما بين السطور والكلمات ، ويسير التحليل بشكل عام على التركيز على المادة المكتوبة من نصوص ووثائق وعناوين وأيضاً

فحص دلالات الكلمات العبرية وإيجاءاتها ، وعلى غير المكتوبة مثل الصور والرسومات التي تستخدم من أجل تمرير رسائل ومفاهيم معينة .

وقد تناول البحث في تحليله لمحتوى الكتب الدراسية عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعض الموضوعات والتي تتركز فيما يلي :

- نشأة النبي - بعثة النبي - الهجرة - الهجرة من مكة والعودة إليها .
- معجزة الإسراء والمعراج - النظرة إلى القرآن والحديث - النظرة إلى أركان الإسلام
- علاقة النبي بأهل الذمة من اليهود .

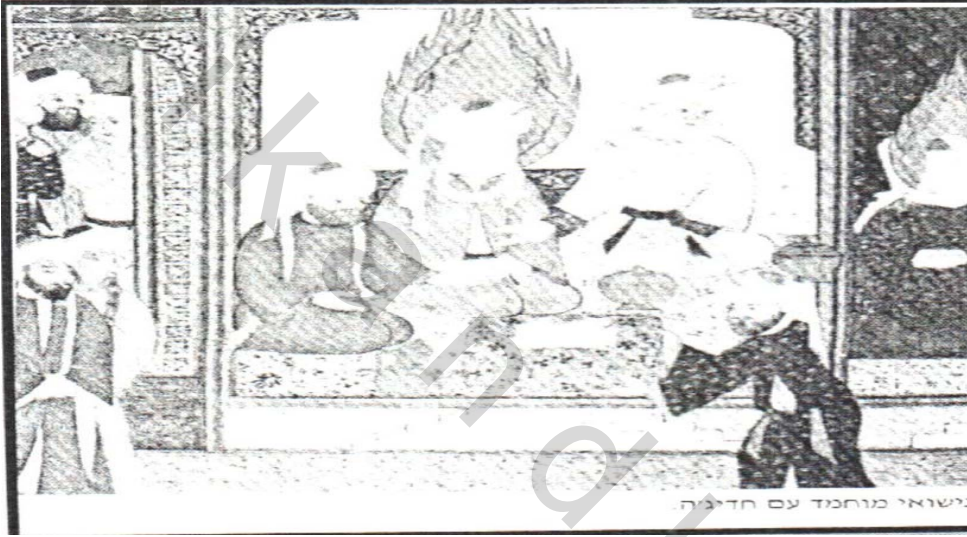
- نشأة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) :

تتناول بعض الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل نشأة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وحياته الأولى ، وعمله وزواجه من السيدة خديجة ، فقد ورد : " בקרבת הכעבה במכה חי נער בשם מוחמד، שהיה בן לשבט קורייש ، כשמוחמד היה ילד، הוא התייתם מהוריו וגדל אצל קרוביו، לצורכי מחייתו הוא עבד כרועה ואחר כך היה סוחר، כשבגר מוחמד הוא פיקח על שיירות מסחר، שהשתייכו לאלמנה עשירה בשם ח'דיג'ה، כעבור שנים אחדות נשא את מעבידתו לאשה⁽¹⁾ : بالقرب من الكعبة في مكة عاش فتى يسمى محمد، من قبيلة قريش. عندما أصبح صبياً تيم من أبويه وتربى عند أقاربه ، ولضرورات المعيشة عمل راعياً ثم بعد ذلك عمل تاجراً ، وعندما كبر محمد قام بالإشراف على قوافل تجارية كانت تخص أرملة غنية تدعى خديجة وبعد مرور عدة سنوات تزوج من ربة عمله " .

نلمس في الفقرة السابقة الإشارة إلى يُتَم النبي (صلى الله عليه وسلم) وفقره ، وفي ذلك تلميح على كونهما دليلين على ضِعة نسبه ، كما نلمس تلميح الكتب الدراسية إلى بيان أن الهدف من وراء زواج سيدنا محمد بالسيدة خديجة كان هدفاً اقتصادياً بحثاً. وبالتالي فإن هذه

¹ - 198 דורון (עקיבא) ،מדור לדור، משרד החינוך، ירושלים 1994، עמ" .

الكتب تسعى إلى أن تغرس في أذهان الطلاب أن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يتصف بالاستغلال عندما تشير إلى أن محمد تزوج من ربيبة عمله الثرية خديجة، وهي أكذوبة لا تتفق مع ما عُرف عن الرسول الكريم من زهد في الدنيا. ولكي تؤكد هذه الكتب تلك الأكذوبة في أذهان الطلاب، تورد الشكل التالي الذي يصور فيه المؤلف زواج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من السيدة خديجة. ثم تشير إلى ملحوظة أسفل الشكل تقول فيها: إن المسلمين لا يصورون وجه محمد، ولكنهم يظهرونه في صورة شعلة من نار:



وتطرح سؤالاً موجهاً للطلبة تحت هذا الشكل، تقول فيه : ما هي أهمية الحدث الذي يظهر أمامكم في هذه الصورة ؟

ولا شك أن هذا السؤال يحمل دلالات معينة يهدف مؤلف الكتاب من ورائها ترسيخ الصورة السلبية للنبي محمد، وذلك بالإيحاء بأن هذه الزيجة كانت ذات أهداف نفعية . ويعد هذا التلميح من مناهج بعض المستشرقين في دراساتهم لكل ما يتعلق بالإسلام بهدف تشكيك المسلمين في شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم)^(١).

١ - السامرائي (قاسم)، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة، الرياض ١٩٨٣، ص ٦٨.

- بعثة النبي :

لم تعترف الكتب الدراسية في إسرائيل بنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) أو بأنه رسول مرسل من الله العلي العظيم ، والصورة التي تقدم في الكتب هي أن الدين الإسلامي بمثابة مشروع قام النبي بتأسيسه ، فتقدمه على أنه مبتدع ومؤسس دين الإسلام ، وأنه ادعى أن الله اختاره نبياً ، وأنه قرر من ذات نفسه أن يصبح رسولا ، وتورد هذه الكتب اسم النبي (صلى الله عليه وسلم) غير مسبوق أو متبوع بلفظة تقدير تتفق ومكانته من حيث هو نبي ورسول ، فقد ورد: " موحמד היה מייסד דת האיסלאם ، הוא עסק במסחר ויצא למסעות במקומות שונים. במסעותיו פגש יהודים ונוצרים ، שמע מהם על אמונהוהותיהם והכיר את מנהגייהם ، בהיותו כבן 40 ، כשהתבודד כהרגלו בהרים، התגלה אליו – על – פי עדותו – המלאך גבריאל ، המלאך ציווה עליו למסור לבני האדם את דברי האל ، הוא התעלם מן הציווי אך המלאך התגלה אליו שוב ושוב ، אז הבין מוחמד שהאל בחר בו לנביא ، הוא החליט לקבל עליו את השליחות ، וקרא להאמין באללה ، אל יחיד ובלתי נראה⁽¹⁾ : محمد هو مؤسس دين الإسلام، عمل بالتجارة وقام برحلات في أماكن مختلفة ، وفي رحلاته قابل يهوداً ومسيحيين ، سمع منهم عن عقائدهم وتعرف على عاداتهم ، وعندما بلغ من العمر أربعين عاماً ، حينما كان ينعزل كعادته في الجبال ، ظهر له – طبقاً لاقواله – الملاك جبريل ، فأمره الملاك بإبلاغ البشر بأقوال الإله ، ولكنه تجاهل الأمر ، فظهر له الملاك مراراً وتكراراً وحينئذ أدرك محمد أن الإله اختاره نبياً ، وقرر قبوله الرسالة وبدأ يدعو للإيمان بـ " الله "⁽²⁾ إلهاً وحيداً لا يرى " ، وقد أوردت بعض الكتب الدراسية الصورة التالية لتوضيح الكيفية التي تجلّى بها الملاك لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، اعتقاداً بأن ذلك يسهم في تعميق الفهم والاستيعاب :

¹ - טביביאן (קציעה)، מסע אל העבר מימי הביניים ועד העת החדשה , משרד החנוך , עירית -

ת"א - 1997, עמ' 20

² - יعتبر اليهود أن لفظة " الله " هو الاسم الخاص للرب عند المسلمين .



وتشير بعض هذه الكتب الدراسية إلى ذلك الموضوع في موضع آخر تصف فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالغارق في الأحلام ، ورد : " المسورة العربة مسورة ، سكاشر مومحمد هيه بن اربعة شنه ، نغله االيو ملاك بخلومو وزيوه عليو לקروا את הכתוב במגילה שבידו ، למרות שמוחמד טען ، כי אינו יודע לקרוא ، המלאך הפציר בו והוא החל לקרוא כשקם מיחמד משנתו ، הוא שמע קול שאמר לו : " יא מוחמד ، הרי אתה נביא לאללה (האל) ואני המלאך גבריאל " ، המלאך שנגלה למוחמד ציווה עליו להפיץ את האמונה באללה – האל האחד והיחיד ، ההתגלויות חזרו ונשנו ، ומוחמד החל לפעול כשליח אללה⁽¹⁾ : تحكي الروايات العربية ، أنه عندما بلغ محمد من العمر أربعين عاماً ، ظهر له ملاك في حلمه وأمره أن يقرأ ما هو مكتوب في الليفة التي في يده ، ورغم أن محمد ادعى أنه لا يعرف القراءة ، إلا أن الملاك ألح عليه ، فبدأ في القراءة ، وعندما قام محمد من نومه ، سمع صوتاً يقول له : " يا محمد ، ها أنت نبي لـ "الله" (الرب) وأنا الملاك جبريل ، وقد أمر الملاك ، الذي ظهر لـ محمد بنشر دين "الله" – الإله الواحد والوحيد ، وبعد تكرار ظهور الملاك مرارا بدأ محمد في العمل كرَسُول "الله" .

من الملاحظ من خلال تحليل الفقرات السابقة أن مؤلفي الكتب الدراسية في إسرائيل أرادوا التشكيك في صحة ما يروى عن النبي محمد حيث يستخدمون دائماً في سردهم

¹ - دورון، عم' 198 .

للأحداث عبارة " طبقاً لأقواله أو طبقاً لشهادته " ، أو الفعل " ادعى " كما أن الإشارة إلى أن محمداً بدأ العمل كرَسُولِ الله تأكيد على الزعم بأن رسالة النبي محمد قام بها من تلقاء ذاته وليست وحياً من الله عز وجل .

– الهجرة من مكة والعودة إليها :

تذكر هذه الكتب الدراسية أن محمداً عندما دعا سكان مكة للإيمان بـ " الله " إلهاً واحداً، عارضه سكان مكة ، لأنهم كانوا يخشون من إلحاق الأذى بمصدر رزقهم ومعتقداتهم ، إذا توقفت عبادتهم حول الكعبة في مكة ، التي كانت تستخدم مكاناً لعبادة الأصنام من قبل سكان شبه الجزيرة العربية ، فقد ورد : " במכה הקשיבו לדברי מוחמד רק מעטים – בעיקר מקרב בני משפחתו ، האחרים אמרו שבדה את סיפור ההתגלות מלבן ، לעגו לו וסירבו לקבל את דבריו ולהישמע להוראותיו ، הם חששו ، שכאשר הכעבה לא תהיה עוד מרכז פולחן לאילילים – לא יגיעו למכה עולי רגל ، בעיר לא ייערכו עוד ירידים ופרנסתם תיפגע⁽¹⁾ : في مكة لم ينصت لأقوال محمد إلا عدداً قليلاً وعلى الأخص من بين عائلته . أما الآخرون قالوا أنه اختلق قصة تجلي الملاك من تلقاء نفسه . واستهزأوا به ورفضوا قبول أقواله والانصياع لأوامره ، فقد خشوا من أن الكعبة حينما لا تصبح مركزاً لعبادة الأوثان مرة أخرى ، ألا يصل حجاج لمكة ، وألا تعقد أسواق في المدينة مرة أخرى ويضار مصدر رزقهم " .

وتزيد بعض الكتب الدراسية هذا الموضوع وضوحاً في موضع آخر وتشير إلى أن محمداً هرب مع أقاربه إلى " يثرب " خوفاً على حياته ، وهناك تقبل المواطنون عقيدة الإسلام . ويرى مؤلفو هذه الكتب أن هذا الهروب أطلق عليه اسم (الهجرة) ، وأنه بداية التقويم عند المسلمين ، وقد كان عام (٦٢٢م) ، فالكتب الدراسية في إسرائيل تورد معلومات مغلوبة وتقدم الهجرة النبوية الشريفة على أنها " هروب " ، فقد ورد: " אזהרות מוחמד ואיומיו

¹ - מביביאן, עמ' 20 .

הכעיסו את תושבי מכה והרגיזו גם את בני משפחתו – שבט קורייש. הם טענו, כי מוחמד אינו שליח אללה וכי הוא בודה את הדברים מלבו, הם גם האשימו אותו בפגיעה בסמכותם הבלעדית של נבחריו השבט ובהטלת פחד על אנשים שלווים, שסומכים על עושרם ועל ייחוסם. הם גם כעסו על תביעתו של מוחמד לשנות את מנהגיהם ולכפות עליהם את האמונה באללה במקום האמונה בפסלים של עץ ואבן. מנהיגי מכה גם חששו, כי בעקבות ההטפות של מוחמד תיפסק הנהירה לכעבה ותיפגע כלכלת העיר, לכן הם רדפו את מוחמד ואפילו ביקשו להמיתו. רק אחדים מתושבי מכה – אשתו, חבריו וכמה קרובי משפחה האמינו בו, מוחמד הבין, שבמכה לא יצליח להפיץ את תורתו החדשה, וכי חיייו חיי המאמינים בו נתונים בסכנה, לכן הוא ברח באישון לילה עם מקורביו אל העיר ית'רב. בריחת מוחמד ומאמיניו ממכה נקראת ההיג'רה, ושנת ההיג'רה (622 לספירה) היא השנה הראשונה במניין השנים של הלוח המוסלמי⁽¹⁾: أغضبت تحذيرات محمد وتهديداته مواطني مكة وأغاضت أيضاً أقرباءه – قبيلة قريش، وادعوا أن محمداً ليس رسول الله وأنه يختلق هذه الأقوال من ذاته واتهموه بالإضرار بالسلطة المطلقة وبإلقاء الخوف على أناس آمنين يعتمدون على ثرائهم ونسبهم، وغضبوا أيضاً من طلب محمد تغيير عاداتهم وفرض الإيذان بـ "الله" بدلاً من الإيمان بالتماثيل الخشبية والحجرية، وقد خشي زعماء مكة من أن يتوقف في أعقاب خطب محمد الوعظية التدفق للكعبة ويلحق الضرر باقتصاد المدينة. ولذلك فقد طاردوا محمداً وطالبوا بقتله، ولم يؤمن به إلا أعداداً قليلة فقط من سكان مكة – زوجته وأصدقاءه وعدداً من أقرباء أسرته، وأدرك محمد أنه لن ينجح في نشر عقيدته الجديدة في مكة، وأن حياته وحياة المؤمنين به معرضة للخطر، لذلك هرب في جنح الظلام مع المقربين له إلى مدينة "يثرب"، ويدعى هروب محمد والمؤمنين به "الهجرة"، وعام الهجرة (622م) هو العام الأول في التقويم الإسلامي.

¹ - דורון, עמ' 198.

ويلاحظ أن المؤلفين يتجاهلون ما ورد في القرآن الكريم عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم): "إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ... " (سورة التوبة آية ٤٠) .

وتذكر هذه الكتب أنه منذ الهجرة انتشرت عقيدة محمد في أرض شبه الجزيرة العربية وأن محمداً نجح في تجميع المسلمين وتوحيدهم في إطار طائفة واحدة ، فقد ورد : " משנת ההיג'רה ועד לשנת מותו של מוחמד (632 לספירה) לא עברו יותר מעשר שנים . בתקופה קצרה זו הצליח מוחמד לעקור את האלילות בכל חצי האי ערב ולאחד את כל שבטי ערב לעדה אחת, המלוכדת סביבו והמאמינה בבשורתו⁽¹⁾ : منذ الهجرة وحتى وفاة محمد (٦٣٢ م) لم يمر أكثر من عشر سنوات . هذه الفترة القصيرة نجح فيها محمد في استئصال عبادة الأصنام في كل انحاء شبه الجزيرة العربية ، وتوحيد كل قبائل العرب في طائفة واحدة ، تكتلت حوله ، وآمنت ببشارته " .

وتتحدث بعض هذه الكتب الدراسية عن الدين الإسلامي وكأنه ليس من عند الله ولكنه مفروض على قبائل شبه الجزيرة العربية من قبل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فهو الذي أكرههم على الدخول في الإسلام ، فقد ورد : " משהתחזק כוחו של מוחמד הוא כפה את האיסלאם על בני השבטים בחצי האי ערב⁽²⁾ : عندما زادت قوة محمد ، فرض الإسلام على أبناء القبائل في شبه الجزيرة العربية " .

ويشير نفس الكتاب الدراسي إلى ذلك أيضاً في موضع آخر ، ورد : " בית'רב הצטרפו אל מוחמד עוד ועוד מאמינים וכאשר גבר כוחם הם יצאו להילחם בשבטים בחצי האי ערב וכפו עליהם את האיסלאם ، בעקבות ניצחונותיו במלחמות פנו אל מוחמד שבטים רבים וגם הם ביקשו לקבל עליהם את האיסלאם ، אפילו שליטי מכה כרתו אתו ברית שלום – שמונה שנים לאחר שנמלט מן העיר⁽³⁾ : في يثرب انضم لـ

¹ - דורון, עמ' 210 .

² - טביביאן, עמ' 13 .

³ - שם , עמ' 20 .

محمد العديد من المؤمنين، وعندما زادت قوتهم خرجوا لمحاربة القبائل في شبه الجزيرة العربية، وفرضوا عليهم الإسلام، وفي أعقاب انتصاراته في الحروب توجه إلى محمد قبائل كثيرة وطلبوا منه الدخول في الإسلام، ولكن سادة مكة عقدوا معه معاهدة سلام وذلك بعد ثماني سنوات من فراره من المدينة (مكة) ^(١).

وتعتبر الكتب الدراسية العبرية عودة الرسول إلى مكة بمثابة احتلال لها، ورد في نصوصها: "لأخبر הצלחצו באלמדינה החל מוחמד להפיץ את תורתו בכל חצי האי، מאמיני מוחמד נלחמו בעובדי האלילים ובסוחרים של העיר מכה، שכפרו בנבואותיו، אחרי ניצחונות צבאיים אחדים עלה מוחמד עם חייליו על מכה וכבש אותה (בשנת 630 לספירה) מיחמד לא פגע בכעבה אבל שיבר את כל הפסילים שהיו שמורים בה ^(٢):"

"بدأ محمد بعد نجاحه في المدينة في نشر عقيدته في كل شبه الجزيرة العربية. وقام المؤمنون بمحمد بمحاربة عبدة الأصنام وتجار مدينة مكة، الذين كفروا بنبوته. وبعد عدة انتصارات عسكرية صعد محمد مع جنوده لمكة واحتلوها عام (٦٣٠م). ولم يلحق محمد ضرراً بالكعبة، ولكنه كسر كل التماثيل التي كانت محفوظة بها."

يلاحظ من تحليل نصوص هذه الكتب أنها تهدف إلى تشكيل ذهنية الطالب في اتجاه واضح يرمي إلى تثبيت حقيقة عمل عليها اليهود منذ بعثة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وهي عدم الاعتراف بأن محمداً نبياً ورسول، وبأن الإسلام ما هو إلا أفكار ومفاهيم أخذها محمد من اليهود والنصارى وقدمها للعرب في صورة تناسبهم، وتناست الكتب المدرسية أن القرآن مصدق لما جاء في التوراة والإنجيل ^(٣).

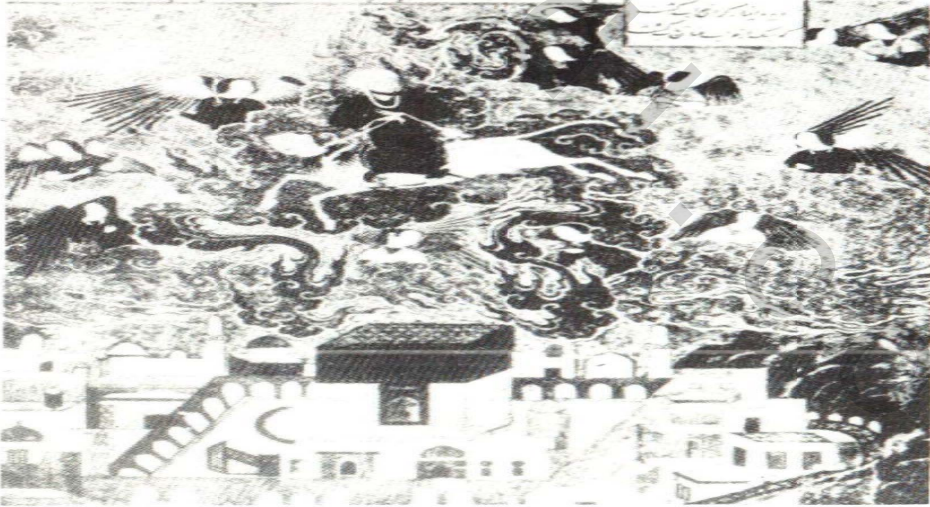
^١ - دورون، ع' 200.

^٢ - المقصود هو اتخاذ القرآن الكريم كمقياس لما هو وحي في التوراة، فما يناسب الرؤية القرآنية من بعض أقوال التوراة فهو إلى الوحي الإلهي أقرب. وأن ما يعارض منها الرؤية القرآنية فهو بعيد عن الوحي مصداقاً لقوله تعالى: "الْم. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. مِنْ قَبْلُ هَدَى النَّاسَ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ .." (ال عمران ٤-١).

معجزة الإسراء والمعراج :

تقدم الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل معجزة الإسراء والمعراج على أنها أسطورة خرافية ابتدعها الإسلام ورسوله ويؤمن بها المسلمون لأن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قصها على أهله وأصحابه ، وتصف بعض الكتب قصة الإسراء والمعراج وصفاً غريباً حيث تقول : " לפי המסורת המוסלמית מוחמד טס ממכה לירושלים על גבו של סוס פלאים، ששמו אלבוראק ، מוחמד קשר את הסוס לאחת מאבני הכותל וצעד במעלה הר הבית ، משם הוא עלה השמימה והוריד את הקוראן⁽¹⁾ : وفقاً للتقاليد الإسلامية طار محمد من مكة إلى القدس على ظهر حصان عجيب ، اسمه البراق وربط محمد الفرس في إحدى أحجار الجدار وسار إلى أعلى جبل الهيكل، ومن هناك صعد إلى السماء وأنزل القرآن ". يشير النص إلى أن محمداً أنزل القرآن من السماء بعد حادثة الإسراء والمعراج ، فقد صعد محمد من القدس إلى السماء وأنزل القرآن من هناك ، وفي إطار هذا التصور الخاطئ تدحض هذه النصوص حقيقة أن القرآن وحي من الله " .

وقد استخدمت الكتب الدراسية العبرية الرسم العشوائي التالي للتعبير عن حادثة الإسراء :



¹ - דורון ، עמ' 202 .

ويعلق المؤلف قائلاً تحت الرسم موجهاً حديثه إلى الطلبة : لاحظوا أن الملائكة تحيط بمحمد من أعلى وتظهر الكعبة من تحته. ولا شك أن المؤلف يقصد من وراء هذا الخطاب الإيهام بعدم واقعية الحدث ، وبالتالي ترسيخ الصورة السلبية للنبي في عقول الطلبة . ولا نريد أن نتطرق بالمناقشة إلى حادثة الإسراء والمعراج ، فليس هذا هو مجال البحث ، ولكن ما يهمنا الإشارة إليه هو الكيفية التي تم بها تناول الكتب الدراسية في إسرائيل لهذه الحادثة ، فتورد الكتب نصوصاً أخرى توحي بأن هذه الحادثة هي مجرد خيال ، وتم فيها وصف البراق بأن رأسه رأس إنسان وجسده جسد حصان وله جناحين ، ورد : " בקוראן ירושלים לא נזכרת בשמה ، אך מסופר בו שמוחמד טס ממכה ، רכוב על בהמת הפלא שלו אלבראק – שראשה ראש آدم، גופה גוף סוס ולה כנפיים ، הוא קשר את אלבראק לטבעת שהייתה קבועה בכותל הבערבי، ומשם עלה להר הבית ולשמים ، לכן נקרא הכותל המערבי בפי הערבים ، אלבראק ، לזכר אירוע זה חוגגים המוסלמים חג מיוחד בנושאים תפילה מיוחדת⁽¹⁾...: في القرآن لم تذكر القدس باسمها ، ولكن يُحكى فيه أن محمداً طار من مكة ركباً دابته العجيبة – البراق – التي رأسها رأس إنسان وجسدها جسد حصان ولها جناحان ، وقد ربط البراق في طوق كان موجوداً في الحائط الغربي ، ومن هناك صعد إلى جبل الهيكل ثم إلى السماء ، لذلك يدعى الحائط الغربي عند العرب، البراق، وفي هذه الذكرى يحتفل المسلمون بعيد خاص ويؤدون صلاة خاصة...

النظرة إلى القرآن والحديث:-

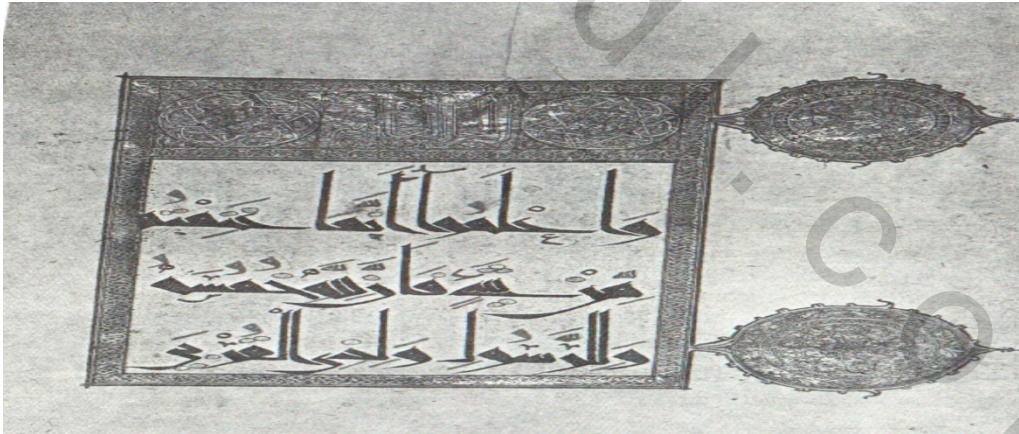
كشفت الكتب الدراسية في إسرائيل عن ترسيخ أفكار تتعلق بعدم قدسية القرآن الكريم، لأنه من صنع محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن نسيج خياله، وبالتالي فإن القرآن ليس منزلاً من عند الله ، وتعتبر أن محمداً منح العرب هذا الكتاب ، وكأنها هذا الكتاب كان مخصصاً للعرب فقط وليس لكل البشر ، ورد: "הקוראן הוא ספר הספרים של הערבים וכולל בתוכו את כל הנבואות של מוחמד، הספר מחולק לסורות (פרקים) הסורות

¹ - מביביאן، עמ' 31 .

הראשונות הן הארוכות והאחרונות הן הקצרות : القرآن هو الكتاب الأعظم للعرب ويتضمن كل نبؤات محمد ، الكتاب مقسم لسور (فصول) : السور الأولى هي الطويلة والأخيرة هي الصغيرة " .

وتكرر هذه الكتب هذا التوجه في موضع آخر وتؤكد أن القرآن الكريم شريعة العرب وحدهم ، فقد ورد " המסורת המוסלמית מספרת שלפתע התגלה אליו המלאך גבריאל וציווה עליו לתת תורה חדשה לערבים^(١) : تقول الرواية الإسلامية أن الملاك جبريل ظهر فجأة لمحمد وأمره أن يعطي شريعة جديدة للعرب " .

ويلاحظ أن بعض الكتب الدراسية تعتمد على أسلوب المحاوراة والمناقشة في عرض المعلومات والمعارف ، وتهتم بدور الطالب في العملية التعليمية فتضع بعض الكتب اللوحة التالية أمام الطلبة ، مكتوباً عليها آية قرآنية بالخط العربي مترجمة إلى العبرية تقول : " לפניכם עמוד מתוך קוראן עתיק ועליו כתוב : ודעו כי אשר תקחו בשלל יהיה חמשייתו לאלוהים ולשליח ולקרובים (קוראן ח' ٤١)^(٢) أمامكم صفحة قديمة من القرآن كتب عليها : " وَعَلَّمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ... (السورة الثامنة الأنفال " ٤٢) :



^١ - דורון, עמ' 204 .

^٢ - דורון , עמ' 201 .

وقد طرح المؤلفون تحت هذه الصورة بعض الأسئلة التي لها مغزى، منها السؤال التالي : من هم الأشخاص الذين سيرد ذكرهم تبعاً في هذه الآية من وجهة نظرهم ؟ ويبدو أن طرح هذا السؤال ليس من باب الاهتمام بدور الطالب في العملية التعليمية ولكن لترسيخ المعلومات السلبية المراد تثبيتها في ذهن الطلبة .

ودائماً ما تستخدم النصوص العبرية الواردة عن القرآن في الكتب الدراسية أسلوب التشكيك في قدسية القرآن ، فالقرآن الكريم ، وفق تصورها ، هو مجرد كتاب يضم بين دفتيه عدداً من النبوءات والرؤى ، ورد " سفر הקודש של המוסלמים הוא הקוראן ועל פיו מתנהלים חייהם ، על-פי המסורת המוסלמית הקוראן חובר בידי אללה והורד מן השמים אל מוחמד קטעים-קטעים ، מוחמד מסר את דברי אללה למאמיניו בצורת אימרות קצרות ואלה רשמו אותן על כפות תמרים، על פיסות עץ ועל עצמות ، רק באמצע המאה ה-7 (בשנת 651) קובצו האימרות לספר – ספר הקוראן ، בקוראן 114 פרקים ובהם נאומי הנביא וחזיונותיו ، כל פרק בקוראן נקרא סורה ، הסורות מופיעות בקוראן לפי אורכן : מהארוכה ביותר ועד הקצרה، חוץ מסורת הפתיחה – שהיא סורה קצרה⁽¹⁾ : الكتاب المقدس للمسلمين هو القرآن وبموجبه يديرون حياتهم ، وطبقاً للرواية الإسلامية فإن " الله " هو الذي ألف القرآن وأنزله من السماء إلى محمد نصوصاً متفرقة، أبلغ محمد أقوال الله للمؤمنين به في صورة أقوال مأثورة قصيرة وسجلها هؤلاء على سعف النخيل ، وعلى قطع الشجر وعلى العظام ، ولم يتم جمع هذه الأقوال في كتاب إلا في منتصف القرن السابع (عام ٦٥١ م) هو كتاب القرآن ، ويوجد في القرآن ١١٤ " فصل " وبها خطب النبي ورؤاه ، يسمى كل فصل في القرآن سورة ، وتظهر السورة في القرآن طبقاً لطولها ، من أطول السور إلى أقصرها باستثناء سورة الفاتحة – التي تعد سورة قصيرة " .

¹ - מביבאן ، עמ' 24 .

وتردد الكتب الدراسية في إسرائيل أن الإسلام بقرآنه وحديثه مستمد من اليهودية والنصرانية ، فهي تربط بين لغة القرآن ولغة التوراة ، للتدليل على أن القرآن مستوحى من التوراة ، ورد : " بدבריו טען מוחמד שהוא אינו מייסד דת חדשה ושליחותו כנביא מצטרפת אל שליחותם של משה וישו, ומשלימה אותן , לדבריו, היהודים והנוצרים לא שמרו כהלכה את ספר הקודש שנתן להם האל ולכן הוא מביא מן האל ספר קודש אחר בשפה הערבית⁽¹⁾ : إدعى محمد في أقواله أنه ليس مؤسساً لدين جديد، وأن بعثه ينضم إلى بعث موسى ويسو ، ويكملهم ، وحسب أقواله فان اليهود والمسيحيين لم يحافظوا كما يجب على الكتاب المقدس الذي اعطاه الرب لهم ، ولذلك فقد قام باحضار كتاب مقدس آخر من الرب باللغة العربية " .

وتستخدم بعض هذه الكتب الدراسية المفردات الدينية اليهودية للتعبير عن المكونات والمفردات الإسلامية ، فقد حاول مؤلفو الكتب الربط من حيث المنزلة الرفيعة والقدسية بين القرآن الكريم والتوراة ، وذلك من خلال ايجاد علاقة لغوية بين لفظ " القرآن " والاسم " مقرا מקרא " وهو أحد أسماء كتاب العهد القديم ، الكتاب المقدس عند اليهود ، فهم يربطون في ذلك بين اشتقاق الاسم " القرآن " من " قرأ " ، وكلمة " مقرا " المشتقة أيضاً من الفعل العبري קרא بمعنى " قرأ ، تلا " .

وقد تم الإشارة إلى ذلك في ثنايا الأسئلة التي اعتادت الكتب الدراسية طرحها لترسيخ أهداف تربوية موجهة، ورد: " המלה קוראן מזכירה את המלה העברית מקרא , מה אפשר ללמוד מכך ؟⁽²⁾ : الكلمة قرآن تُذكرُ بالكلمة العبرية " مقرا " ، ماذا يمكن أن نتعلم من ذلك ؟ " .

تجدر الإشارة هنا إلى أن الاسم العبري מקרא (المقرا) لم يرد في أي موضع من اسفار العهد القديم للدلالة على أنه الكتاب المقدس عند اليهود، في حين نجد أن اسم " القرآن " قد

¹ - שם , עמ' 21 .

² - דורון , עמ' 201 .

ورد في الكثير من آيات هذا الكتاب الكريم^(١) وقصد به صراحة الكلام المعجز ، المنزل على النبي (صل الله عليه وسلم)، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبد بتلاوته^(٢)."

كما يقدم القرآن على أنه "الشريعة المكتوبة" وهو المصطلح الذي يطلقه اليهود على التوراة والعهد القديم ، ورد : " עם הכיבוש התפשטה דת האיסלאם، ורבבות רבות של בני אדם נהגו על פי הדברים، שנמסרו בשמו של מוחמד ، המוסלמים האמינו، שתורתם ירדה משמים ונמסרה למוחמד נביאם ، אבל רק בדור שאחרי מות מוחמד ריכזו את נבואותיו וערכו אותן בספר – הקורآن ، אז הפך הקורآن לספר הקודש למוסלמים – ל " תורה שבכתב " של המוסלמים^(٣) : مع عمليات الاحتلال الاسلامي انتشر دين الاسلام، واتبع كثير من البشر التعاليم التي قالها محمد . وقد آمن المسلمون أن شريعتهم هبطت من السماء ، وسلمت لمحمد نبيهم . غير أن نبوءاته لم تجمع إلا في الجليل الذي تلى موت محمد ووضعوها في كتاب – القرآن – وحينذاك أصبح القرآن هو الكتاب المقدس للمسلمين بمثابة " الشريعة المكتوبة " للمسلمين."

كما تقدم الكتب الدراسية العبرية الحديث النبوي والسنة الشريفة على أنها " الشريعة الشفهية " التي تكمل القرآن مقارنة بالمشنا^(٤) التي تكمل العهد القديم ، ورد : "מוחמד העניק למוסלמים ספר קודש בשפה הערבית : הקורآن ، מלבד הקורآن יש למוסלמים גם תורה שבעל-פה בשם סונה ، המשלימה אותו^(٥) : منح محمد المسلمين

^١ - على سبيل المثال : البقرة ١٨٥/٢ ، النساء ٨٢/٤ ، المائدة ١٠١/٥ ، الأنعام ١٩/٦ وغيرها كثير

^٢ - الهواري (د. محمد)، القرآن الكريم في دوائر المعارف اليهودية ، مجلة جامعة الملك سعود ، عدد ١٩، الآداب، الرياض ٢٠٠٧، ص ٢٩٨.

^٣ - دورון ، עמ' 218 .

^٤ - يطلق على المشنا الشريعة الشفوية لأن كتاب المشنا عبارة عن شرائع في العبادات والمعاملات والجنایات ، وصلت إليهم بالرواية الشفوية دون سند متصل السلسلة إلى موسى أو هارون أو من تعاقب بعدهما من الأنبياء في بني إسرائيل . والنسخة التي يتداولها اليهود الرבאניون الآن تعود إلى "רבי" من أواخر القرن الثاني بعد ميلاد المسيح اسمه يهوذا .

^٥ - מביבאן، עמ' 13 .

كتاباً مقدساً باللغة العربية : القرآن ، وبالإضافة للقرآن فإن للمسلمين أيضاً شريعة شفوية تسمى السنة ، تكمل القرآن " .

وتتحدث بعض الكتب الدراسية العبرية عن الحديث النبوي في موضع آخر وكأنه يماثل التقاليد والتعاليم الشفاهية في التلمود التي يعتقد اليهود أن موسى النبي ألقاها على أمته أثناء تدوين التوراة^(١)، وتلقاها الخلف عن السلف بالحفظ^(٢)، وتقول : "نוסף לנבואות של מוחמד העבירו המאמינים לבניהם גם סיפורים על חיי מוחמד، פתגמים שאמר ומעשים שעשה ، כל אלו נקראו חדית' ، בעזרת החדית' יכלו המאמינים לחקות את מעשים שעשה מוחמד ולנהוג כמנהג נביאם ، במשך שנים מסרו אבות לבנים דברי חדית' רבים، ומספרם הגיע לאלפים רבים ، חכמי האיסלאם ידעו ، שחלק ממסורות החדית' אינן אמיתיות ، או שהשתבשו בפי מוסרי החדית' ، לכן החליטו החכמים לרכז את כל דברי החדית' המהימנים ולכותבם בספרים ، מה שנבדק והועלה על הכתב ، נקרא סונה שפירושה אורח חיים، נוהג ، המאמינים בקדושת מוחמד והקוראן קיבלו על עצמם מעתה גם את הסונה ، ולכן נקראו סונה^(٣) :بالإضافة إلى نبوءات محمد ، نقل المؤمنون لأبنائهم قصصاً عن حياة محمد وأقوالاً مأثورة قالها أو أفعالاً عملها، سمي كل هذا حديث ، وبمساعدة الحديث يستطيع المؤمنون الاقتداء بالأفعال التي قام بها محمد واتباع نهج نبيهم ، وطوال السنين سلم الآباء للأبناء أحاديث كثيرة ، وصل عددها آلاف مؤلفة ، وقد عرف فقهاء المسلمين أن جزءاً من الحديث ليس صحيحاً ، أو أن

^١ - أثبتت أبحاث العلماء في العصر الحديث أن التوراة الموسوية كانت قد فقدت من المجتمع اليهودي لعدة قرون ، بحيث صار من المحتمل أن يكون نصيها الذي كتبه عزرا - عزير عند العرب - مختلفاً جداً عما أنزل على موسى ، فبين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمان (راجع ظاظا(د. حسن) ، الفكر الديني الإسرائيلي ، معهد البحوث العربية ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٣) .

^٢ - مويال (د.شمعون) ، التلمود ، أصله وتسلسله وآدابه ، تقديم ومراجعة د. رشاد الشامي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ٤٧ .

^٣ - دورون، لعم' 218 .

رواية الحديث أخطأوا فيه ، لذلك قرر الفقهاء تجميع كل الأحاديث الموثوق بها وكتابتها في كتب ، وما فُحص وتم تدوينه، سُمي سُنَّة التي تعني نهج حياة أو سلوك ، ومن ذلك الحين فإن المؤمنين بقدسية محمد والقرآن أخذوا على عاتقهم أيضاً السنة ولذلك فإنهم يسمون أهل السُنَّة " .

ولا يمكننا مقارنة المشنا والتلمود بالحديث النبوي لأسباب كثيرة^(١) ، أهمها :

١- انقطاع سلاسل الرواية اليهود بفراغ يزيد كثيراً على ألف سنة بالنسبة إلى موسى عليه السلام .

٢- المتغيرات السياسية الخطيرة التي واكبت الدين اليهودي ، من أسر ونفي وتشريد مما لم يتعرض المسلمون لشئ يشبهه .

٣- اعتماد مبادئ العدل ، ومصلحة العباد ، وأمن الأمة ، وسيادة الشريعة قبل سيادة الأفراد في الإسلام ، في حين أن التلمود أعطى للحاخام حق الحياة والموت على رعيته .

٤- التناقض معدوم في الإسلام بين الأحاديث الصحيحة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونص القرآن ، في حين أن المتناقضات بين التوراة والتلمود ، وبين أحبار التلمود بعضهم وبعض لا تكاد تحصى .

وإذا كانت هذه هي نظرة الكتب الدراسية في إسرائيل إلى القرآن والحديث فما هي نظرتها إلى أركان الإسلام ؟

النظرة إلى أركان الإسلام :

من خلال تحليل بعض الكتب الدراسية لمراحل التعليم العام والديني في إسرائيل ومن دراسة النصوص الواردة فيها يتضح أنها تتضمن معلومات مغلوطة عن أركان الإسلام ، فهي تزعم أن أركان الإسلام حُددت من قبل النبي (صلى الله عليه وسلم) واتباعه، ولم تحدد من عند الله، وتجاهلت الآيات القرآنية المتعلقة بأركان الإسلام ، فقد أوردت هذه الكتب

^١ - ظاظا (د.حسن) ، الصهيونية وتدمير اليهود القرائين ، مجلة الفيصل ، العدد ٢١٤ سبتمبر /

أكتوبر ، الرياض ، ص ١٩٩٤ .

نصوصاً تشير إلى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) استمد عقيدته التوحيدية من اليهود والمسيحيين الذين قابلهم خلال رحلاته مع قوافل التجارة ، متأثراً في ذلك بأنماط حياتهم وعاداتهم ، فقد ورد: "لعمري، شירות המסחר הגיע מוחמד לארצות אחרות، בהן גם סוריה וארץ-ישראל، במסעות אלה הוא נפגש עם בני עמים שונים ובני דתות שונות ، מוחמד התרשם מאורחות חייהם וממנהגיהם ובייחוד מן האמונה באל אחד، שנפוצה אצל היהודים והנוצרים^(١): توجه محمد مع قوافل التجارة إلى بلاد أخرى ، وكان من بينها سوريا وإيرتس إسرائيل^(٢) ، في هذه الرحلات إلتقى مع أبناء شعوب أخرى وأبناء ديانات أخرى ، تأثر محمد بأنماط حياتهم وعاداتهم خاصة الإيثار بالإله الواحد ، الذي كان منتشرأً عند اليهود والمسيحيين" .

وتحرص هذه الكتب على تأكيد أن الإسلام ما هو إلا نسخة معدلة لليهودية وما جاء في التوراة ، وأن النبي محمداً بذل جهداً مضنياً لمطابقة دينه وجعله متفقاً مع اليهودية، ولكنه توقف عن تقليد اليهودية عندما واجه مقاومة اليهود لدينه فقد ورد عن ركن الصلاة أن محمداً أمر أتباعه في البداية بالتوجه في الصلاة نحو القدس ثم طلب منهم بعد ذلك التحول إلى مكة ، ورد : "لפי המסורת המוסלמית، מוחמד הורה תחילה למוסלמים להתפלל לכיוון ירושלים ורק אחר כך קבע כי יתפללו לכיוון מכה"^(٣) : طبقاً للروايات الإسلامية فإن محمداً أمر المسلمين في البداية بالصلاة تجاه القدس وبعد ذلك حدد لهم أن يصلوا تجاه مكة ."

من الملاحظ أن مؤلفي الكتب الدراسية يرددون هنا ما يذكره المستشرقون اليهود من أن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) اضطر إلى هذا التحويل حتى يميز دينه عن دين اليهود الذي اكتشف أنه الصورة العربية لديانتهم^(٤) .

^١ - نفس المرجع السابق ص ١٩٨ .

^٢ - مصطلح يطلقه اليهود على أرض فلسطين .

^٣ - טביביאן , עמ' 31 .

^٤ - האנציקלופדיה העברית , ירושלים 1973, כרך 4 , ערך אסלאם .

كما تذكر الكتب الدراسية عن ركن الصوم أن محمداً أمر أتباعه أيضاً في البداية تقليد اليهودية بصيام يوم الغفران^(١)، ثم أمرهم بعد ذلك بصيام شهر رمضان ، فقد ورد : " موحמד התרחק מן היהודים ושינה מנהגים ، שחיקו את מנהגי היהודים: במקום הפנייה לכיוון ירושלים פנו המתפללים מעתה לכיוון מכה، ובמקום צום יום כיפור צמו המוסלמים מעתה חודש שלם – חודש הרמדאן^(٢) ، ابتعد محمد عن اليهود وغير عاداته ، التي كانت تحاكي عادات اليهود : بدلا من الاتجاه للقدس أمر المصلين بالاتجاه إلى مكة ، وبدلا من صوم يوم الغفران صام المسلمون شهراً كاملاً – شهر رمضان " . وتشير بعض هذه الكتب إلى نفس الموضوع في موضع آخر ، وتقول : בתחילה התיר מוחמד לשבטי היהודים באלמדינה לקיים את מצוות דתם ואף הבטיח להגן עליהם מוחמד ציפה שגם היהודים יצטרפו לאיסלאם ואף קיווה להיעזר בהם להפצת דתו ، הוא ציווה על מאמיניו לפנות בתפילתם לכיוון ירושלים – כשם שעושים היהודים، וכן לצום בחודש העשירי – אף זאת כמנהג היהודים מאחר שהיהודים לא הצטרפו אליו، הוא שינה כמה מן המצוות שקבע ، הוא הורה למוסלמים להתפלל כשפניהם לכיוון מכה، לצום במשך חודש בשנה ולהתפלל בציבור מדי יום שישי בצהריים^(٣) : في البداية سمح محمد لقبائل اليهود في المدينة بممارسة شرائع دينهم ووعدهم بالدفاع عنهم ، وتوقع محمد أن ينضم اليهود أيضاً للإسلام وتمنى أن يساعده في نشر دينه ، وأمر المؤمنين بالتوجه في صلاتهم تجاه القدس مثلما يفعل اليهود ، وأيضاً الصيام في الشهر العاشر مثل نهج اليهود ، وحيث أنهم لم ينضموا إليه فقد غيرَ عدداً من الشرائع التي حددها : أمر المسلمين بالصلاة ووجههم تجاه مكة، والصوم خلال شهر في العام والصلاة جماعة كل يوم جمعة ظهراً".

^١ - يوم الغفران هو العاشر من شهر تشرين (أكتوبر) وهو يوم يجب فيه الصيام وعدم الإشتغال بأي شيء ما خلا العبادة (للمزيد راجع ظاظا(د.حسن) ، الفكر الديني الإسرائيلي ، ص ٢٠٢) .

^٢ - دورון ، عמ' 202 .

^٣ - טביביאן ، עמ' 21 .

وتسعى النصوص الواردة في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل إلى تشويه الشعائر الإسلامية الحالية بتسميتها بالعادات الوثنية القديمة التي أدخل عليها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تعديلاً طفيفاً. فقد أوردت بعض الكتب معلومات مغلوطة عن ركن الحج في الإسلام، وذكرت أن "محمدًا أعد نصاً دينياً جديداً يتفق والعقيدة الجديدة"، وأنه كان من الصعب عليه إلغاء عادة زيارة الكعبة، تلك العادة القديمة التي كانت شائعة في أنحاء الجزيرة العربية، لذا لم يغير الطقوس الوثني القديم، ولكنه طوره وأضاف إليه – من تلقاء نفسه – بعض الطقوس، وجعله الركن الخامس من أركان الإسلام، فقد ورد: "مohammad הבישקשה יהיה לבטל מסורת עתיקה של עלייה לכעבה, שהייתה רווחת בכל רחבי ערב, לכן מוחמד לא שינה את הטקס האילי הישן, רק יצק בו תכנים חדשים, ואלה הם שלבי הטקס: היטהרות.. הקפה.. עמידה על הר ערפאת.. חג הקרבן⁽¹⁾: أدرك محمد أنه من الصعب إلغاء تقليد قديم وهو الذهاب إلى الكعبة، الذي كان منتشرًا بين العرب، لذلك لم يغير محمد هذه العادة الوثنية القديمة، إلا أنه وضع فيها مضامين جديدة منها: الطهارة، الطواف والوقوف بعرفة، ثم عيد الأضحى".

نلاحظ هنا أن مؤلفي الكتب الدراسية يرون أن فريضة الحج ليست بأمر إلهي وإنما أخذها سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) من العادات القديمة السابقة على ظهور الإسلام، ولكن كيف يصعب على الرسول محمد إلغاء عادة وثنية قديمة وقد قضى على عبادة الأوثان.

وتزعم الكتب الدراسية أيضاً أن الحرب الدينية تُعد ركناً آخر يضاف إلى أركان الإسلام الخمسة. وأنه من لا يخرج إلى هذه الحرب فهو مذب، فقد ورد: כיתות מסוימות באיסלאם סבורות, שהחובה להשתתף בג'יהאד היא אחת ממצוות היסוד של האיסלאם, מלחמת המצווה היא עמוד נוסף, שמצטרף אל חמשת עמודי האיסלאם, לפיכך מי שאינו יוצא למלחמת מצווה – חוטא, מוחמד עצמו אמר: "אם לא תיחלצו לקרב למענו (למען אללה) יענישכם בעונש מכאיב" (קוראן ט' 39)⁽²⁾:

¹ - דורון, עמ' 205.

² - דורון, עמ' 214.

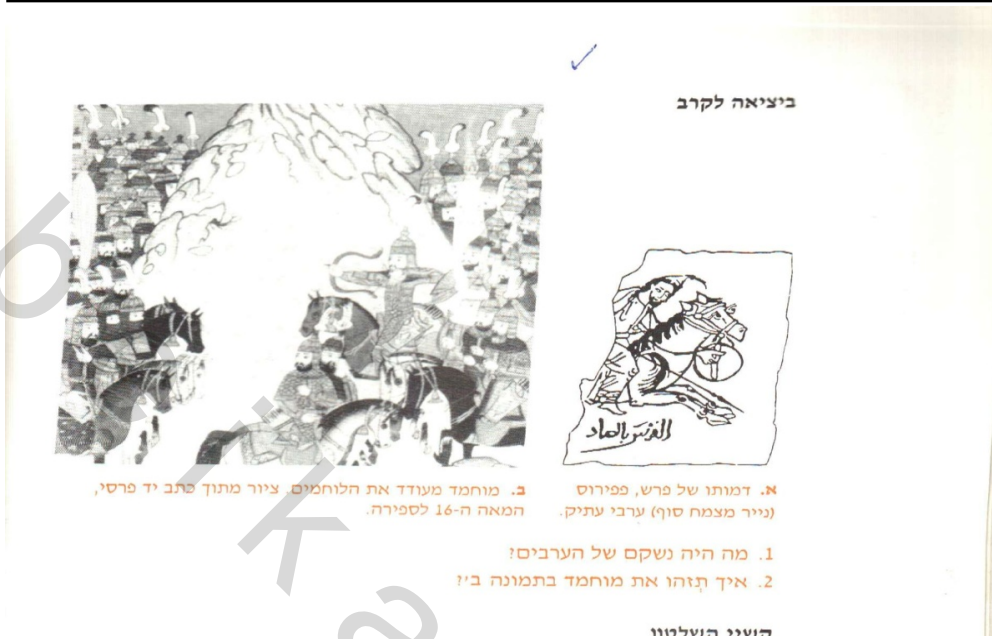
تعتقد طوائف معينة في الإسلام ، أن واجب الاشتراك في الجهاد هو أحد الأركان الأساسية للإسلام ، وحسب رأيهم ، فإن الحرب باسم الدين هي ركن آخر تنضم إلى أركان الإسلام الخمسة ، وطبقاً لذلك فمن لا يخرج للجهاد - يكون مذنباً ، فمحمد نفسه قال : " إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَاباً أَلِيماً " (القرآن التوبة / ٣٩).

يلاحظ مما سبق أن مؤلفي الكتب يستشهدون بآيات من القرآن الكريم وينسبونها إلى النبي محمد (صل الله عليه وسلم) ، فكأن هذه الآيات هي من كلام الرسول وليست وحياً من الله عز وجل .

وقد أوردت بعض الكتب آيات أخرى من القرآن تدعوا إلى القتال وينسبونها إلى رسول الله (صل الله عليه وسلم) ، فقد ورد : " موحّمد عودد أّت المأمّنين لهفّين أّت المأمّنة المحدثه وهורה لهم لهلّهم نغد الكوفريم - المأنشيم شممشيكم لعلّود أليليم ومسرّبيم لهكير بآللله كآل يّيد ، موحّمد فنه أليهم وآمر : " هرغو أّت عوبدي المآليليم بكلّ مكرم شتممضآوم، كخو أؤتم بشبي، شيمو عليهم مآزور وحوو لهم بكلّ مآرب " (كورآن ص، ٥) ^(١) : " شجع محمد المؤمنين به على نشر العقيدة الجديدة وأعطاهم تعليماته بمحاربة الكفار - الأشخاص الذين يواصلون عبادة الأصنام ويرفضون الاعتراف بـ (الله) كإله وحيد ، توجه محمد إليهم وقال : " فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ " (القرآن التوبة / ٥)، ويلاحظ هنا أن المؤلف يتجاهل بقية الآية القرآنية ، فقد قال تعالى : " فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " .

وتعرض بعض هذه الكتب الرسم التالي الذي تقدم فيه النبي (صل الله عليه وسلم) في صورة المحارب الذي يدعو للقتال ، وذلك للربط بين الدين الإسلامي والعنف :

¹ - دورون ، عم' 210 .



وقد أورد المؤلف تحت هذه الصورة عبارة تقول: "محمد يشجع المحاربين على القتال". يلاحظ أن مؤلفي هذه الكتب الدراسية قلما يتبعون النهج المنطقي والطبيعي في العرض ، إذ أن الحقائق كثيراً ، ما تُحرف ، فيتعرض القارئ نتيجة لذلك إلى شيء من الإيحاء برأي معين أو أنه يتعرض في الأقل إلى اختلاط في الأمور ، لأن الآيات التي تأمر المسلمين بقتال غيرهم ، يجب قراءتها في سياقها الذي يوضح أنها لرد العدوان كما أن هذه الكتب تتجاهل الآيات القرآنية التي تحرم على المسلمين الاعتداء على الآخرين ، وتبيح القتال للدفاع فقط ، قال تعالى : " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (البقرة ١٩٠) ، وقال عز وجل " إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ .. (المتحنة ٩) . وقوله تعالى : " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ " (البقرة ٢٥٦) ، "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" (الكهف ٢٩) ، "وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا" (الأنفال ٦١) .

-علاقة النبي (صلي الله عليه وسلم) بأهل الذمة من اليهود :

حين تناولت الكتب الدراسية العبرية علاقة النبي (صلى الله عليه وسلم) بيهود المدينة ، حاولت - خلاف الواقع - ترجيح وجهة نظر اليهود، والقول بصحة مواقفهم دون توثيق .

فقد ورد: "أخ היהודים דחו את תורת מוחמד ، הם סירבו להאמין، שמוחמד הוא "חותם הנביאים" אחרון הנביאים، שנשלח על ידי האל כדי לבאר לאנשים את רצון האל، ושנבואתו מבטלת את תורת משה ، כאשר מוחמד הבחין، שהיהודים לועגים לבשורתו ، הוא שינה את יחסו אליהם، במדינה، עירו של הנביא ، ישבו שלושה שבטים יהודים ، בפקודת מוחמד גירשו המאמינים שני שבטים ، את בני השבט השלישי הם הרגו בחרב מוחמד גם האשים את היהודים בסטייה מדרך האל ، לטענתו، היהודים הכניסו זיופים לתוך כתבי הקודש ושיבשו בהם את הכתובים ... אבל לאחר שמוחמד התבסס במדינה והצליח להפיץ את אמונתו בחצי האי ערב، הוא שינה את יחסו ליהודים ، מוחמד הבטיח להם אשיגן על חייהם וישמור על רכושם בתנאי שיכירו בשלטונו ויעלו לו מס⁽¹⁾ : لكن اليهود رفضوا شريعة محمد، رفضوا الإيمان بأن محمداً هو خاتم الأنبياء"، آخر الأنبياء الذي أرسله الرب لتوضيح شريعته للناس ، وأن نبوءته تلغي شريعة موسى ، وحينما أدرك محمد ، أن اليهود يستهزون ببشارته ، غير علاقته معهم ، وكان يقطن في المدينة ، مدينة النبي ، ثلاث قبائل يهودية ، وبأمر من محمد طرد المؤمنون به قبيلتين ، أما أبناء القبيلة الثالثة فقد قتلوهم بالسيف ، اتهم محمد اليهود بالإنحراف عن طريق الرب ، وحسب إدعائه ، أدخل اليهود تزييفات في الكتب المقدسة وحرفوا كتاباتها ... ولكن بعد أن استقر محمد بالمدينة ونجح في نشر عقيدته في شبه الجزيرة العربية ، غير علاقته باليهود ، فقد وعدهم محمد بالدفاع عن حياتهم والحفاظ على ممتلكاتهم بشرط أن يعترفوا بسلطته ويدفعوا له ضريبة .

يلاحظ أن هذه الكتب الدراسية تؤكد أن اليهود هم دائماً الضحية ، فقد تم طردهم من المدينة إلى بلاد أخرى، واضطهادهم وقتل رجالهم دون سبب واضح ودون رحمة أو شفقة . ولتأكيد هذه الصورة عرضت بعض الكتب الشكل التالي الذي يصور النبي وهو يأمر بقتل أبناء إحدى القبائل اليهودية :

¹ - المرجع السابق ، 230 .



1. לפי מה תוכלו לזהות מיהו מנחמד?
2. מיהם, לדעתכם, האנשים היושבים ליד מנחמד בצוור וזה?
3. כיצד הבליט האמן את ההבדל בין המוסלמים ליהודים?

ولا نستطيع القول إن هذه الكتب الدراسية قد رسمت علاقة النبي باليهود بصورة موضوعية ، إذ أنها ركزت على إبراز معاناة اليهود والظلم الذي تعرضوا له في عهد النبي دون تفسير لذلك أو مناقشة ، فقد ورد: " موحמד גם שינה את יחסו אל היהודים והחל להילחם בשבטי היהודים שישבו באלמדינה ، כתוצאה מכך נאלצו שני שבטים לעזוב את העיר، והשאירו בה את כל רכושם ، מקצת בני השבטים שעזבו את אלמדינה התיישבו בח'יבר ،אחרים נדדו והגיעו לסוריה،לבבל ולאזור יריחו ، גורלו של השבט השבט השלישי، שבט קורייט'ה، שיצא להלחם במוחמד היה אחר : הגברים בני השבט נרצחו، ואילו הנשים והילדים נמכרו לעבדים לאחר מכן פנה מוחמד להילחם בשבטי היהודים בח'יבר،אלה נכנעו، ונקבע שיתנו מחצית מיבוליהם למוסלמים، היהודים בח'יבר המשיכו לקיים את מנהגי דתם⁽¹⁾ : غیر محمد علاقته باليهود وبدأ في محاربة قبائل اليهود الذين استقروا في المدينة ، وأبقوا فيها كل ممتلكاتهم ،واستوطن البعض من أبناء القبائل الذين غادروا المدينة في خير،وتنقل آخرون ووصلوا إلى

¹ - טביביאן , עמ' 21 .

سوريا، وبابل ومنطقة أريحا، أما مصير القبيلة الثالثة ، قبيلة قريظة ، التي خرجت لمحاربة محمد، كان التعامل معها بصورة أخرى : قتل رجال القبيلة أما النساء والأطفال فقد تم بيعهم كعبيد، بعد ذلك توجه محمد لمحاربة قبائل اليهود في خيبر ، وتم إخضاعهم ، وفرض عليهم أن يعطوا نصف غلتهم للمسلمين ، واستمر اليهود في خيبر في إقامة شعائر دينهم".

يلاحظ من النصوص السابقة أن الكتب الدراسية العبرية تقدم علاقات اليهود بالنبي (صل الله عليه وسلم) على أنها سلسلة من مظاهر الكراهية والعداء لليهود ولم تقدم هذه العلاقة في ضوء تشكيل الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ، فهذه الكتب لا تورد - عند الحديث عن أمور خلافية تتعلق بالعرب والمسلمين - وجهة النظر العربية والإسلامية، بل تكتفي، في كثير من القضايا والموضوعات ، بعرض وجهة نظر غير دقيقة ، وغير حقيقية .

يشير العديد من الباحثين^(١) إلى أن اليهود تآمروا على الدولة الإسلامية الناشئة، تلك التي تعاهدوا على أن يكونوا أوفياء لها، وقاموا بمعارضة المعاهدات معها ونقدها عمداً والعمل خلافاً لما جاء في موادها وخلافاً لما وقعوا عليه وأقروه ، كما قاموا بارتكاب اعمال غدر واضحة ضد الدولة التي تعهدوا رسمياً بمسؤولية الدفاع عنها وحمايتها ، وقد عوقبوا طبقاً لجرائمهم التي ارتكبوها وليس لأنهم يدينون باليهودية .

١ - راجع مثلاً " القوسي (عطية) ، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١١ وما بعدها . وأنظر أيضاً : صديقي (د. محمد ياسين) ، الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي ، ترجمة د. سمير عبد الحميد ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٧١ وما بعدها .

الخاتمة

- في ضوء تحليل محتوى ما ورد عن النبي في الكتب الدراسية في إسرائيل نشير إلى ما يلي :
- تطرقت الكتب الدراسية في إسرائيل إلى تصوير النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بشكل غير دقيق ومناف للحقيقة، فهي تقدمه في صورة تنطوي على خصال سلبية ، فتصفه بالغارق في أحلام اليقظة، كما تصفه بأنه الشخص الذي يُرد إليه الفضل في " تأسيس الدين الإسلامي " وكأنه يؤسس - من نفسه - أو ينظر أو يؤطر لأيديولوجية أو فكر .
 - تعاملت بعض هذه الكتب الدراسية مع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بعيداً عن التعظيم الذي يليق بمكانة الأنبياء والرسل بوجه عام ، فلم تسبق اسمه بكلمة نبي أو رسول ، وهي أيضاً لم تعقب اسمه بعبارة عليه السلام ، كما نجد بعض هذه الكتب تقدم الأحداث المهمة في حياة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في شكل رسومات تتناول جسمه الشريف (ما عدا الوجه) فنجد على سبيل المثال رسماً للقاءه بالملاك، وآخر لرحلة الإسراء والمعراج ، ورسم يشجع فيه النبي محمد المحاربين على القتال ، ثم رسم يصور النبي محمد وهو يأمر بقتل اليهود ، ويورد المؤلفون تعليقات على الرسومات ، الغرض منها هو ترسيخ الصورة السلبية للنبي محمد في عقول الطلبة.
 - تزعم الكتب الدراسية العبرية بأن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يأت بجديد ، فقد ادعت أنه كان يلتقي ببعض اليهود في مكة وفي أثناء رحلاته إلى الشام فتأثر بهم وبدينهم . ومثال ذلك ربط بعض أركان الإسلام ببعض الطقوس الدينية في اليهودية مثل ربط صوم شهر رمضان بصيام يوم الغفران لديهم .
 - تقدم الكتب الدراسية في إسرائيل الهجرة النبوية الشريفة على أنها " هروب " ، أما معجزة الإسراء والمعراج ، فتقدمها على أنها أسطورة ابتدعها الإسلام ورسوله ، ويؤمن بها المسلمون لأن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قصها على أهله وأصحابه .
 - أقدمت بعض هذه الكتب على تطبيق مفاهيم وأفكار يهودية على الدين الإسلامي وأركانه ، فوضعت مسميات عبرية لمصطلحات ومفاهيم إسلامية ، فالقرآن الكريم يطلق

عليه ما يطلق على العهد القديم "المقرا" أو "التوراة المكتوبة"، ويطلق على السُّنة النبوية الشريفة "التوراة الشفهية"، وهي التسمية ذاتها التي تطلق في العبرية على كتاب "المشنا" الذي يضم تفاسير رجال الدين اليهودي للعهد القديم.

■ تجلت فقدان الموضوعية في هذه الكتب الدراسية عند ربطها بين الدين الإسلامي من ناحية و"العنف" و"الإرهاب" من ناحية أخرى، فهي تقدم النبي على أنه "عدواني"، وتصفه بالمحارب. وتستشهد بالآيات القرآنية التي تدعو المسلمين إلى القتال، غير أن هذه الآيات يجب قراءتها في سياقها الذي يوضح أنها رد عدوان.

■ تقدم الكتب الدراسية العبرية علاقات اليهود بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) على أنها سلسلة من مظاهر الكراهية والعداء لليهود. ولم تقدم هذه العلاقة في ضوء خلفية تشكيل الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي.

قائمة بأهم المراجع : أولا المراجع العربية :-

- القرآن الكريم .
- أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ١٩٨٨ .
- الجبري، عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٨ م .
- الغزالي ، محمد ، فقه السيرة ، دار الدعوة ، الإسكندرية ١٩٨٩ م .
- القوصي، د. عطية ، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ٢٠٠١ م .
- الهواري ، د. محمد ، القرآن الكريم في دوائر المعارف اليهودية ، مجلة جامعة الملك سعود ، الرياض ٢٠٠٧ م .
- صديقي ، محمد ياسين ، الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي ، ترجمة: د. سمير عبد الحميد، القاهرة ١٩٨٨ م .
- ظاظا، د. حسن ، الفكر الديني الإسرائيلي، معهد البحوث العربية، القاهرة ١٩٧١ م .
-، الصهيونية وتدمير اليهود القرائن، مجلة الفيصل، الرياض العدد ٢١٤ ، سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٤ م .
- عبد البديع ، د. لطفي ، الإسلام في اسبانيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨ .
- فلوتن ، فان ، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة: د. حسن إبراهيم ، القاهرة ١٩٤٥ .
- كريم، فون ، الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية ، ترجمة : د. طه بدر ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ص ٨٣ .
- مويال ، د. شمعون ، التلمود أصله وتسلسله وآدابه ، تقديم ومراجعة د. رشاد الشامي، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ٢٠٠٤ م .

- هيكل ، محمد حسين ، حياة محمد ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٧ .

ثانياً المراجع العبرية :

- דורון, עקיבא, מדור לדור, משרד החינוך, ירושלים 1994 .
- האינציקלופדיה העברית כללית, כרך 4, ירושלים 1973 .
- טביביאן, קציעה , מסע אל העבר מימי הביניים ועד העת החדשה משרד החינוך א"ע 1997 .

”رحلة إلى الديمقراطية الإسرائيلية”

كتاب تعليمي عن المواطنة

دكتور/ إبراهيم نصر الدين عبد الجواد ديبكي

obeikand.com

المقدمة

للمناهج الدراسية دور مهم وبارز في حياة المجتمعات والشعوب، فهي الأداة الفعالة التي تستخدمها المجتمعات في بناء وتشكيل شخصية الأفراد المنتمين لها أيديولوجياً، وفقاً لفلسفتها وثقافتها ومعتقداتها، وبالتالي فإن لكل منهج من المناهج الأهداف والغايات التي يسعى إلى تحقيقها من خلال محتوى محدد، ومن خلال مجموعة من الطرق والأساليب التي تؤدي إلى تحقيق هذه الأهداف وتلك الغايات.

ونظراً لاختلاف وتنوع هذه الشعوب والمجتمعات من حيث الثقافات والسياسات والمعتقدات، فإنه تبعاً لذلك تختلف وتنوع المناهج الدراسية بها، فمن المعروف أن المناهج الدراسية تعكس تطلعات وطموحات هذه المجتمعات وأماها في أجيالها القادمة، كما تعكس الواقع الذي تعيشه هذه المجتمعات وما تعانيه من أحداث وما يمر بها من أزمات.

ومن هذا المنطلق يقوم الباحث بتحليل محتوى كتاب ("رحلة إلى الديمقراطية الإسرائيلية" كتاب تعليمي عن المواطنة) للصف السابع في إسرائيل، وهو أحد مقررات التربية الوطنية، بهدف التعرف على السمات الخاصة بهذا المحتوى، وأبعاده ومكوناته، والاتجاهات السائدة فيه؛ ومدى تركيز المقرر على القيم الصهيونية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية.

إن مقررات التربية الوطنية هي الوسيلة التي يتخذها التربويون من أجل تعميق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، وغرس حب النظام والاتجاهات الوطنية، والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين، واحترام النظم والتعليمات، وتعريف الناشئة بمؤسسات بلدهم، والعمل على احترامها ومراعاتها، بما يقوي علاقتهم بالمجتمع وتنمية المواطنة الصالحة.

وتقدم مقررات المواطنة للتلاميذ المعارف والمهارات والاتجاهات التي تمكنهم من أن يصبحوا قادرين على القيام بأدوارهم في المجتمع، سواء على المستوى المحلي أو الوطني أو

الدولي، حيث تساعدهم دراسة تلك المقررات على أن يصبحوا مواطنين ذوي معرفة وتدبر وشعور بالمسؤولية، وتزودهم بالوعي الكافي بواجباتهم وحقوقهم^(١).

كما تسعى تلك المقررات إلى الرقي بمستويات التنمية الروحية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية للتلاميذ، مما يعطيهم ثقة أكبر بأنفسهم، ويجعلهم أكثر شعوراً بالمسؤولية سواء داخل الفصل أو خارجه أو بعد التخرج.

وقد اتبع البحث المنهج الوصفي باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، "وهو أحد أساليب البحث العلمي الذي يهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم للمضمون الظاهر^(٢)". ومن هنا تضم الدراسة ستة محاور، منها ما يهتم بالتحليل الشكلي، ومنها ما يهتم بالتحليل الموضوعي، لما احتوى عليه الكتاب من قيم ومفاهيم مختلفة يجب الوقوف عندها.

المحور الأول:

١- عنوان الكتاب: "رحلة إلى الديمقراطية الإسرائيلية".

٢- البلد الذي يدرس فيه الكتاب: إسرائيل.

٣- المؤلفة: يهوديت ميزروتسكي، منسقة الطاقم، وساعدتها إستير ألفي، وكتبت حنا نهير موضوع: "حقوق الإنسان"، ويافيه دانيال ونعمي زميري شاركتا في كتابة مسودة الباب الأول.

٤- المستشار العلمي: د. رفئلا بيلسكي بن-حور، يعمل في الجامعة العبرية بالقدس، والبروفسور بنيامين نغيرجر الأستاذ بالجامعة المفتوحة في تل أبيب.

٥- تاريخ النشر: صدر الكتاب في عام ١٩٩٤، ولا يزال يدرس حتى الآن في المدارس الحكومية المدنية والدينية.

^١ - الصغير (علي محمد)، قراءة تحليلية لمحتوى وثيقة المواطنة للصفين الثالث والرابع الابتدائي في المملكة المتحدة، منشور في " أبحاث ندوة "بناء المناهج - الأسس والمنطلقات"، الجزء الثاني، الرياض: النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م ص ١٣٨٩.

^٢ - عبيدات (ذوقان) وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان: دار الفكر، عمان، الطبعة السابعة، ٢٠٠١م - ص ١٤٩.

٦- المرحلة الدراسية للكتاب: يمثل الكتاب المنهج الدراسي لطلبة المدارس المتوسطة، الصف الثامن.

٧- حجم الورق: ٢٤ سم × ١٦.٥ سم

٨- عدد صفحات الكتاب: يقع الكتاب في ٤٠٩ صفحة

٩- رسوم وصور توضيحية: أشتمل الكتاب على عدد كبير من الصور التوضيحية، بلغ مائة وتسع وخمسين صورة وخريطة. وكلها تحمل دلالات قوية وواضحة تساعد على ترسيخ المعلومات، ووسيلة مساعدة لفهم النص، فقد ارتبطت دائماً بالموضوع.

١٠- طباعة الكتاب: الكتاب ملون، والصور الداخلية ملونة في غالبيتها، وهناك بعض الصور ذات اللونين الأبيض والأسود. والغلاف أيضاً ملون. والكتاب مصنوع من الورق الجيد الأبيض، وحروف الطباعة متوسطة، وتأتي العناوين المختلفة بحروف مطبعية كبيرة، ولغة الكتاب هي اللغة العبرية الحديثة.

وفي كل فصل من فصول الكتاب يتم استخدام أمثلة وطرح أسئلة، وإعطاء تطبيقات، وعقد مناقشات أو حوارات بين التلاميذ، وطرح استبيانات، وتقديم رسومات مختلفة تساعد على الفهم، وغير ذلك من الوسائل التعليمية.

١١- فهرس الكتاب: يحتوي الكتاب على فهرس مفصل يقع في أول الكتاب

١٢- فصول وأبواب الكتاب: الكتاب يحتوي على ثلاثة أبواب؛ يضم الباب الأول ثلاثة فصول، ويضم الباب الثاني سبعة فصول، ويضم الباب الثالث سبعة فصول.

١٣- مستوى لغة الكتاب: مستوى لغة الكتاب مستوى متوسط يلائم المرحلة الدراسية الموجه لها الكتاب، حيث أن لغة الكتاب تخلو تقريباً من الكلمات المعبرنة. ولغة الكتاب لغة مباشرة.

المحور الثاني:

١- الموضوع العام للكتاب: هو المواطنة، وبدأ الحديث عن هذا الموضوع بتوضيح الأسس التي تقوم عليها الدولة وهي: الأرض، والسكان، ونظام الحكم، وأخيراً السيادة.

وما هي الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الانتظام داخل إطار سياسي. ثم عرض الكتاب لأنواع مختلفة من الدول مثل الدولة أحادية القومية مثل هولندا، وفرنسا، وألمانيا، والنرويج. والدولة ثنائية القومية مثل كندا وبلجيكا. والدولة متعددة القوميات مثل الاتحاد السوفيتي سابقاً، وفي النهاية ركز الحديث على دولة إسرائيل "دولة القومية اليهودية"، وتميّز دولة إسرائيل الذي يكمن من وجهة نظر المؤلف - في أنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط. بعد ذلك تحدث عن القيم والمبادئ الخاصة بنظام الحكم الديمقراطي؛ وهي حقوق الإنسان، وسلطة الشعب، والأغلبية والأقلية في نظام الحكم الديمقراطي، وسلطة القانون، وتقيد السلطة، ومشاركة المواطنين في النظام الديمقراطي، ودور وسائل الإعلام في المجتمع الديمقراطي. والحديث عن نظام الحكم الديمقراطي في إسرائيل من خلال الحديث عن السلطة التشريعية المتمثلة في الكنيست الإسرائيلي ونظام الانتخابات، ثم السلطة التنفيذية المتمثلة في الحكومة، والسلطة القضائية المتمثلة في نظام المحاكم. وبعد ذلك تناول مؤسسات الرقابة والإشراف مثل مراقب الدولة، ورئيس الدولة وصلاحياته، والسلطة المحلية، وأخيراً المؤسسات الدينية اليهودية مثل رئاسة الحاخامين وصلاحياتها.

٢ - **طريقة عرض مواضيع الكتاب** : تم عرض مواضيع الكتاب المختلفة ، سواء الرئيسة أو الفرعية بطريقة الحكاية والسرد.

المحور الثالث:

أمثلة وتطبيقات : استخدمت المؤلف تطبيقات تؤكد على الفكرة التي يتم عرضها وتمثلت هذه التطبيقات والأمثلة في مجموعة من المقالات الصحفية التي تناقش الفكرة وتوضحها مثل:

١ - رفض أصحاب دور النشر، في أوروبا، نشر الطبعات الحديثة من أطلس، خوفاً من أن تكون الحدود الموجودة على الخرائط غير معدلة .

- ٢- الانتخابات الديمقراطية .
- ٣- رغبة رئيس نيجيريا في إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل .
- ٤- تعريف القارئ بعصبة الأمم المتحدة.
- ٥- عدد سكان إسرائيل .
- ٦- وصول يهود من زائير إلى إسرائيل .
- ٧- بيع أطفال من سيراليون في كل أنحاء العالم.
- ٨- الانتخابات الديمقراطية .
- ٩- وجود قيود على حرية التعبير.
- ١٠- حق التظاهر.
- ١١- الجميع متساوون أمام القانون.
- ١٢- الاستعداد للحرب.
- ١٣- صلاحيات رئيس الدولة.

المحور الرابع:

أبرز المفاهيم الواردة في الكتاب :

أولاً : التربية الوطنية :

للتربية الوطنية مكانة مهمة في المنهج الدراسي؛ فهي تعمل على أن يحتوي عقل التلميذ على ما يجري في العالم، وهذا الأمر يحد ذاته يجعله مشاركاً في إطار المكان الذي يعيش فيه كما يشارك على مستوى الوطن بكامله أو على النطاق الدولي؛ فالتربية الوطنية تزود التلاميذ بالمعارف والاتجاهات والمهارات الوطنية كما توضح لهم المفاهيم التي يجري حولها الجدل مثل: الديمقراطية، والديكتاتورية. وغيرها من المفاهيم التي يطلع عليها عادة التلاميذ في وسائل الإعلام التي انتشرت في الكون برمته. ولسرعة التغير على جميع الأصعدة ولتداعياته المتدفقة، تواجه التربية الوطنية تحديات مستمرة، تبعا للتغيرات الاجتماعية التي تفرض التجدد المستمر على التربية بعامة وعلى التربية الوطنية بخاصة.

إذاً، يتضح من طبيعة التربية الوطنية أنها مجال مفتوح بطبيعته لاستيعاب تعليم حقوق الإنسان وإدراج موضوعاتها ضمن محتواها بدون تكلف.

وقد تضمن الكتاب، موضوع البحث، العديد من المفاهيم التي تصب في مجال التربية الوطنية، منها تعريف التلاميذ بمؤسسات بلدهم، والعمل على احترامها والحفاظ عليها. ومن هذه المؤسسات التي أراد الكتاب التعريف بها:

١- الحكومة (הממשלה): يوضح الكتاب للتلاميذ ما هي صلاحيات ومهام الحكومة في

إسرائيل:

בישראל אין הפרדת רשויות מוחלטת. הממשלה היא הרשות המבצעת במדינה, היא כפופה לחוקי הכנסת, אך לעתים הממשלה איננה רק מבצעת אלא היא גם מחוקקת. כיצד? הממשלה עושה זאת:

א. בתקנות משנה.

ב. בתקנות לשעת חירום.

הכנסת היא הרשות המחוקקת, אולם החוקים שהיא מחוקקת מנוסחים באופן כללי וחסרים בהם פרטים רבים, כדי שיהיה אפשר לבצע אותם, הממשלה מחוקקת

תקנות משנה , כלומר תיקונים משניים והשלמות לחוק הכללי, צווים והוראות. לתיקונים אלה יש תוקף של חקיקה.

בתקופת חירום רשאית הממשלה לתקן תקנות לשעת חירום. תקנות אלה באות להגן על המדינה על ביטחון הציבור, על אבטחת אספקה ושירותים חיוניים, לעתים מטרות להטיל או להגדיל מסים. בכוחן של תקנות אלה לשנות כל חוק או להפקיעו זמנית. לתקנות לשעת חירום יש תוקף רב יותר מאשר לחוקים של הכנסת. אולם הן זמניות ומתעדכנות מדי שלושה חודשים עד חלוף תקופת החירום⁽¹⁾.

"לא يوجد فصل مطلق للسلطات في إسرائيل، الحكومة هي السلطة التنفيذية في الدولة. وهي خاضعة لقوانين الكنيست، ولكن أحياناً لا تمثل الحكومة السلطة التنفيذية فقط، بل تمثل كذلك السلطة التشريعية، كيف تؤدي الحكومة ذلك؟:

أ- من خلال إضافة فقرات.

ب- من خلال أنظمة الطوارئ.

الكنيست هو السلطة التشريعية، ولكن القوانين التي يشرعها تصاغ بطريقة تحتوي على العمومية وينقصها تفاصيل عديدة، ولكي يكون من الممكن تنفيذها، فإن الحكومة تشرع فقرات، أي أنظمة واستكمالات إلى القانون العام، وأوامر وتعليمات، وهذه الفقرات لها صلاحية التشريع.

وتكون الحكومة في أوقات الطوارئ مخولة لسن أنظمة الطوارئ، وهذه الأنظمة تهدف إلى حماية الدولة، والأمن العام، وضمان الإمدادات والخدمات الحيوية، وأحياناً يكون هدفها فرض أو زيادة الضرائب، وتستطيع هذه الأنظمة تغيير قانون أو تعطيله بشكل مؤقت، ويوجد لأنظمة الطوارئ صلاحية أكثر من قوانين الكنيست، غير أنها مؤقتة ويتم تعديلها كل ثلاثة أشهر حتى تنتهي فترة الطوارئ".

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, ספר לימוד באזרחות – הוצ' מעלות, 1994, עמ' 326.

٢- בג"ץ هو اختصار العبارة العبرية בית משפט גבוה לצדק بمعنى "محكمة العدل

العليا". ومهمتها هي:

"בג"ץ הוא הערכאה היחידה, שיש לה סמכות ליישב סכסוכים, שבין רשויות השלטון השונות (העירייה, פקיד העובד בשירות ציבורי, שר ואפילו ראש ממשלה), בדרך זו מרסן בג"ץ את פעולת מוסדות השלטון ויכול למנוע פעולות מסוימות⁽¹⁾".

محكمة العدل العليا هي المرحلة القضائية الوحيدة التي لها صلاحية فض النزاعات بين سلطات الحكم المختلفة (البلدية، الموظف الذي يعمل في الخدمة العامة، والوزير وحتى رئيس الحكومة). وبهذا فإن محكمة العدل العليا تكبح جماح عمل مؤسسات السلطة وتستطيع منع وقوع أعمال معينة.

٣- مراقب الدولة "מבקר המדינה" هو من مؤسسات الإشراف والمراقبة في إسرائيل.

وينحصر دوره فيما يلي:

"למבקר המדינה אין הסמכות לאכוף על הגופים המבוקרים ליישם את המלצותיו, אין לו הסמכות לפתוח בחקירת המעשים הפליליים שנחשפו בגופים המבוקרים, על חקירה כזו יכול להחליט רק היועץ המשפטי לממשלה, עיקר כוחו של דו"ח המבקר הוא עצם פרסומו אחת לשנה, כאשר הרשות המבצעת נחשפת לעיני הציבור, לא רק הגופים המבוקרים מחכים בעניין לדו"ח המבקר, גם אזרחי המדינה מחכים בקוצר רוח לפרסומו, לאזרח, שלא כמו למבקר המדינה ולעובדי משרדו, אין הסמכות להגיע לכל משרדי הממשלה, לעיין במסמכים, בתעודות ובספרי חשבונות ולראיין פקידים, המבקר רשאי לעשות כל זאת במסגרת החוק, לכן דו"ח מבקר המדינה משקף בפני האזרחים את הנעשה ברשות המבצעת, כך יודע האזרח כיצד מתפקדים נציגיו בשלטון. את דעתו על תפקוד זה יכול האזרח להביע ביום הבחירות למשל כאשר הוא ישקול במי יבחר בין הרשימות השונות⁽²⁾".

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 334.

² - שם, עמ' 359.

لا يوجد صلاحيات لمراقب الدولة يفرضها على الجهات المراقبة لكي تنفذ توصياته، وليس له صلاحيات بفتح التحقيق في الأعمال الجنائية، التي تكشف في الجهات المراقبة، مثل هذا التحقيق يستطيع أن يقرره المستشار القانوني للحكومة فقط، وأساس قوة تقرير المراقب تكمن في نشره مرة واحدة كل عام، حيث تنكشف السلطة التنفيذية أمام الجمهور، وليس الجهات المراقبة فقط هي التي تنتظر تقرير المراقب، بل مواطني الدولة كذلك ينتظرون صدوره بفارغ الصبر، ولا يوجد للمواطن، الذي هو ليس مثل مراقب الدولة ولا يوجد للعاملين في مكتبه صلاحية الوصول إلى كل وزارات الحكومة، لفحص المستندات، والشهادات والحسابات وإجراء مقابلات مع الموظفين، من سلطة المراقب القيام بكل ذلك في إطار القانون، لذلك يعكس تقرير مراقب الدولة أمام المواطنين ما يجري داخل السلطة التنفيذية، وبهذا يعرف المواطن كيف يحاسب ممثليه في السلطة. ويستطيع المواطن أن يعبر عن رأيه في هذا الأداء يوم الانتخابات، على سبيل المثال، عندما يفكر فيمن يختار من بين القوائم المختلفة".

٤- المستشار القانوني للحكومة (היועץ המשפטי לממשלה) وتتمثل صلاحياته فيما يلي:

"يملئ היועץ המשפטי להעמיד את החשודים לדין، ליועץ המשפטי יש הסמכות לעשות זאת, משום שהוא ראש התביעה הכללית. בתוקף תפקידו זה הוא רשאי להחליט, אם להגיש כתב אישום או לעכב אותו. הוא רשאי גם לעכב הליכים משפטיים, או למנוע אותם גם לאחר שהוגשו. היועץ המשפטי פועל מתוך שיקול דעת ענייני. המניע להחלטתו הוא ביטחוני או ציבורי ולא פוליטי. ליועץ המשפטי תפקיד נוסף, בתפקיד זה הוא מייעץ לממשלה בתחום המשפטי. שרי הממשלה או הממשלה כולה רשאים להיוועץ בו. כמו כן בודק היועץ המשפטי הצעות חוק חדשות, לוודא שאינן מנוגדות לחוקים קיימים⁽¹⁾".

¹ מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 368.

يوصي المستشار القانوني بتقديم المتهمين للمحاكمة، حيث توجد الصلاحية للمستشار القانوني للقيام بذلك، لأنه رئيس الإدعاء العام، ومن خلال صلاحية منصبه هذا، يستطيع أن يقرر تقديم لائحة اتهام أو الامتناع عن ذلك، كما أن من حقه تعطيل الإجراءات القضائية، أو منعها حتى بعد تقديمها، ويعمل المستشار القانوني من خلال اعتبار موضوعي. والدافع في قراره يكون دافعاً أمنياً أو جماهيرياً وليس سياسياً.

وهناك دور آخر للمستشار القانوني، ومن خلال هذا الدور يقدم المشورة للحكومة في المجال القانوني، ومن حق وزراء الحكومة أو الحكومة كلها أن تتشاور معه، كما أن المستشار القانوني يفحص مشاريع القوانين الجديدة، للتأكد من أنها لا تتعارض مع القوانين الموجودة".

٥- رئيس الدولة (נשיא המדינה) يوضح الكتاب صلاحيات رئيس الدولة وهي:

- 1 - יחתום על כל חוק חוץ מחוקים הנוגעים לסמכויותיו.
- 2 - יפעל לכינון הממשלה ויקבל את התפטרות הממשלה בהתאם לחוק.
- 3 - יקבל מן הממשלה דין-וחשבון על ישיבותיה.
- 4 - יאמין את הנציגים הדיפלומטיים של המדינה, יקבל האמנתם של נציגים דיפלומטיים, שמדינות חוץ שיגרו לישראל, יסמך את הנציגים הקונסולריים של המדינה ויקיים מינויים של נציגים קונסולריים, שמדינות חוץ שיגרו לישראל.

- 5 - יחתום על אמנות עם מדינות חוץ, שאושרו על-ידי הכנסת.
- 6 - ימלא כל תפקיד שיוחד לו בחוק בקשר למינוי שופטים ונושאי משרות אחרים ולהעברתם מכהונתם.

- 7 - לנשיא המדינה נתונה הסמכות לחון עבריינים ולהקל בעונשים על-ידי הפחתם או המרתם.

- 8 - נשיא המדינה ימלא כל תפקיד אחר ונתונה לו סמכות אחרת, שיוחדו לו בחוק⁽¹⁾.

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 375-376.

- ١- يوقع على كل القوانين باستثناء القوانين المتعلقة بصلاحياته.
- ٢- يعمل على تشكيل الحكومة ويتلقى استقالة الحكومة بما يتفق مع القانون.
- ٣- يتلقى من الحكومة تقريراً عن جلساتها.
- ٤- يصدق على الممثلين الدبلوماسيين للدولة، ويتسلم أوراق اعتماد الممثلين الدبلوماسيين، الذين ترسلهم الدول الخارجية إلى إسرائيل، ويعين الممثلين القنصلين للدولة، ويصدق على تعيين الممثلين القنصلين، الذين ترسلهم الدول الخارجية إلى إسرائيل.
- ٥- يوقع على المواثيق مع الدول الخارجية، التي تم التصديق عليها في الكنيست.
- ٦- يشغل الدور الذي حدده له القانون فيما يتعلق بتعيين القضاة ورؤساء الوظائف الأخرى ونقلهم من وظائفهم.
- ٧- يتمتع رئيس الدولة بصلاحيات العفو عن المجرمين وتخفيف العقوبات عن طريق تقليلها أو تغييرها.
- ٨- يشغل رئيس الدولة أي منصب آخر ولديه صلاحيات أخرى يكلفه بها القانون.
- ٩- المجلس المحلي (רשות מקומית) يوضح الكتاب المجلس المحلي في إسرائيل هكذا: "רשות מקומית היא השלטון המקומי, שנבחר על ידי תושבי המקום. שלטון זה מנהל את ענייני התושבים במקום, שלא כמו הרשויות הממלכתיות (כנסת, ממשלה, רשות שופטת), המנהלות את ענייני המדינה כולה. רשות מקומית, המנהלת ענייני מקום שמספר תושביו עולה על 20,000 נקראת עירייה. רשות מקומית, המנהלת ענייני מקום שמספר תושביו קטן יותר, נקראת מועצה מקומית. רשות מקומית, המנהלת את ענייניהם של מספר יישובים קטנים, מושבים, קיבוצים ויישובים קהילתיים, נקראת מועצה אזורית. הרשות המקומית ממלאת תפקידים רבים:

א.הכנת תכניות מתאר:

להכין תכניות, שבהן יצוינו האזורים המותרים לבנייה, מספר הקומות שמותר לבנות, כבישים, רחובות (מתן שם לכל רחוב), גנים ציבוריים, שדרות, תאורה לאורך הרחובות והגנים.

ב.אספקת שירותים:

השמדת שרצים ובעלי חיים אחרים בחצרות הבתים. איסוף אשפה, ניקוי הרחובות, פיקוח על הביוב על ידי הרקת בורות הביוב ותעלות השופכין.

ביקורת על ניקיון העיר.

הסדרת מערכת המים העירונית ואספקה סדירה של מים לבתים. קביעת הוראות, שיסדרו את בדיקתם של מרכיבי מזון, העלולים להתקלקל. הסדרת שעות הפתיחה והסגירה של חנויות, מסעדות, תיאטראות ומקומות שעשועים שונים.

ג. בניית מוסדות:

לבנות או לסייע בבנייתם של:

מוסדות דתיים: בתי כנסת, ישיבות (הקצאת שטח לבניינים)

מוסדות חינוך: בתי ספר וגני ילדים.

מוסדות תרבות: תיאטראות, איצטדיונים, מוסדות לקהילה: למשל

מתנ"סים⁽¹⁾.

"المجلس المحلي هو المجلس الذي ينتخبه سكان المكان، يدير هذا المجلس شؤون السكان في المكان، وهو لا يشبه المجالس الحكومية (الكنيست، والحكومة، والسلطة القضائية) التي تدير شؤون البلاد كلها.

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 385-386 .

المجلس المحلي الذي يدير شؤون المكان الذي يزيد عدد سكانه عن عشرين ألف نسمة يسمى مجلس البلدية.

والمجلس المحلي الذي يدير شؤون المكان الذي عدد سكانه أقل يسمى مجلس محلي.
والمجلس المحلي الذي يدير شؤون عدد من البلدان الصغيرة، والقرى التعاونية والقرى العمالية والمراكز الاجتماعية يسمى مجلس إقليمي.
ويقوم المجلس المحلي بأدوار عديدة هي:

أ. إعداد الخطط الرئيسية:

إعداد الخطط التي يوضح فيها المناطق التي يسمح فيها بالبناء، وعدد الطوابق المسموح ببنائها، والطرق والشوارع (تسمية كل شارع)، والحدائق العامة، والشوارع المشجرة، وإضاءة الشوارع والحدائق.

ب. توفير الخدمات:

القضاء على الحشرات والحيوانات الأخرى في أفنية المنازل.
جمع القمامة، وتنظيف الشوارع، ومراقبة شبكة المجاري عن طريق إفراغ آبار وقنوات المجاري.

التفتيش على نظافة المدينة.

تنظيم شبكة المياه البلدية وتوفير نظام للمياه في المنازل.
تحديد التعليمات، التي تنظم فحص عناصر الغذاء الذي أوشك على التلف.
تنظيم ساعات فتح وغلق المحلات، والمطاعم والمسارح وأماكن الترفيه الأخرى.

ج. بناء المؤسسات:

لبناء أو للمساعدة في بناء:

المؤسسات الدينية: المعابد والمدارس الدينية (تخصيص مساحات للمباني)
مؤسسات تعليمية: المدارس والروضات.
مؤسسات ثقافية: المسارح، ومدرجات الملاعب، ومراكز الثقافة والشباب والرياضة."

٧- الحاخامية الرئيسة في إسرائيل (הרבנות הראשית לישראל) لها صلاحيات ومهام مختلفة تتمثل فيما يلي:

"הרבנות הראשית בישראל מעורבת בכל הנעשה במדינה. למשל, היא פונה בחוות דעת אל הציבור בארץ ("קול קורא") בנושאים שונים, כמו קליטת עלייה, היחס לעולים החדשים, מניעת תאונות דרכים, פנייה לרופאים שלא לשבות ועוד. הרבנות הראשית גם עורכת פעולות שונות, כדי לקרב את הציבור לערכי תורה ומצוות.

הרבנות הראשית מטפלת בנושאים רבים. על כל נושא מופקדת מחלקה מיוחדת. המחלקות הן:

- 1- מחלקת כשרות ארצית – המטפלת בכשרות המוצרים המיוצרים בארץ ואחראית לכשרות זו.
- 2- מחלקה לייבוא – האחראית למתן הכשר למצרכי מזון מיובאים (במיוחד לבשר).
- 3- מחלקת בחינות להסמכת רבנים, רבני ערים, דיינים, סופרי סת"ם ומוהלים.
- 4- מחלקה לטיפול בבריתות מילה לעולים.
- 5- מחלקה לטיפול בענייני שמטיה ולטיפול במצוות התלויות בארץ, כמו תרומות ומעשרות⁽¹⁾ .

"تشارك الحاخامية الرئيسة في إسرائيل في كل ما يجري في الدولة. على سبيل المثال تتجه إلى الجمهور في البلاد (تناشده) بتصورها تجاه موضوعات مختلفة مثل استيعاب المهجرة، والعلاقة بالمهاجرين الجدد، وتجنب حوادث الطرق، والتوجه إلى الأطباء بعدم الإضراب وغيرها، كما تقوم الحاخامية الرئيسة بأعمال مختلفة بغرض تقريب الجمهور من قيم التوراة والوصايا.

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 401 - 402 .

وتهتم الحاخامية الرئيسية بموضوعات عديدة. ويشرف على كل موضوع قسم خاص. والأقسام هي:

١- قسم طعام الكاشير (الطعام الحلال عند اليهود) المحلي الذي يهتم بالكاشير الخاص بمنتجات البلاد ومسئول عن هذا الكاشير.

٢- قسم الاستيراد المسئول عن إعطاء صفة الكاشير للمنتجات الغذائية المستوردة (وخاصة اللحم).

٣- قسم اختبارات لاعتماد الحاخامين، وحاخامين المدن، والقضاة الشرعيين، والأدباء الذين يكتبون كتب التوراة والتفيلين والمزوزوت والختاتين.

٤- قسم يهتم بختان المهاجرين.

5- قسم يهتم بأمور سنة الإبراء (وهي السنة السابعة التي يجب ترك الأرض فيها دون زراعتها) والاهتمام بالأمور المتعلقة بالأرض مثل الهبات والأعشار (عُشر الغلة التي يجب إهداؤها إلى اللاويين)."

بعد هذه الجولة حول مؤسسات الدولة والأدوار والمهام المنوطة بها، يتضح أن المقرر يعمل على إكساب الطلاب معرفة شاملة بهذه المؤسسات المختلفة وكذلك بالصلاحيات والأدوار التي تقوم بها كل من هذه المؤسسات. الأمر الذي يسهم في اكتساب المهارات اللازمة لكي يصبح الطلاب أعضاء مسئولين وفاعلين في المجتمع وكذلك الاحترام والتقدير لهذه المؤسسات.

ثانيا : الدين (תורה): من المفاهيم الموجودة في الكتاب كذلك مفهوم الدين، وتأثرت

المؤلفة بهذا المفهوم بشكل واضح ويظهر هذا المفهوم فيما يلي :

١- "إرتس إسرائيل" (ארץ ישראל): عبارة عبرية وردت في العهد القديم في أكثر من موضع وتعني "أرض إسرائيل". وقد أصبح من المتعارف عليه في كل الكتابات الإسرائيلية، دون استثناء، التعبير عن فلسطين قبل عام ١٩٤٨ _ وهو العام الذي أعلن فيه عن قيام الكيان الصهيوني _ بأنها "أرض إسرائيل"، وأما بدءاً من عام ١٩٤٨ فيتم التعبير بمصطلح "إسرائيل" وكأن هناك نية متعمدة لإلغاء فلسطين من على الوجود الجغرافي، فقبل إسرائيل

كانت هذه الأرض تسمى "أرض إسرائيل"، وبعد ذلك ومع قيام الدولة أصبحت تسمى إسرائيل، فطمس اسم فلسطين، ككيان سياسي مستقل، هو هدف لكل المناهج التعليمية الإسرائيلية.

ومما هو جدير بالذكر أن اللغة العبرية الحديثة لا تعرف كلمة "فلسطين" وهذا يتفق مع التصور الديني اليهودي الذي يرى أن الأرض لا وجود لها إلا بالإشارة إلى اليهود والتاريخ اليهودي، ولهذا، فكلما أشار يهودي إلى فلسطين، فإنه إنما يشير إلى "إرتس يسرائيل" ארץ ישראל، والواقع أن هذا المفهوم الديني هو أساس بعض الشعارات الصهيونية مثل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، باعتبار أن الأرض هي "إرتس يسرائيل" ארץ ישראל التي حلّ فيها الإله، ومن ثم فلا وجود حقيقي لها إلا بالإشارة إلى الشعب اليهودي المقدّس الذي لا يستطيع أن يحقق ذاته إلا في هذه الأرض المقدّسة، ومن ثم فإن وجود اليهود في بلاد العالم المختلفة واستقرارهم فيها ليس وجوداً أو استقراراً وإنما هو غياب وتحوّل.

وتمشياً مع هذه المفاهيم المغرضة نجد أن الكتاب يتبنى نفس المنحى حيث يعبر عن فلسطين في أكثر من موضع بتعبير "أرض إسرائيل":

"הקהל התפזר، وكل אחד פנה לחוג את החג לפי דרכו، חג זה מסמל את האירוע הגדול ביותר בתולדות העם היהודי באלפיים השנים האחרונות: הקמתה מחדש של מדינת הלאום היהודי בארץ ישראל^(١)".

"نشئت الجمهور، واتجه كل منهم للاحتفال بالعيد كل حسب طريقتة، ويشير هذا العيد إلى الحدث الكبير في تاريخ الشعب اليهودي على مدى الألفي عاماً الأخيرة وهو: إقامة دولة القومية اليهودية على أرض إسرائيل من جديد."

٢- هذا وتتجسد القيم الدينية في الكتاب كذلك من خلال الاقتباس لبعض فقرات من العهد القديم مثل "ביום ההוא כרת יהוה את-אברם ברית לאמור לזרעך נתתי את-הארץ הזאת מנהר מצרים עד-הנהר הגדול נהר-פרת" (בראשית ١٨،١٠).

"في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً، لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" تكوين ١٥: ١٨.

^١ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 65.

لقد حولت الحركة الصهيونية هذه المقولة الدينية إلى مفهوم سياسي، وتحاول أن ترسم حدود الدولة مسترشدة بما جاء في الفقرة السابقة من العهد القديم الأمر الذي يسبب كثيراً من الفوضى والعنف^(١).

ثالثاً : الصهيونية : الكتاب مليء بالمفاهيم الصهيونية ومنها:

١ - أحداث النازي: هي الترجمة العربية للمصطلح العبري "השואה"، والمقصود هو محاولة النازيين التخلص أساساً من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوربية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) عن طريق تصفيتهم جسدياً (من خلال أفران الغاز). ويشار إلى الإبادة في معظم الأحيان بكلمة «هولوكوست» وهي كلمة يونانية تعني "حرق القربان بالكامل" (وتُترجم إلى العبرية بكلمة "השואה" وتُترجم إلى العربية أحياناً بكلمة "المحرقة"). وكانت كلمة "هولوكوست" في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذي يُضحي به للرب، فلا يُشوى فقط بل يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص على المذبح، ولا يُترك أي جزء منه لمن قدّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون على القربان المقدمة للرب، ولذلك، كان "الهولوكوست" يُعدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء.

ويتم في الوقت الحاضر الاتجار بالهولوكوست وتوظيفها بشكل ممنهج لخدمة الأهداف الصهيونية والتجارية.

وتبدأ عملية توظيف الإبادة - على يد الصهاينة - بمحاولتهم فرض معنى صهيوني ضيق عليها باعتبارها جريمة العصر التي ارتكبتها الألمان و"الأغيار" ضد اليهود فحسب. ثم تُعطي واقعة الإبادة مكانة محورية في تاريخ أوروبا وتاريخ العالم، ولذا صدرت عشرات الأفلام والدراسات والأعمال الفنية لحفر الإبادة في الذاكرة باعتبارها واقعة حدثت لليهود وحدهم، لا باعتبارها جريمة ارتكبتها الحضارة الغربية ضد قطاعات كبيرة من سكانها، وقد

^١ - المسيري (عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، القاهرة: مركز

الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥، ص ٦٤.

دخلت دراسة "الهولوكوست" عشرات الجامعات والكليات الأمريكية، وأقيمت نصب تذكارية للإبادة بالعبرية والإنجليزية في واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس وغيرها، وأنشأت الحكومة الأمريكية المجلس الأمريكي للتذكير بالإبادة، وتم إنشاء متحف تُخلّد فيه ذكرى الإبادة النازية في واشنطن بجوار المتاحف القومية الأمريكية.

"ومن أهم أشكال توظيف الإبادة لصالح الصهيونية هو استخدامها كسحابة كثيفة لتبرير الفظائع التي ارتكبتها وترتكبها الدولة الصهيونية ضد الفلسطينيين. كما تُوظف الإبادة في جمع التعويضات التي تمول الكيان الاستيطاني الصهيوني (بلغ حجم التعويضات الألمانية وحدها ٧٠ بليوناً من الدولارات في ٣٥ عاماً)، ومن المعروف أن هذه التعويضات التي تلقتها الدولة الصهيونية أنعشت الاقتصاد الإسرائيلي، ومكنت الدولة الصهيونية من شراء مزيد من الأسلحة والمستوطنات والقنابل العنقودية^(١)."

والتعويضات تعني، في واقع الأمر، حصول إسرائيل (وبعض أعضاء الجماعات اليهودية) على مقابل مالي تعويضاً عن الآلام التي لحقت بهم. وهذا يخفف من البُعد الأخلاقي للقضية، إن لم يكن يلغيه. ومن الواضح أن عملية توظيف الإبادة تتم من منظور نفعي مادي انتقائي محض، لا علاقة له بالقيم الأخلاقية. وفي هذا الإطار يثير بعض الدارسين قضية علاقة الدولة الصهيونية مع بعض الشخصيات والدول التي كانت لها علاقة بالنظام النازي.

وتحاول الدعاية الصهيونية توظيف واقعة الإبادة في تعبئة أعضاء الجماعات اليهودية (باعتبارهم الضحية الوحيدة) للانسحاق وراء الأهداف الصهيونية. ولتحقيق هذا يحاول الصهاينة أن يجعلوا من الإبادة حجر الزاوية الذي تستند إليه الوحدة بين يهود العالم في إسرائيل وخارجها، فالإبادة بعد فرض المعنى الصهيوني عليها، تنهض دليلاً على رفض العالم لليهود، وعلى أن الأغيار يتربصون دائماً بالضحية اليهود الذين يُقدّمون قرباناً على المحرقة،

^١ - المسيري (عبد الوهاب محمد) ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مج ٢ ، ج ٤ ، القاهرة :

دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ٤٣٤ .

وهذا تأكيد للمقولة الصهيونية الخاصة بأزلية معاداة الأعداء لليهود وحميتهم، ومن ثم يتعين على يهود العالم الهجرة إلى الوطن القومي، (ولكن يهود العالم، مع هذا، يتصرفون على أساس أن الإبادة أمر مستحيل الوقوع مرة أخرى، ومن الصعب أن يخطط المرء على أساس حادثة استثنائية وفريدة).

وقد نجح الصهاينة في ترسيخ واقعة الإبادة النازية لليهود أوربا في وجدان الأغلبية العظمى من الإسرائيليين. فالصحف لا تكف عن الكتابة عنها. وهناك يوم محدد لإحياء ذكرى الإبادة يُسمى "يوم الذكرى" (יום הזיכרון) ويقع في يوم ٤ مايو.

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أن عملية قتل اليهود كانت متفق عليها بين بعض قادة الصهاينة في ذلك الوقت وبين هتلر، فقد كان قتل اليهود ضرورياً جداً بالنسبة للصهاينة، ولم يكونوا يفكرون بهذا الأمر من قبيل الانتقام، بل لقد استخدم الصهاينة أسلوب التنكيل باليهود لتخويف اليهود في بولندا ورومانيا وبقية الدول الأوروبية، لكي يجبروهم على البحث عن ملجأ لهم في مكان آخر، على أن يكون المكان الآخر هذا محصوراً "بدولتهم الواعدة" في فلسطين.

فهناك مجموعة من أقوال المؤرخين الذين يطلق عليهم مراجعو التاريخ. حيث يصر هؤلاء على عدم صحة الأساطير القائلة بقتل اليهود وتسميمهم في غرف الغاز في معسكرات الاعتقال النازية وحرق الملايين منهم بالمحارق فيما بعد، لهذا زج بقرابة خمسين مراجعاً للتاريخ في السجون الأوروبية بعد إدانتهم من قبل القضاء.

ويصف ريتشارد هارفارد أحد هؤلاء المؤرخين، معاناة زملائه في مقدمة كتابه: "ستة ملايين - فقدوا ووجدوا" فيقول: "إن الصهاينة الذين لا يستطيعون دحض هذه الأبحاث علمياً لجؤوا لتكتيك مضمون النتائج، ألا وهو الضغط السياسي، وتخويف الأشخاص الضالعين في الأمر. لم يتورع هؤلاء عن استخدام الإرهاب كسلاح تكتيكي. لقد قتل مارسيل ديوبرا الذي نشر هذا الكتاب في فرنسا بقبيلة وضعت في سيارته، وقد أعربت المنظمات اليهودية في بيان صحفي عن رضاها عن قتله، وحذرت الآخرين من خطورة العودة لتلك

الحقبة التاريخية وعمل التحليلات واستخلاص العبر... ولذا أقرت كل من فرنسا وألمانيا والنمسا والبرتغال وأسبانيا والدانمارك وهولندا وسويسرا قوانين تفرض عقوبات على كل شخص ينكر حقيقة المحرقة الألمانية النازية وحقيقة قتل ستة ملايين من اليهود فيها^(١) .
ولذلك تذكر المؤلفة أن:

"الشواها שנתחוללה על עם ישראל בזמן האחרון, שבה הוכרעו לטבח מליונים יהודים באירופה, הוכיחה מחדש בעליל את ההכרח בפתרון בעיות העם היהודי מחוסר המולדת והעצמאות על ידי חידוש המדינה היהודית בארץ ישראל, אשר תפתח לרווחה את שערי המולדת לכל יהודי ותעניק לעם היהודי מעמד של אומה שוות זכויות בתוך משפחת העמים"^(٢).

"النكبة التي حلت بشعب إسرائيل مؤخراً، واجتاحت ملايين اليهود في أوروبا، أقامت دليلاً قاطعاً على ضرورة حل مشاكل الشعب اليهودي، الذي لا وطن له وغير المستقل، عن طريق إقامة الدولة اليهودية في أرض إسرائيل من جديد، هذه الدولة التي تفتح أبواب الوطن على مصراعيها لكل اليهود وتمنح الشعب اليهودي مكانة الأمة متساوية الحقوق داخل أسرة الشعوب."

٢- المنفى (הגלות): تستخدم الكتابات اليهودية والصهيونية هذا المصطلح الصهيوني "المنفى" للتعبير عن وجود اليهودي خارج فلسطين أو "إرتس إسرائيل" أو "صهيون" (في المصطلح الديني) أو "الوطن القومي" (في المصطلح السياسي)، فاليهودي الموجود خارج وطنه رغم أنه، يعد في المنفى.

فهذا هو التعبير السائد في كل الكتابات اليهودية والصهيونية التي ترى أن اليهود الموجودين خارج إسرائيل هم في الشتات.

^١ - موخين (يوري)، أسرار العنصريين اليهود، ترجمة محمد عبد العزيز الدريد ، دمشق: منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى ٢٠١١م، ص ٦٦ .

^٢ -مسע אל הדמוקרטיה הישראלית , ספר לימוד באזרחות, עמ' 84 .

إن المنفى كحالة هو من بين الأسس الأولية للغاية التي تشكل مضمون الوجود اليهودي. وأنه يوجد في الذرات التي تبني هويته الروحية والوجودية. والمنفى ليس حالة خارجية مفروضة، بل حالة داخلية اختارها اليهود ويشتاقون إليها^(١).

وقد عبرت المؤلفة عن مفهوم المنفى في أكثر من موضع في الكتاب مثل:

"مדינה יהודית בארץ ישראל כבר הייתה קיימת בעבר בתקופת המלכים ובתקופת החשמונאים. מאז חורבן הבית השני (70 לספירה) ועד ימינו לא הייתה מדינה יהודית בארץ ישראל، במשך השנים התפזר העם היהודי בארצות הגלות"^(٢).

"لقد كانت الدولة اليهودية قائمة على أرض إسرائيل في فترة الملوك وفي فترة الحشمونائيم. ومنذ خراب الهيكل الثاني (في عام ٧٠م) وحتى العصر الحالي لم تكن هناك دولة يهودية على أرض إسرائيل، فعلى مدى السنين تشتت الشعب اليهودي في بلاد المنفى." "إن استعراض تاريخ فلسطين يوضح بجلاء أن اليهود لم يكونوا إلا مجرد عابري سبيل في تاريخ فلسطين الحافل"^(٣).

وقد وصف المؤرخ ه. ج. ولز، الوجود اليهودي في فلسطين عبر التاريخ قائلاً: " كانت حياة العبرانيين (في فلسطين) تشبه حياة رجل يصير على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار... ومن الأول إلى الآخر لم تكن (مملكتهم) سوى حادث طارئ في تاريخ مصر وسورية وآشور وفينيقية، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم"^(٤).

ولكن اليهود لا يأبهون بهذه الحقائق، فهم أكثر الشعوب تعصباً وأكثرهم نشاطاً في نشر الأكاذيب (التي لفقوها بأنفسهم) عن تاريخهم وحضارتهم المزعومة، لقد نشطوا منذ أقدم

^١ - الشامي (رشاد)، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ - ص ٤٩.

^٢ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, ספר לימוד באזרחות, עמ' 65.

^٣ - خان (ظفر الإسلام)، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي ١٢٢٠ ق.م، ١٣٥٩م، بيروت: دار النفائس، الطبعة الثالثة، عام ١٩٨١م، ص ٣٢.

^٤ - خان (ظفر الإسلام)، ص ٩٧.

العصور، على تضخيم تاريخهم تضخيماً عظيماً، لقد نحتوا بأنفسهم الأكاذيب عن عظمتهم المزعومة وظلّوا يرددونها حتى أصبحوا أسرى تلك الأكاذيب نفسها، وهم قد فرضوا إرهاباً فكرياً غريباً.

وهكذا نجد أن التعليم الإسرائيلي يقوم على أسس ومنطلقات أيديولوجية صهيونية تسعى إلى تأصيل الوجود اليهودي في فلسطين من خلال جهود علمية موجهة توجيهاً أيديولوجياً نحو إعادة كتابة تاريخ فلسطين منذ التاريخ القديم وحتى قيام إسرائيل بشكل يثبت التواجد اليهودي المتواصل ويثبت يهودية فلسطين عبر العصور.

٣- قانون العودة (חוק השבות): تقول المؤلفة:

"חוק השבות، העוסק בזכותו של כל יהודי לעלות ארצה ומאפשר ליהודי הרוצה בכך לקבל אזרחות מרגע עלייתו לארץ"^(١).

إن قانون العودة يهتم بحق كل يهودي في الهجرة إلى البلاد ويُمكن اليهودي الذي يريد الحصول على المواطنة من اللحظة التي يهاجر فيها إلى البلاد".

ويشار إلى العودة في المصطلح الديني بكلمة "תשובה" (بمعنى التوبة أيضاً، على عكس "חזרה" وهي عودة بالمعنى الدنيوي).

وتشكل عقيدة المنفى والعودة إحدى النقاط المحورية في الرؤية اليهودية إلى التاريخ والكون، وهي ترتبط، مثل كل العقائد الدينية اليهودية، بعقائد أخرى مثل عقيدة الماشيخ والشعب المختار. وحسب هذه العقيدة، فإن إله اليهود حَكَمَ على شعبه المختار بالنفي والتشتت في بقاع الأرض لسبب يختلف الحاخامات اليهود في تحديده، وستستمر حالة المنفى هذه إلى أن يعود الماشيخ المخلص، وكالمعتاد، أحيط بهذه العقيدة ضرب من القداسة والخصوصية، فنجد أن الشعور بالنفي ليس نتيجة حتمية للنفي ذاته وإنما هو إحساس مقصور على اليهود حينما يتعدون عن أرض الميعاد، وذلك بسبب ارتباطهم العضوي بها، أي أنهم يجعلون المنفى سمة أساسية وخاصية مقصورة على ما يُسمّى «التاريخ اليهودي»،

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, ספר לימוד באזרחות, עמ' 85.

ويصبح الإحساس بالغربة أمراً ينفرد به اليهود وحدهم، أما الفلسطينيون، فليس من حقهم ممارسة هذه الأحاسيس السامية إن طُردوا من أرض فلسطين أو تم إبعادهم عنها، وذلك لانتهاء الصلة العضوية بالأرض المقدسة.

ولكن الموقف الديني التقليدي من المنفى والعودة ليس واضحاً ولا قاطعاً، فعلى سبيل المثال، أكد الحاخامات أن محاولة العودة الفردية والفعلية، دون انتظار مقدم الماشيخ، هو من قبيل التجديف والمهرطقة.

وعلى وجه العموم، يمكن القول بأن أعضاء الجماعات اليهودية قد قبلوا وجودهم في الأوطان التي كانوا يعيشون فيها، وأن الحديث عن المنفى أصبح جزءاً من الخطاب الديني، وأصبحت العودة تطلّعا دينياً وتعبيراً عن حب صهيون، أي تعبيراً عن التعلّق الديني بالأرض المقدسة، وهو تعلّق ذو طبيعة مجازية، لا يترجم نفسه إلى عودة حرفية إلى فلسطين، حتى وإن خلق استعداداً كامناً لذلك .

إن إحدى مقولات الصهيونية الأساسية هي أن وجود اليهود على هيئة جماعات في أنحاء العالم هو حالة مؤقتة، وأن هذا الوجود إن هو إلا جسر يعبر عليه الشعب اليهودي إلى فلسطين.

وينطلق الصهاينة من افتراض وحدة الشعب اليهودي وضرورة تجميع المنفيين وصهرهم ومزجهم في شخصية نمطية واحدة (برغم تعدّد خلفياتهم الثقافية والحضارية) حتى يُشفّوا من كل أمراض المنفى، ولكن كلما تم مزج أو صهر مجموعة من المهاجرين، تأتي مجموعة جديدة من المنفى، فيستعيد المهاجرون القدامى الذين ظنوا أنهم انصهروا كثيراً من السمات الحضارية التي فقدوها وذلك بسبب الالتحام بالمهاجرين الجدد، إن كانوا من بني جلدتهم، أو من خلال مجابتهم إن كانوا من تجمّع قومي آخر، أي أن تجميع المنفيين يتعارض بشكل حادّ مع مزجهم وصهرهم.

٤ - الشعب اليهودي (הלם היהודי): في الواقع، هناك شروط يجب توافرها في أي شعب من الشعوب، وتتمثل هذه الشروط في أنه لكي تصنع شعباً فلا بد من أن تكون هناك عادات

وتقاليد واحدة لأفراد هذا الشعب، وكذلك لا بد من أن تجمعهم لغة واحدة، وحضارة واحدة، وكذلك ثقافة واحدة.

وإذا ما حاولنا تطبيق هذه الشروط، التي تصنع شعباً، على الأقليات اليهودية قديماً أو حديثاً، فإننا لا نجد أيّاً من هذه الشروط متوفرة بين هذه الأقليات، ومرد ذلك إلى أن اليهود عاشوا في دول مختلفة، ولذلك فلم تكن هناك عادات وتقاليد واحدة بين اليهود، ولم تجمعهم لغة واحدة، فقد تحدث اليهود بلغات الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها، ولم يكن لهم حضارة واحدة، ولا ثقافة واحدة.

ورغم ذلك فهناك مفهوم صهيوني ينطلق من وحدة الأقليات اليهودية في أنحاء العالم وعبر التاريخ، ومن الإيمان بأن هذه الأقليات تكون قومية متكاملة أو على الأقل عندها كل مقومات القومية.

وهذا التصور هو أحد الأسس الصهيونية، فالأقليات اليهودية لم تكن توجد خارج التاريخ ولا داخل بناء يهودي مستقل، وإنما كانت موجودة داخل أبنية تاريخية، تتفاعل معها، وتساهم فيها، وترقى برقيها وتتخلف بتخلفها، فاليهودي في الأندلس كان عربياً، واليهودي في روسيا كان روسياً وهكذا. وعندما تم إنشاء الدولة الصهيونية لم يهاجر الشعب اليهودي وإنما هاجرت جماعات ذات انتماءات دينية وقومية مختلفة. ولا يزال المجتمع الإسرائيلي مجتمع أقليات متنازعة.

والشيء اللافت للنظر هو أن كلمة "الشعب" كثيراً ما تتواتر في الكتب الدينية، ولكن المقصود منها هو جماعة دينية ذات عقيدة دينية، وانتماء ديني واحد. والحقيقة المتعارف عليها هي أن الدين لا يصنع شعباً، بمعنى أن وحدة الدين لا يمثل أحد المقومات التي لا بد من توافرها في أي شعب، والدليل على ذلك وجود أكثر من ديانة بين الشعب الواحد، مثل الشعب المصري، فرغم أن كل الشروط الخاصة بالشعب متوافرة بين أفراد هذا الشعب، إلا أن هناك أكثر من دين بين أفراد.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أنه من المعروف أن كلمة "شعب" أو "أمة" أو "قومية" بالمفهوم العلمي للكلمة لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر، ورغم ذلك نجد الصهيونية

تستخدم التشابه بين المصطلحين للتدليل على أن اليهود هم أول "شعب" ظهر على الأرض وأول "قومية" في التاريخ^(١).

وبناءً على هذا المفهوم تؤكد مؤلفة الكتاب على هذا الزعم الصهيوني في أكثر من موضع، منها:

"بמשך כאלפיים שנה، מאז חורבן בית המקדש השני כאשר היה רובו של העם היהודי בגלות חיייתה בארץ אוכלוסייה יהודית דלילה، ששמרה על רצף של יישוב יהודי בארץ. היהודים בגולה מעולם לא פסקו להתגעגע לארץ ישראל ואף נתנו לכך ביטוי בתפילה ובמנהגים، הם ציפו ליום، שבו יוכל העם היהודי לחזור למולדתו ולהקים בה מדינה ריבונית-יהודית"^(٢).

"على مدى ألفي عام، ومنذ خراب الهيكل الثاني عندما كان معظم الشعب اليهودي في المنفى، كان هناك عدد قليل من السكان اليهود في البلاد، هؤلاء السكان اليهود هم الذين حافظوا على استمرارية الاستيطان اليهودي في البلاد. ولم يتوقف اليهود في المنفى مطلقاً عن الشوق إلى أرض إسرائيل وعبروا عن ذلك في صلاتهم وفي عاداتهم. فقد تطلعوا إلى اليوم الذي يستطيع فيه الشعب اليهودي العودة إلى وطنه ليقيم فيه دولة ذات سيادة يهودية." إن هذا الاقتباس يقوم بعملية غسيل مخ للتلاميذ، حيث يوضح لهم أن حلم إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين كان يراود اليهود منذ ألفي عام، أي منذ خراب الهيكل الثاني. وبذلك يتغافلون عمداً عن الحقائق التاريخية التي تؤكد على أن فكرة إقامة دولة يهودية تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر.

٥- الجيش الإسرائيلي لـ"ل" هي اختصار للعبارة לצבא ההגנה לישראל بمعنى جيش الدفاع الإسرائيلي. أنشئ مع قيام الدولة عام ١٩٤٨، وهو يجسد الطبيعة العسكرية للحركة الصهيونية والبناء الاستيطاني في فلسطين، فبرغم أن الجيش الإسرائيلي يتكون من نواة من العسكريين المحترفين يشكلون الكوادر القيادية وأجهزة العمليات والتمويل والإدارة والتدريب والنواحي الفنية، فإن أنشطته تمتد لتغلغل في كافة نواحي الحياة الإسرائيلية.

^١ - المسيري (عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص ٢٣٢.

^٢ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, ספר לימוד באזרחות, עמ' 81.

وينحضع للخدمة العسكرية جميع الإسرائيليين من الرجال (من سن ١٨ وحتى ٥٥) والنساء (من سن ١٨ وحتى ٣٨)، وتبلغ مدة الخدمة للرجال ثلاث سنوات، أما النساء فيخدمن عشرين شهراً. وبعد الانتهاء من تأدية الخدمة الإلزامية يتم استدعاء الاحتياط للتدريب يوماً واحداً كل شهر بالإضافة إلى فترة أخرى تتراوح بين أسبوعين وشهر في السنة حسب الخبرة والرتبة والجنس والسن.

وتشرف هيئة الأركان على الجيش المقسم إلى ثلاث قيادات في الشمال والوسط والجنوب، بالإضافة إلى القوات المدرعة والجوية والبحرية^(١).
ويظهر مفهوم الجيش الإسرائيلي في الكتاب هكذا:

"هיה ערב יום העצמאות. הורי ואני היינו לבושים בגדים חמים כנגד הצינה (הקור) הירושלמית. היינו חלק מהקהל הרב שמילא את הרחבה בהר הרצל. הטקס עמד להסתיים. ציפינו במתח לאות שיסמל את סיום יום הזיכרון לחללי צה"ל ופתיחת יום העצמאות ואכן זיקוקי דינור האירו את השמים"^(٢).

"كان الوقت عشية عيد الاستقلال، وكنتُ أنا ووالدي نرتدي ملابس ثقيلة تحمينا من برد القدس، كنا جزءاً من الجمهور الصغير، الذي ملأ الساحة في جبل هرتسل، أوشكت المراسم على الانتهاء، تطلعنا بشغف إلى الإشارة التي تعلن عن انتهاء يوم الذكرى لشهداء الجيش الإسرائيلي، وبالفعل أضاءت الألعاب النارية السماء."

ومن المفاهيم الصهيونية التي احتوى عليها الاقتباس السابق، مفهوم: يوم الاستقلال يوم העצמאות. وهو العيد الذي يحتفل فيه الإسرائيليون بإنشاء الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨، ويقام في شهر مايو، ويبدأ الاحتفال عادة بالنفخ في البوق، وبعد هذا يبدأ موكب حملة المشاعل من مقبرة هرتزل ويتبعه استعراض عسكري كبير.

وتستخدم كلمة "استقلال" في العالم الثالث عادة للإشارة لاستقلال بلد مستعمر في آسيا وأفريقيا عن القوة الاستعمارية الغربية التي تستعمره، أما بالنسبة لإسرائيل فقد تم إعلان

^١ - المسيري (عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص ١٥٧.

^٢ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, ספר לימוד באזרחות, עמ' 65.

الدولة الصهيونية حينما نجح المستوطنون الصهاينة في احتلال جزء من فلسطين، وطردها جزءاً من سكان البلد الأصليين وفرضوا وجودهم فرضاً عن طريق القوة المسلحة، أي أن ما يسمى بـ "الاستقلال" الإسرائيلي هو في واقع الأمر "احتلال" و"استيطان" و"إحلال"، أي أنه عكس "الاستقلال" بالمعنى المتعارف عليه للكلمة.

وبهذا يتضح أن الجهود التعليمية والتربوية قد وظفت لدعم الأيديولوجية القومية الصهيونية فأنت المناهج الدراسية لتكرس الرؤية القومية الصهيونية العنصرية وبخاصة من خلال دروس التاريخ والجغرافيا، وهي رؤية تركز على استبعاد الإنسان العربي من تاريخ فلسطين، والادعاء بالوجود الدائم والمتواصل لليهودي في فلسطين. وتتجاوز هذا أحياناً لكي تعطي لليهودي مكانة لا يستحقها في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته على حساب مكانة الإنسان العربي.

٦ - **حرب الأيام الستة** (ملחמת ששת הימים) من المفاهيم الصهيونية الأساسية التي تعمل المؤسسة الصهيونية على غرسها في نفوس النشء، تسمية ما تم في حرب الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ باسم "حرب الأيام الستة"، حيث تقول المؤلفة في هذا الصدد: "لأحرار شمدینوت عرب(מצרים) ירדן وسوريا) איימו על עצם קיומה של מדינת ישראל פרצה ב-5 ביוני 1967 מלחמת ששת הימים، ישראל כבשה את מדבר סיני וחבל עזה מידי מצרים، את רמת הגולן، מדי סוריה، את מזרח ירושלים، יהודה ושומרון - מידי ירדן، הפסקת האש، שהוכרזה כעבור שישה ימים، קבעה קווי הפסקת האש בין ישראל לשכנותיה، פרט לגבול עם לבנון.

הקו שסורטט במפה היה בצבע סגול، ומכאן שמו: "הקו הסגול"^(١).

"بعد أن هددت الدول العربية (مصر والأردن وسوريا) جوهر وجود دولة إسرائيل، نشبت في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ حرب الأيام الستة، واحتلت إسرائيل صحراء سيناء وقطاع غزة من مصر، وهضبة الجولان من سوريا، والقدس الشرقية، والضفة الغربية من الأردن، وحدد وقف إطلاق النار الذي تم الإعلان عنه بعد مرور ستة أيام خطوط وقف إطلاق النار بين إسرائيل وجيرانها، فيما عدا الحدود مع لبنان.

^١ - שמ, עמ' 72 .

والخط الذي رسم في الخريطة كان باللون البنفسجي، ومن هنا جاءت تسمية "الخط البنفسجي".

إن هذا الاقتباس يريد أن يزرع في نفوس التلاميذ فكرة الغطرسة الإسرائيلية والتفوق العسكري الذي أحرزته الآلة العسكرية الإسرائيلية بانتصارها على ثلاث دول عربية في نفس الوقت، ففي خلال ستة أيام فقط استولت إسرائيل على سيناء من مصر، وعلى هضبة الجولان من سوريا، وعلى الضفة الغربية والقدس الشرقية من الأردن، ولنا أن نتخيل بعد ذلك الطبيعة النفسية التي يكون عليها هذا الجيل بعد أن غرست فيه المناهج التعليمية هذه الغطرسة وهذا الصلف.

رابعاً : مفاهيم سياسية : الديمقراطية (דמוקרטיה) : المفهوم البارز بشكل واضح في الكتاب هو تأكيد المؤلفة على ديمقراطية إسرائيل، حيث ترى أن الديمقراطية هو إطار سياسي يقوم من أجل الشعب ويديره الشعب. ولذلك فيجب تفضيل مصلحة الأغلبية على مصلحة الأقلية. كما أن الديمقراطية تقوم على أساس أن كل مواطن مساوٍ لأخيه، ويكرس الكتاب لهذا المفهوم وذلك من خلال الحديث على تعدد الأحزاب في إسرائيل وتعدد المناصب المهمة التي تقوم بالإشراف على الأجهزة الحكومية مثل مراقب الدولة، والسلطة القضائية، وتعدد المحاكم في إسرائيل، والمعارضة، ويرى أن وجود المعارضة شيء أساسي بالنسبة للنظام الديمقراطي، ويشير إلى دورها في الحكومة .

ولذا تنطلق المؤلفة من مفهوم أن اليهود عانوا من الشتات وأنهم كانوا مضطهدين في البلاد التي عاشوا فيها ونتيجة لهذا الموقف فإنهم مصرين على أن تكون دولة إسرائيل تتسم بالمساواة بين المواطنين، وألا يكون هناك تمييز بسبب الدين أو الجنس أو العرق. ولذلك تقول المؤلفة: "המשטר במדינת ישראל הוא משטר דמוקרטי^(١)".

"إن نظام الحكم في دولة إسرائيل هو نظام ديمقراطي".

وتسوق المؤلفة أدلة على وجود الديمقراطية داخل دولة إسرائيل، ومن هذه الأدلة ما يلي :

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שמ, עמ' 252 .

١- **حق التظاهر (المظاهرات)** (זכות ההפגנות) : وهو حق أساسي لمواطني الدولة ويعد أحد الوسائل التي تمكنهم من التأثير على صنع القرار . ومع هذا فإن هذا الحق من شأنه أن يضر أحياناً بشكل مباشر وفوري بحقوق مواطنين آخرين . فعلى سبيل المثال نجد أن المظاهرات الكبيرة في شوارع المدينة تؤدي إلى متاعب لمواطنين آخرين كثيرين ليسوا ضمن المتظاهرين . ولذا وتفادياً لذلك فإننا نجد في الدول الديمقراطية تجسيداً لحق التظاهر يتمثل في الحصول على تصريح من السلطة بالتظاهر، والشرطة هي المسئولة عن طريقة الحصول على التصريح .

تقول المؤلفة عن حق التظاهر:

"ההפגנות הן מרכיב חשוב בתקשורת הציבורית, ההפגנה מאפשרת לקבוצה, המלוכדת סביב רעיון להביע את עמדתה בפומבי^(١)."

المظاهرات هي عنصر مهم في الاتصال الجماهيري . وتمكن المظاهرة الجماعة، التي تتوحد حول فكرة ما، من التعبير عن موقفها بشكل علني .

٢- **حرية التعبير** (חופש הביטוי) : وهو مبدأ مهم جداً بالنسبة للديمقراطية ، وليس هناك مجتمع ليبرالي لا يمارس هذه الحرية ، وذلك انطلاقاً من الخوف من الفساد . وقد جاء القانون وفرض حدوداً على حرية التعبير، فتتدخل هذه الحرية طالماً أنها تتسبب في نشر أسرار أمنية أو تعمل على التمرد على السلطة أو إصدار الشائعات، أو نشر أمر ما من شأنه أن يضر بشكل واضح بالمشاعر الدينية للآخرين .

٣- **دور وسائل الإعلام في المجتمع الديمقراطي** (תפקיד אמצעי התקשורת בחברה הדמוקרטית) : تعبر وسائل الإعلام في الدولة الديمقراطية عن اثنين من الحقوق المهمة وهما:

- حق المواطن في المعرفة، حيث أن وسائل الإعلام، المكتوبة (المتثلة في الصحافة) والمسموعة والمرئية (المتثلة في الراديو والتلفزيون)، تنقل معلومات، وكلما حصل المواطن

^١ - שם, עמ' 137 .

على المزيد من هذه المعلومات، حول الأحداث المختلفة في الدولة وفي العالم، كلما كان أكثر قدرة على توجيه النقد.

- حرية التعبير، لكل مواطن في الدولة الحق في حرية التعبير، وتستخدم وسائل الإعلام هذا الحق، الذي يمكن الصحفي من التعبير عن رأيه، وفي ذلك تقول المؤلفة:

"أחד התפקידים החשובים של אמצעי התקשורת בחברה דמוקרטית הוא להגן על זכויות הפרט והכלל, בעיות ונושאים כאובים מגיעים למערכת העיתון באמצעות עיתונאים או אנשים שנפגעו, אנשים פרטיים כותבים בדרך כלל למדורים מסוימים בעיתון, כמו המדור "מכתבים למערכת"⁽¹⁾".

"أحد الأدوار المهمة لوسائل الإعلام في المجتمع الديمقراطي هو الدفاع عن حقوق الفرد والجماعة، وهناك مشاكل وموضوعات مؤلة تصل إلى هيئة تحرير الجريدة بواسطة صحفيين أو أشخاص تضرروا، وهناك أفراد يكتبون بشكل عام إلى أقسام معينة في الجريدة، مثل قسم "رسائل إلى هيئة التحرير".

٤ - الفصل بين السلطات (הפרדת רשויות): تنحصر السلطات التي تشتمل عليها الدولة في ثلاث سلطات، هي السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، ويجب ألا تكون السلطات الثلاث مركزة في أيدي واحدة حيث أن نتيجة مثل هذا التركيز ستكون وجود سلطة غير منتخبة، أي سلطة مستبدة، سلطة لا تعرف حقوق الجمهور في انتخاب مؤسساته، وتفرض على المحاكم تنفيذ أوامرها، لكن لكي تضمن وجود سلطة ديمقراطية فإنها تكون في حاجة إلى الفصل بين سلطات الحكم، وذلك بهدف منع تركيز سائر السلطات وتجعل من الممكن الموازنة والإشراف.

وتؤكد المؤلفة بشكل واضح على أن نظام الحكم البرلماني المتبع في إسرائيل يجسد النص الخاص بمبدأ الفصل بين السلطات، فالبرلمان الإسرائيلي معروف بالفصل بين السلطات. وتوضح المؤلفة سبب الفصل بين السلطات بأن:

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 239 .

"הסיבה העיקרית להפרדת רשויות נובעת מהעובדה, שכאשר ניתן כוח בידי יחיד או קבוצה, הם עלולים לנצל אותו לרעה, כלומר, קיים חש, שהם לא יעמדו בפיתוי וישתמשו בכוח הניתן להם לחוקק חוקים, שיענו רק על הצרכים שלהם או של האנשים המקורבים אליהם, הם עלולים לשפוט לפי חוקים שהם עצמם חוקקו. הם פתחו את המדינה רק באותם תחומים העשויים לתרום לתועלתם הפרטית ולא לתועלת הכלל. הפרדת הרשויות מאזנת את עצמת (כוח) השלטון, העצמה נחלקת בין שלוש רשויות: הרשות המחוקקת תחוקק את החוקים במדינה; הרשות המבצעת תהיה אחראית לביצועם של כל החוקים, שנחקקו על-ידי הרשות המחוקקת; הרשות השופטת תשפוט על פי חוקים אל⁽¹⁾."

"السبب الأساسي للفصل بين السلطات ينبع من حقيقة، أنه عندما تمنح السلطة لفرد أو جماعة، فمن الممكن أن يستغلوها بشكل سيء، أي أن هناك خوف من أنهم لن يتمكنوا من المقاومة ويستخدمون القوة المخولة لهم في سن قوانين، تلبي مطالبهم هم فقط أو مطالب أشخاص قريبين منهم. ومن الممكن أن يحكموا وفقاً لهذه القوانين، التي سنوها بأنفسهم. ويفتحو الدولة في تلك المجالات، التي من شأنها أن تساهم في المنفعة الشخصية وليس منفعة الجماعة. لذا فالفصل بين السلطات يوازن قوة السلطة، وتوزع القوة بين ثلاث سلطات: السلطة التشريعية تسن القوانين في الدولة؛ والسلطة التنفيذية تكون مسؤولة عن تنفيذ كل القوانين، التي سنتها السلطة التشريعية؛ والسلطة القضائية تحكم وفقاً لهذه القوانين."

5- **سيادة القانون** (ריבונות החוק): توضح المؤلفة للدارس أن هناك مبدأ في التشريع الإسرائيلي وهو مبدأ سيادة القانون وهو مبدأ موجود في أساس أي نظام ديمقراطي حقيقي. ويقرر مبدأ سيادة القانون أن جميع موظفي الحكومة والتنظيمات والمؤسسات والمواطنين كلهم مسئولون عن أعمالهم أمام القانون، وأن القانون فوق الجميع والجميع يخضع له. وأصبح تجسيد وتحقيق هذا المبدأ يلزم إقامة مؤسسات قضائية لها الصلاحيات المطلوبة لتنفيذ هذا المبدأ، وفي ذلك تقول المؤلفة:

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 204.

"השוויון בפני החוק הוא העיקרון השלישי, המאפיין את המשטר במדינה דמוקרטית. במדינה כזאת כולם שווים בפני החוק: אותם החוקים תקפים לגבי האזרח ולגבי בעלי התפקידים הבכירים בניהול המדינה, כמו הנשיא, השרים, חברי הכנסת והשופטים, כל מי שעובר על החוק, עומד לדין על-פי אותה מערכת חוקים, החוקים חלים באופן שווה על כולם⁽¹⁾".

"المساواة أمام القانون هي المبدأ الثالث، الذي يميز نظام الحكم في الدولة الديمقراطية، ففي مثل هذه الدولة يتساوى الجميع أمام القانون: نفس القوانين تكون سارية المفعول على المواطن وعلى أصحاب المناصب الرفيعة في إدارة الدولة، مثل الرئيس، والوزراء، وأعضاء الكنيست، والقضاة، كل من يخالف القانون، يقدم للمحاكمة وفقاً لنفس مجموعة القوانين. فالقوانين تطبق بشكل متساوي على الجميع."

وبهذا يتضح من خلال هذا الاستعراض للأدلة على وجود الديمقراطية الإسرائيلية، وعلى أن دولة إسرائيل تتسم بالمساواة بين المواطنين جميعاً، ويتضح وجود تناقض بين معطيات الكتاب وسلوك الدولة الحقيقي تجاه الفلسطينيين، الذين يمثلون خمس عدد السكان في إسرائيل. وأن هذه الديمقراطية وهذه المساواة، وإن كانت موجودة، فهي موجودة بشكل نسبي بين الفئات اليهودية داخل المجتمع الإسرائيلي، ولا وجود لها بالنسبة للعرب داخل إسرائيل. وهذا التناقض يجعل من هذه الديمقراطية المزعومة مجرد شعارات خالية من المضمون. لذلك فالتأثير المرتقب على التلميذ اليهودي بعد إطلاعه على هذه الشعارات يكون تأثيراً ضعيفاً ولا يؤدي إلى إعادة تشكيل عقلية بشكل يجعله يتعامل بشكل حضاري مع العربي داخل إسرائيل، وخاصة لأن بقية الكتاب يكرس لمفاهيم العداة والعنصرية تجاه الفلسطيني في ظل تربية صهيونية عنصرية صارمة.

المحور الخامس:

خلفية المؤلف: الآن وبعد الإطلاع على محتوى الكتاب ومضمونه، يتضح أن المؤلف، وقعت تحت تأثير خلفيتها الاجتماعية والثقافية عند وضعها للكتاب، خاصة وإذا عرفنا أن المؤلف يهوديت ميزروتسكي من مواليد القدس عام ١٩٣٩، فهي تنتمي إلى جيل ما يسمى

¹ - מסע אל הדמוקרטיה הישראלית, שם, עמ' 180 .

بجيل " الصابرا"، وهو ذلك الجيل الذي قامت الحركة الصهيونية بتسخيره لخدمة أهدافها وهي العمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فتأثرت بهذه الخلفية الثقافية. وبالنسبة للخلفية الاجتماعية فتجدر الإشارة إلى أن جذور عائلة يهوديت ميزروتسكي تعود إلى بداية القرن التاسع عشر في القدس. وكان جدها يعمل مقاولاً في أعمال البناء، وقد تأثرت يهوديت بعمل جدها هذا، فهي ترى أنها مثل جدها تعمل في البناء ولكن بناء وتشكيل عقلية التلاميذ⁽¹⁾، وعملت على مدى عشرين عاماً في شعبة المناهج الدراسية في وزارة التربية والتعليم، وقامت بتأليف بعض المقررات الدراسية في الجغرافيا والتاريخ والمواطنة، وقبل بلوغها سن التقاعد قامت بتأليف كتاب " رحلة إلى الديمقراطية الإسرائيلية"، ويدرس هذا الكتاب حتى الآن في المدارس المتوسطة، كما تمت ترجمته إلى اللغة الروسية.

المحور السادس:

تشكيل شخصية الدارسين: ومن هنا فإن الكتاب بعد هذا العرض يسهم بشكل واضح في تشكيل شخصية جيل الدارسين بما يغرسه فيه من مفاهيم صهيونية واضحة مثل الحديث عن معاداة السامية، المتمثلة هنا في أحداث النازي، فهو بهذا الحديث يغرس في نفس الدارسين الإحساس بأن كل المحيطين يتربصون باليهود، وأن الجميع يكرهون اليهود لا لسبب سوى لكونهم يهوداً، فماذا ننتظر من جيل تربى على هذه المفاهيم المغلوطة؟ وما لا شك فيه أن الدارس في هذه الفئة العمرية لا بد وأن يتأثر أيما تأثير بمثل هذا الكلام، ويتخذ موقفاً مسبقاً تجاه غير اليهود بأن يضممر لهم الكراهية والعداء.

¹- عيין: יהודית מיזרוצקי הבנאית:

obeikand.com

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- ١- تعكس المناهج الدراسية تطلعات وطموحات المجتمعات وآمالها في أجيالها القادمة، كما تعكس الواقع الذي تعيشه هذه المجتمعات وما تعانيه من أحداث وما يمر بها من أزمات.
- ٢- للتربية الوطنية مكانة مهمة في المنهج الدراسي؛ فهي تعمل على تغذية عقل التلميذ على بما يجري في العالم، وهذا الأمر بحد ذاته يجعله مشاركاً في إطار المكان الذي يعيش فيه، كما يشارك على مستوى الوطن بكامله أو على النطاق الدولي؛ فالتربية الوطنية تزود التلاميذ بالمعارف والاتجاهات والمهارات الوطنية.
- ٣- طمس اسم فلسطين، ككيان سياسي مستقل، هو هدف لكل المناهج التعليمية الإسرائيلية.
- ٤- عملية قتل اليهود، في أثناء ما يسمى بأحداث النازي، كانت عملية متفق عليها بين قادة الصهاينة في ذلك الوقت وبين هتلر، فقد كان قتل اليهود ضرورياً جداً بالنسبة للصهاينة لكي يجبروا اليهود على البحث عن ملجأ لهم في مكان آخر وهو فلسطين.
- ٥- إن المنفى كحالة هو من بين الأسس الأولية للغاية التي تشكل مضمون الوجود اليهودي.
- ٦- يوضح تاريخ فلسطين بجلاء أن اليهود لم يكونوا إلا مجرد عابري سبيل في تاريخ فلسطين الحافل.
- ٧- لا يأبه اليهود بالحقائق التاريخية، فهم أكثر الشعوب تعصباً وأكثرهم نشاطاً في نشر الأكاذيب عن تاريخهم وحضارتهم المزعومة.
- ٨- أصبح المنفى، عند اليهود، جزءاً من الخطاب الديني، وأصبحت العودة إلى "أرض الميعاد"، تطلُّعاً دينياً وتعبيراً عن حب صهيون.
- ٩- وجود اليهود على هيئة جماعات في أنحاء العالم هو حالة مؤقتة، وأن هذا الوجود إن هو إلا جسر يعبر عليه الشعب اليهودي إلى فلسطين.

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا: المصادر

- سفر تורה نביאים وכתובים

Great Britain By ST Edmunds bury pres, London 1982.

- מיזרוצקי(יהודית)، אלפי (אסתר)، נהיר (חנה)، מסע אל הדמוקרטיה
הישראלית، ספר לימוד באזרחות - הוצ' מעלות، 1994 .

ثانيا: المراجع

- ١- خان (ظفر الإسلام)، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي ١٢٢٠ ق.م، ١٣٥٩م، بيروت: دار النفائس، الطبعة الثالثة، عام ١٩٨١ .
- ٢- الشامي (رشاد)، اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات، القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ .
- ٣- الصغير (علي محمد)، قراءة تحليلية لمحتوى وثيقة المواطنة للصفيين الثالث والرابع الابتدائي في المملكة المتحدة " أبحاث ندوة "بناء المناهج: الأسس والمنطلقات" الجزء الثاني، الرياض: النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- ٤- عبيدات (ذوقان) وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان: دار الفكر، الطبعة السابعة، ٢٠٠١م .
- ٥- المسيري (عبد الوهاب محمد)، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥ .
- ٦- المسيري (عبد الوهاب محمد)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م .
- ٧- موخين (يوري)، أسرار العنصريين اليهود، ترجمة محمد عبد العزيز الدريد، دمشق: منشورات دار علاء الدين، الطبعة الأولى، ٢٠١١م .

”اليهود والشعوب: تاريخهم حتى الانتهاء من تدوين التلمود” دراسة تحليلية

دكتور/ محمد أحمد صالح
كلية اللغات والترجمة — جامعة الملك سعود

obeykandl.com

مقدمة

تستهدف الدراسة تحليل محتوى كتاب "تاريخ علاقة اليهود بالشعوب الأخرى: الجزء الأول؛ منذ العودة من التهجير البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود" - وهو منهج مادة التاريخ المقرر على طلاب السنة الرابعة من مرحلة التعليم الابتدائي في المدارس الإسرائيلية، مع تقديم وصف موضوعي للمضمون الذي يحتويه هذا المقرر من ناحية، وتحقيق الاستدلال المنظم للسمات الخاصة بهذا المقرر من ناحية أخرى، كما تهدف هذه الدراسة أيضا إلى تحليل بعض الخصائص اللغوية والدلالية للرموز الواردة فيه، والكشف عن المعاني الكامنة، وقراءة ما بين السطور، والاستدلال على الأبعاد والمكونات الواردة في المقرر، ومعرفة الاتجاهات السائدة فيه، وإبراز القيم الصهيونية المباشرة وغير المباشرة التي تحمل أبعادا دينية يهودية وسياسية.

انقسمت دراسة هذا المقرر إلى عدة محاور؛ أولا: توثيق الكتاب، وإخراجه، وفهرسه، وطباعته.

ثانياً: لغة الكتاب، ومراجعته، وصوره، ثالثاً: مقدمة الكتاب، وموضوعاته، ومضمونه العلمي، وشخصياته. رابعاً: القيم الصهيونية في الكتاب، خامساً: القيم الدينية اليهودية في الكتاب، سادساً: القيم السياسية في الكتاب، الخاتمة، قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: توثيق الكتاب وإخراجه وفهرسه وطباعته:

أ- التوثيق

- **عنوان الكتاب:** "ישראל והעמים، חלק א: תולדותיהם עד חתימת התלמוד" وترجمته بالعربية "اليهود والشعوب: الجزء الأول؛ منذ العودة من التهجير البابلي حتى الانتهاء من تدوين التلمود".

- **الهدف من العنوان:** تطور العلاقات بين اليهود والأغيار (أي غير اليهود) في التاريخ القديم.

- **المؤلفان:** الأول يعقوب كاتس أستاذ التاريخ بالجامعة العبرية بالقدس، والثاني موشيه هرشنكو، معلم بمعهد المعلمين الديني.

- الناشر: دار نشر ديفر 776 بتل أبيب.
- تاريخ النشر: الطبعة الثامنة، طبعة جديدة ومنقحة وموسعة، عام 1971م. وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت عام 1962م.
- البلد الذي يدرس فيه الكتاب: إسرائيل.
- المرحلة الدراسية للكتاب: المرحلة الابتدائية.
- السنة الدراسية التي ألف لها الكتاب: السنة الرابعة.
- ب- الإخراج :
- عدد صفحات الكتاب: مائتان وثلاث وثمانين صفحة.
- حجم الكتاب: متوسط (21 سم × 13 سم).
- طول السطر: بلغ طول السطر حوالي 9.5 سم.
- نوع الورق: ورق صحف.
- نوع التجليد: خياطة.
- شكل الغلاف: مصور؛ جاءت عليه صورة تمثل جزءا من أرضية سيفساء لكنيس يهودي قديم في فلسطين، ومصور فيها شمعدان (منورا) كبير، وبعض الرسوم الأخرى، وتحتها بعض الكلمات بالخط العبري القديم.
- ج- الفهرس :
- الفهرس: يوجد فهرس مفصل يحدد العدد الترتيبي للفصول، وأمام كل رقم ترتيبي عنوان الفصل. ولقد جاءت الأعداد بالطريقة العبرية وليست بالطريقة الأوربية، بمعنى أنها كتبت بالحروف العبرية التي تحمل قيمة عددية بطريقة متعارف عليها.
- عناوين جانبية: توجد عناوين جانبية داخل كل فصل.
- مكان الفهرس: جاء الفهرس بعد المقدمة في أول الكتاب⁽¹⁾.

¹ - د"ץ (يعقوب) وهرشנקو (مשה)، إسرائيل والعמים، حלק א: תולדותיהם עד חתימת התלמוד, הדפסה ט, הוצאת דביר, תל אביב, 1971, עמ' 5.

- عدد أبواب الكتاب وفصوله : لم يتضمن الكتاب أبوابا، وإنما اشتمل على فصول فقط، بلغ عددها أربعة وأربعين فصلا.

د- الطباعة :

- طباعة الكتاب : لم تأت طباعة الكتاب ملونة إلا في الغلاف فقط.
- عدد الألوان المستخدمة : ثلاثة ألوان في الغلاف هي: الأبيض والأسود والساوي. أما في المتن فقد استخدم اللون الأسود فقط.
- بنط الكتابة : اختلف بنط الكتابة داخل الكتاب، بل وداخل الفصل الواحد، وإن التزم المؤلفان بمنهج واحد ثابت في ذلك. فالعنوان الرئيس للكتاب كتب بينط ١٨، أما عناوين الفصول فكتبت بينط ١٦، وكتبت مقدمات الفصول والعناوين الفرعية داخل الفصول وأسئلة المراجعة والمذاكرة في نهاية كل فصل بينط ١٤.
- مستوى طباعة الكتاب : جيد.

ثانيا : لغة الكتاب ومراجعته وصوره :

أ- لغة الكتابة :

- لغة الكتابة هي اللغة العبرية فقط .
- مستوى اللغة: جاءت لغة الكتابة سهلة، وإن كانت عبرية فصحي تبتعد قليلا عن اللغة المعاصرة، فتجنب المؤلفان استخدام التعبيرات والكلمات الأجنبية الشائعة في العبرية المعاصرة.
- طريقة الكتاب: قدم الكتاب بطريقة الحكاية والسرد بما يتلاءم مع معالجة الأحداث التاريخية، وإن لجأ في أحيان قليلة جدا إلى الحوار بين ملك وآخر أو حاخام وملك.
- تشكيل الحروف: جاءت حروف الكتاب كلها مشكولة ماعدا عنوان الغلاف الخارجي ومقدمة الكتاب.

ب- مراجع إضافية :

حرص المؤلفان على أن يحيل التلميذ في نهاية كل فصل إلى عدد من المراجع يتناول موضوع الفصل، وتراوح عددها بين مرجعين وأربعة مراجع، إلا أن المؤلفين استشهدا كثيرا

بنصوص من العهد القديم والتلمود والمدرش والكتب الدينية والتاريخية اليهودية الأخرى، خاصة في مقدمات الفصول.

ج- الصور والرسوم التوضيحية :

- اشتمل الكتاب على عدد كبير من الصور التوضيحية والرسومات والصور والخرائط، وقد بلغ عددها واحد وتسعين رسماً وصورة، ويمكن تقسيم هذه الرسوم والصور إلى:

١- **صور لمواقع أثرية قديمة:** بلغ عددها سبع وعشرين صورة، وكانت صور الآثار اليهودية أكثرها عدداً (صورة واحدة لآثار بابلية، وثلاث صور لآثار فارسية، وأربع صور لآثار يونانية، وتسع صور لآثار رومانية، وعشر صور لآثار يهودية).

٢- **صور للوحات وعملات أثرية:** بلغ عددها حوالي خمس وأربعين صورة (ثلاث صور لآثار بابلية، وأربع صور لآثار فارسية، وسبع صور لآثار يونانية، وثمان عشرة صورة لآثار رومانية، وثلاث عشرة صورة لآثار يهودية).

٣- **الخرائط:** وبلغ عددها خمس عشرة خريطة (خريطة واحدة تتعلق بالفرس، وثلاث خرائط تتعلق باليونان، وأربع خرائط تتعلق بالرومان، وسبع خرائط تتعلق باليهود).

٤- **الرسوم التوضيحية:** بلغ عددها أربعة رسوم (يشرح الرسم التوضيحي الأول الفترة السابقة على الفترة التي يتناولها المقرر الدراسي، والرسم الثاني يشرح حدود الفترة التي سيدرسها التلميذ في هذا المقرر، أما الرسم الثالث فيصور موقعا أثريا، ويصور الرسم الرابع حائطاً يضم تابوتا في أحد المعابد اليهودية).

- **مساحة الصور والرسوم التوضيحية بالنسبة للنص:** احتل اثنا عشر رسماً وصورة صفحة كاملة، واحتل أربعة وستون رسماً وصورة نصف صفحة، وباقي الرسوم والصور (والبالغ عددها حوالي خمسة عشر رسماً وصورة) احتلت ما بين ثلثي صفحة وثلث صفحة وربع صفحة، ويمكن القول إجمالاً أن الصور والرسوم احتلت ما يقرب من ١٢٪ من إجمالي الكتاب.

- مستوى دلالات ووضوح الصور والرسوم التوضيحية: جاءت الصور والرسوم التوضيحية

لتحمل دلالات قوية وواضحة تساعد على ترسيخ المعلومات التاريخية المتعلقة بالأمم الكبرى في التاريخ القديم مثل الفرس واليونان والرومان من ناحية، وترسخ معلومات تاريخية محددة متعلقة باليهود وأحقيتهم (!؟) - فيما يسمونه - أرض إسرائيل^(١)، فنجد خرائط توضح مناطق إقامة اليهود العائدين من التهجير البابلي^(٢)، وأخرى توضح حروب يهودا المكابى^(٣)، وأخرى ترسم حدود - ما يسمى - أرض إسرائيل بعد خراب الهيكل^(٤)، كما نجد صورة لنقش توضح سبي اليهود إلى بابل^(٥)، كما نجد أيضاً صوراً لعملات يهودية قديمة سُكت على مدى فترات مختلفة في التاريخ القديم^(٦)، وصورة لقلعة "متسادا"^(٧) وما تمثله من رموز ودلالات لليهود في الوقت الحالي.

١ - أرض إسرائيل: تعبير ذو دلالة صهيونية يشير إلى أرض فلسطين العربية وما حولها قبل قيام "إسرائيل". وتزعم الصهيونية أن هذا المكان شهد نشأة ما تسميه "الأمة اليهودية"، ويشتمل على الأماكن التي تحرك فيها اليهود، والأماكن التي أقامت فيها القبائل العبرية. وإن كانت مساحة أرض إسرائيل، حسب التصور الصهيوني، تفوق مساحة دولة إسرائيل الحالية. وتفرق الأدبيات الصهيونية بين أرض إسرائيل ودولة إسرائيل. فالأولى لها حدود في الوعي الصهيوني، وهي بمثابة هدف تسعى الصهيونية إلى تحقيقه، أما الثانية فهي خطوة مرحلية نحو الهدف النهائي وهو إقامة الدولة اليهودية على أرض إسرائيل الكبرى. وقد تشكلت في إسرائيل حركة سياسية باسم "حركة أرض إسرائيل الكبرى" تطالب بعدم التنازل عن الأراضي العربية المحتلة باعتبار ذلك خطوة نحو تحقيق حلم "أرض إسرائيل الكبرى". للمزيد انظر: جارودي (روجه)، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م) الطبعة الثانية، ص ٤١-٥٣.

٢ - יעקב כ"ץ ומשה הרשנקו، עמ' 25.

٣ - שם، עמ' 89.

٤ - שם، עמ' 227.

٥ - שם، עמ' 17.

٦ - שם، עמ' 103, 116, 190, 223.

٧ - متسادا: كلمة آرامية تعني "القلعة"، وهي آخر قلعة يهودية سقطت في أيدي الرومان أثناء ما يسمى بالتمرد اليهودي الأول ضد الإمبراطورية الرومانية. وقد بناها أحد ملوك الحشمونيين، ثم بنى هيرود فيها قصراً وزاد تحصينها، وجعلها ملاذاً يحتمي به عند الحاجة من الجماهير اليهودية الساخطة. وقد احتل الرومان القلعة ولكن مجموعة من اليهود، استولوا على متسادا عام ٦٦م =

- قيمة الصور والرسوم التوضيحية كوسيلة مساعدة للنص: جاءت الصور والرسوم التوضيحية وسيلة مساعدة للنص في جل الحالات، فقد ارتبطت هذه الصور والرسوم التوضيحية دائماً بالموضوع والفترة الواردة فيها. فعند الحديث عن اليونان نجد صورة للوحة أثرية عليها جنديين يونانيين يحملان رماحهما^(١)، أو تمثالا يونانيا^(٢)، أو أطلالا لمدينة أثينا القديمة^(٣)، وعند حديثه في الفصل العشرين عن مملكة الحشمونيين يورد صوراً لعملات الملك يناي^(٤)، وخريطة توضح اتساع سيطرة الحشمونيين منذ عهد يهودا المكابي حتى الملك يناي^(٥).

ثالثاً: مقدمة الكتاب وشخصياته ومضمونه العلمي :

أ- المقدمة :

- جاءت في الكتاب مقدمتان تساعدان على فهم الموضوع بشكل عام، حملت الأولى عنوان "דבר המחברים" (كلمة المؤلفين)، يشير فيها المؤلفان إلى أن هذا المقرر ما هو إلا الجزء الأول (من أربعة أجزاء) من كتاب صدر بالعنوان نفسه خلال السنوات ١٩٤٥م-

= وذبخوا كل أعضاء الحامية الرومانية بعد أن وعدوهم بالأمان إن استسلموا. تحولت قلعة متسادا، بعد أن استولي عليها الرومان وانتحر اليهود المحصنين داخلها وحرقوها، إلى موقع عسكري روماني ثم إلى قلعة صليبية. أسقطت كتب التاريخ الصهيونية كثيراً من العناصر التاريخية لتفرض على متسادا معنى صهيونياً بحيث تصبح متسادا رمزاً لوحدة الشعب اليهودي ولرفضه التام للاستسلام للأغيار. وقد أحاطت الحركة الصهيونية والدولة الصهيونية قصة متسادا بهالات، وحولتها إلى أسطورة.

ראה: יגאל (ידן), מצדה, מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות, ירושלים ותל אביב, תשל"ב, כרך 24, עמ' 106-103.

¹ - כ"ץ (יעקב) והרשנקו (משה), עמ' 75.

² - שם, עמ' 85.

³ - שם, עמ' 61.

⁴ - שם, עמ' 116.

⁵ - שם, עמ' 118.

١٩٤٨م للمؤلف يعقوب كاتس، ثم أُدخل تعديل على هذا الكتاب ليتلاءم مع المنهج الدراسي فخرج في ثلاثة أجزاء بعدما انضم إلى المؤلف الأصلي المعلم موشيه هرشنيكو، فأضيفت إليه موضوعات وحذفت منه أخرى، ويؤكد المؤلفان في هذه المقدمة على أنها أكثر من الوسائل التعليمية لمساعدة التلميذ في عملية التعلم، فأضافا رسومات توضيحية وصوراً وخرائط، كما أشارا أيضاً إلى أنها قدما لكل فصل بمقدمة خاصة به تمهد لفكرة الفصل وتحيل التلميذ إلى كتبه الدينية التي تساعده في فهم الموضوع^(١).

أما المقدمة الثانية فقد أفرد لها الفصل الأول بعنوان "مقدمة" تطرق فيها المؤلفان إلى الفترة التي يتناولها المقرر، ويؤكدان في السياق ذاته على مجموعة من المفاهيم التي ستكرر في الكتاب مثل "שבטי ישראל היו ללאם" (أسباط إسرائيل شعب واحد)، ثم يعرضاً بإيجاز الفترة التي تسبق الفترة التي يبدأ بها المقرر وهي فترة "الهيكل الأول"، ثم يعرج على فترة "الهيكل الثاني"، مشيرين إلى أن الأنبياء اليهود سجلوا تاريخ اليهود في الكتب الدينية، ثم يعالجا بعض الموضوعات المرتبطة بالتاريخ مثل ما هو التاريخ، وما هي مصادره، ومن هم الأثريون، وأنواع التقويمات المتبعة في العصر الحديث^(٢).

- موضوعات الكتاب: تناول الكتاب موضوعات تاريخية تخص اليهود وعلاقتهم بالشعوب الأخرى في خمسة وأربعين فصلاً، أما الموضوعات التاريخية التي تخص الشعوب غير اليهودية فقد وقعت في تسعة فصول: الفصل السادس يتحدث عن الفرس ونظام حكمهم، أما السابع فيعنون بسؤال "من هم اليونانيون؟"، ثم يخصص الفصل الثامن للحرب بين الفرس والرومان، ثم يفرد الفصل التاسع لليونان ودورهم المحوري في التاريخ القديم، ثم يتناول في فصل مستقل شخصية الإسكندر المقدوني باعتباره مؤسس مملكة مترامية الأطراف شرقاً وغرباً، ثم يعالج في ثلاثة فصول أخرى - من الفصل الثاني والعشرين حتى الفصل الرابع والعشرين - دولة روما وأحوال الرومان وحياتهم ودورهم في التاريخ القديم وتحولها من ملكية إلى جمهورية.

^١ - שם, עמ' 3.

^٢ - ראה שם, עמ' 7-15.

- عرض موضوعات الكتاب: عرضت موضوعات الكتاب بشكل غير متدرج نتيجة تنوع موضوعات الكتاب وتعدد الدول التي يغطيها والفترة الطويلة التي يتناولها. فبعد أن بدأ الكتاب بتصوير أحوال اليهود في بابل ثم عودتهم إلى فلسطين يعرج بنا إلى الفرس وحياتهم، واليونان ونمط معيشتهم، ثم الحرب بين الفرس واليونان، ثم الرومان. ثم يعود بنا إلى اليهود في فلسطين وصراعهم مع الرومان ليعود بنا في نهاية الكتاب إلى أحوال اليهود في بابل مرة أخرى.

ب- الشخصيات :

- قدم المؤلفان في الكتاب العديد من الشخصيات التي لعبت دوراً حيوياً في تاريخ شعوبها، سواء على مستوى اليهود أو على مستوى الشعوب الأخرى، أو أخذت موقفاً سلبياً أو إيجابياً من اليهود، فخصص فصلاً كاملاً أو عدة فصول لبعض الشخصيات اليهودية وغير اليهودية، وقد عبر تخصيص فصل أو أكثر عن الأهمية التي يوليها المؤلفان لهذه الشخصيات وموقفهما منها، ومن الملاحظ أن الشخصيات اليهودية التي أُفردت لها فصول كان عددها أكبر، وربما يرد هذا إلى أن الفصول التي تعالج الأحداث المتعلقة باليهود قد غلبت على الكتاب، فعلى مستوى اليهود خصص الفصل الرابع إلى ظهور النبيين نحميا وعزرا، كما خُصصت ثلاثة فصول - من الفصل الخامس عشر حتى الفصل السابع عشر - ليهودا المكابي و"انتصاراته"، وأفرد الفصل التاسع عشر للكاهن الأكبر يوحنا، وخصص الفصل السابع والعشرون للملك هورودوس^(١)، وخصص الفصل السادس والثلاثون لبركوخبا^(٢)، كما

^١ - هيرودوس (٣٧ ق.م - ٤ م) ملك اليهود وابن أنتيباتر الأدومي من زوجته النبطية، وهو مؤسس الأسرة الهيرودية. أظهر عزماً في القضاء على العناصر اليهودية المشاغبة. استولى على العرش بمساعدة قوة رومانية. شن حرباً على الأنباط وهزمهم. وبعد معركة أكتيوم (٣١ ق.م)، تَبَّت على مملكته، وأعطته روما حق التصرف في الشؤون الداخلية دون أن تمتد صلاحياته إلى مجال السياسة الخارجية. وقد أظهر هيرود قدرة غير عادية على الحركة في إدارة حكمه، فرغم أنه لم يكن يهودياً خالصاً، حيث كان من أصل أدومي، فإنه قام بتدعيم مركزه تجاه اليهود بأن تزوج من مريم الحشمونية جفيدة الكاهن الأعظم. لكنه أعدمها هي وأبناءها. وقد جدّد هيرود الهيكل وبنى حوله سوراً. وقد اكتشف مؤخراً أنه بنى معبداً لآلهة مدينة روما في مدينة قيصرية. انظر: عبودي (هنري)، معجم الحضارات السامية. طرابلس: جروس برس، ١٩٨٨م، ص ٨٩٢-٨٩٣.

- بركوخبا: زعيم التمرد اليهودي الثاني ضد الرومان والذي استمر ثلاثة أعوام. وقد سحق الرومان هذا التمرد وهدموا القدس وحظروا على اليهود دخولها. وبركوخبا اسم يتكرر في الكتابات الصهيونية باعتباره نموذج البطل اليهودي الذي يدافع عن الهوية اليهودية ويتمرد ضد حكم الأغيار. انظر: المرجع السابق. ص ٢٢٠.

خصص الفصل التاسع والثلاثون ليهودا هناسي^(١)، وعلى مستوى غير اليهود أفرد الكاتبان الفصل العاشر لـ "الإسكندر المقدوني"^(٢)، كما خصصا الفصل الثالث عشر لانتيوخوس أبيانيس^(٣) وأحكامه المعادية لليهود وأثرها عليهم.

وهكذا أفرد فصلان لشخصيات غير يهودية وثمانية فصول لشخصيات يهودية، إلا أن تخصيص هذه الفصول لبعض الشخصيات اليهودية وغير اليهودية لم يمنع المؤلفين من تناول شخصيات أخرى لها أهمية ما ولكن بدرجة - يراها المؤلفان - أقل داخل الفصول، أفرد لها

^١ - يهودا هناسي: رئيس الجماعة اليهودية في فلسطين وجامع المشنا. أقام علاقة ودّية مع السلطات الرومانية في فلسطين، وكان ملماً بالتراث الديني اليهودي، متمكناً من مضامين الشريعة الشفوية، وهو ما أكسبه سلطة على معاصريه لم يصل إليها أحد غيره من معلمي المشنا (تتائيم). جمع يهودا كل الفتاوى والأحكام والشرائع ونظمها. ولذا، يُنسب إليه جمع مواد المشنا وتصنيفها وتبويبها، كما يُنسب إليه تقسيم المادة المجموعة إلى ستة أقسام. انظر: المسيري (محمد)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، الجزء الخامس، ص ١٥٤.

^٢ - الإسكندر المقدوني: ملك مقدونيا ومؤسس الإمبراطورية اليونانية التي ضمت فلسطين كما ضمت بابل بجماعتها اليهودية الكبيرة. وتحكي مصادر دينية يهودية عن زيارته للقدس ومقابلته الكاهن الأعظم. أعلن يهود فلسطين ولاءهم له.

ראה: فري(فلاوس حيرس)، أלקسدنر ממקדוניה. מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, חברה להוצאת אנציקלופדיות והוצאת ספריית פועלים, ירושלים, 1988, כרך 3, 658-636.

^٣ - انتيوخوس إبييفنس أنطيوخوس: حكم على سوريا خلال الفترة ١٧٥-١٦٣. لم يواجه معارضة في بداية حكمه، حيث اعترفت روما به ملكاً. تمردت عليه الجماعات اليهودية فقمع تمردهم. وتحدث الكتابات العبرية عن مظاهر عديدة ومتنوعة للعنف والقمع الذين اتبعهما مع اليهود، مثل حظر الختان وعدم الحفاظ على قدسية السبت، وإنشاء مذابح في البلدان التي يسكنها يهود تقدم عليها القرايين لآلهة اليونان، وإحراق التوراة وشنق اليهود رجالاً ونساءً، ويبيع بعضهم عبيداً وغير ذلك.

ראה: צ'ריקובר (אביגדור), אנטיוכוס אפיפנס. מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 4, 451-453.

المؤلفان عناوين جانبية؛ مثل: "زروبابل"^(١)، و"قممير"^(٢)، و"دريفوس"^(٣)، و"سقراط"^(٤)، و"شمعون هتسديق"^(٥)، و"هليل وشماي"^(٦) وغيرهم.

احتلت بعض الشخصيات النسائية بعض العناوين الجانبية مثل "شلوموتسيون"^(٧)، و"مريام"^(٨)، ولم تأت شخصية نسائية واحدة عنوانا لفصل مستقل.

- تبني المؤلفان موقفا سلبيا من بعض الشخصيات التاريخية غير اليهودية التي اعتبرها معادية لليهود، فقد قدم المؤلفان لشخصية القيصر نيرون بأنه "كان يمثل عارا على عرش الحكم في كل تصرفاته، فقد أهمل شئون الحكم، ولم ينشغل إلا بالمباريات وسباق العربات وعرض المسرحيات، ورجل كهذا لا يمكن أن تعقد عليه الآمال ليصدر حكما عادلا"^(٩)، لم يكن هذا التقديم سوى مقدمة يبرر بها المؤلفان الحكم الذي أصدره القيصر ضد اليهود في خلاف نشب بين سكان قيصريا اليهود وسكانها غير اليهود.

- لم يكتف المؤلفان بعرض الشخصيات التي لعبت دورا تاريخيا في حياة اليهود فحسب بل تجاوزا ذلك إلى عرض الشخصيات اليهودية التي لعبت دورا محوريا في حياة اليهود الدينية أيضا، فخصصا - مثلا - الفصل التاسع والثلاثين^(١٠) للحاخام "يهودا هناسي" لدوره في جمع المشنا وتدوينها وتبويبها. ولم يقف في بعض الأحيان عند عرض الآراء الدينية والفقهية لبعض الشخصيات الدينية وإنما عرضا في بعض الفصول خلافاتها في هذه المسائل الدينية

١ - د"ץ (יעקב) והרשנקו (משה)، עמ' 23 .

٢ - שם، עמ' 25 .

٣ - שם، עמ' 27 .

٤ - שם، עמ' 62 .

٥ - שם، עמ' 74 .

٦ - שם، עמ' 168 .

٧ - שם، עמ' 116 .

٨ - שם، עמ' 160 .

٩ - שם، עמ' 184 .

١٠ - ראה שם، עמ' 241-246 .

والفقهية^(١)، كما عرضا في بعض الفصول المدارس الدينية اليهودية وأبرز حاخاماتها. ومن حين للآخر يعرض المؤلفان بعض أفراد عائلات الشخصيات الدينية، مثل حديثهما عن "بروريا" زوجة الحاخام مئير ودورها في مؤازرة زوجها والحفاظ على وصاياه^(٢).

خط- المضمون العلمي:

- قدم المؤلفان في الكتاب بعض الحقائق والمفاهيم المتعلقة بالتاريخ والآثار - في الفصل الأول الذي جاء كمقدمة للكتاب - تمهيدا لعرض الأحداث التاريخية على امتداد بقية الكتاب، فعرض أمام التلميذ ماهية علم التاريخ وماهية علم الآثار، ثم يبدأ في سرد مصادر دراسة التاريخ، مشيرا إلى أن العهد القديم مثل - ومازال - مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ القديم لبني إسرائيل بشكل خاص وتاريخ الشعوب التي اختلط بها بنو إسرائيل بشكل عام، ويشير أيضا إلى بعض الكتب اليهودية التراثية التي تزامن تأليفها مع بعض أحداث التاريخ القديم مثل كتاب المؤرخ اليهودي "يوسيف بن متياهو"، وبعض فصول المشنا والمدراش، ثم يستطرد في الحديث مشيرا إلى أهمية الحفائر والآثار، فيعدد الآثار ويحددها بأنها أطلال مباني وعملات قديمة وأواني متنوعة وملابس وبعض الأدوات التي تستخدم كأسلحة، ويشير بعد ذلك إلى بعض المناطق التي أجريت فيها حفائر مثل القدس والسامرة وغيرهما، ثم يتحدث عن التواريخ وأهميتها في دراسة التاريخ.

يعرض الكتاب بعد ذلك طريقة التقويم السائدة في العهد القديم، والتي تبدأ عادة بحدث تاريخي مهم، فيبدأ الحساب قبله أو بعده، مثل خراب الهيكل الأول، وخراب الهيكل الثاني، وهدم أسوار القدس، وتولي الملك صدقيا هو الحكم، ويشير في النهاية إلى أن هذه الطريقة غير دقيقة، ثم يشير إلى أن هناك تقويمين:

الأول التقويم العبري، ويبدأ ببداية الخليقة.

والثاني التقويم المسيحي، ويبدأ بميلاد السيد المسيح عليه السلام.

^١ - שם, עמ' 217, ועמ' 238.

^٢ - שם, עמ' 239.

- صحة المادة العلمية: جاءت المادة العلمية صحيحة ولكنها غير كاملة. فلم يشر في المقدمة - مثلاً - إلى التقويم الهجري المرتبط بهجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

رابعاً: القيم الصهيونية:

زخر الكتاب بالعديد من المفاهيم والأفكار والأطر الصهيونية ومنها:

- **وحدة الجماعات اليهودية:** تكررت في الكتاب عبارات تؤكد على ما يسميها وحدة الجماعات اليهودية في مختلف أنحاء العالم القديم، وهو مفهوم معاصر تحاول الصهيونية ترسيخه دون أي اعتبار للمكان والزمان واللغة، وتطلق عليه "وحدة الشعب اليهودي"، فنجد تعبيرات مثل: "أمتنا"^(١)، و"آباؤنا"^(٢)، و"أرضنا"^(٣)، و"أبناء إسرائيل"^(٤)، و"أسباط إسرائيل"^(٥)، و"أبناء يعقوب"^(٦)، و"أصحاب الدين الواحد"^(٧)، و"أبناء شعب واحد"^(٨)، و"الشعب اليهودي"^(٩)، و"الأمة الإسرائيلية"^(١٠)، ولقد كان هذا المفهوم من المفاهيم الأساسية التي حرص المؤلفان على التأكيد عليها من البداية، فأفردا له أول عنوان جانبي في المقدمة "أسباط إسرائيل شعب واحد"^(١١).

¹ - שם, עמ' 7 .

² - שם, עמ' 10 .

³ - שם, עמ' 14 .

⁴ - שם, עמ' 23 .

⁵ - שם, עמ' 45 .

⁶ - שם, עמ' 94 .

⁷ - שם, עמ' 52 .

⁸ - שם, עמ' 88 .

⁹ - שם, עמ' 103 .

¹⁰ - שם, עמ' 243 .

¹¹ - שם, עמ' 7 .

- **التأكيد على أحقية اليهود فيما يسمى بـ"أرض إسرائيل"**: برز هذا التأكيد في تكرار الحديث عن الآثار اليهودية في فلسطين. فنجد في نهاية الفصل الأول أسئلة تدور حول هذا التأكيد جاء فيها: "في أي الأماكن في البلاد شاهدت أطلالا يهودية من الماضي؟ صفها! هل تعرف في أي الأماكن في بلادنا تجرى الآن حفائر أثرية^(١)؟"، ويشير المؤلفان في موضع آخر إلى أن "بلاد الشتات طوال فترة الهيكل الثاني كانت هامشية بالنسبة لأرض إسرائيل، ففي أرض إسرائيل يوجد الهيكل والمحكمة الدينية الكبرى، وإلى هناك اشتاق كل أبناء الشتات منتظرين حلول الموعد^(٢)".

- **الارتباط الدائم بأرض إسرائيل**: يشير الكتاب إلى أن المهجرين في بابل شعروا بالغربة عن وطنهم الأصلي "أرض إسرائيل"، على الرغم مما "أتيح لهم من حياة كريمة وحرية العبادة، حيث سمح لهم ببناء معابد خاصة بهم، فبدءوا في بناء منازل لهم ولم تفرض عليهم السلطات البابلية مكانا محددًا يقيمون فيه، فأقام بعضهم في بابل وأقام البعض الآخر في المدن المطلة على نهري دجلة والفرات، كما عملوا في التجارة وحققوا ثروات طائلة، وحافظوا على استخدام العبرية في حياتهم الداخلية رغم تعلمهم الآرامية للتحدث بها في حياتهم العامة. ومع ذلك لم ينقطع حنينهم وشوقهم إلى أرض إسرائيل، أرض الآباء^(٣)"، من هنا يطلق عليها المؤلفان في موضع آخر "أرض شوقهم^(٤)"، كما يطلقان عليها "أرضنا^(٥)"، و"بنو إسرائيل وأرضهم^(٦)".

ولا يكفي المؤلفان بالرجوع إلى التاريخ وإنما يوردان مقولات لرجال الدين اليهودي في المشنا تؤكد ارتباط اليهود بأرض إسرائيل وهم خارجها "من يقيم في أرض إسرائيل ويقرأ

¹ - שם, עמ' 15.

² - שם, עמ' 254.

³ - שם, עמ' 18.

⁴ - שם, עמ' 23.

⁵ - שם, עמ' 21.

⁶ - שם, עמ' 254.

فيها صلاة الشماع في الفجر والمغرب ويتحدث باللغة المقدسة (العبرية) سيحيى الحياة الأخرى (توسفتا: براخوت: ٥)^(١)، ويستطرد المؤلفان في الحديث عن الموضوع نفسه في معرض حديثهما عن أحوال اليهود المنفيين في بابل بوصفها منفى اختياريا "على الرغم من أنهم أحبوا البلاد التي أتاحت لهم أن يعيشوا فيها لأجيال عدة، فلم يغيروا أرض وطنهم ببلد أجنبي؛ لأن ذكرى أرض إسرائيل لم تنمح من قلوبهم، فقد كانت في نظرهم موطنهم الحقيقي وأملوا أن يعودوا إليها بحلول الموعد، فقد حافظوا على أيام الصوم التي تحدت بمناسبات خراب الهيكل الأول والثاني"^(٢)، ولكي يؤكد المؤلفان على هذا البعد الصهيوني يشيران إلى أن "كثيرا من الآباء الذين لم يتمكنوا من السفر إلى أرض إسرائيل في حياتهم أوصوا أبناءهم أن ينقلوا رفاتهم إلى أرض إسرائيل، فلقد أمن أبناء بابل أنه لا راحة أبدية لليهودي إلا في أرض إسرائيل"^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن التاريخ اليهودي نفسه يعد من وجهة نظر الصهيونية تعبيرا عن الارتباط بالأرض. من هنا تربط كثير من الكتابات اليهودية الصهيونية بين ماتسميه "روح الشعب اليهودي" و"القبس الإلهي" و"روح الرب"، وأن هذه الأرض ستعترف باليهود لأنها ستثمر بواسطتهم هم وهم فقط. من هنا تردد الكتابات الصهيونية عبارات مثل "المنفي" و"الشتات" و"الدياسبورا" و"العودة".

- **اعتزال المجتمعات الأخرى:** كانت خصوصية العلاقة بين اليهود والرب من ناحية، وعقيدة الاختيار من ناحية أخرى، وراء حرص الجماعات اليهودية على اعتزال المجتمعات الأخرى التي يعيشون بين ظهرانيها، فقد جاء في التلمود أن جماعة إسرائيل يُشَبَّهون بحبة الزيتون لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك أعضاء جماعة إسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى، فعلى الرغم من الترحاب بهم وحرية العمل

¹ - שם, עמ' 235.

² - שם, עמ' 266.

³ - שם, עמ' 269.

والعبادة التي نعموا بها خلال التهجير البابلي، إلا أنهم "فضلوا العيش متجاورين بمعزل عن البابليين، وقد أتاح لهم هذا الانعزال الحفاظ على الاحتفال بيوم السبت والأعياد^(١)"، وفي فلسطين، بعد العودة من التهجير "كان اختلاط اليهود بالأغيار سببا لفسادهم وابتعادهم عن دينهم والطريق المستقيم، بعدما تزوجوا منهم، وبعدها صارت لغتهم خليطا بين العبرية والأشدودية^(٢)"، ولكي تعاد الأمور إلى نصابها الصحيح لابد من اعتزال بني إسرائيل للمجتمعات الأخرى، وكان أول إجراء لتحقيق هذا الاعتزال هو فك الارتباط بين اليهود والأغيار، وقد تمثل هذا في تطليق الزوجات الأجنبية التي تزوجهن اليهود والتعهد بعدم الزواج من أجنبيات، فكان هذا بمثابة تطهير من الآثام^(٣)، وهكذا تم الربط بين الاختلاط بالأغيار والانحيار المادي والأخلاقي لليهود، وبات اعتزالهم يعني الازدهار المادي والأخلاقي، وتردد الكتابات الصهيونية المعاصرة مصطلح "الإبادة الصامتة" للإشارة إلى معدلات الاندماج والزواج المختلط المرتفعة باعتبارهما عناصر ستؤدي إلى إبادة اليهود وإلى "موت الشعب اليهودي".

- **الإحساس بالتفوق والتميز:** استشعر اليهود منذ التاريخ القديم التفوق والتميز الناتج عن خصوصية علاقتهم بالرب وارتباطهم بالتوراة. ظهر هذا الإحساس أثناء وجود اليهود في بابل، ونبع شعورهم من أنهم موحدون والبابليون وثنيون^(٤)، على الرغم من أنهم من "أصغر الشعوب"^(٥)، ونجد في موضع آخر من الكتاب "اليهود يختلفون عن كل الأغيار، فلم يعبد اليهود القيصر كما عبدته بقية الشعوب، ففي الأماكن التي اختلط فيها اليهود بالأغيار تبين للأغيار أن اليهود يتميزون في نمط حياتهم بالمقارنة بنمط حياة الأغيار، كما أن إيمانهم بالرب يختلف عن إيمان الأغيار بربهم، فعلى الرغم من الاختلاط بين اليهود والأغيار

¹ - שם, עמ' 18.

² - שם, עמ' 29.

³ - שם, עמ' 29-30.

⁴ - שם, עמ' 18.

⁵ - שם, עמ' 19.

في الإسكندرية بمصر، وقيصريا في فلسطين، وبعض المدن في سورية، إلا أن اليهود لم يتعلموا السير على دروب الأغيار، فقد حافظوا على أعيادهم الخاصة ولم يأكلوا من ذبائح الأغيار ولم يتزوجوا منهم^(١).

- **الأغيار وعداءهم لليهود:** يقدم الكتاب علاقات اليهود بالأغيار على أنها سلسلة من مظاهر الكراهية والعداء لليهود بدءاً من التهجير البابلي ودمار الهيكل الأول^(٢)، مروراً بالمواجهات مع اليونان^(٣)، وانتهاء بخراب الهيكل الثاني والتهجير الروماني^(٤)، "فبدلاً من التعلم من اليهود نهض الأغيار ليصبوا كراحتهم عليهم بسبب إيمانهم الطاهر ونمط حياتهم الخاص، وهكذا انتشرت كراهية اليهود بين الأغيار"^(٥)، ويتأكد هذا التصور اليهودي إذا عرفنا أن اليهود ربطوا أعيادهم الدينية بما يعتبرونه اضطهاد الأغيار لهم، فعيد الفصح مرتبط بخروج اليهود من مصر، أرض العبودية والذل، ويوم التاسع من آب يوم حريق الهيكل، ويوم العاشر من طيبث بدأ فيه حصار القدس على يد نبوخذنصر، ويوم التاسع من تموز احترقت فيه أسوار القدس، ويوم الثالث من تشرى يوم مقتل الملك جدلياهو^(٦)، وقد أكدت الأدبيات الصهيونية على هذا التوجه، فرسمت خط العداء لليهود أو "المعاداة للسامية" وحددت ملامحه "بسلسلة جغرافية وتاريخية وبشرية طويلة من مصر إلى بابل ثم أثينا وروما، ليعود إلى بلاد فارس وهامان، منتقلاً بعد ذلك إلى أسبانيا ومحاكم التفتيش، حتى يصل إلى تركيا العثمانية ثم الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية وبريطانيا، ليقف أخيراً في ألمانيا النازية"^(٧).

^١ - שם, עמ' 178.

^٢ - שם, עמ' 16.

^٣ - שם, עמ' 93.

^٤ - שם, עמ' 178, עמ' 183 ועמ' 188.

^٥ - שם, עמ' 178-179.

^٦ - שם, עמ' 18.

^٧ - أمين (بديعة)، الأسس الأيدلوجية للأدب الصهيوني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة

الثقافة والإعلام، 1989م، ص. ٧٣

واليهود- في الكتاب- يُواجهون بالعداء والكراهية رغم ميلهم للسلام "فهم لم يستطيعوا مواجهة مضطهديهم من اليونان لأنهم غير مدربون على الحرب من ناحية، وأنهم يعيشون على أرضهم بسلام من ناحية أخرى"^(١)، ويستشهد المؤلفان بفقرات من سفر نشيد الأناشيد، تعرض ما يعتبره اليهود عداء وكراهية من قبل الأغيار "يقول اليهود أمام الرب تبارك وتعالى: يارب في الماضي كنت تنير لي طريقي بين ليلة وأخرى، بين ليل مصر إلى ليل بابل، بين ليل بابل إلى ليل ماداي، بين ليل ماداي إلى ليل اليونان، بين ليل اليونان إلى ليل أدوم"^(٢)، وتردد الكتابات الصهيونية أن اليهود هم دائماً الضحية وأنهم تم طردهم من بلد آخر واضطهادهم دون سبب واضح ودون رحمة أو شفقة. بل يحاول الصهاينة في كثير من الأحيان تضخيم دور اليهود كضحية بحيث يحتكرون هذا الدور ويذلون قصارى جهدهم في إنكار هذا الدور على الآخرين، وقد استمر تضخيم دور اليهود كضحية حتى أصبح الشعب اليهودي يعادل المسيح المصلوب في بعض مدارس الفكر الديني اليهودي الحديث.

- **خطر إبادة اليهود:** علي الرغم من أن مفهوم "الإبادة الجماعية" مفهوم حديث بدأ ظهوره في عام ١٩٤٦م، حينما أعلنت الأمم المتحدة أن الإبادة الجماعية جريمة يدينها العالم، وعلي الرغم من أن الجمعية العامة أقرت عام ١٩٤٨م ميثاقاً يقضي بتحريم هذه الإبادة وإنزال أقصى العقوبة على من يرتكبها، وعلي الرغم من أن هذا الميثاق أصبح نافذ المفعول عام ١٩٥١م فإننا سمعناه يتردد في التاريخ القديم بين دفتي هذا الكتاب، فأثناء وجود اليهود في بابل إبان الحكم الفارسي "كان خطر الإبادة (סכנת הכל"יה) يهدق حينئذ بكل اليهود الذين يقيمون في دول فارس والميديين. ولكن بموت هامان الشرير الذي فكر في إبادتهم أنقذ اليهود بمعجزة"^(٣)، ويتحدث في موضع آخر عن إبادة حقيقية فيقول: "وقعت في جزيرة قبرص إبادة اليهود 'השמדת היהודים' ولم يبق منهم شخص واحد"^(٤).

^١ - כ"ץ (יעקב) והרשנקو (משה)، עמ' 95.

^٢ - שם، עמ' 247.

^٣ - שם، עמ' 38.

^٤ - שם، עמ' 222.

- **الدعوة إلى التمرد ورفض الخضوع للأغيار:** تبنت الصهيونية فكرة التمرد على سيادة الأغيار عليهم، واتخذت من أحداث تمرد اليهود على الرومان في التاريخ القديم نموذجا لذلك. فاليهود لم يأسوا من الإصرار على التحرر من الرومان على خلاف الشعوب الأخرى التي سلمت بهذا الاحتلال، ويسجل الكتاب ذلك حيث ورد فيه: "سلمت الشعوب التي قضى الرومان على حريتهم بقدرهم، يشذ اليهود عن ذلك، فعلى الرغم من أن الرومان خربوا هيكلهم ونكلوا بدينهم وتوراتهم فالمرارة كانت كامنة داخلهم سواء في أرض إسرائيل أو خارجها في الشتات... فالجميع ينتظرون وصول المسيح المخلص ليشنوا حربا ضروسا على مملكة الشر^(١)".

ونجد الكتاب يكرر الفكرة ذاتها "كان شعب إسرائيل مختلفا عن بقية الشعوب، فمن الصعب عليه أن يحتمل عبء الأغيار^(٢)"، ويشير مؤلفا الكتاب إلى أن مصدر روح التمرد لدى اليهود يكمن في تمسكهم بدينهم وتوراتهم، فجاء في الكتاب: "أبدى بعض المسؤولين الرومان رأيهم للقيصر بأنه طالما ظل أبناء الشعب اليهودي متمسكين بدينهم وإيمانهم فلن يأسوا من الإصرار على التحرر من العبودية للرومان^(٣)"، وحينما تفشل عمليات التمرد عادة يصبح التطلع إلى الخلاص المسيحاني هو المخرج الوحيد، وعادة ما ينتهي التمرد أيضا بهزيمة اليهود أو انتحار المتمردين، فجاء في الكتاب: "تزايد التطلع إلى الخلاص وقوي الإيمان بأن الرب سيجعل بداية النجاح إلى خلاص دائم^(٤)"، ولكن "الخلاص لم يتحقق، والرجل الذي اعتقد أنه المسيح المخلص قُتل مثله مثل أي شخص آخر^(٥)".

- **الدعوة للانتحار الجماعي بدلا من الاستسلام للأعداء:** كان مفهوم الانتحار موجودا في التاريخ القديم لدى بعض الجماعات اليهودية ومازال يحظى بالتمجيد والثناء في الكتابات

¹ - שם, עמ' 220-221.

² - שם, עמ' 226.

³ - שם, עמ' 228.

⁴ - שם, עמ' 225.

⁵ - שם, עמ' 228.

الصهيونية المعاصرة. فمعظم الأساطير الصهيونية، مثل أسطورة متسدا وشمشون وبركوخبا، هي أساطير انتحارية، ويتحدث الكتاب الغريون عن "عقدة متسدا"، ويقدم لنا المؤلفان حدثين يؤكدان هذا التوجه، فقدما الحدث الأول على النحو التالي: "... نجح يوسف متياهو في الهرب إلى إحدى المغارات في أطراف المدينة، واختفي معه أربعون شخصا من المدافعين عنه، وفي النهاية اكتشف الرومان مخبأهم فطلبوا منهم الخروج من المغارة وتسليم أنفسهم، قرر الأربعون الانتحار، بأن يقتل كل منهم الآخر على ألا يسلموا أنفسهم للأعداء^(١)"، ويتأكد هذا المفهوم ويتدعم من خلال حدث تاريخي آخر مازالت أصدائه تتردد كثيرا في الكتابات الصهيونية المعاصرة، وهو حدث متسدا. فقد سرد لنا الكتاب تحت عنوان جانبي "אחרוני הגיבורים" "آخر الأبطال" كيف ترك تيتوس فلسطين متوجها إلى روما منتصرا، بعد أن هدم الهيكل الثاني وأحرق القدس، فهرب بعض اليهود إلى الجبال والحصون الجبلية، وقد حاصرت الحامية الرومانية التي بقيت في القدس قلعة متسدا التي يحتمي بها بعض اليهود، "حينما شعر أليعيزر أن الرومان اقتربوا من اختراق أسوار القلعة جمع رجاله وتحدث إليهم بألا يسمحوا لأنفسهم أن يقعوا في أسر الرومان، بل يجب أن يموتوا أبطالاً أحرارا، استجابت الجماعة لمطالب أليعيزر، فأقسموا أن يكونوا أحرارا وألا يكونوا عبيدا للرومان، بدأ كل فرد في قتل أفراد أسرته؛ زوجته وأبنائه، وبعد ذلك قتل الأبطال كل منهم الآخر، أشعل الأبطال النار في ثروات القلعة وقصور الملوك التي كانت هناك، وانتحر الذي بقي حيا في النهاية، وحينما دخل الرومان القلعة بدا أمامهم مشهد مروع من المنتحرين^(٢)".

- **عبرنة أسماء البلدان العربية في فلسطين:** لوحظت في هذا الكتاب عملية عبرنة لمسميات البلدان العربية في فلسطين، حتى يتعرف عليها التلميذ على أنها عبرية في الأصل وليس لها تسمية أخرى، ولكي يدعم المؤلفان هذا التوجه يوردان خريطة عليها البلدان

¹ - שם, עמ' 194.

² - שם, עמ' 209.

بمسميات عبرية^(١)، واللغة العبرية الحديثة لا تعرف كلمة «فلسطين». وهذا يتفق مع التصور اليهودي الصهيوني الذي يرى أن الأرض لا وجود لها إلا بالإشارة إلى اليهود والتاريخ اليهودي. ولهذا، فكلما أشار يهودي إلى فلسطين، فإنه يشير إلى «إريتس إسرائيل». وحتى لا يحدث اسم فلسطين الذي يتردد الآن لبثا في ذهن التلميذ، وهو الذي يعرفها بأنها أرض إسرائيل، أورد المؤلفان في الكتاب أن اسم فلسطين اسم أطلقه الرومان على أرض إسرائيل لمحو اسم أرض إسرائيل نكاية في اليهود وانتقاما منهم، فجاء في الكتاب: "أراد الرومان محو اسم اليهود من بلادهم، لذا أطلقوا اسم فلسطين على أرضنا نسبة إلى الفلسطينيين القدماء"^(٢). ويرفض "مناحيم بيجين" (١٩١٣م-١٩٩٨م) تسمية "فلسطين" لما لها من دلالات سياسية يرفضها بقوله "إذا استخدمت كلمة "فلسطيني" بالنسبة للعربي فإن هذا يتطلب منك التسليم بأن هذه الأرض هي فلسطين. وإذا كانت هذه الأرض "فلسطين" فإن هذا يعني أنها ليست أرض إسرائيل، وإذا لم تكن هذه الأرض هي أرض إسرائيل، فماذا نفعل نحن هنا"^(٣)؟.

- **شراء الأرض من الفلسطينيين:** يتردد هذا الزعم الصهيوني في العصر الحديث بأنهم اشتروا أرض فلسطين من "محتليها الفلسطينيين"، والكتاب يورد في ثناياه أن "الحاخامات شجعوا سكان البلاد اليهود على شراء أرض من الأغيار حتى تعود البلاد إلى الحوزة اليهودية، فقد علموا الشعب ألا يئأس من عودته إلى أرضه "سينى الهيكل بسرعة" وتعود البلاد إلى كامل بهائها ومجدها"^(٤)، وهذا الأمر واضح فيما يسمى بـ "الأرض المستردة" وهي التي تنتقل ملكيتها من غير اليهود إلى اليهود، ويمكن أن تكون ملكية خاصة بالصندوق القومي اليهودي أو الدولة اليهودية"^(٥).

١ - שם, עמ' 24.

٢ - שם, עמ' 228.

٣ - أوريان (دان)، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ترجمه د.محمد أحمد صالح حسين، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، العدد رقم ٢٠٨، ٢٠٠٠م، ص ١٥.

٤ - ד"ר (יעקב) והרשנקו (משה), עמ' 214.

٥ - شاحاك (إسرائيل)، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية: وطأة ثلاثة آلاف سنة، بيروت: بيسان، ١٩٩٥م، ترجمة صالح علي سوداح، ص ١٧.

- **بداية الكتاب بالعودة من التهجير البابلي:** هناك قيمة صهيونية تكمن وراء اختيار الحدث التاريخي الذي بدأ به الكتاب، فالكتاب يبدأ بحدث عودة اليهود المهجّرين من بابل، ولم يبدأ بأي حدث سابق عليه، لتصبح عودة اليهود - بناء على ذلك - عودة إلى أرض كانوا فيها من قبل ومن حقهم العودة إليها، وهذا حق أريد به باطل.

فالمؤلفان بهذه الطريقة ابتعدا عن قضية مهمة يمكن أن تلقى بظلال من الشك على أحقية اليهود في فلسطين في ذهن التلميذ، فلقد تجاوزا بهذا الطرح مسألة مدى أحقية اليهود في أرض فلسطين، فهما بهذا ابتعدا عن فترة كانت المصادر الدينية اليهودية التاريخية تتعامل مع فلسطين على أنها أرض غربة بالنسبة لليهود. فالتوراة تعترف بأن أرض فلسطين كانت أرض غربة بالنسبة لآل إبراهيم وآل إسحاق وآل يعقوب. فهي تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئین على فلسطين^(١)، أما موطنهم الأصلي فهو "أرام النهرين"، أي منطقة حاران. وقد وردت كلمة الاغتراب كلما تنقل إبراهيم في مصر وفلسطين، كما وردت مرتبطة في بعض المواضع بإسحاق ويعقوب^(٢). أضف إلى هذا أن أبناء إسرائيل الاثنى عشر ولدوا كلهم - كما تشير التوراة - في فدان آرام^(٣)، حيث مكث أبوهم يعقوب عشرين سنة^(٤)، ويعنى هذا أن مولدهم ونشأتهم كانا خارج فلسطين، وهذه الأدلة - التي تستند على التوراة ذاتها - توضح أن إدعاء اليهود بحقهم في أرض إسرائيل لا أساس له؛ لأن موطنهم الأصلي لم يكن فلسطين، بل منطقة حاران الآرامية، وجميع الأخوة الذين ورد ذكرهم في التوراة ولدوا ونشؤوا خارج فلسطين^(٥).

- **صهيئة التاريخ القديم:** يمكن أن نلاحظ في هذا الكتاب ظاهرة مهمة وهي صهيئة التاريخ الإنساني، بحيث يقوم المؤرخ الصهيوني بإعادة ترتيب التاريخ القديم وينتقى منه ما

^١ - التكوين ٧:٢٤ و ٢٨:٢٤ و ٤٠:٢٤ و ٤٠:٢٨ و ٢٧:٣٥ و ٧:٣٦ و ١:٣٧ و ٩:٤٧.

^٢ - التكوين ٢٢:١٠

^٣ - التكوين ٢٥:٩

^٤ - التكوين ٢٨:٣١

^٥ - سوسة (أحمد)، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٢م، سلسلة الكتب الحديثة رقم ٤١، ص ٣٧٩.

يريد ويترك منه مالا يريد ليوجه أحداث التاريخ نحو وجهة معينة تتفق ونواياه ومقاصده، فيتم التأكيد - كما تقول د.بديعة أمين^(١) - على أن اليهود في حالة نفي قسرية فعلية منذ "هدم الهيكل"، وأنهم لو تركوا وشأنهم - بعيداً عن مضايقات "الأغيار" واضطهادهم - لعادوا إلى فلسطين، ويتم الحديث عن علاقة صوفية-ميتافيزيقية بين اليهودي و"أرض إسرائيل" «ذات تأثير عضوي متبادل ومتفاعل، ف"أرض إسرائيل" هي المنبع أو المصدر الأول للحياة في الجسد اليهودي، وهي وحدها تستطيع أن تنفث الحيوية والانتشاء في الجسد الإسرائيلي، والإنسان اليهودي وحده هو القادر على بث الحياة في أرض إسرائيل، وقد وقف عدد من الباحثين على ظاهرة صهيئة التاريخ القديم وتداعياتها وأهدافها^(٢).

حرص المؤلفان على أن يرتبا أحداث التاريخ القديم على غرار ترتيب أحداث التاريخ المعاصر فيما يتعلق بالحركة الصهيونية، فقد بدأ الكتاب بعودة اليهود المهجرين إلى بابل بعد أن سمح لهم الملك الفارسي كورش، المنتصر على البابليين، بالعودة إلى فلسطين. يسمي الكتاب عودة المسيبين بـ"العودة إلى صهيون" "שיבת ציון" ويطلق التعبير نفسه على هجرة اليهود إلى إسرائيل الآن. كما يطلق الكتاب على قرار كورش بالسماح لليهود بالعودة بـ"وعد كورش" "הצהרת קורש"^(٣)، والتعبير نفسه يستخدم للإشارة إلى "وعد بلفور" "הצהרת בלפור" وكأن التاريخ يعيد نفسه، والقاسم المشترك ناجم عن أن الوعدين سمحا بعودة اليهود إلى فلسطين قديماً وحديثاً.

كما استعرض المؤلفان في التاريخ القديم تاريخ أكبر دولتين في منطقة الشرق الأدنى القديم وهما البابلية والآشورية على غرار فرنسا وإنجلترا أثناء صدور وعد بلفور عام

^١ - أمين (بديعة)، ص ١٥٦.

^٢ - انظر: - وايتلام (كيت)، اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهندي، مراجعة د.فؤاد زكريا، عالم المعرفة العدد رقم ٢٤٩، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ١٩٩٩م.

- تومسون (توماس)، أسفار العهد القديم في التاريخ: اختلاق الماضي، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة، العدد رقم ١٨٥، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

^٣ - د"ץ (יעקב) והרשנקو (משה)، עמ' 24.

١٩١٧م، كما يطلق على الأماكن التي يقيم فيها العائدون من بابل "استيطان" "התישבות"^(١)، وهي التسمية نفسها التي تستخدم في الوقت الحالي لاستيطان المهاجرين الجدد في إسرائيل، كما يطلق في موضع آخر على العائدين تعبير "مهاجرون" "לולים"^(٢) بدلا من "عائدون" "שבים"، وهو التعبير نفسه الذي يُستخدم للإشارة إلى المهاجرين إلى إسرائيل حتى الآن، كما يطلق على مواجهات المكابيين مع الرومان بـ "حرب التحرير" "מלחמת שחרור"^(٣)، وهو التعبير نفسه الذي أُطلق على حرب عام ١٩٤٨م.

ولكي يربط المؤلفان بين أحداث التاريخ القديم والتاريخ المعاصر في ذهن التلميذ، يشيران إلى أن اليهود الذين يعيشون في روما الآن يحرصون على عدم المرور تحت قوس النصر الذي بناه تيتوس بمناسبة انتصاراته على اليهود وحرق القدس والهيكل "حتى لا يروا رمز سقوط شعبهم في يد أعدائه"^(٤).

- استخدام تعبيرات شائعة في تاريخ الجماعات اليهودية وتراثها الديني عند تناول تاريخ شعوب أخرى وجماعات مختلفة. مثل مصطلح "خراب" "חרבן"، الذي ارتبط في تاريخ اليهود وتراثهم الديني بخراب ما يسمونه الهيكل الأول على يد نبوخذنصر والهيكل الثاني على يد تيتوس الروماني، عند الإشارة إلى الدمار الذي لحق بمدينة كارتاجو^(٥) فنجد "خراب كارتاجو" "חרבן קרתגו"^(٦)، وربما أراد المؤلفان من ذلك جعل حدث الخراب والتخريب

^١ - שם, עמ' 24.

^٢ - שם, עמ' 25.

^٣ - שם, עמ' 101.

^٤ - שם, עמ' 208.

^٥ - كارتاجو: بلدة فينيقية قديمة تقع على ساحل الشمال الأفريقي، تبعد عدة كيلو مترات شمال غرب تونس الحالية. كانت مركزا بحريا غرب البحر المتوسط.

ראה: ורמינגטון (ב.ה.), קרתגו. מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 30, עמ' 347-350.

^٦ - שם, עמ' 137.

حدثا سائدا وشائعا في التاريخ القديم وليس قاصرا على اليهود فقط، ولقد مهد الكتاب لخراب الهيكل الثاني أثناء حديثه عن خراب كارتاجو. ثم أصبح حدث خراب الهيكل نقطة تاريخية محورية يبدأ بها تقويم جديد كأن يقال - مثلا - قبل خراب الهيكل بعشر سنوات وبعده بعشرين عاما^(١).

خامسا: القيم الدينية اليهودية:

زخر الكتاب بالعديد من القيم الدينية اليهودية التي وظفتها الصهيونية توظيفا يحقق لها مآربها، لتتضافر مع القيم والأهداف الصهيونية، ويصبحان في كثير من الأحيان القيم ذاتها والأهداف ذاتها ومنها:

- **خصوصية العلاقة بالرب وعقيدة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل:** يظهر الإله في اليهودية إلهاً قومياً خاصاً مقصوداً على الشعب اليهودي وحده، بينما نجد أن للشعوب الأخرى آلهتها^(٢)، حتى تصبح وحدانية الإله من وحدانية الشعب، ولهذا، ظلت اليهودية دين الشعب اليهودي وحده، كما أن تاريخ البشر يدور بإرادة الإله حول حياة ومصير اليهود، وتزداد أهمية اليهود باعتباره شعباً مقدساً، ويزداد التصاق الإله بهم وتحيزه لهم ضد أعدائهم، فاليهود بأنامهم، يؤخرون عملية الخلاص التي تؤدي إلى خلاص العالم، وهم بأفعالهم الخيرة، يعجلون بها، ولذا فالأغيار والإله يعتمدون على أفعال اليهود الذين يشغلون مكانة مركزية في العملية التاريخية والكونية، لكل هذا يُشار إلى الشعب اليهودي بأنه "לאם שג" (أي "الشعب المقدس" و"לאם לאולם" أي "الشعب الأزلي"، و"לאם נצח" أي "الشعب الأبدي"، وقد ورد في العهد القديم "لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"^(٣).

^١ - שם، לאם' 221.

^٢ - "واتخذتكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً" الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، ترجم من اللغات الأصلية، وهي اللغة العبرية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية، (القاهرة: دار الكتاب المقدس، دبت)، سفر الخروج ٦: ٧.

^٣ - التثنية ١٤: ٢، والفكرة نفسها تتواتر في اللاويين ٢٠: ٢٤ و٢٠: ٢٦.

لكل ما سبق تتكرر على مدى فصول الكتاب عبارات كثيرة تؤكد على خصوصية العلاقة التي تربط بين بني إسرائيل والرب يهوه؛ مثل: "الرب وشعبه"^(١)، و"رب إسرائيل"^(٢)، و"توراة موسى رجل الرب"^(٣)، و"قطيع الرب"^(٤)، ونجد في الكتاب تعبيرات تربط بين "الرب والشعب والتوراة" مثل: "شعب الرب وتوراته"^(٥).

وانطلاقاً من عقيدة الاختيار الإلهي يبيد الرب من يعادى اليهود؛ لأنهم شعبه المختار المخلص، فورد في الكتاب "مات أنتيخوس أثناء حملته الحربية في بلاد الفرس، ولقد فرح المؤمنون باندحار الشرير، فبسبب خطاياهم مات ميتة غريبة"^(٦)، ولن يترك الرب شعبه المختار عرضة لعداء الأغيار "لن يترك الرب الذين يحاربون من أجله، وحينها تزايدت المشاكل جاء الخلاص للمحاصرين من الرب في لحظة"^(٧).

- **تقسيم البشر إلى طائفتين: يهود وغير يهود:** وينطلق هذا التقسيم من عقيدة الاختيار التي جعلت اليهودي يشعر بأفضليته على بقية البشر، الأمر الذي جعل اليهودي يضع القوانين التي تحكم علاقته بالآخرين على هذا الأساس، ومع مرور الزمن تسببت هذه القوانين في بناء حاجز قوي وسور منيع بين اليهودي وغير اليهودي، إلى أن أصبح غير اليهودي يمثل الأجنبي أو الغريب في التراث الديني عند اليهود، وتكون لدى اليهود مفهوم "الأمم الأجنبية" الذي تعبر عنه اللغة العبرية بكلمة "גוים" (جويم) أي "الأغراب"، أو "الأجانب"، أو "الأغيار"، وأصبحت هذه الكلمة مصطلحاً يعبر عن انفصال اليهودي عن غيره من الأمم^(٨)، وقد اكتسبت كلمة "الأغيار" إحياءات بالذم والقدح، وأصبح معناها

^١ - ד"ץ (יעקב) והרשנקו (משה)، עמ' 18.

^٢ - שם.

^٣ - שם، עמ' 24.

^٤ - שם، עמ' 202.

^٥ - שם، עמ' 96.

^٦ - שם، עמ' 93.

^٧ - שם، עמ' 95.

^٨ - أحمد (محمد خليفة)، دراسات في تاريخ وحضارات الشعوب السامية القديمة، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص ١٨٧.

«الغريب» أو «الآخر»، والأغيار درجات أدناها عبدة الأوثان والأصنام ("לובדי דוכבים، לובדי מזלות" أي "عبدة الكواكب والأفلاك السائرة"، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون. وهناك أيضاً مستوى وسيط من الأغيار "גרים" أي "المجاورين" أو "الساكين في الجوار" (مثل السامريين)، وقد تحوّل هذا الرفض إلى عدوانية واضحة في التلمود، أبرز مثال على ذلك هو عنوان الكتاب نفسه، فهو يتناول التاريخ الإنساني على أنه تاريخ بين جماعتين رئيسيتين: الأولى هي اليهود والثانية هي الشعوب الأخرى، أي الأغيار أو الأميين أو الجويميم، ويتساوى في ذلك الجميع: البابليون والآشوريون والفرس واليونان والرومان والفراعنة والعرب.

- **تحقيق رؤيا الأنبياء بأن الرب ينصر من ينصره ويعاقب من يخذله:** فقد تحقق ما تنبأ به الأنبياء من خراب ليهودا والهيكل على يد نبوخذنصر نتيجة انحراف بني إسرائيل عن الطريق الذي رسمه لهم الرب، وقد أكد الأنبياء أن ما حدث لبني إسرائيل لم يكن صدفة وإنما بمشيئة الرب؛ لأنه هو الذي يولى الملك لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء، يعاقب الظالمين بظلمهم ويثيب الذين ينفذون مشيئته^(١)، ويحيل المؤلفان التلميذ في هذا الصدد إلى ما جاء في أحد أسفار العهد القديم [إرميا ٤: ٢٩-٨]^(٢)، من هنا تأتي أهمية الإخلاص للرب "فقد توجه كثير من سكان القدس إلى قيصريا لمناشدة الحاكم أن يخرج الأصنام من مدينة القدس فهددهم بالموت إلا أنهم مدوا رقابهم قبولاً للموت بأنه من الأفضل لهم أن يموتوا عن أن يروا انتهاك حرمة الرب. فتنازل الحاكم عن قراره رغماً عنه^(٣)"، وفي موضع آخر نرى القيصر يأمر بوضع تمثاله ليعبد بوصفه إلهاً، إلا أن مواطني دولة يهودا رفضوا أمر القيصر؛ "لأن القيصر لا يعد شيئاً أمام الرب، ملك الملوك"^(٤).

- **طاعة الرب أولى من طاعة العبد:** "طلب الملك البابلي نبوخذنصر من النبي دانيال واليهود الذين معه السجود للصنم فرفض المؤمنون أمر الملك؛ لأن أمر الرب، ملك الملوك،

^١ - د"ץ (יעקב) והרשנקو (משה)، עמ' 10.

^٢ - שם، עמ' 16.

^٣ - שם، עמ' 178.

^٤ - שם، עמ' 212.

أعظم من أمر أي ملك من لحم ودم، فألقوا في النار وأنقذوا منها بمعجزة^(١)". واليهودي المطيع للرب يأمل أن يرسل الرب ملائكته لينقذ الهيكل ويدافع عنه "فقد أمنوا بأن الرب سيرسل لهم المسيح الذي تنبأ به أنبياء اليهود ولن يسمح أن يقع هيكله في أيدي الأغيار^(٢)".

- **احترام الوصايا التي بين الإنسان والرب وأثرها على علاقات البشر:** إن انتهاك هذه الوصايا يؤدي بالتالي إلى انتهاك الوصايا التي تنظم العلاقة بين الإنسان والإنسان^(٣)، فطالما لم يحترم الإنسان أوامر الرب ونواهيه فمن الطبيعي أن تفسد علاقة المرء بأخيه وتكثر السلبات والمفاسد.

- **المحافظة على التوراة يثيب عليها الرب:** "كان العمل يتوقف في السنة السابعة في الحقول والبساتين، وكان الحفاظ على سنة شميط^(٤) يتم وفق الشريعة؛ لأن المزارعين كانوا واثقين من أن الرب سيرسل بركته في السنة السابعة، كما ورد في التوراة التي يحافظون على وصاياها^(٥)" ، من هنا كان الشعب يحافظ على التوراة حتى في أوقات الأزمات "فلم يقل احترام التوراة في نظر الشعب؛ لأنه نقش على لوح قلب الشعب أنه لا حياة لإسرائيل دون توراته، وأقسم الشعب أن يحقق الأجداد بالتوراة، حتى إذا لم يكونوا هم سادة البلاد^(٦)"، ونقرأ في موضع آخر أن الحاخامات يختلفون في بعض مسائل التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية إلا أنهم يقرون بأن

¹ - שם, עמ' 21.

² - שם, עמ' 198.

³ - שם, עמ' 29.

^٤ - سنة شميط "שנת שמיטה": هي السنة التي يجب أن تُراح فيها الأرض، وكلمة "שמיטה" معناها "تنوير الأرض لإراحتها". وقد جاء في العهد القديم أن الإله يأمر شعبه بأن يزرع الأرض ست سنوات على أن يريحها في السنة السابعة. وكل ما ينمو على الأرض في هذه السنة يُصبح ملكاً مشاعاً للجميع يُحرّم الاتجار فيه، كما تصبح كل الديون بين اليهود وكأنها قد وُقِّيت ودُفعت، كما يُحرّر العبيد اليهود في هذه السنة. انظر: المسيري (محمد)، الجزء الخامس، ص ٢٧٥.

⁵ - ד"ץ (יעקב) והרשנקו (משה), עמ' 36.

⁶ - שם, עמ' 167.

"التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية هما مصدر حياة شعب إسرائيل"^(١)، فالتوراة هي "شجرة الخلد بالنسبة لليهودي طالما ظل متمسكاً بها"^(٢).

- **اليهودي من كانت أمه يهودية**: ظهر هذا الأمر عند الحديث عن أجرياس ابن هوردوس الأدومي^(٣) وأمه مريام الحشمونية^(٤): "وعلى الرغم من أنه نشأ في روما وتعلم ما يتعلمه الشباب هناك إلا أنه ظل يهودياً مخلصاً لشعبه ودينه، محافظاً على التوراة ووصاياها... إن الأعمال الطيبة التي قام بها أجرياس جعلت الجميع ينسى عيوب نسبه، فهو من نسل الأدوميين من ناحية أبيه"^(٥)، وعلى الرغم من أن تعيين أجرياس حاكماً على يهودا من قبل السلطات الرومانية لم يكن إلا لكونه رومانيا وليس يهودياً، ولكن اليهودية تعتبر أن الأم هي معيار الانتماء الأساسي لليهودية.

- **فضل اليهودية وجماعة الأسينيين**^(٦) **على المسيحية**: "نمت المسيحية وترعرعت في البداية في أحضان اليهودية. ويبدو أن النصارى الأوائل قد تعلموا من عادات الأسينيين"^(٧).

^١ - شם، עמ' 170.

^٢ - شם، עמ' 229.

^٣ - أجرياس بن هوردوس: حاكم مقاطعة يهودا الرومانية (٤١ - ٤٤ م)، حفيد هيرود من زوجته مريم الحشمونية. عيّنهُ الرومان حاكماً على بعض مناطق فلسطين. كان متعاطفاً مع الفريسيين. وبعد حكمه القصير الذي دام ثلاثة أعوام، قرّر الرومان أن يحكموا المنطقة بشكل مباشر مرة أخرى، فعينوا حاكماً رومانياً. وافقته المنية فجأة في قيساريا.

ראה: שליט (אברהם)، אגריפס יוליוס. מהאנציקלופדיה העברית: כללית. יהודית וארצישראלית (ירושלים: חברה להוצאת אנציקלופדיות והוצאת ספריית פועלים, 1988), כרך 1, 444-446.

^٤ - مريام الحشمونية (٢٩-٥٤ ق.م): ملكة يهودا وزوجة هيرودوس. تزوجها هيرودوس ليحظى بقبول بين اليهود. حكم عليها بالإعدام بتهمة الزنا ومحاولة تسميم الملك. أنجبت من هيرودوس ولدين وثلاث بنات. رאה: שליט (אברהם)، מרים החשמוןאית, כרך 24, 437.

^٥ - כ"ץ, יעקב והרשנקו, משה, עמ' 181-180.

^٦ - الأسينيون: فرقة دينية يهودية، كان أفرادها يمارسون شعائرهم شمال البحر الميت في الفترة ما بين القرنين الثاني قبل الميلاد والأول الميلادي. آمن الأسينيون بخلود الروح والثواب والعقاب، ووقفوا ضد العبودية والملكية الخاصة، وانسحبوا تماماً من الحياة العامة. وعاشوا في جماعة مترابطة حياة النساك، كما عاشوا على عملهم بالزراعة، وكانوا لا يتناولون من الطعام إلا ما أعدوه بأنفسهم. وقد حرموا الذبائح والزواج. وقد كشفت مخطوطات البحر الميت عن كثير من عقائد الأسينيين. انظر: المسيري (محمد)، الجزء الخامس، ص ٣٢٥.

^٧ - כ"ץ (יעקב) והרשנקו (משה), עמ' 171.

وشكك الكتاب في أن يكون السيد المسيح عليه السلام رسولا " ... وأثناء طريقه وجد له مؤيدين يقولون أن بمقدوره شفاء المرضى والقيام بمعجزات وآيات. لقد قدره مؤيدوه جدا واعتبروه قديسا، ورويدا رويدا آمن هو نفسه بأنه أرسل من عند الرب ^(١)، ثم نجد ضمن الأسئلة الواردة في نهاية الفصل سؤالاً عن صلب السيد المسيح ورد فيه: "اتهم المسيحيون المتأخرون اليهود بموت عيسى، هل هناك مجال لهذه التهمة ^(٢)؟"، ويتحدث الكتاب عن مواجهات بين المسيحيين واليهود: "دُمرت معابد كثيرة وحُربت مدن كاملة كان يقطنها اليهود. فقد تدعمت قوة المسيحيين في البلاد بعدما أصبحت السلطات الرومانية ترعاهم. فقد سُمح لهم ببناء الكنائس في أي مكان. فأقاموا كنيسة في المكان الذي اعتقدوا أن المسيح، مؤسس المسيحية، صُلب فيها. وبدأ المسيحيون يرددون رأيا مفاده أنهم الورثة الحقيقيون للقدس. وقد زادت تصرفات المسيحيين وكلامهم من معاناة العبودية التي يجيهاها اليهود ^(٣)".

سادسا: القيم السياسية في الكتاب

- **أهمية القدس والهيكل:** يؤكد المؤلفان على أهمية القدس والهيكل عند اليهود في التاريخ القديم، فيشيران إلى أن اليهود يحتفلون بالعديد من المناسبات الدينية التي ارتبطت بالأحداث التي مرت على القدس والهيكل، منها: يوم التاسع من آب يوم حريق الهيكل، ويوم العاشر من طيبات الذي بدأ فيه حصار القدس على يد نبوخذنصر، ويوم التاسع من تموز الذي احترقت فيه أسوار القدس ^(٤)، ولما كان الهيكل يشكل بالنسبة لليهود في الكتاب "בית" (بيت حياتنا) يصبح من المتوقع أن "الرب سيرسل مسيحه المخلص لينقذ الهيكل قبل أن يقع في أيدي الأغيار ^(٥)"، ويورد الكتاب استشهادات من العهد القديم والمشنا تؤكد الحزن على الخراب الذي حل بالقدس والهيكل "يقول الحاخامات أن أي شخص يمارس أي

¹ - שם, עמ' 174.

² - שם, עמ' 175.

³ - שם, עמ' 252.

⁴ - שם, עמ' 18.

⁵ - שם, עמ' 206.

⁶ - שם, עמ' 198.

عمل يوم التاسع من آب ولا يحزن على القدس لن يرى فرحتها، ومن يحزن على القدس سيحظى بمشاهدة فرحتها" (فصل الصوم في المشنا: ٥) ويفسر أحد الحاخامات ما جاء في العهد القديم: "وتبكي عيني وتذرف الدموع بسبب سبي قطع الرب^(١)"؛ لأنه "يجب على اليهودي أن يذرف ثلاث دموع: واحدة على الهيكل الأول، والثانية على الهيكل الثاني، والثالثة على اليهود الذين تشتتوا من موطنهم"^(٢).

وبالغ المؤلفان فيما يسميانه دفاع اليهود عن هيكلهم داخل القدس ليعزز ارتباط اليهود بالقدس والهيكل "احترقت قاعات الهيكل الخارجية ولم يبق من المدافعين عنه سوى جثثهم، التي أرادوا أن يسدوا بها الطريق أمام الرومان حتى لا يصلوا إلى داخل الهيكل"^(٣)، ويفرد الكتاب عنوانا جانبيا يؤكد فيه حريق الهيكل وخلود اليهود "احترق الهيكل، ولكن شعب إسرائيل حي خالد"^(٤).

– **الفخر باليهود القدماء (الآباء) والاعتزاز بهم:** أخذ تحقيق هذه القيمة عدة مظاهر:

أ – اتساع حدود- ما سماه المؤلفان- "دولة إسرائيل" في عهد الملك يئان لتصل إلى حدود لم تصلها في عهد الملك سليمان الذي يعد أزهى عصور الوجود اليهودي السياسي في فلسطين. "فقد هزم العرب وضم شرق الأردن إلى يهودا، كما ضم المدن اليونانية في شرق الأردن إلى يهودا، كما ضم كل المدن الساحلية من مصر حتى لبنان عدا عكا وأشكلون، لقد امتدت دولة إسرائيل الآن من مصر حتى لبنان ومن البحر إلى الصحراء"^(٥)، وفي فترة متأخرة تمتد هذه الحدود شمالا لتتجاوز لبنان حتى تصل إلى دمشق في سوريا "تمتد الدولة اليهودية من حدود مصر حتى دمشق ومن البحر إلى الصحراء"^(٦).

^١ - إرميا ١٣: ١٧

^٢ - د"ץ (יעקב) והרשנקו (משה)، עמ' 187.

^٣ - שם، עמ' 206.

^٤ - שם.

^٥ - שם، עמ' 115-116.

^٦ - שם، עמ' 167.

ب- تقدير الأغيار وقادتهم لليهود: يذكر المؤلفان في هذا السياق ما حدث مع الإسكندر المقدوني: "تحكي أجيال متعاقبة حكايات يتوارثها الأبناء عن الآباء عن اللقاء الأول الذي تم بين اليهود واليونان. فقد خرج الكاهن الأكبر ليستقبل المحتل العظيم على رأس مسيرة فخيمة مهيبة، وهو يرتدى ملابس الكهانة. حينما شاهد الإسكندر الكاهن الأعظم نزل من عربته وانحنى له. أثار تصرف الإسكندر دهشة قادته العسكريين، فرد عليهم الإسكندر بأن شخصية الكاهن قد ظهرت له في الحلم ووعدته بقيادته إلى النصر"^(١)، وهكذا وضع المؤلفان اليهود واليونان على قدم المساواة في التاريخ القديم، وهذا تشويه لحقائق التاريخ وتحريف لوقائعته وإن استهدف إسباغ أهمية على اليهود تتساوى مع أهمية اليونان في التاريخ القديم.

ج- اعتراف الأغيار بتميز اليهود وتفوقهم، الأمر الذي يمنحهم قوة ووحدة. أورد المؤلفان أن "أنتيخوس أدرك أنه طالما تميز بنو إسرائيل عن بقية الشعوب بعقيدتهم ونمط حياتهم فلن يخضعوا له خضوعاً كاملاً"^(٢)، وحينما طلب هوردوس من الحاخامين هليل وشماي أداء يمين الولاء والطاعة له رفضا "فلم يجرؤ هوردوس على مسهما بسوء، بل بجل هليل وشماي على شجاعتهما"^(٣)، وفي موضع آخر "أدرك الأغيار تدريجياً أن اليهود يعتبرون أنفسهم أسمى من كل شعوب الأرض بقوة توراتهم التي حافظوا على وصاياها"^(٤)، وقد تعلم بعض الأغيار من اليهود "الإيمان بالرب الذي خلق السموات والأرض"^(٥).

د- شجاعة اليهود وبطولتهم رغم قلة عددهم بين الشعوب: فقد نجح يهودا المكابي في تطهير الهيكل بعد أن حاصر القدس "... وهكذا انتصر قليلون على كثيرون، والضعفاء هزموا الأقوياء، فظلوا يحمدون الرب ويشكرونه على المعجزات والآيات التي أظهرها"^(٦).

١ - שם, עמ' 67-68.

٢ - שם, עמ' 84.

٣ - שם, עמ' 167.

٤ - שם, עמ' 178.

٥ - שם.

٦ - שם, עמ' 92.

وفي موضوع آخر يحدّثنا الكتاب عن أن "أنتيباتير"^(١) أمد القيصر بآلاف الجنود اليهود ليحاربوا معه في مصر^(٢)، ونجد في موضع آخر "أدرك الرومان بدءاً من الآن أن حربهم ضد الشعب ستطول، فمع أنه قليل في عدده فإنه لا يقل في بطولته عن أي شعب آخر حاربه الرومان في أي وقت من الأوقات. فقد ذهل القيصر نيرون عندما سمع عما يحدث في القدس"^(٣)، ونقرأ أيضاً أن قيصر روما أقر بأنه حينها يحارب اليهود فهو يحارب عدوا صعب المراس: "أدرك القيصر أدريانوس أن عليه أن يحارب عدوا صعب المراس، لا مثيل له"^(٤)، ويضيف المؤلفان في موضع آخر "كانت بطولة الكبار وبسالتهم نموذجاً ومثالاً يحتذى بهما لإخوانهم، فحتى الآن نحتفل كل عام بذكرى الحاخامات العشرة الذين قتلوا أثناء مواجهتهم للرومان، وذلك عندما قرأ المراثي في التاسع من آب"^(٥)، ويواصل الكتاب حديثه عن بطولة اليهود "لم يكن من السهولة بمكان على الرومان صد أعدائهم (اليهود) لأن أبطال اليهود حاربوا كالأُسود"^(٦).

وفي إطار ما يسميه المؤلفان بطولة اليهود وشجاعتهم في مواجهة الأغيار ضمن الحديث عن حصار فومبيوس^(٧) للقدس يورد الكتاب: "ولكن لم تنته روح البطولة من إسرائيل"^(٨).

١ - أنتيباتير أنטיפتر: أبو هيرود الأكبر. حكم أدوم، وعيّن أولاده في مناصب مهمة. مات أنتيباتير بعد أن دس له أعداؤه السم، وكان قد مهّد الطريق لابنه للاستيلاء على العرش وتأسيس الأسرة الهيرودية التي حكمت لصالح الرومان وأنّست بولائها الشديد لهم.
ראה: شليط (أברהام)، أنטיפتر. מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 4, 486.

٢ - כ"ץ (יעקב) והרשנקו (משה), עמ' 154.

٣ - שם, עמ' 190.

٤ - שם, עמ' 226.

٥ - שם, עמ' 231-232.

٦ - שם, עמ' 226.

٧ - فومبيوس فومفوس، غنيوس مغنوس (١٠٦-٤٨ ق.م): قائد عسكري وسياسي روماني. أنهى حكم الأسرة الحشمونية، فجعل يهودا دولة تابعة للرومان.

ראה: אשרي (دود)، فومفوس، غنيوس مغنوس، מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 27, 463-464.

٨ - כ"ץ (יעקב) והרשנקו (משה), עמ' 122.

وفي موضع آخر "رفض قادة الجيش، الذين تحصنوا في قلعة المدينة، الانصياع لأوامر أريستوبول^(١) وقرروا الدفاع عن المدينة مهما كان الثمن، تحصنوا في القلعة وصمدوا هناك ثلاثة أشهر ولم يتمكن الرومان من احتلال المدينة إلا بالحيلة والخديعة"^(٢).

هـ - اتحاد الأمة عند تعرضها لخطر خارجي: يجب على الأمة أن تتحد، مهما كانت الخلافات بينها، في مواجهة الخطر الخارجي "في الوقت الذي تحارب فيه الأمة من أجل بقائها، فلا يحق لأحد أن يخرج عنها، حتى لو كان مختلفا مع الذين بدأوا الحرب"^(٣).

ز - عداة العرب لليهود في فلسطين قديما، وليس مرتبطا بالصراع الحديث المعروف بالصراع العربي الإسرائيلي، فنقرأ في الكتاب: "حينما توجه العرب والعمونيون إلى القدس أدركوا أنهم لن يجدوا ثغرة في أسوارها، وأنها ستكون محصنة ولن يقدروا عليها، فاجتمع قادة الأعداء وقرروا الهجوم عبر الثغرات التي مازالت موجودة، وهدم البناء، ولكن نحميا علم بمكيدتهم فأمر الشعب أن يوقف العمل ويستعد لمعركة كبيرة أمام الثغرات، لم يجرؤ أعداء يهودا على شن حرب عليها، ولكنهم حاولوا في الليل هدم السور الذي أوشك على الاكتمال، لم يترك المدافعون سلاحهم، وقد قسم شباب نحميا أنفسهم إلى دوريات حراسة، نصفهم يعمل في البناء ونصفهم يحرس، وبقية الشعب يساهم في البناء؛ بيده الأولى يبنى وبالأخرى يمسك السلاح"^(٤)، هكذا رسم المؤلفان ملامح العداة قديما بين اليهود والعرب، ناسيا أو متناسيا أن العرب هم جزء لا يتجزأ من أرض فلسطين، ويتأكد هذا الصراع حينما يتوجه المؤلفان بسؤال للتلميذ في نهاية الفصل "في أي موقف تستخدم عبارة "بيده الأولى يبنى وبالأخرى

^١ - أرسطوبولوس: اسمه العبري يوحنا، حفيد أرسطوبولوس الثاني، وشقيق مريم الحشمونية زوجة هيرود. وهو آخر كاهن أعظم حشموني. مات غرقا.

ראה: שליט (אברהם)، אריסטובולוס، מהאנציקלופדיה העברית: כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 5, עמ' 862.

² - שם.

³ - שם, עמ' 189.

⁴ - שם, עמ' 32.

يمسك السلاح" في الوقت الحالي^(١)، ولعل هذه المعالجة التي يقدمها المؤلفان لا تبتعد كثيرا في حقيقة تناولها عما حدث خلال الاحتلال الصهيوني لفلسطين وطريقة البرج والصور وفكرة الاستيطان في المستوطنات التعاونية (קִיבוֹצִים) حيث العمل والزراعة والقتال.

¹ - שם, עמ' 36.

خاتمة

احتوى هذا الكتاب على عدد من القيم الصهيونية والدينية اليهودية والسياسية، الأمر الذي يجعله قادراً على المساهمة بشكل كبير في تشكيل ذهن التلميذ في هذا السن المبكر، بالنظر إلى المقرر المدرسي بوصفه وسيلة رئيسة يستخدمها أي نظام مجتمعي في ترجمة أهدافه ونقلها إلى أبنائه، لإحداث التغيرات التي يرغبها وينشدها منهم.

ومن السهولة بمكان أن نلاحظ في هذا الكتاب تداخلاً بين القيم الدينية اليهودية والصهيونية والسياسية، بحيث يصعب في بعض الأحيان الفصل بينها، ويمكن أن نتظر لقيمة دينية على أنها صهيونية أو سياسية، أو نتظر لقيمة صهيونية على أنها دينية أو سياسية، وهذا الخلط والتداخل مرده إلى هذا التضايف والتداخل بين التاريخ والدين والصهيونية، وخدمة كل من هذه المجالات للأخرى.

والحقيقة هي أن منهجية هذا الكتاب على هذا النحو عكست افتقار الكبار إلى الجذرية في المكان، من هنا ينظر إلى دراسة التاريخ على أنه علم تثبت الحاضر وتبرير أحواله. من هذا المنطلق حرص مؤلفا الكتاب على أن يرسخا في ذهن التلميذ أحقية اليهودي في - ما يسميانه - أرض إسرائيل بما لا يقبل الشك، من خلال السعي نحو التوغل في التاريخ لإثبات السيادة السياسية لليهود على أرض فلسطين.

والحقيقة هي أن الاهتمام الإسرائيلي بالتاريخ القديم والآثار - كما يقول د.رشاد الشامي - يعكس قضية الاستمرارية التاريخية اليهودية في فلسطين، فالبحث عن أدلة تثبت هذه الاستمرارية كانت ومازالت من الأشياء التي تشغل بال الجهات الرسمية وغير الرسمية، الأفراد والجماعات، في إسرائيل، فعلماء الآثار في إسرائيل لا يحفرون من أجل الخبرة الفنية والاكتشافات، بل ليقروا من جديد جذورهم التي يرونها في المخلفات الإسرائيلية العتيقة التي يعثرون عليها في أنحاء البلاد^(١).

^١ - الشامي (رشاد)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، العدد ١٠٢، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٦م، ص ١٢٦.

قائمة المصادر والمراجع

أ- باللغة العربية:

- أحمد (محمد خليفة)، دراسات في تاريخ وحضارات الشعوب السامية القديمة، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥ م.
- الشامي (رشاد)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، العدد ١٠٢، ص ١٢٦، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٦ م.
- الكتاب المقدس: أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، جمعيات الكتاب المقدس المتحدة، ١٩٦٦ م.
- المسيري (محمد). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد. القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩ م.
- أمين (بديعة)، الأسس الأيدلوجية للأدب الصهيوني، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة بوزارة الثقافة والإعلام، 1989 م.
- أوريان (دان)، شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي، ترجمه د. محمد أحمد صالح حسين، المشروع القومي للترجمة، العدد رقم ٢٠٨، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠ م.
- تومسون (توماس)، أسفار العهد القديم في التاريخ: اختلاق الماضي، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، المشروع القومي للترجمة، العدد رقم ١٨٥، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠ م.
- جارودي (روجيه)، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨ م.
- سوسة (أحمد)، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية، بغداد: وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٢ م، سلسلة الكتب الحديثة رقم ٤١.

- شاحاك (إسرائيل)، التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية: وطأة ثلاثة آلاف سنة، ترجمة صالح علي سوداح، بيروت: بيسان، ١٩٩٥ م.
- عبودي (هنري)، معجم الحضارات السامية. طرابلس: جروس برس، ١٩٨٨ م.
- وايتلام (كيت)، اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة د. فؤاد زكريا، عالم المعرفة العدد رقم ٢٤٩، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩ م.

ب- باللغة العبرية :

أ- الكتب :

- כ"ץ (יעקב) והרשנקו (משה)، ישראל והעמים، חלק א: תולדותיהם עד חתימת התלמוד הדפסה ט, הוצאת דביר، תל אביב، 1971.

- البحوث المقالات :

- אשרי (דוד)، פומפיוס، גניוס מגנוס. מהאנציקלופדיה העברית: כללית، יהודית וארצישראלית، חברה להוצאת אנציקלופדיות והוצאת ספריית פועלים، ירושלי، 1988، כרך 27، עמ' 463-464.
- ורמינגטון (ב.ה.)، קרתגו، מהאנציקלופדיה העברית: כללית יהודית וארצישראלית، כרך 30، עמ' 347-350.
- יגאל (ידין)، מצדה، מהאנציקלופדיה העברית: כללית، יהודית וארצישראלית، כרך 24، עמ' 106-103.
- פרי (פלאוס חירם)، אלקסדנר ממקדוניה، מהאנציקלופדיה העברית: כללית יהודית וארצישראלית، כרך 3، עמ' 636-658.
- צ'ריקובר (אביגדור)، אנטיוכוס אפיפנס، מהאנציקלופדיה העברית: כללית יהודית וארצישראלית، כרך 4، עמ' 451-453.
- שליט (אברהם)، אגריפס יוליוס، מהאנציקלופדיה העברית: כללית، יהודית וארצישראלית، כרך 1، עמ' 444-446.

- , אנטופטר, מהאנציקלופדיה העברית: כללית,
יהודית וארצישראלית, כרך 4, עמ' 486 .
- , אריסטובולוס, מהאנציקלופדיה העברית:
כללית יהודית וארצישראלית, כרך 5, עמ' 862 .
- , מרים החשמונאית, מהאנציקלופדיה העברית:
כללית, יהודית וארצישראלית, כרך 24, עמ' 437 .

المفاهيم الصهيونية في كتاب
"مسע אל העבר המאה העשרים"
"رحلة إلى الماضي - القرن العشرون"
دراسة وتحليل محتوى

د/ هويدا عبد الحميد مصطفى
مدرس بقسم اللغة العبرية - آداب عين شمس

obeikand.com

مقدمة

تلعب المناهج الدراسية دوراً بارزاً في توجيه سلوك المجتمعات ، فهي التي تشكل وعي وثقافة الأفراد من خلال ما ترسخه في عقول الطلاب من صور ذهنية سلبية أو إيجابية مستخدمة في ذلك الألفاظ والعبارات الصريحة والمباشرة أو مستخدمة أسلوب الإيحاء لتمرير رسائل ومفاهيم معينة . ويقاس مستوى تقدم الشعوب فكرياً وإنسانياً بمدى ما تمّ تحصيله من المعارف والعلوم. ولكل منهج من المناهج الدراسية مجموعة من الأهداف يسعى إلى تحقيقها من خلال محتوى محدد. ومن هذا المنطلق يهتم البحث بدراسة وتحليل محتوى كتاب "מסע אל העבר המזהה העשרים" "رحلة إلى الماضي - القرن العشرون" والذي يُدرس لطلاب الصف التاسع في المدارس الحكومية في إسرائيل. وقد تم وضع الكتاب وفقاً للخطة التعليمية الجديدة، وما زال يتم تدريسه حتى الآن في إسرائيل.

ويرجع سبب اختياري لهذا الكتاب لأنه يغطي فترة زمنية لها أهميتها على المستوى العربي والأفريقي على حدّ سواء، وهي فترة "القرن العشرين" الزاخرة بالأحداث الضخمة، التي ترصد بداية الصراع العربي - الإسرائيلي، واحتلال فلسطين ونشوء "دولة إسرائيل" وصولاً إلى معاهدات السلام؛ فكان من المهم تحديد أهم المفاهيم الصهيونية التي وظّفها هذا الكتاب الدراسي بهدف إرسال رسائل معينة لفئة عمرية لا تتجاوز الخمسة عشر عاماً. ولأن أطفال وشباب اليوم هم رجال الغد فكانت أهمية معرفة المخزون المعرفي والثقافي الذي يشكل عقولهم ووجدانهم.

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ١- التعرف على أبرز المفاهيم والمصطلحات الصهيونية الواردة بالكتاب محل الدراسة والتي يعمل على تزويد النشء بها وترسيخها في أذهانهم .
- ٢- تقييم موضوعية المادة العلمية الواردة في الكتاب محل الدراسة، ومعرفة مدى سعي المؤلف للتأثير على حكم القارئ من خلال تقديم بعض المعلومات أو إخفاء أخرى.

٣- تحليل محتوى هذه المادة العلمية .

٤- التعرف على الطرق والأساليب المستخدمة في تحقيق أهداف المنهج الدراسي .

٥- التعرف على أهم المهارات والخبرات التي يتضمنها المقرر الدراسي المستهدف إكسابها للمتعلمين.

- محتوى الكتاب:

يقع الكتاب في ٣٤٣ صفحة من الحجم الكبير. وقد أشرف على هذا الكتاب "رحلة إلى الماضي - القرن العشرون"، مجموعة من أساتذة الدراسات التاريخية في إسرائيل وأبرزهم بروفيسور إسرائيل برطل (١٩٤٦)، وهو مؤرخ إسرائيلي اهتم بتاريخ اليهود خاصة في شرق أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبروفيسور شولاميت فولكوفا (١٩٤٢) عضوة المجمع القومي الإسرائيلي للعلوم، والمتخصصة في تاريخ أوروبا.

يضم الكتاب خمس وحدات تحتوي الوحدة الأولى وعنوانها "بدايات الأحداث" على ثلاثة فصول، يأتي الأول منها تحت عنوان "ديمقراطية في موضع اختبار"، ويعرض هذا الفصل لديمقراطيات قديمة في دول أوروبا مثل بريطانيا وفرنسا، وي طرح "جمهورية فايمار"^(١) باعتبارها ديمقراطية حديثة في أوروبا، كما يتطرق إلى الديمقراطية الأمريكية فيما بين الازدهار والتضليل.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان "نشوء أنظمة حكم شمولية في أوروبا" ويتعرض لعدد من المصطلحات السياسية مثل الشيوعية والفاشية والنازية وأنظمة الحكم الشمولية.

(١) **جمهورية فايمر** (بالألمانية: Weimarer Republik) هي الجمهورية التي نشأت في ألمانيا في الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣ كنتيجة الحرب العالمية الأولى وخسارة ألمانيا الحرب. سميت الجمهورية الناشئة باسم مدينة فايمر الواقعة بوسط ألمانيا والتي اجتمع بها ممثلو الشعب الألماني في العام ١٩١٩ لصياغة الدستور الجديد للجمهورية والذي اتبعته الجمهورية حتى العام ١٩٣٣ حين تمكن الزعيم النازي أدولف هتلر من إحكام سيطرته على مقاليد الحكم في برلين بعد توليه منصبى المستشارية ورئاسة الجمهورية. اعتبر المؤرخون هذا الحدث نهاية جمهورية فايمر.

ويجئ الفصل الثالث تحت عنوان "تكوّن مجتمع جديد في فلسطين" ويتعرّض للحكم البريطاني المدني في فلسطين وللهجرتين اليهوديتين الثالثة والرابعة، كما يتطرّق إلى علاقات بريطانية- يهودية عربية في فلسطين.

أما الوحدة الثانية فتحمل عنوان "آمال وخيبة أمل" وتحتوي على ثلاثة فصول. يحمل الفصل الأول منها عنوان "علاقات دولية بين الحربين العالميتين"، ويتناول "عصبة الأمم" باعتبارها منظمة ليبرالية ديمقراطية ودبلوماسية تخدم السلام.

أما الفصل الثاني والذي يحمل عنوان "يهود في الشتات فيما بين الحربين العالميتين" فيتناول أوضاع يهود الاتحاد السوفيتي تحت الحكم الشيوعي، ويهود بولندا وأوضاع يهود ألمانيا والولايات المتحدة، كما يتعرّض لأوضاع يهود العراق ما بين الاندماج والرفض.

ويحمل الفصل الثالث عنوان "ازدهار وصراع في فلسطين في الثلاثينيات" ويتناول الهجرة اليهودية الخامسة والثورة العربية ١٩٣٦-١٩٣٩، وسياسات بريطانيا تجاهها.

وتأتي الوحدة الثالثة بعنوان "حرب وكارثة"، وتضم هذه الوحدة ثلاثة فصول، يحمل الفصل الأول منها عنوان "حرب في أوروبا: اليهود من العزل إلى بدايات القتل الجماعي (سبتمبر ١٩٣٩- ديسمبر ١٩٤١). يتعرّض هذا الفصل لاحتلال بولندا وحشد اليهود في جيتوهات، وانتشار الحرب في جبهات أخرى، والزحف إلى الاتحاد السوفيتي وبداية "إبادة اليهود.

ويحمل الفصل الثاني عنوان "الحرب العالمية، الحل النهائي وصراع اليهود" (ديسمبر ١٩٤١- سبتمبر ١٩٤٥)، ويتناول دور الحلفاء في الحرب وصراع اليهود.

ويأتي الفصل الثالث تحت عنوان "الاستيطان اليهودي في فلسطين أيام الحرب العالمية الثانية- بين التعاون والصراع"، ويتناول التعاون المشترك بين الاستيطان اليهودي وبريطانيا، وكذلك صراع الاستيطان اليهودي مع بريطانيا.

أما الوحدة الرابعة والتي تحمل عنوان "دول عظمى وشعوب في صراع"، فتضم أربعة فصول، يتناول الفصل الأول، والذي يحمل عنوان "العالم أثناء الحرب الباردة"، الوضع بعد الحرب العالمية الثانية والظهور السياسي للحرب الباردة.

أما الفصل الثاني فيحمل عنوان "من مستوطنات إلى دول مستقلة". ويعرض لتحرر بعض الشعوب في آسيا وأفريقيا ويقتطع قومية.

ويحمل الفصل الثالث عنوان "الصراع من أجل الاستقلال" ويتعرض للنشاط الدولي فيما يتعلق بمسألة فلسطين والحرب بين الاستيطان اليهودي والسكان العرب وحرب ١٩٤٨.

أما الفصل الرابع والذي يحمل عنوان "دولة في نمو ومواجهة - إسرائيل ١٩٤٩-١٩٧٤"، فيتناول الخطوات الرسمية الأولى، واستيعاب الهجرة والمشكلات الاقتصادية والصراع بين إسرائيل وجاراتها.

أما الوحدة الخامسة والأخيرة فتضم ثلاثة فصول. يحمل الفصل الأول منها عنوان "تغييرات في العالم" ويتحدث عن تفكيك الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية في دول شرق أوروبا.

ويأتي الفصل الثاني بعنوان "تغييرات في العالم اليهودي" ويتحدث عن تغييرات ديموغرافية وتغييرات في حياة اليهود في الاتحاد السوفيتي، كما يتطرق إلى يهود إيران تحت الحكم الإسلامي وهجرة يهود إثيوبيا إلى إسرائيل.

أما الفصل الثالث والذي يحمل عنوان "بين إسرائيل وجاراتها" فيتناول توقيع اتفاقية السلام مع مصر والأردن واتفاقية أوسلو.

وجدير بالذكر أنه على مدار وحدات الكتاب يخصص قسم في كل وحدة لرصد ثورة الاتصال بدايةً من الراديو وصولاً إلى ثورة الكمبيوتر والإنترنت.

وفي ضوء ما جاء في الكتاب محل الدراسة سيركز البحث على عدّة قضايا رئيسية وسيقوم بعرضها وتحليلها ويستخرج المفاهيم الصهيونية منها وهذه القضايا هي:

١- دور الدول الإمبريالية في دعم الفكرة الصهيونية.

٢- علاقة الاستيطان اليهودي ببريطانيا.

٣- المهجرات اليهودية إلى فلسطين بدايةً من الهجرة الثالثة والتي أطلق عليها "هجرة

الرواد".

- ٤- ردّ الفعل العربي على الاستيطان اليهودي في فلسطين.
- ٥- أوضاع الأقليات اليهودية في شرق أوروبا.
- ٦- الصراع العربي - الإسرائيلي والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.
- ٧- السلام مع مصر والأردن.
- ٨- اتفاقية أوسلو وما أحدثته من انقسام داخل إسرائيل.

منهج الدراسة :

استخدمت الدراسة أسلوب تحليل المحتوى أو المضمون وهو أحد أساليب المنهج الوصفي ، بهدف عرض المعلومات الواردة في الكتاب - محل الدراسة - وتحليلها للوقوف على أهم المفاهيم والأفكار التي يستهدف الكتاب زرعها وتنميتها في أذهان الطلاب.

القضية الأولى :

دور الدول الامبريالية في دعم الفكرة الصهيونية :

طرح الكتاب عدداً من المفاهيم الصهيونية، مركزاً على فكرة "معاداة السامية" كقوة دفع في اتجاه الصهيونية كحل للمشكلة اليهودية وهو الاتجاه الذي يعبر عن الصهيونية السياسية، التي ترى في فلسطين ملجأً آمناً لليهود؛ وذلك باللجوء إلى مخاطبة الدول الإمبريالية الغربية وتلقي الدعم والتأييد منها ، ولذلك نجد الفصل الثالث من الوحدة الأولى في الكتاب محل الدراسة، وهو الفصل الذي يرصد بدايات الأحداث التي أدت إلى خلق مجتمع يهودي في فلسطين، يركّز على "وعد بلفور" الصادر في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ويقوم بتعريفه لطلابه بأنه "خطاب أرسله بلفور وزير الخارجية البريطاني إلى اللورد روتشيلد، من أثرياء اليهود في لندن ورد فيه "إن حكومة بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، بشرط عدم المساس بحقوق الجماعات غير اليهودية في فلسطين"^(١)، وقد تعمّد المؤلف حذف عبارة "وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية" من

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: مسع آل העבר המאה העשרים בזכות החירות، מטח، המרכז

לטכנולוגיה חינוכית היחידה להוראה מותאמת، 1999، יחידה 1، פרק ג', עמוד ٦١.

نص الخطاب طمساً لحقيقة الدور البريطاني في دعم الفكرة الصهيونية مع أن الفصل سالف الذكر أكد صراحةً على التزام حكومة بريطانيا بتعهداتها لحلفائها في الحرب العالمية الأولى، سواء كانت هذه التعهدات في صورة اتفاقيات رسمية، كاتفاقية "سايكس بيكو"^(١) التي وقعت مع فرنسا، أو في صورة رسائل متبادلة مع شخصيات أو تنظيمات لها مصالح مشتركة مع بريطانيا مثل "وعد بلفور" الذي سلّمه اللورد روتشيلد إلى "ההסתדרות הציונית" المستندوت الصهيونية "نقابة العمال العامة"^(٢).

ويطرح التساؤل التالي نفسه: لماذا صدر "وعد بلفور" هذا الخطاب المهم في نتائجه بهذا الشكل غير الرسمي؛ فلم يأخذ شكل معاهدة أو اتفاق رسمي؟ وللإجابة على هذا التساؤل يمكننا القول أن فلسطين في ذلك التاريخ ١٩١٧ كانت لاتزال تابعة للسلطة العثمانية ولم يكن لبريطانيا أى سلطة عليها تمنحها الحق في تقرير مصيرها على هذا النحو، بالإضافة إلى أنه "لم يكن بإمكان الحكومة البريطانية التعامل الرسمي مع المنظمة الصهيونية كممثل شرعي ليهود العالم، ما دامت تلك المنظمة لم تكن تمثل إلا أقلية محدودة من اليهود، وما دامت الأكثرية الكبرى، من يهود الغرب ضدها"^(٣).

وبعد أن تقرّر في مؤتمر سان ريمو، المنعقد في إيطاليا عام (١٩٢٠)، أن تتولى بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين قامت بريطانيا بإعداد صكّ الانتداب، مشيرةً في بدايته إلى تصريح بلفور، الذي تم التصديق عليه بواسطة عصبة الأمم (١٩٢٢)، وهكذا كما ورد في الكتاب محل الدراسة "نال الوعد لأول مرة صلاحية قانونية ودولية"^(٤).

يعرض الكتاب محل الدراسة لعدد من المواد الواردة في صكّ الانتداب والمتعلقة بتسهيل إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين والتي رأيت ضرورة الوقوف عندها وهى كالآتي:

(١) اتفاقية سايكس بيكو (مايو ١٩١٦): الاتفاقية التي وقعت بين مارك سايكس من وزارة الخارجية البريطانية وبين جورج بيكو من وزارة الخارجية الفرنسية. ووفقاً للاتفاقية اقتصمت الدولتين بينهما أراض الإمبراطورية العثمانية بعد انهيارها.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד ٦١.

(٣) أبو خضراء، فيصل: تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمنة والحل، مركز الإعلام العربي- بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ٨٤، ٨٥.

(٤) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד ٦١.

المادة الثانية: وتحدث عن مسئولية حكومة الانتداب عن إقامة "الوطن القومي اليهودي" وذلك بتهيئة ظروف سياسية وإدارية واقتصادية تسمح بذلك، كذلك مسئوليتها عن المحافظة على حقوق المواطنة والحقوق الدينية لكل سكان فلسطين دون تمييز بين شعب وشعب أو بين ديانة وأخرى.

المادة الثالثة: مسئولية حكومة الانتداب عن تشجيع حكم ذاتي.

المادة الرابعة: وهى المادة التي تحدّد دور "סוכנות יהודית" الوكالة اليهودية في إسداء المشورة لحكومة الانتداب والتعاون معها في كل الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها المتعلقة بإقامة الوطن القومي اليهودي^(١).

وعند الحديث عن دور الوكالة اليهودية نرى في ذلك تطبيقاً لخطّة هرتسل الواردة في كتابه "دولة اليهود" والذي صدر عام ١٨٩٦.

المادة السادسة: وتحدث عن دور حكومة الانتداب في تسهيل هجرة اليهود من خلال تعاون مع الوكالة اليهودية وتشجيع استيطان يهودي بشكل مكثّف في أراضي الدولة ، والأراضي البور^(٢).

وبذلك تكون حكومة الانتداب قد سهّلت انتقال الأراضي الحكومية والأراضي البور لليهود اعتماداً على المادة السادسة من وثيقة الانتداب، والواقع إن حكومة الانتداب لم تكتف بذلك بل قامت بنزع ملكية كثير من الأراضي المملوكة للعرب بحجة استغلالها للمرافق العامة استناداً إلى قانون نزع الملكية للمصلحة العامة، "لقد كان من أبرز مساوئ الانتداب البريطاني أن سهلت الإدارة البريطانية انتقال الأراضي الفلسطينية للمهاجرين اليهود وسهلت استقرارهم في الأراضي الزراعية... مستغلة عجز كثير من الملاك العرب عن دفع الضرائب العقارية، فلم يجدوا جهة حكومية أو مصرفية تقدم لهم الائتمان الزراعي الضروري سوى المرابين اليهود، الأمر الذي أدى في النهاية إلى توقيع الحجز على كثير من أراضي العرب وشرائها بواسطة اليهود"^(٣)، وكانت هذه إحدى وسائل الضغط والتحاييل التي لجأ إليها اليهود للاستيلاء على الأراضي.

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 62.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד ٦٢.

(٣) الشامي، رشاد عبد الله : الصهيونية من الفكرة إلى الحركة في العصر الحديث، ٢٠٠٥، ص ٢٥.

المادة الثانية والعشرون: الإنجليزية، والعربية والعبرية ستكون اللغات الرسمية لفلسطين، أي كلمة أو كتابة منقوشة بالعربية على طوابع أو نقود في فلسطين يجب كتابتها ثانية بالعبرية، وأي كلمة أو كتابة منقوشة بالعربية يجب إعادة كتابتها بالعبرية^(١)، والهدف من وراء هذه المادة التأكيد على أن اليهود والفلسطينيين شركاء في الدولة لأن تدوين الكتابات على الطوابع والعملة يؤكّد سلطة الدولة ويعززها ولذلك أكّد على الكتابة باللغتين العبرية والعربية.

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد عرض الكتاب لعدد من المواد الواردة في صكّ الانتداب؛ قام محرّر الكتاب بربط بعض هذه المواد بتعهدات بريطانيا الواردة في وعد بلفور بتسهيل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين من خلال سؤاليين طرحهما على الطلاب أحدهما يسأل عن وضع الوكالة اليهودية ودورها وفقاً لما جاء في مواد وثيقة الانتداب، ويرشد الطالب إلى الاستعانة بالمادة الرابعة والسادسة، والآخر يسأل عن التقيد بتنفيذ تعهدات بريطانيا بإقامة وطن لليهود في فلسطين ويرشد أيضاً الطالب إلى الاستعانة بالمادة الثالثة والسادسة^(٢).

وفي ذلك تثبيت وترسيخ للمعلومات في ذهن الطالب الذي ستكون إجابته عن السؤال الخاص بوضع الوكالة اليهودية ودورها في ضوء المادة الرابعة والسادسة كالاتي:

١- إسداء المشورة لحكومة الانتداب والتعاون معها في كل الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فيما يتعلق بإقامة الوطن القومي اليهودي.

٢- تسهيل هجرة اليهود وتشجيع الاستيطان اليهودي بشكل مكثّف في أراضي الدولة ، والأراضي البور.

أما إجابته عن السؤال الخاص بالتزام بريطانيا بتعهداتها المثلثة في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين في ضوء المادة الثالثة والسادسة فستكون كالاتي:

١- تشجيع قيام حكم ذاتي.

٢- تسهيل هجرة اليهود من خلال التعاون مع الوكالة اليهودية وتشجيع الاستيطان اليهودي بشكل مكثّف في أراضي الدولة ، والأراضي البور.

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر المامه العشرى شم، عمود ٦٢.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر المامه العشرى شم، عمود ٦٢.

وقد اهتم الكتاب محل الدراسة بوضع خريطة للمناطق الواقعة تحت الانتداب البريطاني والانتداب الفرنسي في الشرق الأوسط (راجع ملحق الدراسة)، وخريطة لحدود فلسطين عام ١٩٢٢ كوسيلة إيضاحية للطلاب تخدم المادة العلمية المقدمة في هذا الموضوع، وقد استُبدلت الأسماء العربية للبلدان الفلسطينية في الخريطة بأسماء عبرية، على سبيل المثال: שכם شيكم بدلاً من نابلس، חברון بدلاً من الخليل؛ وذلك بهدف طمس الهوية الفلسطينية. كذلك تم توزيع عدد من المستوطنات اليهودية على الخريطة منها פתח תקווה "بتاح تكفاه" وهي أول مستوطنة زراعية في فلسطين. فقد أُسست عام ١٨٧٨، وكانت محطة مهمة في تاريخ الهجرة الثانية والحركة العمالية في فلسطين، وقد أطلقوا عليها اسم بتاح تكفاه مثلما جاء في التوراة: "ושעבך أنقله إلى بتاح تكفاه"^(١)، וְאַתָּה לְיִשׁוּן לְתִישׁוֹן "ريشون لتسيون" أُسست عام ١٨٨٢ في سفوح جبال القدس كمستوطنة زراعية على أيدي حركة "أحباء صهيون" وأعضاء "بيلو". وكانت أول مستوطنة عبرية تقام في هذه المنطقة. وقد أخذ طابعها الزراعي بالزوال تدريجياً إلى أن أصبحت مدينة عام ١٩٥٠^(٢)، وأصبح زخرون يعقوف أول مستوطنة زراعية يهودية على جبل الكرمل أُسست عام ١٨٨٢ وسميت على اسم يعقوب، والد البارون بنيامين ادموند دي روتشيلد، فقد كانت إحدى مستوطنات البارون^(٣) (راجع ملحق الدراسة).

كما تضمن الكتاب إحصائيات لعدد سكان فلسطين خلال الأعوام ١٩٢٢ و ١٩٣١ و ١٩٣٩ من واقع تعداد أجرته حكومة الانتداب في فلسطين، وإيضاح ذلك للطلاب برسم تخطيطي تضمن المعلومات الآتية:

عام	١٩٢٢	١٩٣١	١٩٣٩
مسلمون	٪٧٨.٣٤	٪٧٣.٥٢	٪٦١.٧٤

(١) تلمی، افرايم ومناحم: معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمی، دار الجليل، ط١، ١٩٨٨، ص ٣٧٣.

(٢) تلمی، افرايم ومناحم: معجم المصطلحات الصهيونية، المرجع السابق، ص ٤٢٣، ٤٢٢.

(٣) تلمی، افرايم ومناحم: المرجع السابق، ص ١٨٩.

المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

يهود	٪ ١١.١٤	٪ ١٦.٩٠	٪ ٢٩.٦٦
مسيحيون	٪ ٩.٥٠	٪ ٨.٦٠	٪ ٧.٧٩
آخرون	٪ ١.٠٢	٪ ٠.٩٨	٪ ٠.٨١

وقام محرّر الكتاب بالتعليق على ذلك قائلاً "أجرت حكومة الانتداب أول إحصاء لسكان فلسطين عام ١٩٢٢. وأصبح متوفراً بين أيدينا منذ ذلك العام بيانات ديموغرافية معتمدة عن سكان البلاد اليهود والعرب"^(١).

وبعد عرض الكتاب نسب تعداد السكان طرح على الطلاب السؤال : "ما هي التغييرات الديموغرافية التي طرأت على فلسطين وفق لهذا الرسم التخطيطي"^(٢)؟". والإجابة هي تزايد عدد السكان اليهود في فلسطين على حساب عدد سكانها من المسلمين والمسيحيين الذين انخفض تعدادهم نسبياً.

ويعود الفضل في هذه الزيادة العددية لسكان فلسطين من اليهود إلى ما قدمته حكومة الانتداب من دعم ومساندة للاستيطان اليهودي في فلسطين، "وهكذا يمكن القول بأن فترة الاحتلال البريطاني لفلسطين تعتبر فترة ذهبية للصهيونية، إذ تمكنت خلالها أيضاً من إنشاء "دائرة للاستيطان" في المنظمة الصهيونية العالمية، وتم السماح في مطلع عام ١٩٢١ وبصورة شرعية، وبحماية بريطانية بهجرة اليهود إلى فلسطين"^(٣).

ويقوم الكتاب، عقب كل موضوع، بطرح عدد قليل من الأسئلة التي تبدو بسيطة ولكن يلاحظ أنها مركّزة وإجاباتها البسيطة تخدم جوهر الموضوع بطريقة مباشرة تعلق في ذهن الطالب دون إحداث نوع من الإجهاد الذهني أو الملل له.

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر، الماهة العشريم شم، عمود 63.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر، الماهة العشريم شم، عمود 63.

(٣) عناب، محمد رشيد: الاستيطان الصهيوني في القدس ١٩٦٧ - ١٩٩٣، بيت المقدس للنشر، ط١، ٢٠٠١، ص ٤٩.

القضية الثانية:

علاقة الاستيطان اليهودي ببريطانيا:

ورد في الكتاب محل الدراسة عنوان مفاده: "نظام الحكم الانتدابي في فلسطين" جاء فيه: اعترف المندوب السامي الأول في فلسطين، هربرت صموئيل، (وهو سياسي بريطاني من أصل يهودي، ساند وعد بلفور، وكان معروفاً بتأييده للصهيونية)، بمؤسسات الاستيطان السياسية. فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أُجريت في فلسطين انتخابات لاختيار أول مجلس نواب للاستيطان، وتم انتخاب مؤسسات الاستيطان السياسية. ونظراً لانعقاد مجلس النواب في فترات متباعدة أُخترت من داخله لجنة قومية، تنعقد في فترات متقاربة لبحث شؤون الاستيطان وهي كسلطة تنفيذية تمثل الاستيطان في اتصالاته مع الحكومة البريطانية، وتنفذ قرارات مجلس النواب، وتحدد السياسات الآتية... وظهرت مؤسسات الحكم الذاتي الخاصة "باليشوف" "יישוב" بالاستيطان إلى حيز الوجود وعُرفت باسم "כנסת ישראל" "كنيست إسرائيل" (١٩٢٧)، وهو الاسم الرسمي للاستيطان اليهودي في فلسطين^(١).

وطرح السؤال التالي على الطلاب: **لماذا سمحت سلطات الانتداب البريطاني للاستيطان اليهودي بإقامة مؤسسات سياسية؟**

والإجابة: لأن هذه المؤسسات من شأنها المساهمة في إقامة الحكم الذاتي وتقويته. طبقاً لما نصت عليه المادة الثالثة من صك الانتداب والخاصة بتشجيع الحكم الذاتي. سلط الكتاب محل الدراسة الضوء على دور هذه المؤسسات على النحو التالي: "قامت المؤسسات المنتخبة بتمثيل الاستيطان اليهودي في فلسطين تمثيلاً سياسياً وقضائياً أمام الحكم البريطاني، وساهمت في إقامة الحكم الذاتي وتقويته. وبمساعدها أدار الاستيطان نظام التعليم والصحة والعمالة بشكل مستقل"^(٢)....

هكذا نرى دور المندوب السامي البريطاني، هربرت صموئيل، في تعزيز حكم ذاتي لليهود في فلسطين بالسماح بإقامة المؤسسات السياسية التي تضمن استقلالية المجتمع اليهودي في فلسطين، وتمثل حلقة وصل بين الاستيطان والحكومة البريطانية.

(١) برتل، إسرائيل وآخرون: مسع אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 65 : 66.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرون: مسع אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 66.

والسؤال: وماذا عن شئون الاستيطان الدينية؟

والإجابة في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة هي: "كانت شئون الاستيطان الدينية موكلة في فترة الانتداب للحاخامية الرئيسية وعلى رأسها حاخامان أكبران أحدهما سفاردي وهو الحاخام يعقوب مائير والآخر أشكنازي وهو الحاخام يتسحاق كوك، وإلى جانبها هيئة الحاخامية الرئيسية. وقد انحصر اهتمامهما في شئون الدين وأمور الزواج والطلاق والمواريث^(١)".

وهنا يقفز التساؤل: هل بالفعل اقتصر دور الحاخام الرئيسي على الشئون الدينية أم كان له

بعد سياسي؟

لقد كان وراء اختيار الحاخام يتسحاق كوك مغزى خفي فهو الرجل الذي قام ببلورة وجهة نظر فلسفية جديدة، أضفت الشرعية الدينية على هجرة العناصر العلمانية إلى فلسطين في إطار شرائع توطین فلسطين، واعتبرت أن بناء البلاد على يد "الرواد" "هحالوتسيم" أبناء الهجرة الثالثة، يمثل حلقة في مسيرة خلاص الشعب اليهودي.

كما أن الحاخام كوك يمثل الصهيونية الدينية التي قبلت التعاون مع العلمانيين في سبيل تحقيق هدف توطین اليهود في فلسطين باعتبارها "أرض الميعاد" في معتقدهم الديني، "ومما لا شك فيه أن وضع الحاخام كوك داخل القيادة الصهيونية وانسجامة مع "اليشوف الجديد" "الاستيطان الجديد" كان من العوامل المرجحة التي أخذها في الاعتبار زعماء مؤسسة "اليشوف" الأشكنازي القديم ورؤساء اللجنة العامة عندما قرروا اختياره زعيماً دينياً لهم. فقد رأوا، أن رئاسته للمؤسسات سوف تحسن صورتهم في نظر يهود الشتات وتساعد في الحصول على الدعم المالي، ويستدل على ذلك من أن دعوته قد تمت من خلال الاتفاق مع القيادة الصهيونية وبموافقتها وربما بتشجيع منها أيضاً^(٢)".

لقد استغلت الحركة الصهيونية العقيدة اليهودية لسد الفراغ الإيماني الذي تعاني منه الحركة، نظراً لافتقارها الشديد إلى رمز تلتف حوله الجماهير اليهودية؛ لتنفيذ مخطط يهدف إلى اقتلاع أعداد غفيرة من اليهود من أوطانهم وغرسهم في فلسطين، فلجأت إلى الرموز الدينية،

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 66.

(٢) פרידמן، מנחם: חברה ודת האורטודוקסיה הלא - ציונית בארץ - ישראל 1918 - 1936, פרק שלישי: הרב קוק-בין מסורת לחידוש, הוצאת יד יצחק בן צבי, ירושלים, ١٩٨٨, עמוד 88:87.

واستلهاهم التراث الديني، لإضفاء الشرعية على دعوتها لاستيطان فلسطين. وهنا تكمن أهمية الحاخام كوك.

وعلى الجانب الآخر "رأى الحاخام كوك، أن العلمانيين هم بمثابة "حمار المسيح"^(١) يمتطيه المسيح الديني الروحاني، فينما يقوم العلمانيون ببناء الدولة المادية، يأتي طابور المتدينين ليسيّط ويخلق الدولة المسيحانية الروحانية... يرى كوك أن الصهيونية هي بمثابة بداية الخلاص، ويكون للحمار العلماني الدنس دور فيها، فهو صانع الدولة، الذي يبنى والذي يقدر له في النهاية أن يكون خاضعاً تماماً"^(٢).

وقد تجاهل الكتاب محل الدراسة هذا الطرح بشكل متعمّد ولم يشر من قريب أو بعيد إلى الدور الذي لعبه الحاخام كوك، باعتباره أحد أهم رواد الصهيونية الدينية.

وعلى الجانب الفلسطيني:

ذكر الكتاب محل الدراسة أنه "في الوقت الذي يقيم فيه الاستيطان اليهودي مؤسساته، لم تجر عملية مماثلة بين العرب بل قامت عائلات عربية قوية بتمثيل شئون العرب:

١- عمل راغب النشاشيبي رئيساً لبلدية القدس.

٢- عين هريبرت صموئيل، الحاج أمين الحسيني في منصب مفتي القدس في مارس ١٩٢١،... ثم تمّ اختياره رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى ومشرفاً على الأماكن المقدسة وكان بمثابة القائد السياسي والقومي للفلسطينيين.

٣- خضعت شئون الطوائف المسيحية في فلسطين لإدارة المؤسسات الكنسية المختلفة"^(٣).

^(١) الحمار: يَنتشر ذكر الحمار في المصادر اليهودية. وقد تم الربط بين الحمار والشيطان، وقد ورد عن (الجوييم)؛ وهم الشعوب غير اليهودية، قد ورد عنهم في (الجمارا) (يفاموت ٦٢): "إنهم شعب يشبه الحمار". وقد تم تشبيه شعوب الأرض في مواقع كثيرة للغاية داخل المصادر اليهودية بالحمار أيضاً". (زوهار- سفر الخروج ٤٣ - الجمارا بساحيم ٤٩ غريزته. (الشامي، رشاد(د): موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري، ٢٠٠٢، ص ١٣٢ : ١٣٣).

^(٢) ركلبسكي، سفي: حمورو של משיח، ידיעות אחרונות، ספרי חמד، גדפס בישראל، 1998، עמוד 23.

^(٣) ברטל، ישראל ואחרים: מסע אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 67.

كما طرح على الطلاب السؤال التالي: **لماذا لم يعمل العرب على إقامة مؤسسات سياسية خاصة بهم؟ والإجابة:** كما لم ترد في الكتاب: "حُرِّم سكان فلسطين من العرب المسلمين والمسيحيين في ظل الانتداب من حقهم في الحكم الذاتي، فلم تكن لهم منظمة سياسية معترف بدورها في الحكم، كما لم تكن لهم هيئات محلية ماثلة للجمعية اليهودية وللمجلس التنفيذي اليهودي. وكان للمسلمين العرب منظمة ذات طابع ديني وخيري وهي المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يتم اختيار أعضائه بالانتخاب ثم أصبحوا يعينون بواسطة المندوب السامي البريطاني، وكان المجلس الإسلامي يشرف على المحاكم الشرعية وعلى الأوقاف. ثم أنشئ المؤتمر العربي الفلسطيني كهيئة سياسية للدفاع عن مصالح العرب"^(١).

وهنا تقفز المقارنة التي أراد مؤلف الكتاب محل الدراسة أن يعقدها طلابه في أذهانهم بين جماعة يهودية منظمة قادرة على إدارة شئونها متمتعة بحكم ذاتي واستقلالية من خلال مؤسسات منتخبة، وبين جانب فلسطيني يدير شئونه بشكل عائلي تسيطر فيه عائلات عربية، ومجلس ديني يتم تعيين أعضائه بواسطة المندوب السامي البريطاني.

القضية الثالثة:

الهجرات اليهودية إلى فلسطين بدايةً من الهجرة الثالثة والتي أطلق عليها "لألايت
החלוצים" "هجرة محالوتسيم".

تعمد الصهاينة استخدام مصطلح "החלוצים" "محالوتسيم" لرفع قدر ومنزلة هؤلاء الأفراد الذين بادروا باستيطان فلسطين وأخذوا على عاتقهم بناء المستوطنات والعمل الزراعي؛ ولذلك أطلقوا عليهم مصطلح "החלוצים" الذي يعني في العربية "الرواد" أو "الطلائع".

وفق ما ورد في الكتاب محل الدراسة فإن تسمية الهجرات قد تم وفق التسلسل الزمني، كما تم تعريف كل موجة هجرة وفق ما يميزها من ملامح اجتماعية وأيديولوجية حتى إذا كانت تلك الملامح لا تنطبق على غالبية المهاجرين. فالهجرة الثالثة سُميت "هجرة

(١) الشامي، رشاد عبد الله : مرجع سابق، ص ٢٥ : ٢٦

مخالوتسيم": هجرة تتجه إلى الاستيطان الزراعي رغم أن أغلبية المهاجرين فيها استوطنوا في مراكز حضرية. أما الهجرة الرابعة فقد أُطلق عليها "هجرة البورجوازيين"، بالرغم من أن أعضاءها اتجهوا للاستيطان الزراعي^(١).

الهجرة الثالثة (ديسمبر ١٩١٩):

خلال السنوات الأربع للهجرة الثالثة (١٩١٩ - ١٩٢٣) وصل إلى فلسطين حوالي (٣٤) ألف مهاجر، أغلبهم من شرق أوروبا، وفق ما جاء في الكتاب محل الدراسة.

والسؤال : ما هي عوامل الدفع من أوروبا والجذب إلى فلسطين كما عرضها الكتاب؟ وقد رأيت تلخيصها ووضعها في نقاط على النحو الآتي:

١- أثناء الحرب العالمية الأولى تعرض بعض اليهود للطرد من منازلهم، وفقدان ممتلكاتهم دون الحصول على أي تعويض.

٢- تزايدت ظواهر "האנטישמיות" "معاداة السامية" في الدول القومية الجديدة التي نشأت في شرق أوروبا بعد الحرب، فتعرض اليهود في أوكرانيا، وبولندا، والمجر ورومانيا لموجة مطاردات واعتداءات.

ويعرض الكتاب لفكرة "محنة اليهود" في شرق أوروبا، واتجاه الأمل نحو مستقبل أفضل في فلسطين.

٣- إصدار وعد بلفور الذي وضع الأسس لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

٤- وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية، الانتداب^(٢).

نجد هنا ترسيخ لمصطلح "معاداة السامية" في أذهان الطلاب كعامل دفع نحو استيطان فلسطين. وهو المصطلح الذي أجادت الحركة الصهيونية استخدامه واستغلاله.

وبما يتعارض مع الطرح السابق، نرى فيصل أبو خضرا، يعرض في كتابه "تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمة والحل" طرحةً مختلفاً حيث يرى أن "الموجة اللاسامية التي ظهرت في بعض أنحاء القارة الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر كانت موجة محدودة لا تقاس بما

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 68.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 68.

عرفته أوروبا من عداء لليهود في مراحل تاريخية سابقة لاسيما في القرون الوسطى... ويصل إلى استنتاجين كبيرين: الأول: أن ظاهرة العداء لليهود، التي قامت في بعض بلدان أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، لم تكن إطلاقاً أساساً لقيام الدعوة الصهيونية، كما لم تكن الدافع الرئيسي للبحث عن دولة لليهود، وإن كانت قد سهلت للصهاينة مهمتهم. أما الأساس في ذلك فهو ظهور النزعتين الاستعمارية والقومية في أوروبا حيث أقحم فيهما الصهيونيون مشروعاتهم، أما الاستنتاج الثاني والأخطر، فهو رهان الاتجاه الصهيوني على اللاسامية، واندفاعه للتنسيق معها، ودوره الكبير في تطويرها حتى الوصول بها إلى النازية. فقد أدرك الصهيونيون منذ البداية، أن انتهاء العداء لليهود في أوروبا يعني انتهاء دعوتهم⁽¹⁾.

ويعزز هذا الطرح في اعتقادي، حقيقة أنه كان لظهور القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر أثر بالغ الأهمية على اليهود؛ فبدأت صيحاتهم تتعالى مناديةً "لماذا لا نكون شعباً مثل سائر الشعوب"، وقد سبق ذلك أيضاً ظهور حركة التنوير اليهودية "المسكالاه" خلال منتصف القرن الثامن عشر بتأثير "حركة التنوير الأوروبية".

وقد طرح الكتاب سؤالين على الطلاب، الأول: "ما هي الأسماء التي أطلقت على الهجرات الكبيرة التي وصلت إلى دولة إسرائيل؟ وبماذا تميز كل اسم؟"، والسؤال الثاني: "ما هي أهم الأحداث التي وقعت في روسيا وأثرت على المهاجرين الذين وصلوا في الهجرة الثالثة⁽²⁾؟" ويرشد الكتاب طلابه إلى الاستعانة في الإجابة بالصفحتين ٣٢ و ٣٣ من الكتاب.

وهنا يجب أن نقف عند السؤال الأول على مصطلح "מדינת ישראל" "دولة إسرائيل"، وما يمثله من طمس للحقيقة في أذهان الطلاب، ففي تلك الفترة (١٩١٩ وحتى العام ١٩٤٨) لم يكن على أرض الواقع ما يسمى بإسرائيل، بل فلسطين. أما في السؤال الثاني فقد رأيت في إحالة الطالب في إجابته إلى الصفحتين (٣٢ و ٣٣) من الكتاب، دقة في توجيه الطالب وتيسيراً عليه في الربط بين أجزاء الكتاب وفصوله

(١) أبو خضرا، فيصل: تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمنة والحل، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 68.

فالفصحتان تتناولان الثورة البلشفية في روسيا، والدور الذي لعبه فلاديمير لينين خلال تلك الثورة وما بعدها من نشوب حرب أهلية استمرت من (١٩١٨ - ١٩٢١)^(١).

ولترسيخ المفاهيم الصهيونية في أذهان الطلاب لجأ الكتاب إلى التعريف ببعض المصطلحات الصهيونية مثل مصطلح "החלוטס" "هالوتس".

يتطرق الكتاب في تناوله للهجرة الثالثة إلى حركة "هالوتس" وفيما يلي عرض موجز لما ذكره في هذا الصدد: "وتُعرف الهجرة الثالثة باسم "هجرة هالوتسيم" نسبة إلى حركة "هالوتس" التي تأسست في روسيا عام (١٩١٧) والتي قامت بنشاط منظم في إعداد أعضائها للحياة الجديدة في فلسطين قبل هجرتهم إليها؛ إذ أعدت لهم "חווית הכשרה" معسكرات تأهيل وتدريب مارسوا فيها "עבודת הקלאים" العمل الزراعي و"חיי שיטוח" الحياة المشتركة. وتتبنى الحركة مبدأ الهجرة الجماعية لا الفردية وتضع الالمام باللغة العبرية ضمن الشروط اللازمة للهجرة، وكان يوسف ترومبلدور أحد مؤسسي "هالوتس"، وقد أرسلته الحركة في عام (١٩١٩) إلى فلسطين لمعرفة مدى إمكانية الهجرة ومدى استيعاب المهاجرين^(١)".

ولترسيخ مفهوم "الاستيطان" في أذهان الطلاب عرض الكتاب وثيقة خاصة بالقرارات التي اتخذها اتحاد جمعيات هؤلاء الحالوتسيم في أولى جلساته عام (١٩١٨) والتي تنصّ على الهدف الاستيطاني وعلى واجبات الأعضاء والتزاماتهم على النحو التالي:

١- "يجب على كل عضو إعداد نفسه على الفور للعمل في البلاد (يقصد بالبلاد في فلسطين).

٢- "يجب على كل "حالوتس" الانتقال إلى البلاد بأمر اللجنة.

٣- "يجب على كل "حالوتس" أن يضع نفسه في فلسطين تحت سلطة المستدروت (نقابة العمال العامة) لثلاث سنوات.

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 31: 32.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 68.

- ٤- يجب على كل "حالوتس" تبني مفهوم "مخالوتس".
٥- يجب على كل "حالوتس" أن يكون مستعداً للحياة مع رفاقه في الجمعية على أساس المساعدة المتبادلة.
٦- يجب أن يكون كل "حالوتس" قادراً بعد فترة ما على استخدام اللغة العبرية في فلسطين^(١).

يتضح مما تقدّم أن الحديث عن الهجرة اليهودية تخلله عدد من المصطلحات: "لأליה" الهجرة - "יישוב" الاستيطان - "קליטה" استيعاب المهاجرين - "חוות הכשרה" معسكرات التأهيل - "עבודה חקלאית" العمل الزراعي - "חיי שיתוף" الحياة المشتركة - وهي كلها مصطلحات صهيونية تنتمي إلى الصهيونية العملية التي تؤمن بالهجرة والاستيطان. وقد تكرّرت هذه المصطلحات بكثرة على مدار صفحات الكتاب التي تتناول مرحلة ما قبل حرب ١٩٤٨.

الهجرة الرابعة (١٩٢٤ - ١٩٢٨):

دوافعها وأهم ما يميزها :

يتضح مما ورد في الكتاب الذي نحن بصدده أن لهذه الهجرة سببين ، **الأول:** تعرّض اليهود في بولندا لفرض ضرائب باهظة الأمر الذي جعلهم يهاجرون إلى فلسطين بأعداد هائلة، **والثاني:** قيام الولايات المتحدة الأمريكية بفرض قيود صارمة على دخول المهاجرين من شرق أوروبا إليها فاتجهوا إلى فلسطين.

وقد تميزت الهجرة الرابعة بأن قوامها (٦٠) ألف مهاجر تقريباً وأنها كانت تضم أعداد كبيرة من الأسر التي تنتمي إلى الطبقة الوسطى، وقد جاء هؤلاء المهاجرون وهم يحملون معهم رؤوس أموالهم الشخصية حيث أن معظمهم من التجار وأصحاب الحرف والأعمال الصناعية الصغيرة وهذا بخلاف ما تميزت به الهجرة الثالثة التي كان معظم أفرادها من العزّاب^(٢).

(١) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 69.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع אל העבר המאה העשרים שם، עמוד 75.

وهنا ينبغي التأكيد على أهمية يهود شرق أوروبا. فلولا وجود يهود روسيا وشرق أوروبا لما كان للصهيونية قضية وما كان لها أن تنشأ. ولذلك فقد استاء زعماء يهود أوروبا الشرقية من وجود القيادة في السنوات الأولى في يد الغربيين أمثال هرتسل، وقد علّق الزعيم الشرقي وايزمان على ذلك بقوله "أنه بفضل اليهود الروس وجد هرتسل حركة جاهزة له، فنحن لم نأت إلى فلسطين بمبادئنا فحسب وإنما بشعبنا أيضاً، ووصف هرتسل بأنه لم يكن يعلم بوجود "محنة صهيون" ولم يذكر فلسطين، وأنه كان يجهل اللغة العبرية^(١)"، وبالتالي أصبحت تلك الجماهير الأداة الرئيسية لتحقيق أهداف الصهيونية.

إذا نظرنا إلى الدافع الثاني المتمثل في فرض الولايات المتحدة الأمريكية قيوداً قاسية على دخول المهاجرين من شرق أوروبا، والذي صب في زيادة أعداد اليهود المهاجرين إلى فلسطين؛ لوقفنا على حقيقة ما كانت تمثله أمريكا كقوة جذب لليهود. وأن قطاعات كبيرة من اليهود كانت تفضل الإقامة في دولة أكثر تقدماً وتطوراً، مثل الولايات المتحدة؛ وذلك على الرغم من أن أبواب الهجرة إلى فلسطين كانت مفتوحة أمام يهود العالم بدعم من بريطانيا ومساندتها.

القضية الرابعة:

ردّ الفعل العربي على الاستيطان اليهودي في فلسطين:

يجيء الفصل الثالث من الوحدة الأولى بالكتاب تحت عنوان "تكوّن مجتمع جديد في فلسطين" وقد تطرّق إلى ردّ الفعل العربي على الاستيطان اليهودي في فلسطين بالقول: "تابع العرب بقلق شديد تزايد الهجرة إلى فلسطين، وشراء الأراضي وإقامة المستوطنات الجديدة. وادّعوا أن سياسات المندوب السامي وحكومة بريطانيا موالية للصهيونية، وطالبوا حكومة بريطانيا بوقف هجرة اليهود^(٢)".

بدأ الكتاب يصوّر أعمال عنف ضد يهود "أحداث مايو ١٩٢١"، مشيراً إلى مقتل الكاتب يوسف حاييم برينر^(٣) وبعض رفاقه في تلك الأحداث التي وقعت في أحد البساتين

(١) الشامي، رشاد عبد الله: المرجع السابق، ص ١٣٧: ١٣٨.

(٢) برتل، إسرائيل وأخريه: مسع آل העבר המאה העשרים שם، עמוד 79.

(٣) يوسف حاييم برينر (١٨٨١ - ١٩٢١): كاتب من مواليد روسيا. هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٩.

كتب قصص تصف حياة العمال وتخطبات الفرد إزاء صعوبات الهجرة والاندماج في مجتمع جديد.

بالقرب من يافا، وإلى امتداد الأحداث إلى مستوطنات أخرى مثل بتاح تكفا، حديره "الخضيرة"، رحوفوت.

ولم يعرض الكتاب محل الدراسة على طلابه سبب تلك الأحداث التي نشبت "في أول مايو ١٩٢١، بوقوع اشتباكات بين الفلسطينيين واليهود في مدينة يافا إثر قيام المستدروت بتنظيم مظاهرة للعمال اليهود رفعوا خلالها الرايات الصهيونية، وهو الأمر الذي استفز مشاعر الفلسطينيين الذين رأوا في ذلك إعلاناً عن قيام حكومة يهودية في فلسطين. وقد امتدت الاشتباكات إلى القرى والمدن المجاورة واستمرت نحو خمسة عشر يوماً تعرّض المواطنون الفلسطينيون خلالها لقمع السلطات البريطانية والمستوطنين الصهاينة على حدّ سواء^(١)".

ويركز الكتاب على مفهوم "العنف" الموجه ضد اليهود ليخلق في مواجهته مفهوم العنف المضاد من جانب اليهود؛ تحت غطاء الدفاع عن النفس، وكأن الدفاع عن النفس مقصور على اليهود فقط وليس من حق الفلسطينيين أو غيرهم الحق في الدفاع عن أنفسهم ولا شك أن في ذلك تزييفاً للحقائق وتشويشاً متعمداً في أذهان الدارسين.

ويؤرخ الكتاب لفكرة إقامة قوة دفاع ذاتية أطلق عليها "הגנה" "هجاناه" وعلى الاسم نفسه علامة استفهام لأن اختياره كان مقصوداً فهو يعني في العربية "دفاع"، وهنا نتساءل من الذي يدافع ومن الذي يعتدي. ورد في الكتاب محل الدراسة "ظهرت فكرة إقامة قوة دفاع ذاتية لأول مرة في أعقاب الهجوم على تل حى وهجر مستوطنات "إصبع الجليل"، والأحداث التي وقعت في القدس (فصح ١٩٢٠)، وقد ترسّخ الوعي أن هذه الأحداث لم تقع في إطار نزاع بين جيران بل في إطار نزاع سياسي، تعبيراً عن معارضة عرب فلسطين لوعد بلفور، ولهجرة اليهود وإنشاء مستوطنات في فلسطين. ومن أجل مواجهة هذا الوضع تم الإعلان عن إقامة تنظيم "هجاناه" خلال اجتماع حزب "אחדות העבודה" "واحدية العمل".

(١) المسيري، عبد الوهاب : لجنة هيكرافت

"أحدوت هعقودا" ^(١) ١٩٢٠، ومع إقامة "ההסתדרות" "المستدروت" "نقابة العمال العامة" (١٩٢٠) أصبحت "الهجاناه" تحت رعايتها ^(٢).

ويذكر الكتاب أن أحداث (١٩٢١) هي التي جعلت الاستيطان اليهودي يدرك كم هو مرتبط في الدفاع عن نفسه بقوات الجيش البريطاني، وعلى ضوء هذا زاد الإدراك بأنه يتعين على الاستيطان أن يتكفل بالدفاع عن نفسه بقوات ذاتية، ويشير الكتاب أنه بالرغم من قيام "الهجاناه" بالدفاع عن أحياء في تل أبيب وحيفا أثناء أحداث ١٩٢١، فقد أدرك "اليشوف" الاستيطان اليهودي، أن قدراته الذاتية للدفاع مازالت ضعيفة، وأن عليه الاهتمام بإقامة قيادة قطرية، ترسيخاً لإيجاد قوة للدفاع والتزود بالسلاح والذخيرة، ويرى الكتاب في ذلك المبرر الذي من أجله رفعت "الهجاناه" معدل تجنيد الأعضاء في صفوفها ووسّعت التدريبات بالسلاح الخفيف الذي كانت تشتريه ^(٣).

رد فعل حكومة بريطانيا على أحداث ١٩٢١:

الكتاب الأبيض:

في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة أعلن هيربرت صموئيل في أعقاب أحداث (١٩٢١) عن وقف الهجرة لحين تقصي الحقائق في فلسطين، فقد شكلت حكومة بريطانيا لجنة تحقيق، وبعد عام نشرت حكومة بريطانيا "الكتاب الأبيض" ^(٤) (يونيو ١٩٢٢) وأعلنت فيه سياستها فيما يتعلق بقضية فلسطين، وعُرف هذا الكتاب باسم "كتاب تشرشل الأبيض" نسبة إلى وينستون تشرشل ^(٥) وزير المستوطنات آنذاك، شرحت بريطانيا في الكتاب الأبيض

(١) أحدوت هعقودا: حزب أُقيم عام ١٩١٩. من بين مؤسسيه- دافيد بن جوريون. تطلّع مؤسسوه لتوحيد العمال في فلسطين، من أجل ذلك عملوا ليس فقط في المجال السياسي لكن أيضاً في المجال الاقتصادي، الاجتماعي والأمني.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 79.

(٣) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 79.

(٤) الكتاب الأبيض (white paper): وثيقة اعتادت حكومة بريطانيا إصدارها، وفيه تصرّح أمام البرلمان عن سياستها في موضوع معين. ويرجع الاسم إلى دقة الكتاب باللون الأبيض.

(٥) وينستون تشرشل: (١٨٧٤-١٩٦٥): سياسي كبير في بريطانيا في القرن العشرين. حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى عمل في عدة مناصب: وزير التجارة، وزير الداخلية ووزير البحرية. عمل كرئيس حكومة بريطانيا في الحرب العالمية الثانية وبفضل قيادته نهض الصراع البريطاني القوي ضد النازيين. تنحى عن رئاسة الحكومة عام ١٩٥٥.

أهدافها من وعد بلفور: "لم يحدد وعد بلفور أن فلسطين بأكملها ستصبح وطن قومي يهودي"، ولكن أن وطن قومي يهودي سيقام في فلسطين، وصرّحت بأن وعد بلفور لا يهدف لأن تصبح فلسطين يهودية مثل أن إنجلترا إنجليزية"، مع هذا أكدت بريطانيا أن وعد بلفور غير قابل للتغيير وأن إقامة اليهود في فلسطين هي حق لهم وليست إحساناً، وحدد الكتاب الأبيض "أن الهجرة إلى فلسطين ستستمر، لكن نطاقها سيتحدد وفق "قدرة الاستيعاب الاقتصادية"⁽¹⁾.

وهنا نجد التأكيد على استيطان فلسطين من منظور الحق وليس الاحسان، وتجدر الإشارة إلى أنه قد تم توجيه السؤال الآتي للطلاب: "ما الفارق بين "أرض إسرائيل كوطن قومي" وبين "وطن قومي في أرض إسرائيل"؟ وبداية ينبغي أن نؤكد على الخطأ المتكرر في استخدام مصطلح "أرض إسرائيل" في الفترة الزمنية ما قبل ١٩٤٨ وعلى تعمد استخدام هذا المصطلح والأجدر علمياً وتاريخياً بما أنه كتاب يُدرس لطلاب الصف التاسع أن يقول "فلسطين"، ليصبح السؤال "ما الفارق بين "فلسطين كوطن قومي" وبين "وطن قومي في فلسطين"؟

ويمكننا أن نرى في هذا السؤال تنشيط لمهارات الطالب الذهنية بتدريبه على عقد المقارنة بين مفهومين أحدهما يجعل من فلسطين بأكملها وطناً قومياً لليهود، في حين يرى المفهوم الثاني أن وطناً قومياً لليهود يُقام على جزء من أرض فلسطين.

حائط البراق - بؤرة نزاع بين اليهود والمسلمين:

وضع الكتاب محل الدراسة عنوان فرعي "הכותל המערבי - מוקד לסכסוך בין יהודים למוסלמים" "الحائط الغربي - بؤرة نزاع بين اليهود والمسلمين"، فقد أطلق اليهود على حائط البراق مصطلح "الحائط الغربي" أو "حائط المبكى"؛ ففي معتقدتهم أنه جزء من السور الخارجي الذي كان يحيط بالهيكل، كما سمي بحائط المبكى حيث كان المكان المخصص للبقاء والتعبد على هدم الهيكل. وقد ورد تحت هذا العنوان ما نصه:

(1) ברטל, ישראל ואחרים: מסע אל העבר המאה העשרים, שם, עמוד 79.

"أدى موضوع آخر إلى نشوب نزاع بين اليهود والمسلمين، وهو حق الصلاة بجانب الحائط الغربي، خلال الحكم العثماني سُمح لليهود بالصلاة بجانب الحائط الغربي، لكن كان محظوراً عليهم وضع مقاعد أو حاجز، كما كان محظوراً عليهم وضع أسفار التوراة وكتب الصلوات، حاول اليهود تجاوز المحظورات واحتشد يوم عيد الغفران (سبتمبر ١٩٢٨) مصلّون كثيرون في الساحة الضيقة أمام الحائط ووضعوا حاجزاً بين النساء والرجال، رأى المسلمون في هذا الفعل خطوة أولى في اتجاه السيطرة على منطقة المساجد المقدسة وعلى الحائط الغربي وتعرّضوا لليهود أثناء صلواتهم، وتم استدعاء الشرطة البريطانية التي أزال الحاجز أثناء الصلاة بزعم، أن إقامته تشكل خرقاً للوضع القائم... واستغل المفتي، حاج أمين الحسيني، المواجهة الدينية، وأعلن في أوساط المسلمين في جميع أنحاء العالم، أن المساجد الواقعة في "הר הבית" (جبل الهيكل) ساحة المسجد الأقصى معرضة لخطر السيطرة عليها من جانب اليهود والصهيانية، ودعا المفتي لحشد المسلمين وإلى تبرعات مالية للدفاع عن القدس، مستغلاً الشأن الديني لتأجيج النزاع القومي^(١)."

وهنا يُصوّر الكتاب دفاع المفتي، حاج أمين الحسيني عن المساجد على أنه استغلال لشأن ديني بهدف تأجيج نزاع قومي. ومن المثير للدهشة حقاً، أن يعرض هذا الكتاب، والذي مازال يُدرّس لطلاب الصف التاسع حتى العام (٢٠١٢)، هذا التفسير الذي يشير إلى مبالغة المفتي والمسلمين في تصوير وجود خطر على المساجد المقدسة وعلى الحائط الغربي كما لو كان هذا الأمر ليس له ما يدعمه اليوم على أرض الواقع، وفي الوقت الذي تحتشد فيه جماعات "أنصار الهيكل"؛ وهى مجموعة من الهيئات الدينية التي تعمل على الدفع تجاه فكرة إقامة الهيكل الثالث، وتضع نصب عينيها هدفاً واضحاً، هو هدم المساجد الواقعة في منطقة المسجد الأقصى (مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى)، وبناء الهيكل الثالث على أنقاضها.

وقد تبنت الجماعات والهيئات الدينية المساندة لفكرة إقامة "الهيكل الثالث" نظرية المراحل، ورأت هذه التنظيمات ضرورة اتخاذ خطوات عملية لإقامة الهيكل: تحديث السنهدرين، والبحث عن بقرة حمراء، وإعداد كهنة أطفال^(٢).

(١) - برتل، إسرائيل وأחרى: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד ٨٠.

(٢) مصطفى، هويدا عبد الحميد: الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠١٠، ص ١٢٠، ١٢٤.

و"توجد عشرة هيئات على أقل تقدير تعمل فعلياً في الدائرة الأولى، في دفع عملي لفكرة إقامة الهيكل الثالث، وبرغم أن كل هيئة من هذه الهيئات تعمل في نطاق خاص بها، لكنها ترتبط بالأيديولوجية العامة لأنصار الهيكل التي تقوم على نظرية المراحل، التي على رأسها التعليم وتجديد خدمات الهيكل والشعائر الدينية وفي نهايتها إقامة الهيكل مكان مساجد "جبل الهيكل" باحة الأقصى، وفي الدائرة الثانية مجموعة تضم هيئات دينية، مثل "المحكمة بجوار جبل الهيكل"، وجمعيات استيطانية في شرق القدس، مثل "עשרת כהנים" عطيرت كوهانيم^(١) "تاج الكهنة"، التي يتركز نشاطها في شراء الممتلكات المجاورة لأسوار "جبل الهيكل" ساحة الأقصى، ويشيخوت (مدارس دينية يهودية) متطرفة، مثل يشيفا "שובו בנים" "شوفو بانيم"^(٢) "عودوا أيها الأبناء"، ودوائر من مجلس مستوطنات الضفة وقطاع غزة الذي يعرف اختصاراً "بيشع" "יש" "ע" وحركة "זו ארצנו" "زو أرتسينو"^(٣) (هذه أرضنا)^(٤)....".

(١) عطيرت كوهانيم "تاج الكهنة": أقيمت في ١٩٧٨ كيشيفا لتعليم سفر الكهنة (سفر اللاويين) والقرابين بواسطة رجال يشيفا هجولان. مرتان في العام، في الفصح وفي المظال تُجري عطيرت كوهانيم، بالتعاون مع وزارة الشؤون الدينية وهيئات أخرى اجتماعات لبحث شرائع القدس والهيكل. وقد أكد شلومو أفينير، الذي يشغل منصب حاخام عطيرت كوهانيم على قوانين دراسة الهيكل "بأر، يזהار: המטרה - הר הבית: מבט עכשווי על הר הבית מצד גורמים קנאים ומשיחיים، קשב، מרכז להגנת הדמוקרטיה בישראל ע"ר، עמוד ٦.

www.keshev.org.il

(٢) يشيفا "شوفو بانيم" "عودوا أيها الأبناء": يشيفا "شوفو بانيم" تسكن في الحي الإسلامي في القدس. تتشكل من بعلي בתשובה تائبين، جزء منهم ذو خلفية إجرامية وجزء متخرج من الجيش ذو قدرة تكتيكية. ويجئ غالبية طلاب البشيفا من أحياء تعاني شظف العيش، ومن تجمعات تعاني من البطالة. وتتمثل خطورة هذه الجماعة في المزج بين التعصب الديني، والتطرف القومي، والخلفية الإجرامية. وقد جعلهم قربهم الجغرافي (عشرات الأمتار) والفكري من جبل الهيكل، من الجماعات النشطة فيما يتعلق بجبل الهيكل. بأر، يזהار: המטרה - הר הבית: שם، עמוד ٦.

(٣) حركة "زو أرتسينو" (هذه أرضنا): هي إحدى الحركات اليمينية حديثة المنشأ أعلنت في ديسمبر ١٩٩٣ حين اجتمع مؤسسوها في حي "نقى عليزا" بمستوطنة جينون شمرون في الضفة الغربية بهدف "تأسيس حركة تسلك طريق العصيان المدني ... وقد اعترف "موشيه فيجلين" رئيس الحركة بانتماء حركته إلى معسكر اليمين المتطرف. (الدويك، عبد الغفار (د): أنبياء إسرائيل الجدد رؤى اليهود للعالم ولأنفسهم، ميريت للنشر، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٣٩، ٢٤٠).

(٤) بأر، يזהار: המטרה - הר הבית: שם، עמוד ٣. www.keshev.org.il

هذا، بالإضافة إلى ما اتخذته السلطات الإسرائيلية من إجراءات لتهويد القدس، "ارتكبت السلطات الإسرائيلية ولا تزال العديد من الممارسات التهودية القمعية التي تمثلت في عدد ضخم من الإجراءات العسكرية والإرهابية والتشريعية والإدارية المخالفة لكل الاتفاقيات الدولية وبخاصة اتفاقيات جنيف وحقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة^(١)". ورجوعاً إلى فترة ما قبل قيام "دولة إسرائيل"، وفي إطار دعم بريطانيا ومساندتها للمشروع الاستيطاني الصهيوني من الجدير بالذكر، أنه "في عام (١٩١٨) قام الجنرال البريطاني اللنبي باستدعاء مهندس مدينة الإسكندرية "مالكين"، وطلب منه وضع خطة هيكلية جديدة لمدينة القدس قسمتها إلى أربعة مناطق: البلدة القديمة وأسوارها، والمنطقة المحيطة بالبلدة القديمة، والقدس الشرقية، والقدس الغربية. وأعلنت سلطات الانتداب أن القدس الغربية هي منطقة تطوير، فيما لم يسمح بتأناً بالبناء في المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، ووضعت القيود على البناء في القدس الشرقية، كما قامت سلطات الانتداب البريطاني بعد ذلك بمنح الوكالة اليهودية (١٩١٧) ألف دونم بقضاء القدس من الأراضي الأميرية، تمثل (٧٪) من مساحة المدينة. وقد استغلت الحركة الصهيونية هذه الظروف التي وفرتها الاحتلال البريطاني لفلسطين، فقامت بتعزيز الأحياء الاستيطانية حول القدس بأحياء استيطانية جديدة لإسكان المهاجرين الجدد الذين أخذوا يتدفقون بالآلاف على فلسطين^(٢)". والتساؤل هو ألا تعد هذه الإجراءات استفزازاً وشحناً لجموع الشعب الفلسطيني؟ ولماذا تعمّد الكتاب محل الدراسة إغفال هذه الحقائق الثابتة؟

لقد تعمّد الكتاب محل الدراسة طمس هذه الحقائق تعزيزاً لمفهوم "الضحية" في أذهان الطلاب، فيواصل الكتاب عرضه للأحداث من هذه الزاوية على النحو التالي:

يذكر الكتاب محل الدراسة حادثة أخرى زادت من التوتر بين اليهود والعرب: "في (٩ أغسطس ١٩٢٩) تم تنظيم صلاة بجانب الحائط الغربي بموافقة الحكومة، سار أعضاء من شباب حركة "بيتار"^(٣) إلى الحائط وهم يصيحون "الحائط - حائطنا" ورفعوا عليه علماً،

(١) حسن، محمد خليفة: البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٨)، عام ١٩٩٩، ص ٩٠.

(٢) عناب، محمد رشيد: الاستيطان الصهيوني في القدس ١٩٦٧ - ١٩٩٣، مرجع سابق، ص ٤٩: ٥٠.

(٣) بيتار بيت"ر: اختصار ברית יוסף טרומפלדور "حلف يوسف ترومبلدور": حركة شباب

الإصلاحيين التي صارت حركة "حيروت" فيما بعد. تأسست في ريجا، في الإتحاد السوفيتي عام ١٩٢٣.

في اليوم التالي أقيمت مظاهرة عربية بإذن السلطات، الأمر الذي زاد من التوتر بين اليهود والعرب^(١).

ومن الجدير بالذكر، ما طرحه الكتاب عند تعريف "الحائط الغربي" فيما يخص التقاليد الإسلامية؛ فقد ورد فيه "الحائط الغربي: بقية من السور الغربي الذي كان يحيط بجبل الهيكل في القدس في عهد الهيكل الثاني، يسمى العرب الحائط الغربي بـ "البراق"، وفق التقاليد الإسلامية أن محمداً طار من مكة إلى القدس على ظهر فرسه البراق، ربطه إلى الحائط وصعد إلى السماء من الصخرة التي على جبل الهيكل^(٢)".

لقد تم تناول المعجزة السماوية بشكل فيه كثير من الاستخفاف وبدلاً من أن يضعوها في مصاف معجزات الأنبياء "كشق موسى للبحر" وغيرها من المعجزات؛ تم عرضها بشكل خيالي دون إشارة إلى فكرة المعجزة، ذلك أن وصفها كحقيقة بعيداً عن فكرة التدخل الإلهي تعد غير منطقية في أذهان الطلاب، كذلك الحديث عن النبي محمد (ص) باسمه مجرد دون تعريف بأنه نبي الإسلام يعبر عن عدم تقدير واحترام.

ويذكر الكتاب محل الدراسة أن هذا الحدث الذي زاد من التوتر بين اليهود والعرب قد قام به أعضاء حركة "بيتار"، وهي الحركة التي تحولت فيما بعد إلى حزب "حירות" وهو الحزب الذي يمثل اليمين المتطرف، ولذلك كان ينبغي أن نقف قليلاً عند حركة "بيتار"، والتي تمثل فكر الصهيونية العسكرية، فقد تأسست الحركة في أوروبا الشرقية "كمنظمة شبه عسكرية مهمتها إرسال الشباب المؤمن بأفكار التصحيحين إلى فلسطين. وقد انشق أتباع هذه الحركة عن منظمة "الهجاناه" التابعة للمنظمة الصهيونية والتي يسيطر عليها التيار العمالي الاشتراكي، وأسسوا "المنظمة العسكرية القومية : ארגון צבאי לאומי إرجون تسفي لأومي (אצ"ל) (إتسل)" وذلك في عام (١٩٣٧) بسبب عدم قناعة جابوتنسكي وأنصاره بما سمي بأسلوب الدفاع السلبي الذي ظهرت به "الهجاناه" في أول عهدها... لقد خرج

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 80

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 80

جابوتنسكي على سياسة المنظمة الصهيونية العالمية في العشرينيات، بعد أن اعتبر أن هذه المنظمة تهادن سلطات الانتداب من جهة، والعرب من جهة أخرى. وتبعاً لجابوتنسكي فإن "أرض إسرائيل" هي فلسطين وشرق الأردن... وقد مارست "إتسل" العديد من الأعمال الإرهابية ضد سكان فلسطين الشرعيين، وتحولت عام (١٩٤٨) إلى حزب "حيروت الحرة"... وقد أعلن حزب "حيروت" - بمجرد قيامه - أن "الوطن القومي اليهودي الذي يمتد على ضفتي نهر الأردن هو وحدة تاريخية وجغرافية واحدة لا تتجزأ"، وأن من ضمن مهامه: "استرداد أجزاء الوطن - التي اقتطعت منه، وسلمت إلى حكم أجنبي - إلى السيادة اليهودية"^(١).

ويذكر الكتاب محل الدراسة تداعيات هذا الحدث متحدثاً عن حشد المفتي للمسلمين عقب ما عرضه الكتاب باعتباره شائعات عن نية اليهود مهاجمة المسجد في القدس. قائلاً: "وصلت إلى القدس، في يوم الجمعة بعد أسبوع من ذلك اليوم، جماهير المسلمين بقيادة المفتي عقب شائعات عن نية اليهود مهاجمة المسجد في القدس، وبدأت موجة قاسية من الأحداث العنيفة؛ سميت "أحداث ١٩٢٩"، استمرت هذه الأحداث لثمانية أيام، وهي تختلف عن الأحداث التي وقعت في (١٩٢١) من عدة أوجه:

(أ) - كان نطاقها أوسع: هوجم اليهود سواء في المستوطنات الجديدة أو في المدن مختلطة السكان - القدس، والخليل، وحيفا وصفد.

(ب) - كان الاعتداء على النفس والممتلكات في المستوطنات أشدّ مما حدث في موجة أحداث (١٩٢١)^(٢).

والحقيقة، أن هذه الأحداث "التي عرفت بأحداث البراق عام (١٩٢٩) جاءت على خلفية إقامة اليهود لستار يفصل بين الرجال والنساء، والنفخ في الأبواق، وجلب الكراسي إلى

(١) ماضي، عبد الفتاح محمد: الدين والسياسة في إسرائيل، دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٤١، ١٥٥.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 81.

حائط البراق حيث كان ذلك محظوراً على اليهود بموجب المادة (١٢) من صك الانتداب^(١)، وهى المادة التي تجاهل الكتاب الإشارة إليها.

ويصف الكتاب المقرر على طلاب الفصل التاسع ما تعرض له اليهود في تلك الأحداث: " قُتل في هذه الأحداث (١٣٣) يهودياً وجُرح (٣٣٩) يهودياً، ومن الجانب العربي قُتل (١١٦) عربياً وجُرح (٢٣٢) - أغلبهم من طلقات جنود بريطانيين، لم تكن "الهجاناه" منتظمة في مواجهة الأحداث كما أن الهدوء الذي ساد فلسطين في الأعوام (١٩٢٢ - ١٩٢٩) أبطاً من معدل انتظامها^(٢)."

وهكذا يتحدث الكتاب عن قتلى وجرح يهود بأيدي عرب مسلمين، وعن قتلى وجرحى عرب بأيدي جنود بريطانيين. ويعطي المبرر لذلك بأن "الهجاناه"؛ والتي عرّفها الكتاب في موضع سابق كقوة دفاع ذاتية - مع تحفظنا كما أشرنا سابقاً على الاسم - لم تكن على قدر من التنظيم الذي يسمح لها بمواجهة الأحداث مرجعاً سبب ذلك إلى الهدوء الذي ساد فلسطين في الأعوام (١٩٢٢ - ١٩٢٩)، وفي ذلك تناقض مع ما ذكره الكتاب نفسه ص(٧٩)؛ من أن الاستيطان اليهودي أدرك بعد أحداث (١٩٢١) "أن قدراته الذاتية للدفاع مازالت ضعيفة، وأن عليه الاهتمام بإقامة قيادة قطرية، لترسيخ وجود قوة دفاع والتزوّد بالسلاح والذخيرة، ولذلك رفعت "الهجاناه" معدل تجنيد الأعضاء في صفوفها ووسّعت التدريبات بالسلاح الخفيف الذي اشترته^(٣)."

ويصل الكتاب محل الدراسة في سرد أحداث (١٩٢٩) إلى "الطائفة القديمة" في الخليل ويفرد لها مساحة بحيث رأى فيها ما يرمز إلى خطورة أحداث (١٩٢٩)، ويذكر الكتاب: " قبل أعمال العنف اتجه مبعوثو الـ "هجاناه" من القدس إلى يهود الخليل، وحذروهم من احتمال وقوع أعمال عنف ونصحوهم بإخلاء المدينة، لكن يهود الخليل زعموا أنهم يسكنون في المدينة أباً عن جد، وتسود بينهم وبين جيرانهم العرب علاقات جوار طيبة، وطالبوا بعدم إرسال رجال "الهجاناه" إليهم حتى لا يغضب جيرانهم، على الرغم من ذلك، تعرّض العرب

(١) عناب، محمد رشيد: الاستيطان الصهيوني في القدس ١٩٦٧ - ١٩٩٣، مرجع سابق، ص 53 .

(2) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 81 .

(3) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 79 .

ليهود الخليل بأعمال عنف قاسية، قتل عرب جيرانهم اليهود، ونهبوا ممتلكاتهم، وأشعلوا منازلهم وعبثوا بأسفار التوراة وكتب الصلوات، ومع ذلك، دافعت بعض الأسر العربية عن جيرانها من اليهود، بأن أخفوهم بعيداً عن الأنظار، وهكذا أنقذت حياتهم، ولم يتدخل رجال الشرطة البريطانية فيما حدث، باستثناء ضابط شرطة واحد، وبذلك زالت الطائفة اليهودية في الخليل، وترك الناجون المدينة وانتقلوا إلى القدس^(١).

وهكذا يعمل الكتاب على ترسيخ صورة ذهنية شديدة السلبية عن العربي الفلسطيني بتصويره في صورة الشخص الذي يقوم بأعمال قتل ونهب وإحراق وعبث بالمقدسات، وفي المقابل يرسم الكتاب صورة إيجابية لليهودي المسلم الحريص على عدم إغضاب جاره العربي. وفي الوقت ذاته لا يستطيع الكتاب إغفال حقيقة دفاع أسر عربية عن جيرانها من اليهود وإنقاذ حياتهم.

ولا يغفل الكتاب أن يسرد لنا قائمة بأسماء العرب الذين دافعوا عن أسر يهودية في الخليل في أحداث (١٩٢٩)، وذلك من خلال المستند رقم (٧) الوارد في ص (٨١) في الكتاب محل الدراسة. (راجع ملحق الدراسة)

رد فعل حكومة بريطانيا على أحداث ١٩٢٩:

جاء رد فعل حكومة بريطانيا ممثلاً في:

١- تعيين لجنة تحقيق "لجنة شو":

في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة ورد أنه "في أعقاب الأحداث عينت الحكومة البريطانية (أكتوبر ١٩٢٩) لجنة تحقيق عُرفت باسم "لجنة شو"، على اسم رئيسها والتر شو، لبحث الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الأحداث والسبل لمنع حدوثها ... بعد مرور عدة أشهر نشرت اللجنة نتائجها (مارس ١٩٣٠) وحددت أنه في هذه الأحداث هاجم العرب اليهود، والسبب الرئيسي للهجوم، في رأي أعضاء اللجنة، يكمن في عداة العرب لليهود، الذي نبع من قلق العرب على مستقبلهم الاقتصادي وعدم تحقيق تطلعاتهم السياسية والقومية. ورأت اللجنة أن الهجرة تشكل العامل الرئيسي للتوتر والأحداث، لأنها تثير قلق

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر، המאה העשרים، שם، עמוד 81.

العرب من سيطرة يهودية على البلاد ومن طرد الفلاحين من أراضيهم، في أعقاب امتلاك اليهود للأراضي والاستيطان اليهودي، أوصت اللجنة بتحديد أعداد المهاجرين وفق قدرة الاستيعاب الاقتصادية في فلسطين^(١).

لقد قرّرت اللجنة أن العامل الرئيسي وراء الأحداث هو "قلق العرب" من الهجرة اليهودية؛ مع التحفظ على استخدام مصطلح "عرب" فالأدق أن يقول "قلق الفلسطينيين" ولكن تجاهل الكتاب على مدار صفحاته مصطلح "فلسطيني" واستبدله بمصطلح "عربي" في محاولة لطمس الهوية الفلسطينية. وإذا عدنا للأحداث فقد شكلت الهجرة اليهودية بالفعل عنصراً رئيسياً ضاعطاً أثار مخاوف فلسطينية اقتصادية وسياسية، لكن لا يمكننا أن نغفل الاستفزاز اليهودي الذي قام به شباب أعضاء حركة بيتار عندما نظموا مسيرة إلى الحائط الغربي وهم يصيحون "الحائط - حائطنا" ورفعوا عليه علماً، كما لا يمكن أيضاً إغفال ما حدث عندما حاول اليهود تجاوز الترتيبات الخاصة بالوضع القائم (Status Quo).

٢- نشر "الكتاب الأبيض الثاني":

ورد في الكتاب محل الدراسة أنه "عقب نشر توصيات لجنة شو نشر بسفيلد، وزير المستوطنات البريطاني، كتاب أبيض" ثاني (أكتوبر ١٩٣٠)، زكّي فيه نتائج لجنة شو وحدّد من حيابة الأراضي بزعم عدم وجود أراض خالية لذلك، فقد حدّد "الكتاب الأبيض"، أنه لم يعد هناك مزيد من الأراضي للاستيطان، ولذلك سوف يتم السماح فقط بنقل بعض الأراضي بالتنسيق مع سلطة الإنشاء الحكومية الموحدة التي ستقام من أجل هذا الغرض، هكذا فرض "الكتاب الأبيض" قيوداً على الهجرة بما يتناسب مع وضع العمالة العربية وما ساد في أوساطها من قلق، وقد كانت هذه القرارات الصادرة بشأن الهجرة وحيابة الأراضي قادرة على تجميد تطوّر الاستيطان العبري في فلسطين^(١).

وأقف هنا عند كلمات بعينها، مثل استخدام التعبير "بزعم" في العبارة "زكّي بسفيلد نتائج لجنة شو وقيد حيابة الأراضي بزعم عدم وجود أراض خالية لذلك" (בטענה שאין אדמות פנויות לכך)، كما يجب الوقوف أيضاً عند تعليق الكتاب على القرارات الخاصة

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 82.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 82.

بالهجرة وحيازة الأراضي : "وقد كانت هذه القرارات الصادرة بشأن الهجرة وحيازة الأراضي، قادرة على تجميد تطوّر الاستيطان العبري في فلسطين"، وهنا يعمل الكتاب على تسريب فكرة مفادها أن توصيات اللجنة وما ترتب عليها من قرارات قائمة كلها على مزاعم وليست قائمة على حقائق ملموسة وأن الهدف من هذه القرارات هو تجميد الاستيطان العبري في فلسطين.

٣- ردّ الفعل على "الكتاب الأبيض الثاني":

عرض الكتاب لموقف كل من الفلسطينيين والقيادة الصهيونية من الكتاب الأبيض الثاني فرصد الكتاب محل الدراسة ترحيب الفلسطينيين به : "رحّب العرب "بالكتاب الأبيض"، كما رصد محاربة القيادة الصهيونية له: "فور نشره استقال، في خطوة استعراضية، من مناصبهم حاييم فايتسمان، رئيس المستدروت (نقابة العمال) الصهيونية، وزعماء آخرون، ويستمر الكتاب موضعاً دهشة البريطانيين من استقالة فايتسمان ومحاوله حكومة بريطانيا استرضائه: " استقالة فايتسمان، الزعيم المعتدل الذي يرمز إلى العلاقة المتينة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا، أدهشت البريطانيين... زعم فايتسمان أن القرارات المدرجة فيه (أي، الكتاب الأبيض الثاني) خاطئة وأحادية الجانب، وبعد مباحثات أرسل رئيس حكومة بريطانيا، ماكدونالد، رسالة إلى فايتسمان، قدمت تفسيراً أكثر اعتدالاً "للكتاب الأبيض" وألغت قراراته عملياً (١٩٣١)، أتاح "رسالة ماكدونالد" لليهود مواصلة الهجرة والاستيطان. استنكر العرب هذه الخطوة ووصفوا الرسالة بـ "الرسالة السوداء"^(١).

وهكذا، كان دعم حكومة بريطانيا وتحيزها للقيادة الصهيونية حيث "أن الشبكة السياسية التي بناها الصهاينة في لندن استطاعت الوصول إلى مواقع القرار الأساسية في بريطانيا، وهي أكبر وأقوى دولة استعمارية في ذلك العصر، فوصلت إلى لويد جورج رئيس حكومتها وقائد حركتها، وإلى ارتور بلفور وزير خارجيتها، وإلى حشد من الوزراء والسابقين وكبار الموظفين والخبراء السياسيين داخل الدولة الذين باتت سياستهم تجاه الشرق الأوسط تصب في المنحى الصهيوني، وما تم في الولايات المتحدة في ما بعد، ابتداء من مطلع

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 82.

الأربعينيات، حين تطوّر "اللوبي الصهيوني" في واشنطن وتسرب إلى مركز صنع القرار الأمريكي ولا يزال، ليس إلا صورة مكبرة لما فعلته الحركة الصهيونية في لندن في زمن "وعد بلفور" وبعده... فإذا نظرنا إلى بنية الصراع وتطوره (نجد أن): المنظمة الصهيونية تركز على المزيد من الهجرة والاستيطان، فيواجهها الرفض الفلسطيني، فيواجهه القمع البريطاني من جهة، و"لجان التحقيق" البريطانية من جهة أخرى، فتضطر بريطانيا إلى التراجع قليلاً أمام الضغط العربي، فيواجهها الضغط السياسي الصهيوني بدوره، فتعود عن تراجعها إلى نقطة البداية^(١).

القضية الخامسة

أوضاع الأقليات اليهودية في شرق أوروبا :

في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة، نرصد في هذه القضية أوضاع الأقليات اليهودية في الفترة ما بين الحربين العالميتين في الاتحاد السوفيتي السابق وفي بولندا، والمشكلات التي واجهها اليهود في كل منهما وذلك في ضوء مصطلح "معادة السامية" الذي عمل مؤلفو هذا الكتاب على تثبيته في أذهان الطلاب.

أولاً: يهود الاتحاد السوفيتي السابق :

في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة وتحت عنوان "يهود الاتحاد السوفيتي تحت الحكم الشيوعي"^(٢) يبدأ الكتاب بذكر بعض الأحداث التي أثرت على اليهود في الاتحاد السوفيتي كالحرب العالمية الأولى، والثورة البلشفية، والحرب الأهلية الدامية والحكم الشيوعي. فقد أدت هذه الأحداث إلى تقليص أعداد اليهود من خمسة ملايين يهودي يعيشون في روسيا القيصرية حتى الحرب العالمية الأولى إلى حوالي ثلاثة ملايين^(٣)؛ حيث أصبح مليوناً

(١) أبو خضراء، فيصل: تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمنة والحل، مرجع سابق، ص ٨٦، ١٣٧.

(٢) برتل، إسرائيل وأخريه: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 107.

(٣) أخذت حدود الاتحاد السوفيتي شكلها النهائي عام ١٩٢٠، وكان هذا يعني أن عدداً كبيراً من اليهود الذين كانوا يعيشون داخل مناطق تابعة لدول حصلت على استقلالها (بولندا وليتوانيا ولاتفيا وإستونيا وبيلاروسيا التي ضُمت إلى رومانيا) أصبحوا تابعين لهذه الدول. ولم يبق سوى ٢.٦٨٠.٠٠٠ يهودي داخل الاتحاد السوفيتي (مقابل ما يزيد على خمسة ملايين قبل الحرب)، ٨٠% منهم كانوا يعيشون في أوكرانيا وروسيا البيضاء. كانت أوكرانيا تضم ١.٥٧٤.٤٢٨ (٥.٤% من مجموع سكانها)، وكانت روسيا البيضاء تضم ٤٠٧.٤٢٨ (٨.٢% من مجموع سكانها). كما كانت الجمهوريات الآسيوية تضم ١٠٩.٨٥١ (٠.٤٠% من مجموع سكانها). وزاد عدد اليهود إلى ما =

يهودي بموجب تسويات الحرب العالمية الأولى، من مواطني بولندا^(٤).

يتحدث الكتاب عن ما تمتع به يهود الاتحاد السوفيتي من مساواة في الحقوق بموجب قانون الاتحاد السوفيتي الذي منح المساواة في الحقوق لكل المواطنين، وحق تقرير المصير لكل الشعوب داخل الاتحاد السوفيتي، واستند الكتاب إلى مرسوم لينين الذي يحظر معاداة السامية (يوليو ١٩١٨)، نظر مرسوم لينين إلى معاداة السامية و"البوجرومز" (المذابح) ضد اليهود على أنها شر مستفحل، وقال في مرسومه "השנאה הלאומית מחלישה את שורותינו המהפכניות... ומסייעת רק לאויבינו. מועצת הקומיסארים העממיים מצווה על כל המועצות לנקוט באמצעים מתאימים לעקור את התנועה האנטישמית מן השורש, את עורכי הפרעות והמסיתים לפרעות יש להעמיד מחוץ לחוק"^(١).

"الكراهية القومية تُضعف صفوفنا الثورية... وتساعد فقط أعداءنا، ويوصي مجلس المفوضين الشعبي كل المجالس باتخاذ الوسائل المناسبة لاقتلاع الحركة المعادية للسامية من الجذور؛ والإعلان عن اعتبار من يقومون بتنظيم حوادث الشغب أو يحرضون عليها خارجين على القانون".

ويعقب ذلك توجيه السؤال الآتي إلى الطلاب: "لماذا يرى لينين، أنه يجب على الشعب في الاتحاد السوفيتي محاربة معاداة السامية"^(٢)؟".

= يزيد على ثلاثة ملايين عشية الحرب العالمية الثانية. وتركز ٨٧% من جملة اليهود في المدن، وكان أعضاء الجماعة يعملون أساساً بالتجارة. (تاريخ اليهود في روسيا: متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ / ٣ / ٢٠١٣ على الموقع

http://www.marefa.org/index.php/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF_%D9%81%D9%8A_%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7#.D8.A7.D9

(١) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 107.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 107.

(٣) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 107.

وفي ذات السؤال ترسيخ لمفهوم "معاداة السامية" في أذهان الطلاب؛ خاصة وقد كانت معاداة السامية من أبرز العوامل التي ساقتها الصهيونية السياسية لتبرير ظهورها على مسرح الأحداث.

ف نجد على سبيل المثال يهودا ليف بنسكر، الطبيب اليهودي المتنوّر من أوديسا وزعيم الصهيونية السياسية، يرى أن "هناك ضرورة ملحة لحل قومي يهودي بسبب وضع اليهود الصعب. وقد عبّر عن أفكاره هذه في كراسته "אוטונומניפאציה" (التحرر الذاتي) ... وكانت وجهة نظره، هي أن الإيمان بأن "التحرر" الـ"אמנציפאציה" (يقصد بالتحرر اندماج اليهود بين الشعوب التي يعيشون بينها) سيحل مشكلات اليهود كلها إنما هو إيمان كاذب، ... وأنه يجب على اليهود الاعتراف بأن مشكلتهم خاصة بهم فحسب، ولذلك يجب أن يعملوا على حلها بأيديهم، وعليهم صنع مصيرهم بأيديهم. وقد أشار إلى أن أصل المشكلة اليهودية يكمن في كون اليهود عنصراً غريباً في كل أمة يعيشون بينها، عنصراً يثير الخوف والكراهية - יודופוביה " يودوفوبيا " بلغته (يقصد خوف مرضي من اليهود)، ومصدر هذه "اليودوفوبيا" هو وضع اليهود الشاذ، في كونهم شعباً بلا وطن طبيعي، وأنهم بمثابة أرواح أشباح تسير وسط الشعوب، وتثير الشك والخوف، وفي مواجهة هذه الكراهية، لا يملك اليهود علاجاً لها في الأماكن التي يقيمون فيها، لذلك عليهم تركها، والتمركز في منطقة خاصة بهم، يستطيعون فيها التعبير عن أنفسهم، وكان حل مشكلة اليهود بالنسبة لبنسكر، هو، "التحرر الذاتي" وليس "التحرر"⁽¹⁾.

ويتنقل بنا الكتاب تحت عنوان "البلشفيون يعملون على طمس هوية يهود الاتحاد السوفيتي" "הבולשביקים פועלים למשטוש זהותם של יהודי ברית המועצות" ويتحدث عن وضع اليهود بعد الثورة البلشفية (أكتوبر ١٩١٧)، وعن رغبة البلشفيين في تعميق الوعي بالشيوعية بين اليهود من خلال إقامة هيئات حكومية وحزبية خاصة مثل : הקומיסריון هكومياريون : هيئة حكومية خاصة بشؤون اليهود והיבסקציה: الكتلة

(1) גולדשטיין، יוסי: דת ולאומיות בתנועה הציונית: 1881-1912, האוניברסיטה הפתוחה,

اليهودية داخل الحزب الشيوعي. وكان اليهود الشيوعيون نشطاء في هذه الهيئات التي عملت بين أوساط اليهود باللغة اليديشية؛ لأنها كانت لغة جمهور اليهود، وهكذا استطاعوا التأثير على جمهور أوسع^(١).

وفي وضع العنوان بهذا الشكل "البلشفيون يعملون على طمس هوية يهود الاتحاد السوفيتي" واستخدام كلمة "طمس" "טמא" ترسيخاً لذات مفهوم "معاداة السامية" في أذهان الطلاب؛ خاصةً وقد أسهب الكتاب في شرح الخطوات التي اتخذها البلشفيون من أجل تحقيق ذلك، والتي رأيت وضعها في نقاط على النحو التالي:

١- قيام الهيئة الحكومية الخاصة بشئون اليهود (هكوميساريون) بحل جميع مؤسسات الطائفة اليهودية بزعم أن بعض ما تقوم به من مهام مماثل لما تقوم به الدولة، من ذلك التعليم والشئون الاجتماعية.

٢- قيام الهيئة الحكومية الخاصة بشئون اليهود بإيقاف نشاط الأحزاب اليهودية.

٣- قيام الكتلة اليهودية داخل الحزب الشيوعي بمحاربة العوامل الموحدة لليهود، وبخاصة الديانة اليهودية والحركة الصهيونية، وتطلعت لاستبدالها بمؤسسات وثقافة تعبر عن الأيديولوجية الشيوعية، وبناءً عليه: أغلقت معابد، واعتُقل حاخامات، وأُقفت طباعة كتب الصلوات، وصودرت أسفار التوراة، وإزاء هذه المحظورات تحولت النشاطات اليهودية إلى نشاطات سرية.

٤- حاربت الكتلة اليهودية داخل الحزب الشيوعي اللغة العبرية، لأنها رأت فيها تعبيراً عن القومية. وأقامت مؤسسات تعليمية كانت لغة التعليم فيها اليديشية.

٥- لاحقت الكتلة اليهودية داخل الحزب الشيوعي أدياء عبريين ومنعت طباعة كتب وصحف بالعبرية، وفي المقابل أصدرت صحفاً وكتباً باليديشية^(٢).

أما بالنسبة للحركة الصهيونية:

١- تعرض للسجن كل من شارك في المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في موسكو (١٩٢٠) تحت عنوان "הכל רוסית"، "كل شيء روسي".

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 108.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 108.

٢- مُنَع الصهاينة من عقد اجتماعات، ومن تبادل خطابات مع فلسطين ومن إصدار كتب عبرية.

٣- سُجِن كثير من نشطاء الحركة الصهيونية وتم إرسالهم لأعمال السخرة في معسكرات سيبيريا.

٤- تم تصفية تنظيم "مخالوتس" عام (١٩٢٦)، وهو التنظيم الذي أعدّ أعضائه للهجرة إلى فلسطين .

٥- ملاحقة النشاط اليهود في الحزب الشيوعي، ونفى بعضهم إلى معسكرات سيبيريا وإعدام البعض الآخر بلا محاكمة؛ وذلك في بداية التطهير الذي قام به ستالين، كما أنهم عدد من أدباء اليهود وعلماؤهم بالخيانة فتعرضوا للسجن أو الإعدام^(١).

وبينما يركز الكتاب محل الدراسة على مظاهر العداء السوفيتي للحركة الصهيونية نراه يغفل تماماً المنطلق الفكري وراء هذا العداء والمتمثل في التعارض الفكري بين الأيديولوجية الماركسية اللينينية وبين الصهيونية، والذي عبّر عنه لينين بموقفه الرافض للحركة الصهيونية ولإقامة دولة يهودية : "استنكر لينين اتجاه البورجوازية اليهودية نحو إقامة دولة يهودية مستقلة ذاكرة أن حق تقرير المصير لا يعنى تكوين هذه الدولة ، وفي دراسته المعروفة باسم ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية ينكر لينين ما يسمى بالقومية اليهودية ويقول أن الثقافة القومية اليهودية هي شعار الحاخامات والبورجوازيين، أى أنه شعار أعدائنا، ولهذا فإن كل من يتبنى شعار الثقافة اليهودية بصورة مباشرة أو غير مباشرة هو عدو للبروليتاريا كذلك يوضح أن اليهود لا يشكلون أمة بأى حال ... وأن الصهيونية، كما يقول لينين، هي حركة قومية بورجوازية من طراز حركات البورجوازية الصغيرة ،... وأنها برفضها اندماج البروليتاريا اليهودية في المجتمعات التى يعيشون فيها وبعثها فيهم نزعات تكوين الدولة القومية المستقلة إنما تشكل دفعا لعجلة التاريخ إلى الوراء بدلا من التقدم نحو وحدة البروليتاريا في مختلف القوميات وبذلك فهي تتناقض مع الأيديولوجية الماركسية^(٢)."

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع ال العبر המאה העשרים، שם، עמוד 108 .

(٢) سليم، محمد السيد: الاتحاد السوفيتي والقضية الفلسطينية، السياسة الدولية، يوليو ١٩٦٩ .

وفي الوقت الذي يستند فيه الكتاب محل الدراسة إلى مرسوم لينين الذي يحظر معاداة السامية، نراه على الجانب الآخر يغفل آراء لينين الراضية للصهيونية.

ولا يمكننا إغفال أن هذا الموقف السوفيتي الراض للصهيونية يستند إلى حقيقة اعتبار الحركة الصهيونية حركة عميلة للاستعمار الغربي في الشرق الأوسط ، ووسيلة يريد كبار الرأسماليين اليهود أن يستغلوا عن طريقها البروليتاريا اليهودية^(١).

ثانياً: يهود بولندا:

وتحت عنوان "يهود بولندا- أقلية قومية تصارع من أجل حقوقها"، يبدأ الكتاب محل الدراسة الحديث عن بولندا بوصفها إحدى الدول الجديدة في شرق أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، والتي تُشكل الأقليات القومية فيها حوالي ثُلث سكانها، وتمثل الأقلية اليهودية فيها حوالي ١٠٪ من مجمل سكانها؛ حيث بلغ تعداد اليهود فيها حوالي ثلاثة ملايين يهودي. ويشير المرجع محل الدراسة إلى قانون بولندا (١٩٢٠) الذي نصّ على حقوق متساوية لكل السكان بما في ذلك اليهود^(٢).

النشاط السياسي ليهود بولندا:

كنتيجة منطقية لفتح الباب أمام يهود بولندا كأقلية تتمتع بحقوق متساوية أن يدخل اليهود إلى عالم السياسة والحكم: "أيقظ استقلال بولندا وتوقيعها على معاهدة الأقليات أملاً كبيراً بين يهود بولندا ودفعهم إلى نشاط سياسي قوى"^(٣)، وقد تمثل هذا النشاط ، في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة، والذي فضلت أن أضعه في نقاط على النحو الآتي:

١- شجعت الأحزاب اليهودية أعضائها على الاشتراك في انتخابات مؤسسات الحكم البولندي؛ فدخل البرلمان البولندي، أحد عشر نائباً يهودياً، وذلك في انتخابات عام (١٩١٨).

(١) سليم، محمد السيد: الاتحاد السوفيتي والقضية الفلسطينية، السياسة الدولية ، يوليو ١٩٦٩، سابق.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 111.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 111.

٢- بمبادرة يتسحاق جرينبوم^(١) أُقيمت في بولندا كتلة وحّدت كل الأقليات، وقد حظيت هذه الكتلة في الانتخابات التي أجريت عام (١٩٢٢) بـ ٣٤ نائباً، أي حوالي (٢٠٪) من مجموع النواب^(٢).

التنوع السياسي والثقافي بين يهود بولندا:

لقد رأى الكتاب محل الدراسة أن أهم العناصر التي ميزت التجمّع اليهودي في بولندا هي: الهوية اليهودية الدينية والثقافية، والقومية والاشتراكية، ولذلك فقد رصد المرجع تنوع اتجاهات الأحزاب الصهيونية التي عملت بين يهود بولندا، "أحزاب اشتراكية مثل "פועלים" "לאיון" "عمال صهيون"، وحزب ديني مثل "המזרחי" "المزراحي"، وحزب قومي مثل המפלגה הרביזיוניסטית الحزب التصحيحي، وإلى جانب هذه الأحزاب الصهيونية عملت أحزاب معادية للصهيونية^(٣)."

وبالرغم من اختلاف هذه الأحزاب الصهيونية من الناحية الأيديولوجية، إلا أنها اتفقت على هدف واحد وهو الهجرة إلى فلسطين، وكل حزب منها عمل على تحقيق هذا الهدف بطريقة، فعملت الصهيونية العملية على خلق واقع عملي على الأرض بإقامة المستوطنات اليهودية، واتجهت الصهيونية الدينية إلى تعبئة جماهير اليهود وحشدهم وذلك بما أضفته من شرعية على الهجرة إلى فلسطين واستيطانها، باعتبارها تلك الأرض الموعودة، والتي تمثل الإقامة والاستيطان فيها، المرحلة التمهيدية للخلاص، أما الصهيونية التصحيحية أو "التنقيحية" فقد رأت في العنف والقوة العسكرية اليهودية الوسيلة الوحيدة لتأمين الاستيطان اليهودي، وإرغام الفلسطينيين على ترك أراضيهم.

(١) يتسحاق جرينبوم (١٨٧٩ - ١٩٧٠): عضو البرلمان البولندي. حارب من أجل حقوق اليهود في بولندا، وعمل في كتلة الأقليات على نشر الفكرة الصهيونية وشجّع على الهجرة إلى فلسطين، وبعد هجرته إلى فلسطين (١٩٣٣) خدم في وظائف عامة: عضو الإدارة الصهيونية، وكذلك رئيس الشعبة الخاصة بشؤون الهجرة في الوكالة، خدم في الأعوام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ كوزير للداخلية في الحكومة المؤقتة. (وقد وردت هذه المعلومة في الكتاب محل الدراسة ص ١١١).

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 111.

(٣) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 111.

وفي إطار التنوع الثقافي، عقد الكتاب محل الدراسة مقارنة بين دور كل من "المزراحي"، وهو حزب ديني صهيوني، وحزب "אגודת ישראל" "أجودات إسرائيل"، وهو حزب ديني غير صهيوني، في مجال التعليم: "أقام "المزراحي" مؤسسات تعليمية دينية يتم التعليم فيها باللغة العبرية. في المقابل أنشأ حزب "أجودات إسرائيل، الذي يمثل اليهودية الدينية الأرثوذكسية سلسلة مؤسسات تعليمية باسم "חורבן" "حوريف"، كانت لغة التعليم فيها اليبديشية. وفي الثلاثينيات سلّم "أجودات إسرائيل" بالهجرة وباستيطان فلسطين^(١)".

وفي إطار التنوع السياسي ينتقل بنا الكتاب محل الدراسة لحزب "בונד" "البوند"، وهو تنظيم اشتراكي معبر عن العمال اليهود والذي أُسس في (١٨٩٧)، عارضاً موقف حزب "البوند" الرفض للصهيونية من منطلق أنها تزيد بنشاطها من العداء للسامية، كما "طالب حزب "البوند" بحل مشكلة اليهود في بلادهم في شرق أوروبا وطالب باستقلال ذاتي وثقافي، وسعى "البوند" لتعميق ثقافة اليبديش ونشرها، ومن أجل ذلك أقام مدراس كانت لغة الدراسة فيها هذه اللغة^(٢)".

وهكذا، فقد عبّرت اللغة اليبديشية عن الاتجاه الرفض للصهيونية على النحو التالي:

١ - حاربت الكتلة اليهودية داخل الحزب الشيوعي (وهي الكتلة المعادية للصهيونية) اللغة العبرية، وأقامت مؤسسات تعليمية كانت لغة التعليم فيها اليبديشية، ولاحقت أدباء عبريين ومنعت طباعة كتب وصحف بالعبرية، وفي المقابل أصدرت صحفاً وكتباً باليبديشية.

٢ - أقام "أجودات إسرائيل" (الرفض للصهيونية) شبكة تعليم باسم "حوريف"، ولغة التعليم فيها كانت اليبديشية.

٣ - سعى حزب "البوند" (الرفض للصهيونية) إلى تعميق ثقافة اليبديش ونشرها، ومن أجل ذلك أقام مدراس كانت لغة الدراسة فيها هذه اللغة.

وفي إطار التنوع الثقافي تحدث الكتاب محل الدراسة عن ازدهار الثقافة التوراتية وكذلك الثقافة اليهودية العلمانية، "انتشرت كتب الشعر والأدب، وترُجمت إلى العبرية واليبديشية

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر المامه העשרים، שם، עמוד 111.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر المامه העשרים، שם، עמוד 111.

مجموعة انتاجات من الآداب العالمية وصدرت صحف يهودية بالعبرية، وبالليديشية وبالبولندية... وظهرت في بولندا في الفترة ما بين الحربين العالميتين آلاف الصحف اليهودية بالبولندية، وبالعبرية وبالليديشية. وكانت هذه الصحف تمثل التيارات اليهودية المختلفة: الحركة الصهيونية، واليهودية الأرثوذكسية وحركة "البوند"^(١).

مظاهر معاداة السامية في بولندا:

يُرجع الكتاب محل الدراسة ظهور "معاداة السامية" في الثلاثينيات في بولندا، إلى التقارب الذي حدث بين ألمانيا وبولندا مشيراً إلى أنه: "بدأت بولندا تتراجع عن تنفيذ التزاماتها باتفاقية الأقليات، وانتهجت حكومة بولندا سياسات قيدت اندماج اليهود في الدولة"^(٢)، من ذلك على سبيل المثال، في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة، ما يلي:

١- في مؤسسات التعليم الجامعية: أصبح من حق الطلاب البولنديين رفض اقتسام مقاعدهم مع اليهود (١٩٣٧).

٢- خُصصت لليهود أماكن جلوس خاصة، عُرفت باسم "مقاعد الجيتو" "פססלי הגטו".

٣- قُبيل الحرب العالمية الثانية زادت الاعتداءات الجسائية على اليهود وعلى ممتلكاتهم.

٤- فُرِضت المقاطعة على محال اليهود (١٩٣٧-١٩٣٨).

٥- انتهج الحزب الديمقراطي القومي، بشكل واضح، سياسات معادية للسامية وقام نشاطه بالاعتداء على اليهود بالضرب حتى الموت، ونُشرت في الشوارع إعلانات ومنشورات تدعو لحرمان اليهود من حقوق المواطنة^(٣).

فقد عبّر الحزب الديمقراطي القومي في بولندا عن مفهوم "بولندا للبولنديين"، فقد رأى أن اليهود لا يمكنهم الاندماج في بولندا بسبب ثقافتهم المختلفة ولذلك يجب عليهم الهجرة من بولندا^(٤).

(١) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 111 ، 115.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 114.

(٣) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 114.

(٤) טביבאן , קציעה אביאלי : אנדציה (מפלגת האנדקים)، מתאח בתאריך ٣/ ٣/ ٢٠١٣ على

وفي الوقت الذي يركز فيه الكتاب محل الدراسة على التطرف القومي البولندي نجد إغفال متعمد للتطرف اليهودي المقابل له : " بدأ أعضاء الجماعة اليهودية يتجهون نحو مزيد من الانفصال فكان لهم ما يُسمى بالنادي البرلماني اليهودي (وهو جماعة تضم كل الممثلين اليهود داخل البرلمان البولندي)، وهذه الجماعة كان لها ثقلها ووزنها العددي، ولذا كانت الحكومات البولندية تحاول خطب ودها لضمان تأييدها، وقد سيطر أتباع الصهيونية على هذا النادي، فكانوا يشكلون عام ١٩٢٢ نحو ٥٠٪ من جملة النواب اليهود، وازداد الوضع تطرفاً، فمع الثلاثينيات يُلاحظ أن الصهاينة العاملين والتصحيحين هم الذين استولوا على القيادة في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر (١٩٣٣)، وهم عناصر متطرفة من منظور الاندماج في المجتمع البولندي، رافضون له تماماً ولا يرون حلاً للمسألة اليهودية إلا بتهجير اليهود من بولندا بل إخلاء أوروبا من فائضها اليهودي، أي أنهم كانوا يشكلون فرقة تطالب بحل نهائي وجذري للمسألة اليهودية، ويلاحظ أن الأحزاب الصهيونية في بولندا كانت أقوى الأحزاب الصهيونية في العالم^(١)."

وهكذا نجد أن الكتاب محل الدراسة يركز على مفهوم معاداة السامية، وهو المفهوم الذي أجادت الحركة الصهيونية الترويج له لتبرير ظهورها على مسرح الأحداث.

القضية السادسة :

الصراع العربي - الإسرائيلي والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي :

الصراع العربي - الإسرائيلي :

في إطار الصراع العربي الإسرائيلي سأتناول هنا حرب لبنان ١٩٨٢ في ضوء ما عرضه الكتاب محل الدراسة .

حرب لبنان ١٩٨٢ :

في ضوء ما ورد في الكتاب : " سادت مناطق الحدود الإسرائيلية - اللبنانية هدنة متوترة. فقامت منظمة التحرير الفلسطينية تحصّنت في جنوب لبنان وكان هناك تحوُّف من استئناف عملياتها ضد مستوطنات الشمال، فأعطت حكومة إسرائيل تعليمات لقوات الجيش الإسرائيلي باجتياح لبنان لمنع إطلاق صواريخ كتيوشا وقذائف مدفعية على مستوطنات

(١) المسيري، عبد الوهاب : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، المجلد الأول، دار الشروق، ط ٣، ٢٠٠٦م، ص ٤٦٢.

الحدود الشمالية. وهكذا بدأت الحرب التي سُميت رسمياً "מבצע שלום הגליל" "عملية سلامة الجليل" (٦ يونيو ١٩٨٢)، ويسمي الكثيرون هذه الحرب "حرب لبنان" بدعوى أن ضمان سلامة الجليل لم يكن هدف هذه الحرب^(١).

ومن الاسم نفسه "عملية سلامة الجليل"، تقفز على السطح نظرية الأمن الإسرائيلي التي تبرّر بها إسرائيل عدوانها على جاراتها. ويظهر ذلك بوضوح فيما عرضه المرجع محل الدراسة من أسباب ساققتها إسرائيل لتبرير اجتياحها لبنان:

الهدف من حرب لبنان:

- ١- القضاء على قاعدة للمخربين على مسافة (٤٠) كيلومتر من الحدود.
 - ٢- تصفية منظمة التحرير الفلسطينية وإزاحة القضية الفلسطينية من جدول أعمال إسرائيل.
 - ٣- إقامة حكم مسيحي مؤيد لإسرائيل في لبنان، وتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل مما سيترتب عليه انسحاب القوات السورية من لبنان^(٢).
- ولم يذكر الكتاب محل الدراسة تنسيق إسرائيل مع قوات الكتائب اللبنانية لبشير الجميل: "كان من المقرر أن تتم العملية بالمشاركة التامة مع قوات الكتائب اللبنانية لبشير الجميل، التي دأبت إسرائيل على تقديم المعونة إليها منذ منتصف السبعينات، وقد كان هناك تفاهم بين الجانبين على أن يتم بعد تعيين الجميل رئيساً للبنان توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل، ثم يتم انسحاب سوريا من الأراضي اللبنانية بوصفه نتيجة ثانوية أخرى لهذه العملية^(٣)".
- ويشير الكتاب محل الدراسة أنه وبما يتعارض مع قرارات حكومة إسرائيل وتصريحاتها، "تقدّمت قوات الجيش الإسرائيلي إلى عمق أراضي لبنان فيما وراء الـ (٤٠) كيلومتر، وجرت أيضاً اشتباكات مع وحدات الجيش السوري في لبنان، وفي اشتباكات جوية تم إسقاط طائرات سورية، وبضغط أمريكي تم إعلان وقف إطلاق النار في (١١ يونيو) وبعد

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع ال העבר המאה העשרים، שם، עמוד 331.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع ال העבר המאה העשרים، שם، עמוד 331.

(٣) عملية سلامة الجليل http://knesset.gov.il/lexicon/arb/shalom_galil.htm

وقف إطلاق النار واصلت قوات الجيش الإسرائيلي التقدم وسيطرت على مواضع رئيسية في طريق بيروت - دمشق، وشددت الحصار على عاصمة لبنان، وسيطرت على أجزاء من المدينة. وأثناء الحصار قُصفت بيروت وقُطع عن مواطنيها إمداد الماء والكهرباء^(١).

وكل ذلك العدوان بهدف إرغام قوات "منظمة التحرير الفلسطينية" وسوريا على إخلاء المدينة، واستمر حصار بيروت من يوليو وحتى النصف الثاني من أغسطس واستمر خلال تلك الفترة قصف متكرر على مواقع "منظمة التحرير الفلسطينية" في بيروت من الأرض والبحر والجو^(٢).

ثم يصل الكتاب محل الدراسة إلى التدخل الأمريكي لوقف الحصار والقتال، ووفقا للاتفاقية التي تحدت بواسطة الأمريكان تم إبعاد القوى الفلسطينية من بيروت، وعلى رأسها ياسر عرفات، ونقلت مركز قيادتها إلى تونس (٢٣ - ٣١ أغسطس ١٩٨٢)^(٣).

تداعيات حرب لبنان ١٩٨٢:

في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة "تسببت حرب لبنان في انشقاق عميق داخل المجتمع الإسرائيلي؛ عندما اتضح أن الحرب قد خرجت عن أهدافها المعلنة، وحدثت انقسامات بين المحاربين وبين الجمهور بشأن حتمية الحرب وعدالتها، وجرت وقت اندلاع الاشتباكات مظاهرات في الدولة ضد الحرب، وضد تقدم قوات الجيش الإسرائيلي في لبنان، وعُرفت هذه الحرب،... بـ "מלחמת ברירה" "حرب اختيار"، أي حرب بلا ضرورة ولذلك فهي بدون شرعية في نظر الكثيرين داخل المجتمع الإسرائيلي، وازداد الجدل حول حتمية الحرب وأخلاقياتها عندما اتضح أن الجيش الإسرائيلي يعتمد الدخول إلى بيروت^(٤)". كما أدت حرب لبنان إلى اشتعال الخلاف السياسي، فقد رأى الكثيرون من معسكر اليسار أن "إسرائيل تخوض لأول مرة في تاريخها حربا غير ملزمة أي لها الخيار أن تقاتل أو ألا

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 331.

(٢) عملية سلامة الجليل http://knesset.gov.il/lexicon/arb/shalom_galil.htm

(٣) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 331.

(٤) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 331.

تقاتل (حرب "هناك خيار")، كما قالوا بأن أغلبية أهداف الحرب هي أهداف من المستحيل تحقيقها: مستحيلة هي الإبادة المادية لـ "منظمة التحرير الفلسطينية"، ولن تستطيع إسرائيل فرض حكومة غير شعبية على اللبنانيين وأنها لن تستطيع حل جميع المشاكل الداخلية في لبنان بين عشية وضحاها، وأن السوريين لن يتركوا لبنان. ويجب التأكيد على أن حزب العمل أيد العملية في مراحلها الأولى، التي هدفت إلى احتلال (٤٠) كيلومتراً شمالي الحدود الإسرائيلية ولكنه عارض كل تقدم آخر... مع ذلك فإن الكثير من الإسرائيليين أُن من معسكر اليمين شعروا أن الحرب عادلة وفي محلها وأن اليسار يمس بالمجهود الحربي بواسطة الانتقاد الذي يوجهه^(١).

وبالرغم من تصاعد الجدل والانقسام حول حتمية الحرب من عدمها؛ فقد ظلت قوات الجيش الإسرائيلي في لبنان حوالي عامين ونصف العام، في ضوء ما عرض الكتاب محل الدراسة، إلى أن "قرّرت حكومة إسرائيل انسحاباً أحادي الجانب من لبنان، على مراحل، على مدى ستة أشهر (يونيو ١٩٨٥)، وظلت المنطقة الأمنية في جنوب لبنان تحت سيطرة جيش جنوب لبنان، الذي تلقى دعماً من الجيش الإسرائيلي، وظلت قوة من الجيش الإسرائيلي في الشريط الأمني، وبدلاً من الفلسطينيين نشأت في جنوب لبنان قوة جديدة، "حزب الله"، منظمة تعمل بتمويل ومساعدة إيران ودعم سوريا، يقاتل حزب الله الجيش الإسرائيلي بأساليب حرب عصابات، حرب استنزاف ضد الجيش الإسرائيلي مستمرة وارتفع عدد الضحايا بين الجنود^(٢)".

وإذا نظرنا إلى تداعيات حرب لبنان (١٩٨٢)، سنجد أنها أدت على الصعيد الداخلي الإسرائيلي إلى:

١- انقسام حاد في صفوف الجماهير وفي صفوف المحاربين حول حتمية الحرب وعدالتها.

٢- اشتعال الخلاف السياسي بين معسكر اليسار الذي رأى فيها حرباً غير ملزمة وأهدافها غير قابلة للتحقيق مما لا يبرّر استمرارها؛ في حين رأى فيها معسكر اليمين حرباً عادلة.

(١) عملية سلامة الجليل http://knesset.gov.il/lexicon/arb/shalom_galil.htm

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 331.

وعلى الصعيد الآخر أدت حرب لبنان إلى :

١- إبعاد القوى الفلسطينية من بيروت، وعلى رأسها ياسر عرفات، ونقل مركز قيادتها إلى تونس .

٢- استبدال منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان بـ "حزب الله".

ويركز الكتاب محل الدراسة على مفهوم "نظرية الأمن الإسرائيلي" ويعمل على ترسيخها في أذهان الطلاب؛ وهو مفهوم له بعده الصهيوني الواضح "فهناك نظرية الأمن الأبدي، أي إن أمن إسرائيل" مهدد دائماً، وإن حالة الحرب مع العرب حالة شبه أزلية وإن البقاء هو الهدف الأساسي للاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية^(١)".

وفي ذلك تكريس للعنف والاعتداء في أذهان الطلاب، مع عدم الاعتراف بفشل هذه الاستراتيجية العسكرية في تحقيق السلام والأمن لإسرائيل، "أثبتت خبرة الحروب العربية-الإسرائيلية فشل الحرب في تأمين السلام لإسرائيل وعجزها عن توفير الأمن لها، في حين رأى عدد كبير من أعضاء المؤسسة الصهيونية أن التفاوض مع العرب بضمانات دولية قد يلي الحاجة إلى الأمن، وخصوصاً في ظل تزايد إدراكها أنها رغم تفوقها العسكري لم تتمكن من فرض الاستسلام غير المشروط على العرب بل على العكس فقد تمكن العرب من تجاوز العديد من مضاعفات وآثار هذا التفوق وأثبتت حرب عام ١٩٧٣ وغزو لبنان الفاشل عام ١٩٨٢ محدودية القوة الإسرائيلية وعجزها^(٢)". ولم تعترف إسرائيل بفشل هذه الاستراتيجية العسكرية وواصلت الاعتداء على جنوب لبنان مجزرة قانا الأولى ١٩٩٦، ومجزرة قانا الثانية ٢٠٠٦.

الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي:

في إطار الصراع الفلسطيني الإسرائيلي سأتناول هنا الانتفاضة الفلسطينية الأولى (ديسمبر ١٩٨٧) في ضوء ما عرضه الكتاب محل الدراسة .

الانتفاضة الفلسطينية الأولى (ديسمبر ١٩٨٧):

بدأ الكتاب حديثه عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى موضحاً أسبابها على النحو التالي: "بدأ تصعيد خطير جداً في العلاقات بين إسرائيل والفلسطينيين، في (٨ ديسمبر ١٩٨٧)، في

(١) مرتضى، إحسان أديب: الأمن القومي "الإسرائيلي" في تطورات المفهومية والعملائية، مركز

باحث للدراسات، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦، ص ٤٨

(٢) مرتضى، إحسان أديب: الأمن القومي "الإسرائيلي"، مرجع سابق، ص ٥٤.

مفرق الدخول إلى جباليا، في قطاع غزة، صدمت شاحنة إسرائيلية سيارة فلسطينية كانت تقف بجانب الطريق. فُقتل أربعة فلسطينيين وأصيب ستة أشخاص إصابات شديدة، انتشرت في مخيم جباليا شائعات بأن الحادثة مُتعمّدة، وتحوّلت جنازات القتلى إلى مظاهرات ضد إسرائيل استمرت لليوم التالي أيضاً، علاوة على، إعلان إضراب عن العمل ... وامتدت الانتفاضة إلى كل أنحاء قطاع غزة والضفة الغربية^(١)."

يرى الكتاب في الفقرة السابقة أن دهس سائق الشاحنة الإسرائيلي لمجموعة من العمّال الفلسطينيين على حاجز بيت حانون «إريز»، الذي يفصل قطاع غزة عن بقية الأراضي الفلسطينية منذ سنة (١٩٤٨)؛ وما ترتب عليه من قتلى وإصابات في الجانب الفلسطيني كان السبب في اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى، كما يشير - باقتضاب - إلى بعض العوامل الأخرى، والتي تتمثل في:

- "السيطرة الإسرائيلية المستمرة على قطاع غزة والضفة الغربية وتوسيع الاستيطان اليهودي في تلك المناطق.

- الوضع الاقتصادي القاسي لكثير من مستوطني الضفة وقطاع غزة. وفقدان الأمل في تحسين الوضع مستقبلاً^(٢)."

وإن كنا لا نعترض على تلك الأسباب التي أشار إليها الكتاب إلا أننا نرى أن هناك عوامل أساسية أخرى، والتي تتمثل في مجموعة من السياسات الإسرائيلية التي أدت إلى تدهور الأوضاع داخل الأراضي المحتلة من ناحية، وإلى تعزيز خيار المقاومة والكفاح الوطني، من ناحية أخرى وفي مقدمتها:

١- سياسات الإلحاق الاقتصادي الهادفة إلى تكريس الضفة والقطاع سوقاً للمنتجات الاسرائيلية، وبالتالي خنق التطور الصناعي، وفرض القيود على النمو الزراعي، مما أدى إلى تزايد معدلات البطالة، وخاصة بين خريجي الجامعات والمعاهد، فأصبح هناك أعداد كبيرة من الخريجين الذين لا يجدون العمل، أو العمل المناسب، في الأراضي المحتلة.

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر المامه العشرى، شم، عمود 331 .

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر المامه العشرى، شم، عمود 331 .

٢- سياسة مصادرة الأراضي والتي أدت إلى تحويل أعداد متزايدة من صغار الفلاحين والمزارعين إلى قوة عمل مأجورة لا تجد مجالاً للعمل داخل الأراضي المحتلة، فتضطر إلى البحث عنه وراء ما يسمى "الخط الأخضر" في ظروف بالغة الصعوبة، حيث يحصل العمال على ما بين (٥٠ و ٧٠٪) من أجور العمال الإسرائيليين الذين يقومون بالعمل ذاته، فضلاً عن الحرمان من أية ضمانات.

٣- إرهاب التجار بالضرائب المتزايدة التي أثقلت كاهلهم وأثارت نقيمتهم على الاحتلال^(١).

٤- إبقاء الاقتصاد الفلسطيني تابعا ورافدا غنيا للاقتصاد الإسرائيلي وتعزيز ذلك بعدة أساليب منها :

- أ- ربط شبكات الطرق والكهرباء والمواصلات والاتصالات والمياه بإسرائيل .
- ب- إجبار التجار والصناع الفلسطينيين على استخدام الموانئ الإسرائيلية سواء في التصدير أو الاستيراد .
- ت- جعل الضفة والقطاع أسواقا للمنتجات الإسرائيلية .
- ث- سرقة الأرض والسيطرة على المياه الجوفية الفلسطينية من خلال عدم منح تصاريح خاصة بحفر الآبار الارتوازية للفلسطينيين ومراقبة عملية سحب المياه من الآبار الارتوازية التي كانت في الفترة التي سبقت الاحتلال العام (١٩٦٧) .
- ج- منع التراخيص عن المؤسسات الاقتصادية الفلسطينية .
- ح- تدمير مقومات معيشة الإنسان الفلسطيني ودفعه للهجرة بممارسات إذلالية وتذويبية وتجويعية .
- خ- السيطرة على مقومات السياحة الفلسطينية^(٢) .

(١) عبد المجيد، وحيد : الشمولية الاجتماعية للانتفاضة، شئون فلسطينية، عدد ١٩٣، إبريل ١٩٨٩،

مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ص ١٢، ١١.

(٢) أبوبكر، بكر : الانتفاضة الأولى

٥- عمليات الاعتقال الواسعة لكل من يشتبه في انضمامه إلى المقاومة الوطنية، والتي كثيراً ما تتم بشكل أقرب إلى العشوائية، والتي أدت إلى تحويل السجناء إلى مدارس للمناضلين، بدءاً من محو أمية المعتقل الأمي إلى إلقاء المحاضرات في الاقتصاد والسياسة وأساليب الكفاح، وهناك الكثيرون الذين اعتقلوا بشكل عشوائي، على الرغم من عدم انخراطهم في العمل الوطني، فخرجوا من السجناء مناضلين أشداء^(١).

٦- الإجراءات التي اتخذتها السلطات الإسرائيلية لتهويد القدس^(٢).

٧- "انحسار الاهتمام العربي بقضية فلسطين ومركزيتها: وعلى الصعيد العربي جسد مؤتمر القمة العربية المنعقد في الاردن (نوفمبر ١٩٨٧) انحساراً بارزاً لأهمية القضية الفلسطينية، وبات الحديث عن مركزيتها لا يتجاوز اللفظ دون أي تخطيط"^(٣).

ومن خلال هذا العرض للأسباب غير المباشرة لقيام الانتفاضة يمكننا التأكيد على أنها كانت رد فعل لسياسات إسرائيل منذ احتلالها لفلسطين (١٩٤٨) وحتى اندلاع الانتفاضة (١٩٨٧)، وهو ما لم يعرضه الكتاب لطلابه بأمانة علمية مكتفياً بإشارة لا تتجاوز السطرين عن السيطرة الإسرائيلية على قطاع غزة والضفة الغربية وسوء الأوضاع الاقتصادية لمستوطنيهما حاصراً القضية في الضفة الغربية وقطاع غزة ومتجاهلاً معاناة الشعب الفلسطيني الأساسية من احتلال سائر أراضيه، ومتجاهلاً ما لقضية القدس من أهمية على الصعيدين الديني والقومي بالنسبة للفلسطينيين، وهذا لا يعني أطرافاً أخرى فلسطينية وعربية ودولية من المسؤولية في تسرّب الإحساس بفقدان الأمل لدى قطاع كبير من الفلسطينيين.

(١) عبد المجيد، وحيد : الشمولية الاجتماعية للانتفاضة، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) وردت هذه الإجراءات تفصيلاً في كتاب : حسن، محمد خليفة: البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٨) ، عام ١٩٩٩، ص ٩٠.

(٣) أسباب الانتفاضة <http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3471>

تداعيات الانتفاضة الفلسطينية الأولى (ديسمبر ١٩٨٧):

من الزاوية الإسرائيلية:

في ضوء ما ورد في الكتاب محل الدراسة أدت أحداث الانتفاضة إلى :

١- قيام "القيادة الوطنية الموحدة" التي اشترك فيها ممثلو تيارات فلسطينية مختلفة، والتي أدارت الصراع الفلسطيني.

٢- تعزيز التطرف الديني الإسلامي بين الفلسطينيين، والذي يرجع وفق ما جاء في الكتاب محل الدراسة إلى الثورة الإسلامية في إيران .

٣- نشأة حركة حماس وظهورها على مسرح الأحداث "اقترحت الدوائر الإسلامية حلولاً للأزمات الاقتصادية والاجتماعية للمتدينين المسلمين وهكذا ضمت إلى صفوفها الكثيرين. على رأس المنظمات الإسلامية "حماس"، التي أنشئت في بداية الانتفاضة، وأضفت على الصراع القومي الحمية الدينية^(١)".

ونقف هنا عند مصطلح " التطرف الديني الإسلامي " بين الفلسطينيين ،وهو المصطلح الذي أراه متسقاً مع الدعاية الإسرائيلية التي ترى في المقاومة العربية للمشروع الصهيوني تطرفاً وإرهاباً، وترى في الوقت ذاته فيما تمارسه إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني دفاعاً عن أمنها، وهو المفهوم الذي تقوم إسرائيل بزعره في عقول أبنائها.

ويركز الكتاب محل الدراسة على تداعيات الانتفاضة الفلسطينية من زاوية الرؤية الإسرائيلية لذلك كان يجب الوقوف على زاوية الرؤية الفلسطينية على النحو التالي:

من الزاوية الفلسطينية:

١- "هزّت الانتفاضة الفلسطينية نظرية الأمن الصهيونية المستندة إلى الحدود الآمنة؛ كانت إسرائيل تنظر للأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بأنها تؤمن لها أمناً إضافياً، وجاءت الانتفاضة لتؤكد بأن هذه الأراضي تشكل عبئاً أمنياً قد يتحول يوماً ما إلى تهديد عسكري حقيقي .

٢- ردّت سلطات الاحتلال على الانتفاضة بالمزيد من عمليات القتل، وتكسير العظام، والاعتقالات والإبعاد.

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: مسع آل העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332 .

٣- فجّرت الانتفاضة داخل الكيان الصهيوني ما سمّي "أزمة الهوية"، وكشفت عن عمق العنصرية الصهيونية.

٤- زادت حدّة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية للكيان الصهيوني، مما دفع الإدارة الأمريكية بأن تلقي بكل ثقلها بهدف إنقاذه من أزمته.

٥- أعادت الانتفاضة الاعتبار للقضية الفلسطينية بعد محاولات ضربها، وبعد تراجع الاهتمام الدولي بها بعد حرب لبنان عام (١٩٨٢)؛ كما استثمرت منظمة التحرير الانتفاضة لتحسين موقعها التفاوضي؛ بموازاة بروز القوى الإسلامية كجزء فاعل ووازن داخل الشارع الفلسطيني^(١).

ردّ فعل الجيش الإسرائيلي على الانتفاضة:

بدايةً رصد الكتاب محل الدراسة مظاهر الانتفاضة الفلسطينية الأولى كالآتي: مظاهرات، ورشق بالحجارة، وإغلاق محاور سير المرور، وأيضاً العصيان المدني، والتوقف عن دفع الضرائب، ثم تحدث عن انتشار الأحداث وازديادها مما فاجأ إسرائيل، "وكان صعباً على الجيش الإسرائيلي التعامل في مواجهة هذا النوع - حرب أهلية"، وبعد أن أوضح الكتاب للطلاب صعوبة الموقف أمام الجيش الإسرائيلي رصد كيف واجه الجيش الموقف موضحاً أن "الجيش الإسرائيلي استخدم طرقاً مختلفة للمعاقبة مثل فرض منع التجول، واعتقالات، وتفريق المظاهرات بإطلاق غاز مسيل للدموع، وإطلاق نار في الجو، وغلق مؤسسات تعليم...، وإطلاق طلقات مطاطية وضرب المشتبه بهم"^(٢).

نجد هنا أن المرجع يذكر ضرب نار في الهواء وضرب للمشتبه بهم ولم يتطرق لوقوع قتلى مع أن الحقيقة هي أنه "يُقدّر أن ١.٣٠٠ فلسطيني قتلوا أثناء أحداث الانتفاضة الأولى على يد الجيش الإسرائيلي، كما قتل ١٦٠ إسرائيليًا على يد الفلسطينيين"^(٣)، وأجد في ذلك محاولة لطمس الحقيقة في أعين الطلاب.

(١) أبو حليوه، إبراهيم: العمليات الاستشهادية خلال انتفاضة الأقصى، باحث للدراسات، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧، ص ١١.

(٢) برتل، إسرائيل وآخرين: مسع ال העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332.

(٣) الانتفاضة الفلسطينية الأولى // انتفاضة الحجارة <http://www.3rdintifada.com/first.php>

وتتفق هذه الحقيقة مع الحل الذي طرحه رفائيل إيتان رئيس الأركان السابق والعقل الموجه لحرب لبنان ١٩٨٢ ، بشأن الانتفاضة حين قال: " يجب إطلاق النار عليهم في الرأس. لا أشك أن هذا ما سيحدث في النهاية"؛ "رصاصه في رأس كل رامي حجر" ومن الملاحظ أنه عند تطرق المرجع لكلمة "الانتفاضة" האינתיפאדה " عرّفها بأنها كلمة عربية معناها התנעפות - انتفاضة، مع إغفال الاسم الذي وصفت به الانتفاضة بأنها انتفاضة الحجارة، "لأن الحجارة كانت الأداة الرئيسية فيها، كما عُرِف الصغار من رماة الحجارة بأطفال الحجارة"^(١)، وذلك كي لا يظهر واضحاً أمام الطلاب عدم التكافؤ ما بين الأسلحة الإسرائيلية والحجارة الفلسطينية.

ومن أهم ما رصده الكتاب محل الدراسة بشأن الانتفاضة هو الربط بين التطور التكنولوجي المتمثل في "التلفزة" ووصول الأحداث إلى كل بيت في إسرائيل وفي العالم: "في عصر التلفزيون وصلت الأحداث القاسية إلى كل بيت في إسرائيل وفي العالم، خلق منظر جنود الجيش الإسرائيلي،الذين يستخدمون القوة ضد النساء والأطفال رأياً عاماً مناوئاً لإسرائيل ومتعاطفاً مع السكان الفلسطينيين،الذين يصارعون من أجل حق أساسي - حق تقرير المصير"^(٢).

والعبارة بهذا الشكل : "מראה חיילי צה"ל המפעילים כוח נגד נשים וילדים יצר דעת קהל עוינת כלפי ישראל ואוהדת כלפי האוכלוסייה הפלסטינית، שנאבקה למען זכות בסיסית- הגדרה עצמית." "خلق منظر جنود الجيش الإسرائيلي،الذين يستخدمون القوة ضد النساء والأطفال رأياً عاماً مناوئاً لإسرائيل ومتعاطفاً مع السكان الفلسطينيين،الذين يصارعون من أجل حق أساسي - حق تقرير المصير" ؛ تعدّ اعترافاً بالحق الفلسطيني في تقرير المصير .

ومن أشهر المشاهد التلفزيونية للتعسف الإسرائيلي المشهد الذي التقطته أجهزة التصوير التلفزيوني الغربية للجنود الإسرائيليين وهم يقومون بتكسير أيدي بعض الشباب الفلسطيني العزل في نابلس بالحجارة الكبيرة ، مما كان له تأثير بالغ على الرأي العام العالمي،وجعله يتعاطف مع الفلسطينيين، وتأتي هذه الواقعة متسقة مع ما أعلنه يتسحاق

(١) الانتفاضة الفلسطينية الأولى// انتفاضة الحجارة ،المرجع السابق.

(2) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332 .

رابين رئيس وزراء إسرائيل، في حينه قائلاً: "سنفرض القانون والنظام في الأراضي المحتلة، حتى ولو كان يجب المعاناة لفعل ذلك"، وأضاف قائلاً "سنكسر أيديهم وأرجلهم لو توجب ذلك"^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن التعاطف العالمي مع الفلسطينيين تعاطف واه ولا يصمد طويلاً أمام أبواق الدعاية الصهيونية التي تسيطر على أجهزة الإعلام في العالم فضلاً عن التعسف الأمريكي والانحياز التام لإسرائيل.

وترتب علي هذه الواقعة أن "أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٦٠٥ لعام ١٩٨٧ بتاريخ ٢٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٧ وشجب فيه الممارسات الإسرائيلية التي تنتهك حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة ويطلب من "إسرائيل" الالتزام فوراً وبدقة باتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب"^(٢)، وبالطبع لم يذكر الكتاب محل الدراسة شيئاً عن هذا القرار حتى لا تصبح إسرائيل في موضع اتهام في نظر مواطنيها من الأجيال الناشئة.

والحقيقة أن أهم ما أسفرت عنه الانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧ هو الدفع في اتجاه التفاوض بداية بمؤتمر مدريد المنعقد سنة (١٩٩١) برعاية الولايات المتحدة الأمريكية ونهاية بالتوصل إلى اتفاق أوسلو ١٩٩٣.

القضية السابعة :

السلام مع مصر والأردن:

أولاً: معاهدة السلام مع مصر (١٩٧٩):

يتطرق الكتاب إلى معاهدة السلام مع مصر، ويعرض لجزء من خطاب السادات أمام مجلس الشعب المصري (٩ نوفمبر ١٩٧٧) والذي أعلن فيه استعدادة للذهاب إلى أقصى العالم، وإلى الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) من أجل السلام، ويذكر الكتاب أن السادات قد أعلن ذلك من موضع قوة المنتصر بعد حرب ١٩٧٣: "اعتقد الرئيس السادات أن من موضع

(١) الانتفاضة الفلسطينية الأولى // انتفاضة الحجارة مرجع سابق

(٢) قرارات مجلس الأمن التي تدين الارهاب الصهيوني

قوة مصر، التي استندت إلى الإحساس بالانتصار بعد حرب أكتوبر، من الممكن اقتراح مفاوضات سياسية على إسرائيل، الحقيقة أن مصر باغتت إسرائيل بحرب أكتوبر، وكذلك ظفرت بنجاحات عسكرية في أيام الحرب الأولى، وانتصبت قامة الجيش والشعب المصري وتحطم التصور السائد بأن إسرائيل لا تقهر^(١).

ويربط الكتاب بين التغيير العميق الذي طرأ على الخريطة السياسية في إسرائيل بفوز "الليكود" في انتخابات الكنيست (١٧ مايو ١٩٧٧) وتولى زعيمه مناحيم بيغن رئاسة الوزراء وبين رغبة بيغن والسادات في المفاوضات: "... طرأ انقلاب درامي (١٧ مايو ١٩٧٧)؛ لأول مرة في تاريخ الدولة فاز "الليكود" في الانتخابات وأصبح زعيمه مناحيم بيغن رئيس وزراء، ومنذ اليوم الأول لتوليّه منصبه أشار مناحيم بيغن بطرق مختلفة إلى عزمه الاهتمام بالموضوع السياسي، التقى بيغن مع رئيس رومانيا وأعلن عزمه اللقاء مع رئيس مصر، أعلن بيغن أن كل الموضوعات موضع الخلاف بين الطرفين ستكون مفتوحة للمفاوضات، ونقل رئيس رومانيا هذه الرسائل إلى السادات، والتقى موشيه ديان، وزير الخارجية في حكومة بيغن، في المغرب مع أحد مستشاري السادات واقترح عقد لقاء مباشر بين الزعيمين^(٢)"، ويذكر الكتاب تعثر المباحثات بسبب الفجوات العميقة ونقاط الخلاف الشديدة في مواقف الطرفين. وعند هذه النقطة يبدأ في التأكيد على الدور الأمريكي.

التأكيد على الدور الأمريكي:

يرصد الكتاب الدور الأمريكي ممثلاً في دعوة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جيمي كارتر، لكل من بيغن والسادات لإجراء مباحثات مباشرة في كامب ديفيد، المنتجع الرسمي لرؤساء الولايات المتحدة، وبعد ضغط أمريكي، كما يؤكد الكتاب محل الدراسة، صيغت اتفاقية إطار، وصادق على الاتفاقية بأغلبية كبيرة في تصويت الكنيست (٢٨ سبتمبر ١٩٧٨)، وبعدها بستة أشهر وقّعت في واشنطن معاهدة السلام (٢٦ مارس ١٩٧٩)^(٣).

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 330.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 330.

(٣) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 330.

ويذكر الكتاب مقتطفات من خطابي مناحيم بيغن وأنور السادات في مراسم توقيع المعاهدة حيث قال مناحيم بيغن: "لעתה הוא הזמן לכולנו לגלות אומץ לב אזרחי כדי להודיע לעמנו ולאחרים: לא עוד שפיכת דמים, לא עוד שכול" "الآن هو الوقت الذي علينا جميعاً أن نظهر شجاعة وطنية لنعلن لشعبنا وللآخرين: "لا حرب بعد اليوم لا سفك دماء بعد اليوم، لا ثكل بعد اليوم". ويروح مشابهة قال الرئيس السادات: "وبرוח دומה אמר הנשיא סאדאת: "אל יהיו עוד מלחמות או שפיכות דמים בין ערבים לישראלים אשר חיו יחד בשלום ובהרמוניה במשך מאות בשנים"، "لن تكون هناك بعد اليوم حروب أو سفك الدماء بين العرب والإسرائيليين الذين عاشوا معاً في سلام وانسجام على مدى مئات الأعوام"^(١).

وهنا ينبغي التأكيد أن السادات لا يقصد أن العرب والإسرائيليين قد عاشوا في سلام وانسجام على مدى مئات الأعوام؛ بل يقصد الطائفة أو الجماعة اليهودية التي عاشت في البلدان العربية والإسلامية، والتي حظيت بمعاملة تتسم بالسماحة والعدالة والسلام في ظل الحكم الإسلامي، أما المصطلح "إسرائيليون" فأصحابه، منذ قيام دولتهم مايو (١٩٤٨) لا تربطهم بجيرانهم العرب سوى علاقات حروب وصراع ونزاع.

ويتعرض الكتاب للتعهدات التي تضمنتها المعاهدة وذلك على النحو التالي: "تعهدت إسرائيل بالانسحاب من سيناء على مراحل وإخلاء كل المستوطنات التي أقيمت فيها، كذلك أن تسود بين البلدين علاقات سلام كاملة وحرية ملاحه لسفن إسرائيلية في قناة السويس؛ والشروع في مفاوضات من أجل منح حكم ذاتي للفلسطينيين في المناطق التي احتلتها إسرائيل في ١٩٦٧، لأول مرة في تاريخها وقعت إسرائيل على معاهدة السلام الأولى والمنفردة مع أكبر دولة عربية. في إطارها تم تبادل السفراء وبدأت علاقات دبلوماسية بهدف الوصول لتطبيع بين الدولتين"^(٢).

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 330.

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 330.

ومن خلال الفقرة السابقة نجد أنه في ضوء تعهدات الطرف الإسرائيلي كان ينبغي الشروع في مفاوضات من أجل منح حكم ذاتي للفلسطينيين في المناطق التي احتلتها إسرائيل في ١٩٦٧. وهنا يبرز التساؤل ماذا فعلت إسرائيل منذ مارس ١٩٧٩ وحتى مارس ٢٠١٢ أى ٣٣ عاماً منذ معاهدة السلام مع مصر بالنسبة لحكم ذاتي فلسطيني في المناطق التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧؟ وكم يلزمها من الأعوام كي توفى بتعهداتها؟! أم أنها قصدت بالتعهد بالشروع في مفاوضات على أنه التزام بالتفاوض دون أن يكون له أثر على الأرض بمنح الحكم الذاتي للفلسطينيين في المناطق التي احتلتها في ١٩٦٧.

ووصف الكتاب مصر بأنها "أكبر دولة عربية" مشيراً إلى عمق الحدث وإن كان أوضح ما ترتب على المعاهدة من عزل مصر عن العالم العربي وتقوية معارضة داخلية داخل مصر أسفرت عن قتل السادات على يد ضابط مسلم متطرف (أكتوبر ١٩٨١)^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب محل الدراسة لم يتطرق لمحاولة منحهم بيجن استرضاء الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة واليمين الصهيوني المتطرف بعد إصابتها بخيبة أمل شديدة في منحهم بيجن، رجل "أرض إسرائيل الكاملة"، الذي وافق على انسحاب إسرائيل من سيناء في إطار اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل؛ مما دفع حكومته لبذل جهد كبير في إقامة مستوطنة "ألون موريه"^(٢) شرقي نابلس فاق أى جهد بذلته في إقامة أى مستوطنة

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسعى آل העבר המאה העשרים، שמ, עמוד 330 ، 331 .
(٢) **مستوطنة ألون موريه**: يشار إلى أن مستوطنة 'ألون موريه' الواقعة على التلال الشمالية الشرقية من قرى وبلدات سالم، دير الحطب، عزموط، تعتبر محط أرق وقلق للكثير من المزارعين في القرى المذكورة، فمنذ عام ١٩٧٩م تحديداً منذ تاريخ نشأة المستوطنة وأهالي تلك القرى يمرون بصراع يومي مع الاحتلال ابتداءً من مطاردة رعاة الماشية في أراضيهم إلى احتجاز رؤوس الماشية، ثم إلى منع المزارعين من الاستفادة من أراضيهم الزراعية في المنطقة، بالإضافة إلى عملية قطع الكهرباء بطريقة متقطعة عن أهالي قرية دير الحطب، وذلك من خلال إتلاف شبكات الكهرباء والتي تمتد القرية بالكهرباء، مما أثر ذلك بشكل مباشر على الحياة في القرية بشكل كبير، والانتهاه بمصادرة نحو ٣٨٩ دونماً من أراضي دير الحطب، ومقام أيضاً جزء منها على أراضي قرية عزموط، ويبلغ عدد المستعمرين في مستوطنة 'ألون موريه' ١٠٩٧ مستعمراً، وهي مقامة بمسطح بناء ١,٢١٤ دونم.

أخرى، وذلك على النحو التالي: "فقد قامت طائرات هليكوبتر كبيرة تابعة للجيش الإسرائيلي بنقل المعدات بالإضافة إلى عشرات الشاحنات والرافعات والجرافات في عملية طوارئ خاصة، وأحضرت معدات ميكانيكية كبيرة تابعة للصندوق القومي الإسرائيلي والوكالة اليهودية والجيش الإسرائيلي ودائرة الأشغال العامة، وفتحت خزانة الدولة الخاوية أمام مطالبهم^(١)".

وهكذا، فقد كانت حركة الليكود نصيراً بارزاً لفكرة "أرض إسرائيل الكاملة"، وعلى رأسها، مناحيم بيغن الذي قام بدعم حركة الاستيطان، وأضاف مستوطنات كثيرة وأيضاً أدخل القانون الإسرائيلي حيز التنفيذ في هضبة الجولان عام ١٩٨١ بناء على اقتراح من حزب هتسيا^(٢).

ومن الضروري الوقوف هنا على حقيقة أن ظهور حركة "هتسيا" جاء على خلفية اتفاقيات السلام التي وقعت بين مصر وإسرائيل في عام (١٩٧٨) "ويتنمي مؤسسو الحركة إلى أكبر ثلاث حركات سياسية في إسرائيل: حركة العمل، الليكود والمفدال"^(٣)، فقد ترتب على هذه الاتفاقيات، أن انشق عن الليكود كل من جيئولا كوهين^(٤) وموشيه شامير، زعيم

(١) روبنشتاين، داني: غوش إيمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل، عمان ط ١، ١٩٨٣، ص ٣٧.

(٢) مصطفى، هويدا عبد الحميد: الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٣) كوهين، أشير: هيا معاً: العلاقات بين المتدينين والعلمانيين داخل حزب مختلط، دراسة وردت في الفصل السابع من كتاب "العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل"، إعداد وإشراف: يشعياهو ليفمان، ترجمة: د. محمد محمود أبو غدير، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠، ص ١٦١.

(٤) **جيئولا كوهين**: ولدت في تل أبيب سنة ١٩٢٥. انضمت في صباها إلى بيتار، حركة الشباب في الصهيونية التصحيحية، وتطوعت في الإرجون، التي كانت في الأربعينات بقيادة مناحيم بيغن، لكنها تركت الإرجون سنة ١٩٤٣ للانضمام إلى ليحي، وأصبحت مذيعة في الإذاعة. انضمت سنة ١٩٧٠ إلى حزب حירות بقيادة بيغن، وانتخبت في سنة ١٩٧٣ عضواً في الكنيست الثامن. وكانت بين سنتي ١٩٧٧ و ١٩٨١ رئيسة الكنيست للهجرة والاستيعاب. (مصالحة، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع ١٩٦٧ - ٢٠٠٠، مرجع سابق، ص ٣٣٧: ٣٣٨).

حركة "أرض إسرائيل الكاملة" التي نشطت بين سنتي ١٩٦٧ و١٩٧٧، وأسسا حزب "هتسيا" اليميني الشديد التطرف في أكتوبر ١٩٧٩، وقد انضم إلى "هتسيا" البروفيسور يوفال نئمان^(١)، عالم الفيزياء النووية الإسرائيلي، الذي كان يومها رئيساً لجامعة تل أبيب أيضاً، وإلياكيم هعتسني^(٢)، وهو أحد أعضاء مجلس مستوطنات الضفة وقطاع غزة، وحنان بورات، وهو أحد مؤسسي "جوش إيمونيم"، وكلاهما من زعماء المستوطنين البارزين، وقد انتُخبا فيما بعد لعضوية الكنيست على لائحة "هتسيا"^(٣).

وكان الخط الأيديولوجي الأساسي "لهتسيا" يستند على فكرة "أرض إسرائيل الكبرى"، وقد اعترضت الحركة بشدة على اتفاقيات كامب ديفيد والتي التزمت إسرائيل بموجبها بالانسحاب من سيناء وإزالة المستوطنات اليهودية منها، وكانت خيبة الأمل من الاتفاق كبيرة بصورة خاصة لأن المفاوضات جرت على أيدي حكومة الليكود التي كان الجمهور يرى حتى ذلك الوقت أنها تعتنق فكرة "لا انسحاب من شبر واحد"^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن مناحيم بيغن قد قرر اعتزال الحياة السياسية بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر، وأصيب بحالة من الاكتئاب الشديد حتى وفاته، مما يؤكد على الحزن والندم الشديد على الانسحاب من سيناء وإخلاء المستوطنات التي أقيمت فيها. وذلك ما أغفله الكتاب تماماً في عرضه للموضوع.

^(١) يوفال نئمان: كان نائباً لرئيس لجنة الطاقة النووية، ورئيساً لوكالة الفضاء الإسرائيلية منذ سنة ١٩٨٢؛ وعمل رئيساً للعلماء في وزارة الدفاع في فترة ١٩٧٥ - ١٩٧٦، عندما كان شمعون بيرس وزيراً للدفاع. وكان على علاقة مقربة من حزب العمل؛ وعمل رئيساً لجامعة تل أبيب في فترة ١٩٧١ - ١٩٧٥؛ ووزيراً للعلوم والتنمية في فترة ١٩٨٢ - ١٩٨٤؛ ووزيراً للعلوم والطاقة في حكومة شامير حتى يناير ١٩٩٢. (مصالحه، نور الدين: مرجع سابق، ص ٢١٥).

^(٢) إلياكيم هعتسني: ولد في ٢٢ يونيو ١٩٢٦، محامي وصحفي، عضو في مجلس مستوطنات الضفة وقطاع غزة، وعضو كنيست في الكنيست الثاني عشر عن حزب "هتسيا"، ويعمل هعتسني صحفياً وينشر مقالاته في صحيفة "يديعوت أحرونوت" وغيرها من الصحف، وهو من مستوطني كريات أربع.

^(٣) مصالحه، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسّع ١٩٦٧ - ٢٠٠٠، مرجع سابق، ص ٢١٢.

^(٤) كوهين، أشير: هيا معاً: العلاقات بين المتدينين والعلمانيين داخل حزب مختلط، مرجع سابق، ص ١٦١.

ثانياً: اتفاقية سلام مع الأردن :

يتطرق الكتاب بشكل مختصر إلى اتفاقية السلام مع الأردن ويرجع بالتاريخ إلى الوراء في إشارة سريعة إلى اتصالات جرت بين إسرائيل والأردن أيام الملك عبدالله ، جد الملك حسين ثم إلى مقابلات سرية بين الملك حسين وقادة دولة إسرائيل قبل اتفاقية السلام بأعوام عديدة، ثم يصل إلى اتفاقية السلام مع الأردن: "في لقاء القمة الثلاثي بين راين، وحسين وكليتون، الذي جرى في البيت الأبيض، أعلن كل من حسين وراين إنهاء حالة الحرب بين الدولتين (يوليو ١٩٩٤)، ومع تقدم المفاوضات... تمّ في ٢٦ أكتوبر، توقيع الطرفين على اتفاقية السلام بحضور الرئيس كليتون في اجتماع جرى في وادي عربة على الحدود بين الدولتين^(١)".

ويتطرق الكتاب محل الدراسة إلى جزء من خطاب كل من يتسحاق راين والملك حسين في مراسم توقيع اتفاقية السلام، قال يتسحاق راين: "... אנו יוצאים היום למלחמה שאין בה הרוגים ופצועים، ולא דם וסבל، וזו המלחמה היחידה שתענוג להשתתף בה- המלחמה על השלום" "... نحن نخرج اليوم لحرب بلا قتلى ولا جرحى، بدون دم ولا معاناة، وهى الحرب الوحيدة التي من الممتع الاشتراك فيها- الحرب من أجل السلام" وصرّح الملك حسين: "... אנו כל ילדי אברהם، נזכור וננצור יום זה، שהוא השחר של עידן חדש לשלום" نحن، كل أبناء إبراهيم، سنذكر ونحفظ هذا اليوم، الذي هو بمثابة فجر عصر جديد للسلام^(٢)".

وقد عمل الكتاب محل الدراسة على إظهار الجانب الإسرائيلي بالجانب الحريص على السلام ممثلاً في رئيس وزرائه، وترسيخ هذه الفكرة في أذهان طلابه فلم يتطرق الكتاب إلى ما وراء هذا الحرص من أطماع ومصالح لا علاقة لها بمفهوم السلام ، وهى الأطماع التي تم الافصاح عنها علانية في تصريحات بعض من الزعماء الإسرائيليين في أعقاب اجتياح العراق للكويت (١٩٩٠)، فوجد جيئولا كوهين، التي كانت حينها وزيرة في حكومة شامير، تهدد صراحةً بترحيل الفلسطينيين من الضفة الغربية إلى الأردن قائلة: "إذا استمرت

(١) برتل، إسرائيل ואחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332 ، 333 .

(٢) برتل، إسرائيل ואחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 333 .

الأزمة في التصاعد، وإذا تخطى الأردن بعض الخطوط الحمراء، فإننا سنجيب فوراً بضم يهودا والسامرة ونبسط سيادتنا هناك، وبعدها بقليل سنحلّ عرب يهودا والسامرة بالقوة ... إلى الأردن" واستطردت "يعني هذا أن ملك الأردن سيخسر الأرض ومملكته. وحدها إسرائيل يمكنها توطين الفلسطينيين هناك، وسيُنَفَّذ هذا بأفضل طريقة ملائمة لنا"⁽¹⁾، وتأكيداً لذات التوجّه نجد تحذير عضو الكنيست السابق أوري أفنيري، أنه نتيجة لأزمة الخليج "فإن بعض الجماعات الإسرائيلية المؤثرة أظهرت توقفاً إلى اجتياح إسرائيل للأردن"⁽²⁾.

ولم تقف هذه الأطماع عند حدّ الرغبة في ترحيل الفلسطينيين إلى الأردن بل وصلت إلى حدّ اعتبار الأردن هو أرض إسرائيل التي لا مجال لوجود دولة فلسطينية عليها. وعبرت الصحافية البولندية المولد أورا شيم - أور⁽³⁾ عن هذا الاتجاه في موقفها الرفض لوجود دولة فلسطينية في مملكة الأردن "... إقليم الأردن هو أرض إسرائيل" ولذا فهي تعتقد أن إسرائيل يمكنها ويجب عليها اجتياح دولة الأردن وضمها، ومن هناك تهدّد مصادر النفط في الشرق الأوسط"⁽⁴⁾.

وهكذا، نجد أن آمال التوسع والاجتياح والرغبة في السيطرة على مصادر النفط في الشرق الأوسط كانت الدافع وراء عقد هذه الاتفاقية في هذا التوقيت، ومن خلال حزب العمل اليساري الذي لا يفصح صراحةً عن هذه الأطماع ولكنه يدرك تماماً كم المكاسب التي سيحققها من وراء هذه الاتفاقية. وبالطبع لم يشر الكتاب الذي تناول هذه الاتفاقية باقتضاب شديد لهذا البعد.

ويرصد الكتاب في نهاية حديثه عن اتفاقية السلام مع الأردن حقيقة أن الأردن كانت الدولة العربية الثانية التي وقعت على اتفاقية سلام مع إسرائيل، ويشير إلى ما تبع ذلك من

(1) مصالحة، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع، سابق ص ٢٢٠.

(2) مصالحة، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع، سابق ص ٢٢١.

(3) أورا شيم-أور: صحافية بولندية المولد معروفة في إسرائيل، تحرر عمودا في يومية "يديعوت أحرانوت". وهي صهيونية علمانية، من أهم كتبها "إسرائيل الكبرى" ١٩٨٥، "إسرائيل: دولة شرطية" ١٩٨٧. (مصالحة، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، سابق ٢٤٠: ٢٣٩).

(4) مصالحة، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، سابق ٢٣٩.

زيارة الملك حسين لإسرائيل "بعد أسبوعين من توقيع اتفاقية السلام زار الملك حسين لأول مرة إسرائيل، في زيارة علنية، وعلى أثرها تبادلت الدولتان فتح مفاوضات دبلوماسية على مستوى سفراء"^(١).

وقد اهتم محررو الكتاب بوضع صورة أرشيفية لمناحيم بيغن والسادات وكارتر وهم يتصافحون أثناء توقيع معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر في واشنطن، والصورة مزيلة بالتاريخ (٢٦ مارس ١٩٧٩)، كما تضمن الكتاب أيضاً صورة لمصافحة كل من الملك حسين ورئيس الوزراء يتسحاق رابين في حضور كليتون أثناء توقيع اتفاقية السلام مع الأردن ومزيلة أيضاً بالتاريخ (أكتوبر ١٩٩٤)، وفي ذلك توثيق للأحداث.

القضية الثامنة :

اتفاقية أوسلو وما أحدثته من انقسام داخل إسرائيل :

يعرض الكتاب محل الدراسة تحت عنوان "مفاوضات سياسية بين إسرائيل والفلسطينيين" وبشكل موجز عودة حزب العمل إلى السلطة (يونيو ١٩٩٢)، وتولي يتسحاق رابين رئاسة الوزراء وشمعون بيريز وزارة الخارجية، وإعلان رابين عن عزمه الوصول إلى حل سياسي للنزاع الفلسطيني، ومطالبة رابين "بإزالة الآثار النفسية السلبية التي سادت بين غالبية مواطني إسرائيل، خلال أعوام من العمليات الإرهابية الأليمة ضد سكان مدينتين في إسرائيل"^(٢).

وهنا ينبغي الوقوف عند استخدام تعبير "العمليات الإرهابية الأليمة ضد سكان مدينتين" "פעולות טרור מכאיבות נגד אוכלוסייה אזרחית בישראל" في صفحات تتحدث عن السلام في كتاب تعليمي لطلاب في الصف التاسع لا يزيد متوسط أعمارهم عن (١٥) عاماً وذلك لما ينطوي عليه هذا التعبير من شحن داخلي للطلاب وتعبئة ضد فكرة السلام ذاتها، ولنا أن نسأل هل ردّ الفعل الفلسطيني على الانتهاكات الإسرائيلية يعدّ إرهاباً؟!

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 333 .

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332 .

ويتحدث الكتاب تحت العنوان سالف الذكر ، عن مقابلات سرية جرت في أوسلو بواسطة وزير الخارجية النرويجي بين ممثلين إسرائيليين برئاسة يوسي بيلين، نائب وزير الخارجية في حينه وممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أبي علاء، وقد أسفرت تلك المباحثات عن توقيع تفاهمات عرفت باتفاقيات أوسلو (٢٠ أغسطس ١٩٩٣) نصت على إنهاء النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين وتحقيق سلام عادل في الشرق الأوسط، وذلك بعد اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل واعتراف الأخيرة بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للشعب الفلسطيني، وبناء على ذلك تمّ في حديقة البيت الأبيض توقيع الاتفاقية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي (١٣ سبتمبر ١٩٩٣). ويذكر الكتاب أنه "صاحب التوقيع مصافحة تاريخية بالأيدي بين الزعيمين مشوبة بالآمال والشكوك"^(١).

تضمن الكتاب جزء من خطاب راين في مراسم التوقيع جاء فيه: "בסמטאות חאן יונס, בחוצות רמת גן, בבתי עזה, בכיכרות חדרה, ברפיח ובעפולה- נולדה הבוקר מציאות חדשה. מאה שנים של סכסוך פלסטיני- ישראלי ומליוני בני אדם חפצי חיים מביטים בנו. יהי אלוהים עמנו." "بعد مئات السنين على النزاع الإسرائيلي- الفلسطيني وبينما نحن محط أنظار الملايين من البشر الراغبين في الحياة ولد هذا الصباح واقع جديد في أزقة خان يونس وفي شوارع رמת جن، وفي بيوت غزة، وفي ميادين حديره، وفي رفح وفي عفولة، ونسأل الله التوفيق"^(٢).

من الملفت للانتباه أن الكتاب لم يشر من قريب أو بعيد إلى خطاب ياسر عرفات في مراسم التوقيع مقارنة بما عرضه لجزء من خطابات السادات والملك حسين في مراسم التوقيع المماثلة وفي ذلك نوع من التجاهل المتعمّد ، ولم يغفل الكتاب عرض صورة أرشيفية للمصافحة التاريخية بين يتسحاق راين وياسر عرفات بحضور كليتون، مزيلا بتاريخ توقيع الاتفاقية (سبتمبر ١٩٩٣)، وقد استوقفني التعليق الذي ذكره الكتاب من أن توقيع الاتفاقية صاحبه مصافحة تاريخية بين عرفات وراين يشوبها الآمال والشكوك، وهو التعليق الذي يوحي بعمق أزمة الثقة بين الطرفين وتجذرهما، والذي لم يعلّق بمثله على مصافحة السادات ومناحيم بيغن أو مصافحة الملك حسين ويتسحاق راين.

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332 .

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 332 .

ردود الفعل على اتفاقية أوسلو:

يؤكد الكتاب محلّ الدراسة على ما أحدثته اتفاقية أوسلو من انقسام شديد بين الجمهور الإسرائيلي، فقد رأى فيها المؤيدون من كتلة اليسار بارقة أمل لإنهاء النزاع ول مستقبل أفضل؛ بينما رأى فيها المعارضون من كتلة اليمين أنها مفاوضات مع قتلة والتوقيع عليها يلزم إسرائيل بالتنازل عن مساحات واسعة من الأرض، كما يرصد الكتاب أيضاً انقساماً مشابهاً بين الجمهور الفلسطيني قائلاً: "بدأ معارضو الاتفاقية في عمليات إرهابية قاسية، وعمليات تخريبية انتحارية من أجل إفشال عملية السلام"^(١).

وهنا يتحدث الكتاب عن عمليات (إرهابية وتخريبية انتحارية) من الجانب الفلسطيني لإفشال عملية السلام ولم يذكر شيئاً عن تاريخ الإرهاب الإسرائيلي، وعلى سبيل الرصد لا الحصر سأذكر:

١- تفخيخ سيارتي اثنين من رؤساء البلديات الفلسطينيين - رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة وزميله رئيس بلدية رام الله كريم خلف - وإصابتهما بجروح خطيرة يونيو (١٩٨٠)^(٢).

٢- قيام الحركة السرية اليهودية في صيف (١٩٨٣) بعملية تخريبية ضد الجامعة الإسلامية في الخليل قُتل فيها ثلاثة طلاب عرب وجرح ثلاثة وثلاثون آخرون^(٣).

٣- مذبحه الحرم الإبراهيمي التي ارتكبتها المتطرف اليهودي باروخ جولدشطاين (٢٥ فبراير ١٩٩٤) وراح ضحيتها (٢٩) فلسطينياً وإصابة (١٢٥) آخرين من المصلين في الحرم الإبراهيمي في الخليل^(٤).

(١) برتل، إسرائيل وآخرون: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 333.

(٢) كليل، جيل: يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، ترجمة: نصير مروءة، دار قرطبة، ط١، ١٩٩٢، ص ١٧٧.

(٣) لוי، שלי: מסמך רקע בנושא: אלימות פוליטית מצד יהודים בישראל، מוגש לחה"כ רן כהן، הכנסת، מרכז המחקר והמידע، 17 אוגוסט 2005، עמוד 14.

www.knesset.gov.il/mmm

(٤) לוי، שלי: מסמך רקע בנושא: אלימות פוליטית מצד יהודים בישראל، שם، עמוד 18, 19.

ويستطرد الكتاب موضحاً أنه "على الرغم من المعارضات من الجانبين فإن اتفاقية أوسلو بدأت تدخل حيز التنفيذ فقد قام الجيش الإسرائيلي بإخلاء غزة وأريحا، وبدأ التخطيط للانسحاب من الضفة والخليل، وقد أثارت هذه الخطوات معارضة عنيفة بين دوائر اليمين التي قامت بتنظيم مظاهرات واحتجاجات كثيرة ضد سياسة الحكومة بدعوى أنه لا يجب اتخاذ سياسات تتسم بالخيانة ولا بد من منع راين من تنفيذ تلك السياسات. كما استمرت في الوقت ذاته العمليات الإرهابية من جانب منظمات فلسطينية والتي قوّت خط المعارضة لتنفيذ اتفاقيات أوسلو^(١)".

وهكذا يقدم الكتاب في مادته العلمية تبريراً مقنعاً لاشتداد المعارضة اليمينية لاتفاقيات أوسلو، وهو استمرار ما أسماه "العمليات الإرهابية" "פעולות הטרור" من جانب منظمات فلسطينية. ويصرّ في الوقت نفسه على تسمية فعاليات المعارضة من جانب منظمات فلسطينية بأنها عمليات إرهابية.

وعلى الجانب الآخر يرصد الكتاب الدور الذي لعبه أنصار سياسات السلام في إسرائيل وقيامهم بتنظيم مهرجان تأييد للحكومة في ميدان ملوك إسرائيل في تل أبيب، (٤ نوفمبر ١٩٩٥) تحت عنوان: "כן לשלום، לא לאלימות" "نعم للسلام، لا للعنف"، وصلت الجماهير إلى الميدان معربة عن تأييدها لسياسات الحكومة. في خطابه في المهرجان قال راين: "... אין אנו שוכחים לרגע- בין שתומכים במהלכים שלנו ובין שמתנגדים להם- כולנו אחים، כולנו יהודים וגורל אחד לכולנו" "... نحن لا ننسى للحظة – أننا جميعاً كلنا أخوة سواء المؤيدين لمسيرتنا أو المعارضين لها فكلنا يهود ومصيرنا واحد"، وشارك راين في ترديد نشيد السلام على مسرح المهرجان. بعدها بدقائق معدودة، قُتل راين وهو في طريقه إلى سيارته بأيدي يچال عامير – وهو يهودي يميني متطرّف^(٢)."

ورأى الكتاب أن إسرائيل بعد اغتيال راين أصبحت إسرائيل أخرى، يشتد فيها الاستقطاب الاجتماعي والأيديولوجي، والتساؤلات المطروحة حول سياسات الدولة وأهدافها وقيمها، وكل ما يتعلق ببرنامج العمل القومي، لا تزال بلا إجابة.

(١) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 333 .

(٢) برتل، إسرائيل وأחרים: מסע אל העבר המאה העשרים، שם، עמוד 333 .

وقد انعكس ذلك في مقال نُشر في صحيفة "تل أبيب" - بعد عامين من اغتيال راين - تضمن التساؤل حول ما إذا كان قد حدث تغيير في إسرائيل بعد اغتيال راين، وقد ردّ على هذا التساؤل شخصيات بارزة من مختلف المجالات على النحو التالي: "إيتان هيفر"، مدير مكتب رئيس الوزراء سابقاً ومندوب مؤسسة "سامسونج" في إسرائيل حالياً (١٩٩٧)، رأى أن كل شيء قد تغير خلال العامين الأخيرين. "يوسفني، أننا نعيش في أرض مختلفة تماماً، لا يوجد مجال من مجالات الحياة لم يتغير في بلادنا منذ الاغتيال الرهيب. وقد ظهر ذلك في علاقاتنا مع العرب من حولنا، وفي علاقاتنا مع دول العالم،... وهذا التغيير السلبي يحيط بكل مجالات الحياة، في النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وفي انهيار جهاز الصحة وفي التعليم^(١)...". أما المؤرخة أنيتا شاير، فقد قارنت الوضع بعد عامين من اغتيال راين بالجو المشابه للحياة في الجيتو، وفي تشخيص تاريخي قصير رأت أن هناك تراجع من العصرية إلى الوثنية. ورأت في اغتيال راين "دليلاً على وجود تيار عميقة لم نكن نعلم بوجودها بيننا"^(٢).

والجدير بالذكر أنه قد وقع على يتسحاق راين "دين روديف"^(٣) " (حكم من يتأمر على مصلحة اليهود ودينهم) وأنه يباح، لذلك، النيل منه.

"وقد طبق هذا الحكم على يتسحاق راين رئيس وزراء إسرائيل الأسبق بفتوى شرعية من عدد من الحاخامات اليهود في إسرائيل، لموافقة على عقد اتفاقية سلام مع الفلسطينيين تنطوي من وجهة نظرهم على تأمر وتجاوز بحق اليهود يتمثل في الموافقة على التنازل عن

(١) هدر، روني وأחרى: سنتים אחרי הרצח האם יש לנו ארץ אחרת?، تل أبيب، ١٩٩٧، עמוד

28.

(٢) هدر، روني وأחרى: سنتים אחרי הרצח האם יש לנו ארץ אחרת?، שם، עמוד 28.

(٣) دين روديف (حكم من يتأمر على مصلحة اليهود ودينهم): ينصّ هذا الحكم على أن من يتأمر على أصول الدين اليهودي ويكره الدين، فإنه في هذه الحالة يكون كارهاً لذات وجود شعب إسرائيل (اليهود) ويكون عدواً لكافة اليهود، وينبغي في هذه الحالة الحكم عليه باعتباره متآمراً لأنه يجور على مصلحة جموع اليهود ويستحق الموت، (الشامي، رشاد (أ.د.): موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري، ٢٠٠٢، ص ٩٥).

أجزاء من الضفة الغربية، التي تعتبر في نظرهم "يهودا والسامرة" وجزءاً من "أرض الميعاد" (أرض إسرائيل الكبرى) والتي لا يجوز التنازل عن شبر واحد منها "للعالمين" أو "بني إسماعيل"^(١).

وقد أغفل الكتاب هذه المعلومة المهمة واكتفى بذكر الاستقطاب الاجتماعي والأيدولوجي، دون أن يشير إلى الاستقطاب الديني اليهودي، ودوره في التأثير على صنّاع القرار في إسرائيل.

(١) الشامي، رشاد (أ.د.): موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المرجع السابق، ص ٩٥.

obeikand.com

الخاتمة

من حيث الشكل :

- يقع الكتاب في ٣٤٣ صفحة من الحجم الكبير.
- الطباعة واضحة وبدون أخطاء مطبعية أو لغوية.
- خامة الورق فاخرة .
- يوجد به عدد كبير من الصور التي توثق للأحداث وعدد من الخرائط التوضيحية .

من حيث المضمون :

- يتناول الكتاب تاريخ اليهود في القرن العشرين ملقياً الضوء على المتغيرات العالمية وأثرها على أوضاع اليهود كالحرب العالمية الأولى ، والثورة البلشفية وغيرها من الأحداث التي تركت بصماتها على حياة اليهود.
- يتضمن الكتاب عدداً كبيراً من المفاهيم والمصطلحات الصهيونية مثل: "معاداة السامية" "האנטישמיות"، والهجرة اليهودية "עלייה יהודית"، والاستيطان اليهودي "היישוב היהודי"، واستيعاب المهاجرين "הקליטה"، ومعسكرات التأهيل "חווה הכשרה"، والعمل الزراعي "עבודה חקלאית"، والحياة المشتركة "חיי שיתוף"، و الرواد "החלוצים"، المستدروت الصهيونية "ההסתדרות הציונית"، الوكالة اليهودية "סוכנות יהודית" - وكلها مصطلحات صهيونية تنتمي إلى الصهيونية العملية التي تؤمن بالهجرة والاستيطان. واستُخدمت هذه المصطلحات بكثرة على مدار صفحات الكتاب الخاصة بمرحلة ما قبل حرب (١٩٤٨).

- يعمل الكتاب على ترسيخ مفهوم "معاداة السامية" في أذهان الطلاب وهو المفهوم الذي روّجت له الصهيونية السياسية لتبرير مطالباتها بوطن قومي "كاملجاً آمن" على حد قولها، وقد ظهر ذلك بوضوح في تناول الكتاب لأوضاع يهود الاتحاد السوفيتي السابق وبولندا، وفي استخدام العناوين التي تؤكد هذا المفهوم مثل عنوان: "البلشفيون يعملون

على طمس هوية يهود الاتحاد السوفيتي " הבולשביקים פועלים לטשטוש זהותם של יהודי ברית המועצות " .

- يستخدم الكتاب عدد من الوثائق للتأكيد على بعض المفاهيم مثل: مفهوم الاستيطان "الوثيقة الخاصة بالقرارات التي اتخذها اتحاد جمعيات الرواد في أولى جلساته عام (١٩١٨) والتي تنصّ على الهدف الاستيطاني وعلى واجبات الأعضاء والتزاماتهم، كما استعان بالوثيقة الخاصة بالانتداب البريطاني "صكّ الانتداب مسلطاً الضوء على المادة السادسة الخاصة بتشجيع الاستيطان اليهودي. كذلك استعان بمرسوم لينين الذي يحظر معاداة السامية (يوليو ١٩١٨) للتأكيد على مفهوم "معاداة السامية".

- يستخدم الكتاب عدد من الخرائط كوسيلة إيضاحية للطلاب تخدم المادة العلمية المقدّمة ، منها خريطة لحدود فلسطين عام ١٩٢٢ وقد استُبدلت الأسماء العربية للبلدان الفلسطينية في الخريطة بأسماء عبرية، على سبيل المثال: שכם شيكم بدلاً من نابلس، חברון حبرون بدلاً من الخليل؛ وذلك بهدف طمس الهوية الفلسطينية.

- يركز الكتاب محل الدراسة على مفهوم "نظرية الأمن الإسرائيلي" ويعمل على ترسيخها في أذهان الطلاب؛ وهو مفهوم له بعده الصهيوني الواضح بدايةً من فكرة الدفاع عن المستوطنات اليهودية، التي تم وضعها كذريعة لإقامة تنظيم عسكري أطلق عليه الاسم "هجاناه"، وفي ذات الاسم يكمن السؤال من الذي يعتدي ومن الذي يدافع. وبذلك إظهار الجانب الفلسطيني كمعتدى وليس معتدى عليه وعلى أرضه، وبذلك يكرّس الكتاب لمفهوم القوة والعنف كوسيلة دفاعية.

- وفي إطار الصراع العربي- الإسرائيلي يتناول الكتاب "حرب لبنان (١٩٨٢)" التي أطلقت عليها إسرائيل اسم "عملية سلامة الجليل"، ومن هذا الاسم تقفز على السطح نظرية الأمن الإسرائيلي التي تبرّر بها إسرائيل عدوانها. ويظهر ذلك بوضوح فيما عرضه المرجع محل الدراسة من أسباب ساقطها إسرائيل لتبرير اجتياحها لبنان.

- يستخدم الكتاب محل الدراسة مصطلحات ومفاهيم تصب في دائرة الشحن تجاه الآخر، العربي والفلسطيني، على النحو التالي: مخربون "מחבלים"، حرب عصابات "מלחמת גרילה"، التطرف الديني الإسلامي "ההקצנה הדתית האיסלאמית"، عمليات إرهابية "פעולות טרור"، عمليات تخريبية انتحارية "פיגועי התאבדות"، فقد وصف الكتاب ما يقوم به الجانب الفلسطيني من دفاع عن أرضه وعن مقدساته الإسلامية تطرفاً وإرهاباً.

- يسعى الكتاب إلى التأثير على حكم القارئ من خلال عرض بعض المعلومات وإخفاء أخرى:

أ- اعتبر الكتاب اعتراض الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس، على انتهاك اليهود للمادة الثانية عشرة من صك الانتداب الخاصة بعدم المساس بالوضع القائم في الأماكن المقدسة، استغلالاً للنفوذ الديني لتأجيج الصراع؛ بينما تجاهل اعتداءات اليهود على الأماكن المقدسة الإسلامية.

ب- تناول الكتاب موضوع إقامة مؤسسات سياسية خاصة بالاستيطان اليهودي، في الوقت الذي تجاهل فيه حرمان الفلسطينيين من حقهم في إقامة مؤسسات مماثلة.

ج- وفي إطار الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي تعرّضت في هذه الدراسة للانتفاضة الفلسطينية (١٩٨٧). ويمكننا التأكيد على أنها كانت ردّ فعل على سياسات إسرائيل منذ احتلالها فلسطين (١٩٤٨) وحتى اندلاع الانتفاضة (١٩٨٧)، وهو ما لم يعرضه الكتاب لطلابه بأمانة علمية مكثفاً بإشارة لا تتجاوز السطرين عن السيطرة الإسرائيلية على قطاع غزة والضفة الغربية وسوء الأوضاع الاقتصادية لمستوطنيهما حاصراً القضية في الضفة الغربية وقطاع غزة ومتجاهلاً معاناة الشعب الفلسطيني الأساسية من احتلال سائر أراضيه، ومتجاهلاً ما لقضية القدس من أهمية على الصعيدين الديني والقومي بالنسبة للفلسطينيين.

د- تطرّق الكتاب لرد فعل الجيش الإسرائيلي على الانتفاضة فذكر ضرب نار في الهواء وضرب للمشتبه بهم ولم يتطرّق لوقوع قتلى مع أن الحقيقة هي أنه يُقدّر أن ١٣٠٠ فلسطيني قتلوا أثناء أحداث الانتفاضة الأولى على يد الجيش الإسرائيلي، كما قتل ١٦٠ إسرائيليًا على يد الفلسطينيين، وأجد في ذلك محاولة لطمس الحقيقة في أعين الطلاب خاصة مع إغفال الاسم الذي وصفت به الانتفاضة بأنها انتفاضة الحجارة، وذلك كي لا يظهر واضحاً أمام الطلاب عدم التكافؤ ما بين الأسلحة الإسرائيلية والحجارة الفلسطينية.

- يستخف الكتاب ببعض العقائد الإسلامية، فقد تناول حادثة "الإسراء والمعراج" بشئ من الاستخفاف فبدلاً من أن يضعها في مصاف معجزات الأنبياء، عرضها بشكل خيالي وليس بوصفها معجزة، ذلك أن وصفها كحقيقة بعيداً عن فكرة التدخل الإلهي تعد غير منطقية في أذهان الطلاب، كما أن الحديث عن النبي محمد (ص) باسمه المجرد دون تعريف بأنه نبي الإسلام يعبر عن عدم تقدير واحترام.

- أما بالنسبة لقضية السلام مع مصر: تحدث الكتاب عن التعهدات التي تضمنتها المعاهدة وذلك على النحو التالي: "تعهدت إسرائيل بالانسحاب من سيناء على مراحل وإخلاء كل المستوطنات التي أقيمت فيها، كذلك أن تسود بين البلدين علاقات سلام كاملة وحرية ملاحه لسفن إسرائيلية في قناة السويس؛ والشروع في مفاوضات من أجل منح حكم ذاتي للفلسطينيين في المناطق التي احتلتها إسرائيل في (١٩٦٧)^(١)"، ومن خلال الفقرة السابقة نجد أنه في ضوء تعهدات الطرف الإسرائيلي كان ينبغي الشروع في مفاوضات من أجل منح حكم ذاتي للفلسطينيين في المناطق التي احتلتها إسرائيل في (١٩٦٧)، وهنا يبرز التساؤل ماذا فعلت إسرائيل منذ مارس (١٩٧٩) وحتى مارس (٢٠١٢) أي (٣٣) عاماً منذ معاهدة السلام مع مصر بالنسبة لحكم ذاتي فلسطيني في المناطق التي احتلتها إسرائيل عام (١٩٦٧)؟ وكم يلزمها من الأعوام كي توفي بتعهداتها؟! أم أنها قصدت بالتعهد بالشروع في مفاوضات

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 330.

على أنه التزام بالتفاوض دون أن يكون له أثر على الأرض بمنح الحكم الذاتي للفلسطينيين في المناطق التي احتلتها في (١٩٦٧).

- اهتم محررو الكتاب بوضع صورة أرشيفية لمصافحة كل من مناحيم بيغن والسادات وكارتر أثناء توقيع معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر في واشنطن مزيلة بالتاريخ (٢٦ مارس ١٩٧٩)، وكذلك وضع صورة لمصافحة كل من الملك حسين ورئيس الوزراء يتسحاق رابين في حضور كليتون أثناء توقيع اتفاقية السلام مع الأردن ومزيلة أيضاً بالتاريخ (أكتوبر ١٩٩٤)، وفي ذلك شكل من أشكال التوثيق.

- من الملفت للانتباه أن الكتاب لم يذكر في حديثه عن اتفاقية أو سلو أي جزء من خطاب ياسر عرفات في مراسم التوقيع مقارنة بعرضه أجزاء من خطاب السادات والملك حسين في مراسم التوقيع المماثلة، ولم يغفل الكتاب عرض صورة أرشيفية لمصافحة كل من يتسحاق رابين وياسر عرفات بحضور كليتون، مزيلة أيضاً بالتاريخ سبتمبر (١٩٩٣)، كما استوفني أيضاً التعليق الذي ذكره الكتاب من أن توقيع عرفات ورايين على الاتفاقية في واشنطن صاحبه "مصافحة بالأيدي تعد مصافحة تاريخية مشوبة بالآمال والشكوك"، وهو التعليق الذي يوحي بعمق أزمة الثقة بين الطرفين، والذي لم يعلّق بمثله على مصافحة السادات ومناحيم بيغن أو مصافحة الملك حسين ويتسحاق رابين.

- رصد الكتاب ثورة الاتصالات وربط بين التطور التكنولوجي في البث التلفزيوني وبين وصول أحداث الانتفاضة إلى كل بيت في إسرائيل وفي العالم: "في عصر التلفزيون وصلت الأحداث القاسية إلى كل بيت في إسرائيل وفي العالم. خلق منظر جنود الجيش الإسرائيلي الذين يستخدمون القوة ضد النساء والأطفال رأياً عاماً مناوئاً لإسرائيل ومتعاطفاً مع السكان الفلسطينيين، الذين يصارعون من أجل حق أساسي - حق تقرير المصير^(١)".

من حيث نواتج التعلم المستهدفة:

يراعي الكتاب تحقيق نواتج التعلم المستهدفة حيث يطرح أسئلة بسيطة ومركزة تخدم جوهر الموضوع بطريقة مباشرة، وتقيس في نفس الوقت مستويات المعرفة والفهم لدى

(١) برتل، إسرائيل وأחרى: مسع آل العبر המאה העשרים، שם، עמוד 332.

الطلاب، وتعمل على تنمية مهاراتهم الذهنية من خلال الربط بين أجزاء المقرر والتدريب على ربط المعلومات الواردة في الكتاب ببعضها البعض بإحالة الطالب إلى صفحات بعينها وصولاً إلى تنشيط مهارات الطالب الذهنية بتدريبه على عقد المقارنات. وتلك الأسئلة ذات مغزى معين يهدف المؤلف من ورائه إيصال المفاهيم الصهيونية إلى أذهان الطلاب .

قائمة المراجع

أولاً : المراجع العربية :

(أ) الكتب :

- ١- أبو حليوه، إبراهيم: العمليات الاستشهادية خلال انتفاضة الأقصى، باحث للدراسات، بيروت - لبنان، (٢٠٠٧)
- ٢- أبو خضراء، فيصل: تاريخ المسألة الفلسطينية الأزمة والحل، مركز الإعلام العربي - بيروت، ط١، (١٩٩٠)
- ٣- الشامي، رشاد عبد الله: الصهيونية من الفكرة إلى الحركة في العصر الحديث، (٢٠٠٥)
- ٤- حسن، محمد خليفة: البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (٨)، عام (١٩٩٩)
- ٥- روبنشتاين، داني: غوش إيمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل، عمان ط١، (١٩٨٣)
- ٦- عبد المجيد، وحيد: الشمولية الاجتماعية للانتفاضة، شؤون فلسطينية، عدد (١٩٣)، إبريل (١٩٨٩)، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية.
- ٧- عناب، محمد رشيد: الاستيطان الصهيوني في القدس (١٩٦٧ - ١٩٩٣)، بيت المقدس للنشر، ط١، (٢٠٠١).
- ٨- ماضي، عبد الفتاح محمد: الدين والسياسة في إسرائيل، دراسة في الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية، مكتبة مدبولي، ط١، (١٩٩٩) م.
- ٩- مرتضى، إحسان أديب: الأمن القومي "الإسرائيلي" في تطورات المفهومية والعملانية، مركز باحث للدراسات، لبنان، ط٢، ٢٠٠٦.

- ١٠- مصالحة، نور الدين: إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع (١٩٦٧-٢٠٠٠)، ترجمة: خليل نصار، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١ بيروت (٢٠٠١).
- ١١- مصطفى، هويدا عبد الحميد: الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠١٠).
- ١٢- كوهين، أشير: هيا معاً: العلاقات بين المتدينين والعلمانيين داخل حزب مختلط، دراسة وردت في الفصل السابع من كتاب "العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل"، إعداد وإشراف: يشعياهو ليفمان، ترجمة: د. محمد محمود أبو غدير، المجلس الأعلى للثقافة، (٢٠٠٠).

- ١٣- كييل، جيل: يوم الله الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، ترجمة: نصير مروة، دار قرطبة، ط١، (١٩٩٢).

(ب) - دوائر المعارف العربية:

- ١- المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموزعة، المجلد الأول، دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٦ م.
- ٢- تلمى، افرايم ومناحم: معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمى، دار الجليل، ط١، ١٩٨٨.
- ٣- الشامي، رشاد (د): موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصرى، ٢٠٠٢

ثانياً: المراجع العبرية:

الكتب:

- ١ - برتل إسرائيل وأחרים : מסע אל העבר המאה העשרים בזכות החירות ، מטח. המרכז לטכנולוגיה חינוכית היחידה להוראה מותאמת، (1999).
- ٢- גולדשטיין, יוסי: דת ולאומיות בתנועה הציונית (1881-1912) האוניברסיטה הפתוחה
- 3- פרידמן, מנחם: חברה ודת האורתודוקסיה הלא - ציונית בארץ - ישראל ١٩١٨ - ١٩٣٦, פרק שלישי: הרב קוק-בין מסורת לחידוש, הוצאת יד

יצחק בן צבי, ירושלים, (1988).

٤- רכלבסקי, ספי: חמורו של משיח'דיעות אחרונות, ספרי חמ, נדפס בישראל, (1998).

المقالات:

1- הדר, רוני ואחרים: שנתים אחרי הרצח האם יש לנו ארץ אחרת? , עתון תל אביב, (1997).

٢- באר, יזהר: המטרה – הר הבית: מבט עכשווי על הר הבית מצד גורמים קנאים ומשיחיים, קשב, מרכז להגנת הדמוקרטיה בישראל ע"ר.
www.keshev.org.il

ثالثاً : مواقع الإنترنت:

١- جمهورية فايمر

http://www.elhora.info/oldsite/index.php?option=com_content&vie

تاريخ اليهود في روسيا: متاح على شبكة المعلومات الدولية في (٢ / ٣ / ٢٠١٣) على الموقع
<http://www.marefa.org/index.php/%>

٢- טביביאן , קציעה אביאלי : אנדציה (מפלגת האנדקים), متاح بتاريخ (٣ / ٣ / ٢٠١٣) على الموقع:

<http://lib.cet.ac.il/pages/item.asp?item=14335>

٣- عملية سلامة الجليل

http://knesset.gov.il/lexicon/arb/shalom_galil.htm

٤- الانتفاضة الفلسطينية الأولى // انتفاضة الحجارة

<http://www.3rdintifada.com/first.php>

٥- أبوبكر، بكر: الانتفاضة الأولى

<http://www.bakerabubaker.info/index.php?action=show&pageID=250>

٦- أسباب الانتفاضة

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3471>

٧- مستوطنة ألون موريه

http://www.poica.org/editor/case_studies/view.php?recordID=5533

٨- لوي، شلي: مسمך רקע בנושא: אלימות פוליטית מצד יהודים בישראל، מוגש לחה"כ רן כהן، הכנסת، מרכז המחקר והמידע، (17) אוגוסט (2005)، עמוד

www.knesset.gov.il/mmm .(14)

٩- قرارات مجلس الأمن التي تدين الارهاب الصهيوني

<http://bafree.net/alhisn/showthread.php?t=4229&page=1>

١١- المسيري، عبد الوهاب : لجنة هيكرافت

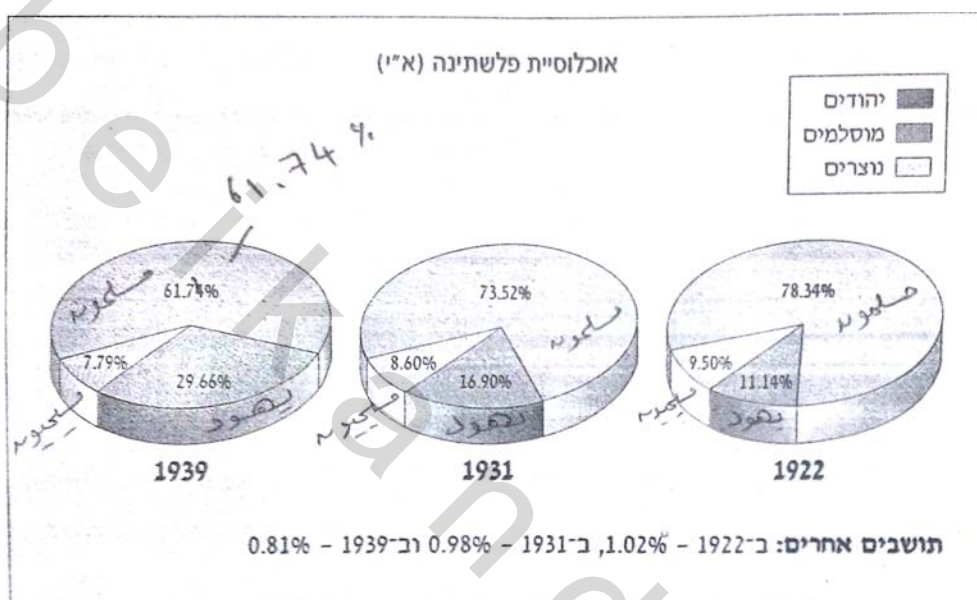
<http://www.elmessiri.com/encyclopedia/JEWISH/ENCYCLOPID/MG6/GZ1/BA4/MD05.HTM>

١٢- سليم، محمد السيد: الاتحاد السوفيتي والقضية الفلسطينية، السياسة الدولية، يوليو

١٩٦٩. متاح على شبكة المعلومات العالمية في (٤ / ٤ / ٢٠١٥) على الموقع

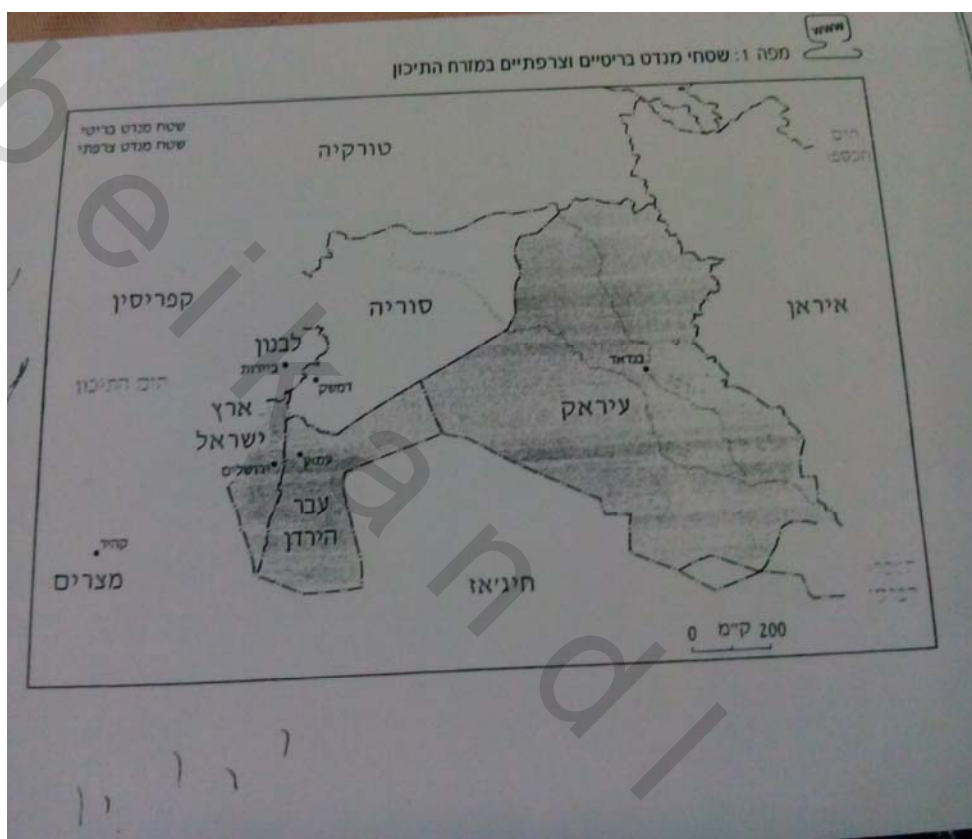
<http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=212976&eid=306>

ملحق الدراسة





בעת מתן הצהרת בלפור נכללו
בתחומי ארץ ישראל שטחים בגדה
המזרחית של הירדן. ארץ ישראל
כמושג מדיני נוצרה ב־1922 וגבולה
המזרחי נקבע בנהר הירדן.



מסמך 7: מודעה ובה רשימה של ערבים שהגנו על משפחות יהודיות בחברון במאורעות תרפ"ט

20(15)	משפחת סלונים	1. עבד שקיר עמר
24	משפחת שניאורסון קיטיין	2. עיסה קורדייה
7	משפחת ליבה, ישראל זיסל	3. אחמד זרי
17	משפחת בג'יו תרגמן	4. ג'זייהאן אבו היקל
19	משפחת חיתסון ברובסקי	5. יחיה מארקא
66	משפחת דניאל מזרחי	6. אחמד קרידה
7	משפחת שלום	7. פחמה אם סלים חשיב
8	משפחת גולן	8. שיך מחמוד חמירי
14	משפחת מזרחי גולן	9. עומד בדר
14	משפחת סלונים	10. מחמד חסן בדר
14	משפחת מזרחי ולהבה אליעזר	11. מוסה יעקב שחין
7-6	משפחת מעש מעש	12. שקיר קייסמי
11	משפחת קמר לוי	13. פואד טחביב
8	משפחת פראנקו, ג'ודו'נסקי, ד"ר אלקנה	14. מחמד אבו זיני
15	משפחת חסון, גבאי, אבוזגלו	15. תאפיק שהון
7	משפחת גולן אבושדיד	16. חג' דאייב אבו חסאב
5	משפחת עזרא	17. רג'ב חסן בדר
3	משפחת חסון	18. מחמד אכרם
4	משפחת קסטל שלמה	19. חסן מוחמד חסן בדר

אנו מאשרים בזה כי רשימה זו היא רשימה מלאה של הערבים שהגנו על משפחות יהודים בחברון בימי המאורעות.

התימות: רבינו מאיר פראנקו - רב ראשי (-)

יעקב יוסף סלונים (-)

מתוך: אבישר, ע' (עורך), ספר חברון, עיר האבות ויישובה בראי הדורות, עמ' 424.

تهويد المناهج الدراسية في فلسطين المحتلة

د. أمل إبراهيم أنور

كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر

obeikandl.com

مقدمة

ارتبط تاريخ المجتمع الإسرائيلي بالحروب والصراع المستمر ، وفقاً لما ورد في التراث اليهودي الزاخر بالعديد من الإشارات إلى أشكال وصور الصراع الذي خاضه بنو إسرائيل مع الأغيار منذ وطأت أقدامهم أرض كنعان ، وبمرور الوقت تحول هذا الصراع مع الآخرين إلى وسيلة مقدسة ومشروعة في نظرهم للتسلل إلى أرض كنعان ، وزراعة كرومها كما ورد في العهد القديم ، وأصبحت وسيلة استخدمها الإسرائيليون المعاصرون من أجل السيطرة على فلسطين^(١).

لقد صاغ هذا التراث العقلية اليهودية في إطار من العنصرية التي تسبغ على اليهود أفكاراً خاصة بهم - على سبيل المثال - أنهم شعب الله المختار ، وفسر اليهود هذا الاختيار على أنه بمثابة برنامج إلهي ؛ فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى ، وهم يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم^(٢) ، تحقيقاً للوعد الإلهي بإقامة دولتهم من النيل إلى الفرات ؛ لذا دأب الصهاينة على تنشئة أجيالهم على الحقد والكراهية ضد الآخر ، وهي مشاعر نابعة من استغلالهم على الأمم الأخرى (الأغيار) ، لاسيما العرب منهم وخصوصاً الشعب الفلسطيني^(٣) ، وقد حاول هؤلاء الصهاينة ، من خلال ما ورثوه من اعتقادات دينية ومفاهيم صهيونية ، تقديم المبررات لاغتصاب الأرض ، وإضفاء الشرعية على الاستيطان اليهودي لفلسطين من خلال تهويد المناهج الدراسية التي تمكنهم من تزييف التاريخ وتهويده وتشويه جغرافية الأرض ، الأمر الذي وضح جلياً فيما عرف بوثيقة الاستقلال^(٤) ، التي أعلنها " بن جوريون " عام ١٩٤٨ والتي دعا فيها إلى توجيه جميع الأنشطة التعليمية والثقافية صوب تنشيط وتثقيف جيل يهودي جديد يكون قادراً على تحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين^(٥).

^(١) أبو غدیر ، محمد محمود : إسرائيل وتوظيف المناهج الدراسية لمقاومة ثقافة السلام ، مجلة

الشرق الأوسط ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، عدد أبريل ٢٠٠٢ ، ص ٣٠ .

^(٢) رشاد الشامي ، الشخصية اليهودية والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩ .

^(٣) عبد الكريم القلاي ، التمييز العنصري في مناهج التعليم الصهيونية ،

www.albayan.co.uk/MGZaricle.asp?ID=602 متاح بتاريخ ١٥ - ٢ - ٢٠١٢ .

^(٤) وثيقة الاستقلال : (מגילת העצמאות) تعد أهم وثيقة في دولة إسرائيل لأنها تمثل الإعلان عن قيامها في ١٤ - أيار ١٩٤٨ .

^(٥) أبو غدیر ، ص ٣٠ .

وقد أكد هذا الهدف رئيس وزراء إسرائيل الأسبق " ليفي أشكول " قائلاً : " إننا لا نسعى إلى إقامة مدارس لأطفال اليهود وإنما نسعى لتربية يهودية " .

لقد اهتمت الحركة الصهيونية منذ نشأتها بتربية النشء اليهودي تربية عنصرية ، ومنذ أوائل القرن العشرين أنشأت مجلساً للتعليم في فلسطين ، وفي الثلاثينات من نفس القرن أنشئت الدائرة التربوية لهجرة الشباب اليهود كجهاز من الأجهزة التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية ؛ بناء على ذلك أجمع الباحثون على أن المصادر الأساسية للتربية الصهيونية هي كتب العقيدة اليهودية ، وفي مقدمتها العهد القديم والمشنا والتلمود ، يضاف إلى ذلك مؤلفات مؤسسي الصهيونية الأوائل ، مثل : كتاب " روما والقدس " لموشيه هيس (١٨١٢-١٨٧٥) ، وكتاب بنسكر " التحرر الذاتي " (١٨٢١-١٨٩١) ، وكتاب " الدولة اليهودية " لهرتسل (١٨٦٠-١٩٠٤) وغيرهم الكثير .

من خلال هذا التوجه بني الكيان الصهيوني سياسته التعليمية في فلسطين مقررًا أن التعليم في فلسطين يجب أن يركز على قيم الثقافة اليهودية والولاء لدولة إسرائيل والشعب اليهودي وتحقيق مبدأ الريادة في العمل الصهيوني ، وفكرة استغلال المناهج التعليمية ليست وسيلة حديثة من وسائل التهويد التي تتبعها إسرائيل بل استخدمت منذ عهد الانتداب البريطاني في فلسطين^(١) ، الذي مهد لإقامة تلك الدولة ، وفي ذلك يقول د/ ماجد الحاج - أستاذ علم الاجتماع وعميد البحث العلمي بجامعة حيفا - في كتابه (تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت) : " شهد النظام التعليمي تطوراً بارزاً في مرحلة

(١) بعد الحرب العالمية الأولى اجتمعت كافة الدول التي شاركت في الحرب ، وفي مؤتمر سلام عام ١٩١٩ بفرنسا ، اقترح فكرة الانتداب ، يتمثل في تعيين دول تكون وصية على الشعوب - التي يدعون أنها ليست مؤهلة في أن تحكم نفسها - وأعطى الانتداب على فلسطين لبريطانيا ، وفي تلك الفترة أعلن وزير خارجية بريطانيا " آرثر جيمس بلفور " - بتأثير زعيم الحركة الصهيونية " حاييم وايزمان " - عن تأييده لإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وكان ذلك في ١٩١٧/١١/٢ ، أدان (حنا) ، وآخرون ، أن تكون مواطنين في إسرائيل ، صدر عن مركز تخطيط وتطوير المناهج التعليمية ، القدس ، ٢٠٠٣ ، ص ١١-١٢ .

الانتداب البريطاني... وكانت مناهج التعليم في المدارس العبرية مصممة ليعتاد العرب على فكرة الوطن القومي اليهودي^(١) ؛ فمنهج التعليم الإسرائيلي يرتبط ارتباطاً شديداً بالأيديولوجية الصهيونية ، وخطة الدولة العبرية . . بناء على ذلك سوف تركّز الدراسة على :

- التعليم العربي في فلسطين ومحاولات تهويده المستمرة .
- وضع اللغة العبرية في المدارس الفلسطينية .
- صورة الإسلام ورموزه في المناهج التعليمية العبرية في فلسطين .
- محاولات محو الهوية العبرية بصورة تدريجية من خلال ما تضمنه كتاب " להיות אזרחים בישראל - מדינה יהודית ודמוקרטית " أن نكون مواطنين في إسرائيل - دولة يهودية وديمقراطية .

- خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

- التعليم العربي في فلسطين المحتلة، ومحاولات تهويده المستمرة :

يعد التعليم من أهم أسس تكوين الفرد واندماجه ، فالمسؤولون عن وضع الخطط والمناهج التعليمية يحرصون دائماً على وضع برنامج متكامل لتأسيس المجتمع ؛ فمن خلال ما تحتويه تلك المناهج ، يتم ترسيخ مبادئ وأفكار معينة من شأنها تحديد هوية^(٢) النشء وتطلعاته ، وإسرائيل تعي هذا جيداً ؛ لذا أولت الحركة الصهيونية التعليم في فلسطين اهتماماً بالغاً لما قد يحدثه من أثر كبير يساعدها في تحقيق أفكارها ؛ من خلال وضع المناهج التعليمية الموجهة للطالب اليهودي أو الطالب العربي داخل الأراضي المحتلة ، وقُدمت تلك المناهج في

^(١) صدر هذا الكتاب في بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٦ .

islamtoday.net/nawafeth/services/printart-95—8893.htm

^(٢) الهوية : هي مجموعة سمات مشتركة لجماعة معينة أو قوم ، يعتزون بها ، وفي اللغة كلمة (هُويّة) : مصدر صناعي من الضمير (هو) ، وتعني حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره ، ومنه بطاقة الهوية ، وثيقة تحمل اسم الشخص ورسمه وسماته (تاريخ ميلاده ، مكان الميلاد ، الجنسية ، العمل) ، والهوية : تعني إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيّمته وسلوكياته في مختلف المواقف . انظر : عمر (أحمد مختار) : معجم اللغة العربية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨ ، مجلد ٣ ، ص٢٣٧٢ .

المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

إطار ما يعرف بـ "عملية التهويد"^(١) والتي شملت كل شيء في فلسطين ؛ فعندما حددت أهداف التعليم الإسرائيلي ، لم تشمل أية أهداف تتعلق بالسكان العرب ، وجعل حب الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي واحترام القيم الثقافية لإسرائيل أهدافاً شرعية للتعليم العربي ، وهو ما نصت عليه المادة الثانية من قانون التعليم الرسمي لسنة ١٩٥٣ : " أن أهداف التعليم الرسمي ، إرساء التعليم في الدولة على قيم حضارة إسرائيل ، وإنجازات العلم على حب الوطن والإخلاص للدولة ولشعب إسرائيل ، وعلى وعي الكارثة والبطولة ، وعلى الإيثار بالعمل الزراعي وبالحرث ، وعلى تحضير طلابي ، وعلى التوق إلى مجتمع مبني على الحرية والمساواة والتسامح والمساعدة المتبادلة وحب الإنسان"^(٢) ، من خلال نص هذا

(١) عملية التهويد ، هي محاولات لتفريغ الشيء المراد تهويده من مضمونه وهويته الأصلية وفرض مفاهيم ومضامين ترتبط باليهودية وما يتعلق بها . وهذا المصطلح في المعجم العربي ، مصدر هود ، ومنه تهويد القدس : عملية نزع الطابع الإسلامي والمسيحي من القدس ، وفرض الطابع اليهودي عليها ، ويقال سياسة تهويدية ، أي سياسة تقوم على إضفاء الطابع اليهودي على بلد أو شعب أو شيء . وفي اللغة العبرية يطلق عليها مصطلح (יידיזם) من الفعل (יהיד) بمعنى : دخل في الدين اليهودي ، جعل الشيء يهودياً .

ويعتبر بعض اليهود استخدام مصطلح " تهويد " معاد لليهود ويشير إلى أن وجود اليهود غريب وغير مقبول ، ووصف بأنه أمر غير أخلاقي وله بالغ الأثر على عملية السلام في المنطقة ، وقد تعرضت (راكيل رواينج) مسئولة الأمم المتحدة لشئون السكن ، للإقالة عندما استخدمت مصطلح تهويد لوصف سياسة الإسكان الحكومي في النقب والقدس .

انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، مجلد ٣ ، ص ٢٣٧٣ و/ غور (יהודה) ، המלון העברי ، הוציאת דביר ، תל-אביב ، תש"ן، עמ' 352 - אבן שושן، אברהם : המלון החדש ، הוציאת קרית ספר، ירושלים ، עמ' 482 .

www.almogaz.com/politics/news/2012/02/21/195504

Arabic.bayynat.org.ib/nashretbayanat/makalat-344-2hlm

(٢) يوسف عودة ، تعليم العرب في إسرائيل - [www.ahewar.org/debat/show.art-](http://www.ahewar.org/debat/show.art-asp?aid=41806)

[asp?aid=41806](http://www.ahewar.org/debat/show.art-asp?aid=41806) متاح على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٢٠١٢-١-٢

تدل مراجعة أهداف التعليم العربي التي حددت عام ١٩٧٥ ، أنها لم تختلف كثيراً عن سابقتها، التي انعكست في قانون التعليم العام، لسنة ١٩٥٣ . ولم يأت التعديل في القانون لعام ٢٠٠٠ ليغير شيئاً =

المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

القانون يمكن القول أن الكيان الصهيوني لم يخف تجاهله التام للوجود الفلسطيني كشعب له تاريخه وحضارته ولغته ، ارتبط بأرضه ووطنه ، وحاول من خلال نفس النص حث اليهود على التمسك بالأرض وإحياء ذكرى أحداث مر بها اليهود كأحداث النازي وما شابه ؛ ففي إسرائيل لا يمكن الفصل بين الهدف التعليمي والهدف السياسي والاقتصادي ؛ فعلى تلك الأهداف وغيرها ، تقوم المؤسسة الحاكمة بتنفيذ الرؤى والمخططات اليهودية بما يعزز الوجود اليهودي ويدعم بقاءه ، لذا لم تدخر إسرائيل جهداً لتحقيق أهدافها وقامت بتجنيد أجهزتها من أجل تحقيق عملية تهويد المناهج التعليمية في فلسطين ؛ فاستخدمت جهاز التعليم العربي أداة لمراقبة العرب والسيطرة عليهم ، وهذه المراقبة تتجسد في تدخل جهاز "الشاباك" (١) في عملية تعيين المديرين والمشرفين التربويين العرب ؛ لذا فالموطن العربي الذي يحمل شهادة لا يمكنه العثور على عمل ما في السوق الإسرائيلية بسهولة دون أن يتقن

= في الأهداف التعليمية الخاصة بالمدارس الرسمية الحكومية، والتي تؤكد على القيم اليهودية، والتاريخ والثقافة، في حين تم تجاهل القيم، والتاريخ والثقافة الفلسطينية ؛ فهي كلها تهمش العرب الفلسطينيين، وتتعامل معهم على أنهم حاضرون غائبون. كما قال أوري لوبراني : "حبذا لو بقي العرب في هذه البلاد حطابين وسقاة ماء، لسهلت قيادتهم .

. www.jai-pal.org/pie/Identity%20in%201948%20area.doc مناهج التدريس الرسمية - جهاز تحكم بيد دولة إسرائيل لمحو الهوية الفلسطينية في مناطق ٤٨ ، بقلم جنان عبده ، ٢٠٠٧.

(١) الشاباك : جهاز الأمن العام والمخابرات الداخلية في إسرائيل ، وهذا المصطلح اختصار لعبارتين ، هما : " שירות בטחון - שירות ביון כללי " ، أي : خدمة الأمن وخدمة الاستخبارات والتحريات العامة، ولهذا الاختصار صيغة أخرى ، وهي : ש.ב.ב = שירות בטחון כללי ، أي : مصلحة أو هيئة الأمن العام . ومهمة هذا الجهاز مكافحة الجاسوسية وأعمال التخريب من الداخل ، ومراقبة البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية ، وكشف التآمر على الدولة ومتابعة الاستخبارات الأجنبية وشبكات التجسس بالداخل ، وكان هذا الجهاز تابعاً للجيش الإسرائيلي إدارياً حتى عام ١٩٥٠م ، ثم انتقل إلى وزارة الدفاع ثم أصبح مستقلاً ذاتياً وتحت المسؤولية المباشرة لرئيس الوزراء حتى الآن . انظر : <http://montada.arahman.net/t3372.html> - سلام ، شعبان محمد ،

قاموس المختصرات العبرية ، ١٩٩٩ ، ص ٢٤٢ .

المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

اللغة العبرية^(١)، كما أن التعليم العربي في فلسطين يخضع لسيطرة وزارة التعليم والثقافة الإسرائيلية التي عملت على تحويل جميع المدارس العربية إلى مدارس حكومية ما عدا المدارس التابعة للطوائف المسيحية والتي تخضع للوزارة من حيث التفتيش والإشراف ، وذلك وفقاً لقوانين التعليم التي صدرت بعد قيام دولة إسرائيل ، ومنها : قانون التعليم الإلزامي^(٢) لسنة ١٩٤٩ ، وينص على إلزام جميع الأولاد من سن الخامسة إلى الخامسة عشرة الالتحاق بالمدارس ويكون تعليمهم مجاني .

وقد تبنت إسرائيل أسلوبين في تنفيذ عملية التهويد ، أولهما : الأسلوب المباشر وتستخدم فيه القوة وفرض الأمر الواقع . ثانيهما : الأسلوب غير المباشر ويعتمد على التدرج في التنفيذ ، وقد تعرض التعليم العربي في فلسطين إلى الأسلوبين في محاولة تهويده ؛ فلا أسلوب الأول يتمثل في فرض مناهج تتفق والمفاهيم الصهيونية والتهديد بغلق المدارس وقطع رواتب العاملين بها إن لم تدرس تلك المناهج ، والثاني يتمثل في بث المفاهيم والمضامين التي ترسخ كل ما هو يهودي وتمحو كل ما هو عربي بشكل تدريجي ، تحقيقاً لمقولة بن جوريون : " الكبار سيموتون والصغار سينسون"^(٣) .

^(١) أبو الرب (حسن طاهر) : تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية في إسرائيل (المرحلة الإعدادية) ، بحث مقدم إلى مؤتمر : الواقع اللغوي في فلسطين ، المنعقد بتاريخ ٢٥-١١-٢٠٠٦ <http://scholar.najah.edu/sites/scholar.najah.edu/files/conference-paper/teaching-arabic-jewish-schools-israel-elementary-stage.pdf> متاح بتاريخ ٢٠١٢-٢-٢

^(٢) قانون التعليم الإلزامي (חוק חינוך ממלכתי) : أصدر بعد قيام إسرائيل ، ويلزم كل طفل التعلم في الجهاز التعليمي من سن خمس سنوات وحتى الصف العاشر على الأقل، وبموجب هذا القانون يجب على الدولة توفير احتياجات الطالب في المؤسسة التعليمية حتى الصف الثاني عشر دون أن تكلفه أية أعباء مادية ، كما يقر هذا القانون القيم والأسس التي يقوم عليها الجهاز التعليمي باعتباره مصمماً لجيل المستقبل .

انظر : سكلي (דר'יפה) : " עיין ערך : אני ישראילי " ، תוכנית לימודים רב תרבותי ל-9-10 שנות לימוד בשפה הערבית. بتاريخ ١٥-٣-٢٠١٢ <http://cms.education.gov.il/NR/.../hila39.doc>

^(٣) التعليم العربي في إسرائيل <http://arab.education.org/?p=46> بتاريخ ٣-٩-٢٠١٢ .

ومن طرق تهويد المناهج - بشكل مباشر - تدريس كتب مترجمة ظعن العبرية تحمل كل ما يريد الصهاينة بثه وترسيخه في أذهان الطلاب العرب، مثل : منهج الجغرافيا والمدنيات الذي يدرس للصفين الثالث والرابع الابتدائي ؛ حيث نجد أن معظم الكتب الخاصة بهذا المنهج عبرية تم ترجمتها إلى العربية ، منها : كتاب : الحياة معاً في إسرائيل ، وهو كتاب تعليمي للصف الثالث الابتدائي ، تأليف : صالح سواعد وتسفيا اين ، ٢٠٠٧ ، تعريب وتحرير / نادر أبو تامر، وللصف الرابع الابتدائي ، تأليف : صالح سواعد و أويرا جال ، ٢٠٠٨ ، ترجمة : سليمان جبران وعلاء شلبية ونزار محاجنة ، وكتاب الخرائط تكشف لك العالم ، كتاب لتعليم الجغرافيا ، تأليف : تسفيا فاين وأيالة مزراحي ، ٢٠٠٠ ، ترجمة / جميل أحمد غنايم ^(١) .

ومن طرق تهويد المناهج بشكل غير مباشر: ما تحمله الكتب من أفكار تمجد الحضارة الغربية وتخط من مكانة ودور الحضارة العربية والإسلامية ، وذلك بصورة ناعمة من خلال إغفال مساهمات العرب والمسلمين في تطوير الحضارة الإنسانية ، وإبراز مساهمات الغرب في ذلك ، وتؤكد روضة عطا الله - مديرة جمعية الثقافة العربية - هذا الأمر قائلة : " لطالما استوقفني الماضي لأستحضر بعض الذكريات حول ما درسناه في مدارسنا في الستينات والسبعينات من القرن الماضي ، التي تبعث في نفسي الألم والغضب والأسئلة ، لماذا كرهت دروس التاريخ والجغرافيا ؟ ، لماذا أحبت اللغة الإنجليزية أكثر من لغة أمي وقومي ؟ لماذا سمحنا لوزارة المعارف والمناهج أن يعيشوا بنا وبتاريخنا ووعينا ، وإقناعنا بسلبيات وقبح ودونية ثقافتنا ولغتنا وبجمال ورقى الثقافة الأجنبية ^(٢) ؟ " .

إن عملية تهويد المناهج التعليمية لم تقف عند مرحلة معينة ، بل تمتد لتشمل جميع مراحل التعليم بداية من مرحلة ما قبل الابتدائي (دور الحضانة ورياض الأطفال) ، فكتاب

^(١) جمعية الثقافة العربية ، مشروع المناهج والهوية " الإغراق في الخطأ " ، ملخص تقرير مسح ورصد الأخطاء اللغوية والمضامينية في كتب التدريس من الصف الثالث حتى الصف الثامن ، أيار ٢٠١١ ، متاح على شبكة المعلومات الدولية :

^(٢) www.arabs48.com/?mod=articles&iD=8125 بتاريخ ١٨-٣-٢٠١٢ .

^(٢) (المرجع السابق .

(السياسة التعليمية للطفل الإسرائيلي ، فلسفة وأهداف) يسلط الضوء على أهمية مرحلة الحضنة ورياض الأطفال في تكوين الاتجاهات والقيم لدى الأطفال في إسرائيل ، ويبين كيف يتم صهر هؤلاء الأطفال في وحدة ثقافية واجتماعية واحدة، ويتعرف القارئ من خلال هذا الكتاب على مدى التفاوت في الاهتمام بين الأطفال اليهود والأطفال العرب داخل إسرائيل .

يحتوي كتاب (السياسة التعليمية للطفل الإسرائيلي) على ستة فصول ، خصص الفصل الخامس منه للتعليم العربي ويحمل عنوان " تعليم العرب فيما قبل الابتدائي في إسرائيل " ، ويتناول تربية الطفل العربي في إسرائيل مع الإشارة إلى جوانب الاختلاف بين مؤسسات تربية الطفل العربي والطفل الإسرائيلي ، ثم عرض بعض التوجهات العنصرية للتربية الإسرائيلية^(١)، أي أن هذا الكتاب يوضح أن هناك فروقاً بين المدارس العربية والمدارس اليهودية تتمثل في التمييز بين تلك المؤسسات التربوية .

إن عملية التهويد تستهدف أسس القومية (الأرض واللغة والدين) أما الأساس الأول: (الأرض) فيتم تهويدها بالاستيلاء عليها ، وتهجير أهلها ومصادرة ممتلكاتهم ، ومحو المعالم العربية فيها وشطب أسمائها العربية واستبدالها بأسماء عربية .

أما الأساس الثاني : اللغة ، والأساس الثالث : (الدين) فيتم تهويدهما بعدة طرق؛ أهمها المناهج التعليمية ، وهما مرتبطان ببعضهما ؛ فيترتب على النجاح في محاربة اللغة العربية النجاح في محاربة الدين - خاصة الإسلام - فإذا ضعفت اللغة العربية لدى النشء الفلسطيني فأتى له أن يفهم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهما عماد الدين ، كما أن كل من اللغة والدين يمثلان سمات الهوية ؛ فإذا نجح الصهاينة في الخطوتين الأولى والثانية (القضاء على اللغة والدين) فستتم الخطوة الثالثة (القضاء على الهوية) ببساطة شديدة ، فضلاً عن المناهج المخصصة لمحو الهوية بشكل تدريجي ، فيما يسمى بمادة المواطنة . وهذا ما سيوضحه البحث ، فيما يلي :

^(١) (كتاب السياسة التعليمية للطفل الإسرائيلي - ف <http://www.airss.net/site/2011/12/18/>)

وضع اللغة العربية في المدارس الفلسطينية داخل إسرائيل :

كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في فلسطين إلى أن سقطت أجزاء واسعة منها في يد اليهود عام ١٩٤٨ م وأقاموا على تلك الأجزاء دولتهم ، ونتج عن ذلك أن أصبحت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية في المناطق التي تم الاستيلاء عليها ، وبقيت اللغة العربية لغة المناطق المأهولة بالسكان العرب ، وبخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبعض المدن والقرى داخل فلسطين المحتلة^(١) ، لذا فإن اللغة العربية تواجه ما يواجهه أصحابها من الصراع ومحاولات التغلب عليها ومحورها ، فالسلطات الإسرائيلية في كافة مؤسساتها الرسمية وغير الرسمية تبذل جهوداً مكثفة لتهويد التعليم والثقافة من خلال المحاولات المستمرة للمحافظة على التراث والثقافة اليهودية عن طريق محاربة اللغة العربية ، استجابة لدعوات قادة الفكر الصهيوني فبعد حرب ١٩٦٧ كتبت صحيفة (٦٢٦) عن دور ما أسمته (الشبيبة الطلائعية المحاربة التي تأسست عام ١٩٤٨) في مكافحة اللغة العربية من أجل تهويد أرض إسرائيل (فلسطين) وإرجاعها إلى سابق عهد الآباء والأجداد ، وتغيير المعالم الطارئة عليها من العرب ومن لغتهم الدخيلة ، وإحلال الثقافة العبرية مكانها^(٢) ، فقادة الصهيونية يرون أن العربية لغة دخيلة على فلسطين وأن اللغة العبرية هي اللغة الأصلية للبلاد لا يفوتنا في هذا الصدد الإشارة إلى أن اليهود استخدموا اللغة العربية في فترة مهمة من تاريخهم ، هي فترة العصر الوسيط الذي وصفه اليهود بالعصر الذهبي لما حققوه من ازدهار لاسيما في مجال اللغة العبرية بفضل العربية التي أكسبتها مفردات ، وقواعد ، كما قدموا خلاله أروع إنتاجهم الأدبي والفكري بالعربية اليهودية^(٣) ، فضلاً عن كون اللغة العربية هي لغة اليهود الشرقيين ، إلا أن اليهود تنكروا لفضلها، واتخذوها عدواً يجب القضاء عليه، مسaire للأهداف الصهيونية

^(١) تعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية في إسرائيل " المرحلة الإعدادية " ، مرجع سابق .

^(٢) يعقوب .أوس داوود : تهويد التعليم في مقدمة المخططات الإسرائيلية لتهويد القدس ، متاح على موقع www.nooreladab.com/vb/showthread.php?p=49607 بتاريخ ١٢-٢-٢٠١٢

^(٣) للمزيد انظر كتاب : قنديل (عبد الرازق) : الأدب العبري في الأندلس ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٥-٨ .

والسعي الدائم لتحقيق تلك الأهداف ، وهذا أمر طبيعي لأن الصهاينة محتلون ولا يختلف سلوكهم عن سلوك أي محتل آخر ؛ إذ يحرص الاحتلال الاستيطاني على فرض لغته وثقافته على السكان الأصليين ، وحينما يقوم المحتل بمصادرة اللغة فإنه يهدف إلى مسخ الأمة وبتربتها من ماضيها وتراثها وتاريخها ووضعها تحت الوصاية الفكرية والوجدانية للمحتلين الغرباء^(١) ؛ لذا فاللغة العربية محاربة بالفعل ، وتتم محاربتها عن طريق تهويد وكتابة أسماء المدن والقرى والشوارع ، بل والإعلانات واللافتات باللغة العبرية بدلاً من العربية .

أما بالنسبة لوضع اللغة العربية في التعليم ؛ فإن التدريس في المدارس العربية يتم باللغة العربية ، وفي المدارس اليهودية يتم التدريس باللغة العبرية أما في الجامعات فالتدريس يكون بالعبرية فقط ؛ وفي هذا الصدد تقول روضة بشارة عطا الله - مديرة جمعية الثقافة العربية: " إن الجامعات الإسرائيلية تُعلم عن اللغة العربية ولا تعلمها؛ حيث تدرس بالعبرية^(٢) " ، أي الجامعات الإسرائيلية تُخبر عن وجود اللغة العربية ولا تقوم بتعليمها ، بالإضافة إلى فرض تدريس اللغة العبرية في المدارس العربية ليس باعتبارها لغة ثانية بل باعتبارها لغة أم ، وتكثيف عدد الساعات الدراسية الخاصة باللغة العبرية ، فالفلسطيني يدرس في إسرائيل بدءاً من الصف الرابع الابتدائي وحتى نهاية المرحلة الثانوية اللغة العبرية لمدة خمس ساعات أسبوعياً ولا تكتفي إسرائيل بتعليم الفلسطينيين قواعد اللغة العبرية وإنما تلزمهم أيضاً بدراسة كل المكونات الفكرية للتراث اليهودي والصهيوني ؛ فيتم تدريس التوراة وأجزاء من العهد القديم والتلمود والمدراشيم والشعر العبري الصهيوني ، وبطبيعة الحال فإن هذا الوضع يفرض على الفلسطيني إتقان اللغة العبرية^(٣) ، والاهتمام بها أكثر من لغته العربية . ومع ذلك هناك دعوات ومحاولات لجعل اللغة جسراً لتقريب المسافات وتضييق الفجوات

^(١) (الرفاعي (جمال) : أزمة اللغة العربية في إسرائيل : مؤثرات عبرية في لغة الصحافة الفلسطينية في إسرائيل ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد ٤٠ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، يناير ٢٠٠٨ ، ص ٢٩٩ .

^(٢) (إسرائيل (تشوه) اللغة العربية بالتعليم

<http://www.aljazeera.net/news/pages/32260b46-35c8-42ec-b052-f7f3264f1>

79c متوفر بتاريخ ٣-٣-٢٠١٢ .

^(٣) (الرفاعي ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

بين اليهود والعرب في فلسطين ؛ فبعد أن كانت اللغة العربية مادة اختيارية — وكان يتم الاختيار بينها وبين اللغة الفرنسية ، حيث يعتبرها البعض لغة أجنبية ثانية أو ثالثة بعد العبرية والإنجليزية — أصبحت إلزامية منذ عام ١٩٩٥ كلغة أجنبية ثانية من الصف السابع حتى الصف العاشر^(١) ، كما أقيمت عدة مدارس مشتركة ثنائية اللغة يدرس فيها العرب واليهود باللغتين العربية والعبرية^(٢) .

أهداف دراسة اللغة العربية :

- ١- تأمين وسيلة تمكن الطالب (العربي) من التعبير عن ذاته^(٣) .
- ٢- تقوية تفاخر التلميذ بلغته العربية باعتبارها لغة قومية ومركب مهم في شخصيته^(٤) .
- ٣- المعرفة اللغوية مطلوبة لهدف تدبير الاحتياجات الرسمية للدولة ، وللاندماج الاجتماعي والتعاون الاقتصادي والتجاري والتقني والعملي ، وكذلك لبداية ثقافات جديدة ، لذا من الضروري إتقان عدد كبير من اللغات^(٥) .

^(١) (مשרד החינוך , המזכירה הפדגוגית , האגף לתכנון ולפיתוח תכניות לימודים , תכנית לימודים , לשון ערבית לכתות ז' - י"ב , מאי 2008 , עמ'4
يرجع بعض الباحثين اليهود أهمية دراسة العربية إلى أنها لغة حوالي ثلاثمائة مليون نسمة ، فالعربية الفصحى هي لغة حضارة وثقافة كل متحدثي العربية ، مسلمين ونصارى ودروز على حد سواء ، ولغة الكتب المقدسة والصلاة للمسلمين في أنحاء العالم (حوالي مليار وثلاثمائة مليون نسمة) ، لذلك فإن معرفة اللغة العربية مهمة جداً في دولة إسرائيل . المرجع السابق ، نفس الصفحة .
^(٢) (הוראת הערבית כשפת אם בבתי הספר הערביים -

www.lprc.org.il/lprc/images/pdf/16-report.pdf

^(٣) (ذكر ماجد الحاج أن هناك هدفاً واحداً حددته وزارة المعارف لتعليم اللغة العربية في المدارس العربية وهو تأمين وسيلة للطالب للتعبير عن ذاته. ماجد الحاج: تعليم الفلسطينيين في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، متاح على الموقع التالي:

islamtoday.net/nawafeth/services/printart-95-8893.htm بتاريخ ٢٠١٢-٥-٣

^(٤) (הוראת הערבית כשפת אם בבתי הספר הערביים -

www.lprc.org.il/LPRC/images/pdf/16-report.pdf بتاريخ ٢٠١٢-٣-٢١

^(٥) (משרד החינוך , המזכירה הפדגוגית , האגף לתכנון ולפיתוח תכניות לימודים , תכנית לימודים , לשון ערבית לכתות ז' - י"ב , מאי 2008 , עמ'4 .

من خلال عرض الأهداف السابقة ، يتبين أن واضعي الخطة التعليمية في إسرائيل يعلمون العلاقة الواضحة بين أهمية اللغة العربية في تكوين شخصية التلميذ واكتسابه معرفة تراثه القومي، ومن هنا يمكن للطالب أن يعتز ويفتخر بلغته العربية كلغة قومية ، وهنا يجب أن يطرح سؤال، هو : هل المواد الدراسية في الخطة التعليمية تجسد هذا الهدف ؟ الإجابة : أن هذه المناهج غفلت العنصر القومي لتعليم اللغة العربية وآدابها^(١) ، ووفقاً لرأي بعض الباحثين: فإن تدريس اللغة العربية في المدارس العربية بمعزل عن الروابط التاريخية والثقافية والقومية ، وهذا الاتجاه استنتج تعبير تفريغ المواد ، مثل : الأدب والتاريخ من محتواها القومي . وفي القطاع العربي فإن الأهداف المعلنة لدراسة اللغة والأدب العربيين للطفل العربي هي أهداف ذرائعية^(٢) فقط^(٣) .

ويرى بعض اليهود أن تدريس اللغة العربية كمنهج تعليمي في المدارس العربية يواجه عدة مشكلات ، منها :

- رغم أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الثانية في إسرائيل ، إلا أن واقع الحال يقول غير ذلك، سواء من جانب المؤسسات الحكومية أو من جانب المؤسسات الأهلية ، ودليل ذلك أن كل مؤسسات الدولة تدار بالعبرية .

- أن الفرق الكبير بين اللغة العربية العامية ، التي تشمل عدة لهجات مختلفة ، وبين اللغة الفصحى ، يشكل صعوبة حقيقة في تعليم اللغة ؛ فحتى اليوم لا يملك المدرسون أدوات ووسائل تربوية تمكنهم من التغلب على مثل تلك المشكلة ، فالطفل العربي في الصف الأول

^(١) (الحاج ، مرجع سابق .

^(٢) (ذرائعية : مصدر صناعي من ذرائع ، وهي : فلسفة تقول أن الأفكار هي وسائل العمل ويحدد قيمتها نجاح العمل ، ويطلق عليها مصطلح (البرجماتية) وهي مذهب فلسفي يرى أن معيار الأفكار الناجحة في قيمة نتائجها العملية . انظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، المجلد الأول ، ص ٨٠٨ و ١٩١ .

^(٣) (هوراثت הערבית כשפת אם בבתי הספר הערביים -

يكاد يصطدم بالعربية الفصحى لأول مرة ؛ لأنه لم يعرفها في بيته وبالتالي فهو يتعلمها كأنها لغة أجنبية .

- ما تعاني منه المكتبات من نقص مواد القراءة بالعربية ، والمؤلفات والمجلات التي تطبع وتنتشر باللغة العربية ، وغير ذلك .

- انخفاض مستوى اللغة العربية لدى العرب أنفسهم لأن متحدثي العربية لا يعيرونها الاهتمام الكافي باعتبارها لغتهم القومية، كما أن خطة تأهيل مدرّس اللغة العربية غير خلاصة القول : أن الباحثين اليهود يحاولون إلقاء مسؤولية عدم إقبال الطلاب على تعلم اللغة العربية سواء من اليهود أو من العرب على العرب أنفسهم ؛ فهم الذين لم يهتموا باللغة العربية باعتبارها لغة قومية لهم ، فضلاً عن ما تحتويه اللغة العربية من إشكاليات تحد من الإقبال على دراستها.

صورة الإسلام ورموزه في المناهج التعليمية العربية :

عمد اليهود على تشويه الديانات التي يدين بها العرب في فلسطين سواء الإسلام أو المسيحية، واستغلوا الصراعات الطائفية بين طوائف الديانة الواحدة ، ومن ذلك ، الصراع بين السنة والشيعة الذي يعتبر سلاحاً خطيراً يستخدمه أعداء الإسلام ضده ؛ فهذا هي الحكومة الإسرائيلية تعتمد في تدريس تاريخ الإسلام للطلاب العرب على كتاب يخدم أهدافها الساعية إلى ترسيخ صورة مشوهة للتاريخ العربي الإسلامي في أهم حقبة من حقبه ، وهو كتاب (تاريخ العرب السياسي من الجاهلية حتى قيام الدولة العباسية) المقرر على الصف العاشر ، تأليف د/عطا الله سعيد قبّطي ، الذي اعتمد على كتب المستشرقين والروايات الشيعية .

¹ (انظر : משרד החינוך 2008 , עמ' 7 .

- נאסר (אמירה) : הוראה מבוססת ריבוי סטנדרטים בכתה ג' בתחום השפה הערבית , כתב עת , אורנים , גיליון מס' 2 חשוון תש"ע / אוקטובר 2009 , עמ' 104
הוראת הערבית כשפת אם בבתי הספר הערביים -
www.lprc.org.il/lprc/images/pdf/16-report.pdf

من المعلوم أن " الشيعة " من أكثر الفرق أثراً في تحريف التاريخ الإسلامي ، وقد وصفهم ابن تيمية قائلاً : " لا يوجد في جميع الطوائف أكذب منهم ، ولا أظلم منهم ، ولا أجهل منهم ، كما أنهم أشد الناس خصومة للصحابة ، سب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقداتهم ، وخاصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ فيسمونها الجبت والطاغوت ، كما أنه معلوم أيضاً أن منهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي غالباً ما يعتمد على الروايات المشبوهة والضعيفة ، يأخذونها من كتب التاريخ والأدب ككتاب (الأغاني للأصفهاني) وكتاب (البيان والتبيين) وكتاب (نهج البلاغة) ، الكتب غير الموثوق منها ، مثل كتاب : (الإمامة والسياسة) ، وهم يبنون منهجهم على تثبيت فكرة مسبقة ، ثم الإتيان بالوقائع التاريخية التي يستخرجون منها ما يؤيد فكرتهم ، ويستبعدون ما يخالف ذلك ، وقد تأثر مؤلف المقرر التاريخي " عطا الله قبطي " بمنهج المستشرقين في المبالغة في الشك والافتراض ، واعتماد الضعيف من الروايات^(١) .

وقد ركز المؤلف على تشويه صورة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستغلاً ما وقع من أحداث في " الفتنة الكبرى^(٢) " بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ؛ فعمد إلى وضع

^(١) موسى البسيط : " أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في منهاج التعليم الإسرائيلي في المدارس العربية { الأهداف ، الأساليب ، المصادر ، المناهج ، نماذج } ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٢٣ (٤) ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٦٩

^(٢) الفتنة الكبرى : مصطلح أطلق على أحداث وقعت بين المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ؛ ففي نهاية خلافة عمر رضي الله عنه تغيرت ملامح المجتمع الإسلامي ، حيث اتسعت الفتوحات ودخل الإسلام أعداد كبيرة من غير العرب ، وكان منهم المخلص في إسلامه ومنهم دون ذلك ، وعندما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة كثر الخارجون عليه وكثرت إساءاتهم إليه حتى تعاظمت الفتنة وحاصروه في بيته أربعين يوماً ، منعوا عنه كل شيء حتى الماء ، ثم قتلوه ، ثم ولي علي رضي الله عنه الخلافة ، وكان أول المطالب القصاص من قاتلي عثمان رضي الله عنه ، وهو أمر واجب ؛ إلا أن علياً بحكمته رأى تأجيل الأمر إلى أن تستقر أمور المسلمين بينما أصر معاوية بن أبي سفيان على القصاص فوراً ، فهو اعتبر نفسه ولي دم عثمان لأنه من بني أمية مثله ، وهنا دب الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما . للمزيد انظر : مقدمة ابن خلدون ، الفصل (٢٨) في انقلاب الخلافة إلى الملك ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٠٥ - وأيضاً /الخميس ، عثمان : حقية من التاريخ ، قدم له / محمد بن إسماعيل المقدم وسيد محمد نوح ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ وما بعدها .

روايات متضاربة ومتناقضة معظمها مكذوب ، ثم ترك الحكم لطالب الصف العاشر ؛ فجاء في مقدمة الكتاب ما قاله المؤلف : " ومن ناحية الأسلوب كان الأساس الذي اعتمدناه ، هو أن نترك للطالب أن يكتشف الأمور بذاته ، ويستقي المعلومات من المصادر الأولية ، فأوردنا نصوصاً تاريخية ، وألحقنا بالمادة خرائط أساسية ، ثم ذيلنا كلاهما بأسئلة حسب مستويات متنوعة ، تبدأ بدرجة المعرفة ، ثم ترقى إلى التفكير التحليلي أو التخيلي وتقييم الأحداث والحكم عليها " ، وهنا يجب السؤال : هل طالب الصف العاشر - الذي ليس لديه أية خبرات في تحليل نصوص وتقييم أحداث - بمقدوره أن يميز الطيب من الخبيث ، أم أن واضعي المناهج يريدون بلبلة عقول هذا النشء ونفوره من الإسلام ككل ، بدعوى تخريج إنساناً واعياً مفكراً لا مقلداً .

ومن نماذج تشويه الصحابة - رضي الله عنهم - التي وردت في كتاب (تاريخ العرب السياسي من الجاهلية حتى قيام الدولة العباسية) :

من أكثر الصحابة الذين تعرض لهم هذا الكتاب بالتشويه الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ؛ فقال : إن أبي بكر منع فاطمة من أخذ ميراث أبيها صلى الله عليه وسلم من أرض فدك وسهمه من خيبر ، فهجرته فاطمة رضي الله عنها حتى ماتت ، ولم يورد السبب الحقيقي لمنع أبي بكر إعطاء فاطمة ميراثها وما سبب اعتزال فاطمة لأبي بكر ، وقد ورد في البخاري ، باب قول النبي : لا نورث ما تركناه صدقة ، أن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراث أبيها ، فأبلغها حديثاً سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم " بأنه لا يورث ، وأن ما تركه هو صدقة للمسلمين " فلما بلغها الحديث تركت رأيها ثم لم يكن منها ولا من ذريتها بعد ذلك طلب ميراث^(١) ، وفي رأي الباحثة المتواضع ، أن فاطمة طلبت الميراث ولم تنازع عليه خاصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبرها أنها أول من سيلحق به — صلى الله عليه وسلم — من أهله ، فلماذا النزاع مع علمها بقرب الأجل .

لم يكتف واضع هذا المنهج بتشويه الخلفاء ، بل عمد إلى تشويه صحابة آخرين ممن يعتبرهم المسلمون رموزاً في الإسلام ، مثل : خالد بن الوليد - الذي لقب بسيف الله المسلول

^(١) موسى البسيط مرجع سابق ، ص ١١٧٨ - ١١٧٩ .

- يقول عنه د/ عطا الله قبضي : أنه قتل " مالك بن نويرة " في حرب الردة ليتزوج امرأته ، وكانت جميلة المنظر ، لذا عزل عمر رضي الله عنه بعد توليه الخلافة ، وأن عمر كان قد طلب من أبي بكر عزل خالد ولكن أبي بكر رفض وقال : كيف أغمد سيفاً سله رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه رواية باطلة ، وقد ذكر عمر رضي الله عنه سبب عزله لخالد بن الوليد ، قائلاً: " إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ، ولا عن خيانه ، ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة ^(١) ". وهذا الكتاب مليء بالشبهات والروايات المكذوبة لا يتسع المجال لمناقشتها وتفنيدها ، خاصة أن هناك دراسات أجريت لهذا الغرض ^(٢) .

من هنا نتبين أن اهتمام واضعي المناهج التعليمية للعرب في فلسطين يرتكز على تلك الحقبة التي تعد من أهم حقب تاريخ الإسلام ، وتدريسها بصورة مشوهة لطالب في تلك المرحلة العمرية بهدف إحداث فجوة بين الماضي والحاضر ، وعزل النشء عن الإسلام وتشريعه وتراثه ، ثم إثبات عجز الإسلام عن التطبيق وعدم صلاحيته في هذا العصر ، لأنه إذا ثبت عجز الإسلام في تقويم أخلاق الصحابة وسلوكهم وإصلاح جماعتهم بعد أن فارقهم الرسول صلى الله عليه وسلم بفترة قصيرة ، فهو أعجز من أن يكون منهجاً للإصلاح بعد ذلك.

في الوقت الذي يتم تدريس هذه المناهج المشوهة للإسلام ورموزه ، يتم تكثيف تدريس الدين اليهودي للطلاب العرب بقدر يزيد على ثمانية أضعاف ما يتعلمونه عن دينهم ، فيدرسون (٢٥٦) حصة تورا مقابل (٣٠) حصة للدراسات الإسلامية . ويشكل المنهج الجديد لتعليم الإسلام تغييراً مهماً ، فيشدد على تنمية المواطنة والانتماء لدولة إسرائيل كجزء لا يتجزأ من التربية الدينية ^(٣) ، وتعد عملية تهويد المناهج هذه إبعاداً للطلاب العربي عن

^(١) (المرجع السابق .

^(٢) مثل : البحث المقدم من ، موسى البسيط والمستخدم في هذه الدراسة ، وملف منهاج التعليم في المدارس العربية للصف العاشر ، المنشور على شبكة المعلومات الدولية ، على شكل حلقات متتابعة على موقع : فلسطينو ٤٨ .

^(٣) (ماجد الحاج ، ص ٤ .

تاريخه ودينه ولغته بحيث لا يعرف نفسه ، مع التركيز على بناء معرفة تاريخ الآخر الأكثر إنسانية وعدالة وتطور ورقي^(١) .

وهنا يمكن القول : إذا تحقق ما تسعى إليه الحكومة الإسرائيلية من عمليات التهويد المستمرة والشاملة ، بالقضاء على مقومات القومية العربية لدى الشعب العربي في فلسطين عن طريق الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية ، وطمس اللغة العربية ، وتشويه الرموز الإسلامية ؛ فستكون النتيجة الحتمية محو الهوية العربية الأصلية والشعور الزائف بالانتماء إلى كل ما يمت لهويتهم الأصلية بصلة ، ويتمون إلى كل ما هو إسرائيلي بدعوى التحضر .

- محو الهوية العربية :

جعلت الصهيونية من بين أهداف عمليات التهويد محو الهوية العربية وطمس كل ما يمت لها بصلة ، وجاء ذلك من خلال عملية تهويد المناهج التعليمية بطرق مباشرة وغير مباشرة أكفرض مناهج معينة في المدارس العربية ، وبث الأفكار التي تؤدي إلى محو الهوية العربية بشكل تدريجي ، مثل : الادعاء الكاذب بضرورة الاندماج بين العرب واليهود تحقيقاً لمبادئ السلام مما يستلزم ازدواج شخصية العربي بأن يصبح "عربياً إسرائيلياً" ، وتدرجياً يتم محو صفة العربي والإبقاء على صفة "إسرائيلي" ، من خلال تجاهل كل ما هو عربي والانتماء إلى كل ما هو إسرائيلي ، ويوضح ذلك ما تضمنه كتاب "להיות אזרחים בישראל- מדינה יהודית ודמוקרטית"^(٢) (أن نكون مواطنين في إسرائيل — دولة

^(١) مشروع المناهج والهوية ، ص ٩ .

^(٢) عام ١٩٩٥ خصص وزير التعليم الإسرائيلي " أمنون روبنشتاين " لجنة برئاسة د/ مردخاي كرميستر ، لبحث التعليم المدني في إسرائيل والتوصية بوضع خطة شاملة لاكتساب نظم الديمقراطية والمواطنة ، وقدمت اللجنة تقريراً مفصلاً يتضمن توصيات بإجراء إصلاح شامل للتربية المدنية بصفة عامة وللتعليم المدني بصفة خاصة ، وقد تم تغيير منهج التعليم المدني وفقاً لهذا التقرير عام ٢٠٠١ ، وقدم المنهج الجديد استناداً على الكتاب المدرسي (להיות אזרחים בישראל - מדינה יהודית ודמוקרטית) ليكونوا مواطنين في إسرائيل - دولة يهودية ديمقراطية ، الذي ترجم إلى العربية . برק (ميكل) : חינוך אזרחי בישראל , גיליון עדאלא האלקטروني , מס' 18 , ספטמבר 2005 .

المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

يهودية وديمقراطية^(١)) الذي يتم تدريسه في المدارس اليهودية في إسرائيل ، وترجم إلى العربية ليتم تدريسه في المدارس العربية ، ويحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أقسام، على النحو التالي، الأول : ما هي الديمقراطية ، الثاني: ما هي الدولة اليهودية ، الثالث : الحكومة والسياسة في إسرائيل .

يناقش الجزء الأول والثاني المصطلحات والمفاهيم المتصلة بماهية الدولة اليهودية ، ونظم وأسس الدولة الديمقراطية ، بينما يناقش القسم الثالث وضع نظامين أساسيين لتأسيس دولة إسرائيل، وهما : " اليهودية والديمقراطية " ، ومن المصطلحات الحيوية التي يحتويها هذا الكتاب ، مصطلح *מדינה יהודית ודמוקרטית* " دولة يهودية وديمقراطية " ، وهو من أهم المصطلحات التي يتم تدريسها ومحاولة ترسيخها في أذهان النشء العربي والإسرائيلي ، ويدل على أن إسرائيل عند قيامها أعلنت أنها دولة الوطن اليهودي ، أي أنها دولة صفاتها وثقافتها مثبتة في التقاليد اليهودية ، وأعلنت أيضاً عن كونها دولة ديمقراطية إزاء كل مواطني الدولة ، يهود وغير يهود ، فهي تحافظ على الديمقراطية والمساواة وكرامة الإنسان وحرية^(٢) ، ويهدف الكتاب من دراسة هذه المصطلحات ترسيخ دلالاتها بصورة تدريجية أو معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين كل منها ، وفي ذلك تقول كل من : حنا أذان وردة أشكنازي " *חנה אדן - ורדה אשכנזי* " في كتاب (*מדריך להוראת מקצוע האזרחות* - المرشد لتدريس مادة المواطنة^(٣)) خلال وصفها لكتاب (أن نكون مواطنين في إسرائيل) : " يعبر الكتاب عن التوجه التدريجي في عمليات التعليم والدراسة . عالم

^١ (*חנה אדן - ורדה אשכנזי* : *האגף לתכנון ולפיתוח תכניות לימודים* , *מדריך להוראת מקצוע האזרחות* , *עמ"ס 27 - 43* .

^٢ (*דריפה סקלי* : " *עין ערך* : *אני ישראלי* " , *תוכנית לימודים רב תרבותי ל-10-9 سنوات לימוד בשפה הערבית* .

^٣ (*מادة المواطنة* ، ويطلق عليها أيضاً *المدنيات* أو *التربية المدنية* : اسم يشمل مجموعة متنوعة من البرامج والنشاطات التعليمية ، ومن المتبع التمييز بين موضوع *المدنيات* الذي تدرس فيه المبادئ الأساسية للمواطنة في دولة ديمقراطية ، وبين *التربية المدنية* التي تشمل برامج ونشاطات غير منهجية، والهدف من هذه المادة تأهيل مواطن له دراية بالمصطلحات الأساسية للنظام الديمقراطي ، مهتماً بما يجري حوله ، صاحب موقف ذا شعور بالانتماء إلى الدولة والمجتمع ، انتقادياً . *ميכל ברק* , *חינוך אזרחי בישראל* .

المصطلحات والمبادئ والمضامين يبني تدريجياً خطوة تلو أخرى ، ... وتكرر المصطلحات التي يتعلمها التلاميذ مما يتيح لهم الاطلاع على نقاط الشبه والاختلاف في معاني المصطلحات والمبادئ الواردة في السياقات المختلفة⁽¹⁾ .

وورد أيضاً - في نفس الكتاب - خلال عرض الصعوبات التي تواجه عملية تدريس مادة المواطنة : " تتألف مادة المواطنة من لغة مكونة من مبادئ ومصطلحات جوهرية للمجال ، يطلب من التلاميذ في عملية الدراسة أن يعرفوا ويفهموا معاني المصطلحات التي تُكوّن مادة المواطنة ليتمكنوا من تطبيقها بصورة واضحة في كل وحدة مضمون واردة في المادة ، وأن يستعملوها بصورة واعية ومدروسة في دورهم كمواطنين في الدولة ... وتتضمن اللغة في هذا الموضوع مصطلحات قد تثير الاستياء أو عدم ارتياح ومشاعر غضب لدى التلاميذ مثل : التفضيل ، والعدالة وعدم العدالة ، والمجتمع الطبقي⁽²⁾ . "

بعد هذا العرض الموجز للكتاب سوف تعنى الدراسة بالقسم الثاني من الكتاب، ويحمل عنوان " ما هي الدولة اليهودية ؟ " وينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : לאום ומדינת לאום ، قوم ودولة قومية :

يتعلم التلاميذ من خلال هذا الفصل عدة أمور ، منها :

يعرف التلاميذ أوجه الشبه والاختلاف بين مصطلح קבוצה אתנית " جماعة عرقية " ، ومصطلح לאום " قومية " .

يعرف التلاميذ أن هناك نوعين للأسس المشتركة لأبناء قومية واحدة : أسس انتمائية أي : أسس عرقية ليست نتيجة اختيار ، وأسس سياسية تنتج عن اختيار .

يعرف التلاميذ كيفية الربط بين الأسس المشتركة للقومية وبين تعريف الهوية القومية، وبناء على ذلك يفهمون المصطلحات לאומית אתנית " القومية العرقية " ולאומית פוליטית " القومية السياسية " .

يدرك التلاميذ أن الهوية القومية لكل دولة تضم الأسس السياسية مع الأسس العرقية.

⁽¹⁾ מדריך להוראת מקצוע האזרחות , שם , עמ'10.

⁽²⁾ מדריך להוראת מקצוע האזרחות , עמ'15.

يعرف التلاميذ أنه وفقاً للتصور العرقي - السياسي يوجد أنواع مختلفة للدول القومية. يعرف التلاميذ الفروق بين تعريف الدولة كدولة لجميع مواطنيها ، وبين تعريف الدولة كدولة قومية ، كما يعرفون الفرق بين المواطنة والانتماء القومي ، ويعرفون أنهم سواء كانوا في دول تشمل مواطنيها ، أو في دولة قومية ، فالدولة دولة كل المواطنين، للأغلبية والأقليات . يدرك التلاميذ أن دولة إسرائيل هي نموذج للدولة القومية الشاملة لأقليات قومية . يلاحظ مما سبق أن كل المبادئ والمضامين التي اشتملها كتاب " أن نكون مواطنين في إسرائيل " تتركز حول مفهوم القومية المشتركة مع الاعتراف الكامل بأن إسرائيل هي دولة دينية قومية ، وفي ذلك تقول بينسون : " إن تعريف دولة إسرائيل في كتاب التدريس ، هو : دولة يهودية قومية ، وأن التطرق إلى تعريفات أخرى للدولة (مثلاً : دولة جميع مواطنيها) معروضة كتعريفات ثانوية " ثم تتابع : " أسلوب هذا النقاش يشهد على أن الكتاب ، في قناع تبني مفهوم يؤمن بتعدد الآراء وعرض مختلف للآراء القائمة في المجتمع الإسرائيلي ، يتخذ موقفاً في مسألة التعريف المرغوب فيه لدولة إسرائيل ، وعن طريق عرض خط خيالي متواصل ، يميز الكتاب بين التوجهات المرغوب فيها - التوجهات الصهيونية - الواقعة في مركز الخط الخيالي نفسه وبين التوجهات التي ترفض تعريف دولة إسرائيل كدولة يهودية أو ديمقراطية ، وعليه فهي موجودة على هامش الخط الخيالي المتواصل⁽¹⁾ " ، أي أن كتاب " أن نكون مواطنين في إسرائيل " يحاول توجيه فكر الطالب إلى التعريف المرغوب فيه لدولة إسرائيل بأنها دولة يهودية قومية دون غيره من التعريفات الدالة على القومية المشتركة بين العرب واليهود ، بل ومحاولة ترسيخ هذا المفهوم والإيمان به . ويلاحظ تركيز الكتاب على عدة مصطلحات أساسية ، منها " قومية ، ومواطنة ، ودولة سيادية ، وقومية عرقية ، وقومية سياسية ، ودولة قومية ، ودولة جميع مواطنيها ، وأقليات "، حرصاً على ما اشتمله من أفكار يجب ترسيخها داخل عقول الطلاب .

¹ (فينسون (הללי) : בין מדינה יהודית לדמוקרטיה : סתירות ומתחים בתכנית הלימודים באזרחות ، (פוליטיקה) כתב עת בנושא חינוך אזרחי בישראל ، עורך ד"ר . דן אבינון ، 14, 2005 .

الفصل الثاني : دولة إسرائيل دولة قومية يهودية :

تبدو في هذا الفصل التوجيهات العنصرية واضحة ؛ حيث أكد مراراً وتكراراً على أن إسرائيل دولة اليهود وهي دولة التوراة دولة دينية قومية ، ودولة الشعب اليهودي ، وأن وثيقة الاستقلال تحدد أن إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي ، المنتمية أيضاً لأبناء القومية اليهودية المقيمين خارج إسرائيل ، والذين ليسوا من مواطني الدولة .

كما أوضح هذا الفصل الانقسامات المتعددة في المجتمع الإسرائيلي ، مثل : المتدينين والعلمانيين ، والسفارديم والإشكناز ، فضلاً عن الانقسام في المجتمع بين اليهود والعرب .

ويذكر أن تعريف إسرائيل بأنها دولة قومية يهودية ، صعب تقبله لدى المواطنين من غير اليهود — العرب و الدروز والشركس — لعدم تعاطفهم مع رموز الدولة وتقبل بعض قوانينها، مثل : " قانون حق العودة"^(١) ، ويوضح هذا الفصل أنه : يجب على التلاميذ معرفة أهمية قانون حق العودة ، فمن حق كل يهودي المهجرة إلى إسرائيل (فلسطين) والعيش بها بموجب وثيقة الاستقلال .

كما يشتمل هذا الفصل من كتاب " أن نكون مواطنين في إسرائيل " عدة تعريفات ومصطلحات خاصة بدولة إسرائيل ، منها : دولة التوراة " دولة دينية غير صهيونية " ، ودولة دينية قومية " دولة دينية صهيونية " ، ودولة قومية يهودية ثقافية " دولة علمانية صهيونية " ، ودولة الشعب اليهودي " دولة صهيونية " ، ودولة اليهود " دولة علمانية صهيونية " أو يقوم بتعريف كل مصطلح من تلك المصطلحات على حدة^(٢) .

الفصل الثالث : مميزات دولة إسرائيل كدولة يهودية .

في هذا الفصل تأكيد للعنصرية التي وردت في الفصل السابق ، فيوضح أنه من الصعب على المواطنين غير اليهود التأقلم مع رموز الدولة ، ويبرز أن هناك انعكاسات على المواطنين العرب والدروز والشركس مترتبة على كون إسرائيل دولة قومية يهودية .

^(١) قانون حق العودة : חוק השבות، قانون إسرائيلي يحق بموجبه لكل يهودي العودة إلى إسرائيل (فلسطين) ليكون مواطناً فيها .

^(٢) (مدריך להוראת מקצוע האזרחות ، עמ' 31 .

الفصل الرابع : إشكالية الهوية لمواطني إسرائيل .

يتعلم التلاميذ أن الهوية تشمل عدة مركبات ، بعضها ينسب للإنسان منذ ولادته، مثل : الأصل والنوع ، وبعضها مكتسب ويمكن تغييره ، مثل : المهنة ، والدين والمواطنة. كما يعلم التلاميذ أن الإنسان يحدد لنفسه هويته بواسطة مركبات مختلفة ، في ظروف مختلفة ودوائر مختلفة ، مثل العائلة ، ومكان العمل في المجتمع وفي علاقاته بمؤسسات السلطة .

وهنا يتحقق التلاميذ من أن هوية مواطني إسرائيل مكونة من المركب المدني و المركب القومي و المركب الديني . ويجب أن يعلموا أن الهوية تظهر اختلافات بين بني آدم .

من المصطلحات التي ركز عليها هذا الفصل : الهوية المدنية ، والهوية القومية ، والهوية العرقية ، والهوية الدينية .

بعد هذا العرض الموجز لمحتوى القسم الثاني من كتاب " أن نكون مواطنين في إسرائيل " أ توضيح أهم المفاهيم والمصطلحات الواردة فيه ، يتضح أن هذا الكتاب يؤكد على التمييز العنصري لليهود واليهودية ؛ حيث ذكر في ثناياه أن من أهم أهداف تدريس هذا المنهج : تنمية الصلة والالتواء والالتزام لدولة إسرائيل ، والاعتراف بكون إسرائيل دولة يهودية قومية ، وتنمية ورعاية هوية مدنية إسرائيلية مشتركة إلى جانب الحفاظ على الهويات القومية المميزة ، للمجموعات المختلفة في المجتمع الإسرائيلي^(١) ، دون الإشارة إلى القومية العربية كمكون أساسي في هوية بعض مواطني الدولة (العرب) ، ورغم ذلك فإن القائمين على جهاز التعليم رأوا فيما بعد أنه يمثل خطراً على الهوية اليهودية القومية، وهنا مشروع مقترح من وزير التعليم (جدعون ساعر) بتطوير هذا المنهج بما يتناسب مع المفاهيم الصهيونية .

^(١) (أن نكون مواطنين في إسرائيل ، ص ٦ - أيضاً / المرشد لتدريس مادة المدينيات ، ص ٨ .

الخاتمة

- بعد دراسة موضوع تهويد المناهج التعليمية في فلسطين المحتلة ، من خلال بعض المناهج الدراسية التي يتم تدريسها في المدارس الفلسطينية ، يمكن استنتاج الآتي :
- أن إسرائيل أبحاث لنفسها استخدام كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، والطرق المباشرة وغير المباشرة للسيطرة على فلسطين كأرض وتهويد كل ما تحتويه من تاريخ وحضارة وثقافة ولغة ، ولم تدخر جهداً من أجل تشويش أفكار النشء العربي فيما يتعلق بهويته ودينه ولغته وتاريخه ، وفي المقابل تفرض دراسة اللغة العبرية بما تحويه من مفاهيم ومصطلحات يهودية وصهيونية ، كما تفرض دراسة الأدب العبري بما يحويه من قصص بطولية لليهود بدلاً من الأدب العربي لتؤدي في النهاية إلى تهويد الهوية العربية.
 - أن إسرائيل تسير بخطى مدروسة تترتب كل منها على الأخرى في عملية التهويد ، تبدأ محاولاتها بالتغلب على اللغة العربية لما يترتب على ذلك من عدم فهم الدين الإسلامي المبني على القرآن الكريم والسنة المشرفة ، كما يترتب على ذلك أيضاً زعزعة الهوية العربية الإسلامية ككل .
 - من خلال تطبيق السياسة الإسرائيلية الصهيونية على الفلسطينيين ، سياسة (فرق تسد) قامت إسرائيل بتقسيمهم إلى أقليات وهي : عرب وبدو ودروز وشركس ، ليسهل التأثير فيهم ، وزرع فتيل النزاع والاختلاف الدائم بين تلك الأقليات بما يخدم المصالح الصهيونية.
 - لم تقتصر عملية تهويد المناهج على محو بعض المصطلحات أو المقالات الأدبية والقصائد الشعرية من الكتب المقررة ، ولا على إقرار وفرض الكتب التي تساعد على ترسيخ المفاهيم الصهيونية وتشويه الإسلام ، بل تجاوزت ذلك بوضع مناهج خاصة تهدف إلى محو الهوية العربية .

قائمة المراجع

أولاً المراجع العربية :

- آدان (حنا) وآخرون : أن نكون مواطنين في إسرائيل ، مركز تخطيط وتطوير المناهج التعليمية، القدس ، ٢٠٠٣ .
 - ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
 - جمعية الثقافة العربية ، مشروع المناهج والهوية " الإغراق في الخطأ " ، ملخص تقرير مسح ورصد الأخطاء اللغوية والمضامينية في كتب التدريس من الصف الثالث حتى الصف الثامن، أيار ٢٠١١ .
 - الخميس ، عثمان : حقبة من التاريخ ، دار الإيمان ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .
 - الشامي ، رشاد : الشخصية اليهودية والروح العدوانية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٦ .
 - قنديل ، عبد الرازق : الأدب العبري في الأندلس ، القاهرة، ١٩٩٦ .
- ### المجلات والدوريات العلمية :
- البسيط ، موسى : " أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في منهاج التعليم الإسرائيلي في المدارس العربية { الأهداف ، الأساليب ، المصادر ، المناهج ، نماذج } مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، المجلد ٢٣ (٤) ، ٢٠٠٩ .
 - الرفاعي ، جمال: أزمة اللغة العربية في إسرائيل : مؤثرات عبرية في لغة الصحافة الفلسطينية في إسرائيل، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٤٠، مكتبة الآداب، القاهرة، يناير ٢٠٠٨ .
 - أبو غدير ، محمد محمود : إسرائيل وتوظيف المناهج الدراسية لمقاومة ثقافة السلام، مجلة شؤون الشرق الأوسط ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، القاهرة، عدد أبريل ٢٠٠٢ .

المعاجم والقواميس :

- سلام ، شعبان محمد : قاموس المختصرات العبرية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية ، العدد (٣) ، مطبعة العمرانية للأوفست ، الجيزة ، ١٩٩٩ .
- عمر ، أحمد مختار : معجم اللغة العربية المعاصرة ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨ .

ثانياً : المراجع العبرية :

- آدن (حנה) ، أشكنזי (وردה) : האגף לתכנון ולפיתוח תכניות לימודים ، מדריך להוראת מקצוע האזרחות، ירושלים، 2003 .
- סקלי (דר'פה) : " עיין ערך : אני ישראילי " ، תוכנית לימודים רב תרבותי 10- 9 שנות לימוד בשפה הערבית . متاح على شبكة المعلومات الدولية . بتاريخ ١٥-٣-٢٠١٢ cms.education.gov.il/NR/.../hila39.doc
- משרד החינוך، המזכירה הפדגוגית، האגף לתכנון ולפיתוח תכניות לימודים، תכנית לימודים، לשון ערבית לכתות ז' – י"ב، מאי 2008 .

כתבי עת :

- ברק (מיכל) : חינוך אזרחי בישראל، גיליון עדאלא האלקטרוני، מס' 18 ، ספטמבר 2005 .
 - נאסר (אמירה) : הוראה מבוססת ריבוי סטנדרטים בכתה ג' בתחום השפה הערבית، כתב עת، אורנים، גיליון מס' 2 חשוון תש"ע / אוקטובר 2009 .
 - פינסון، הללי : בין מדינה יהודית לדמוקרטיה :סתירות ומתחים בתכנית הלימודים באזרחות ، (פוליטיקה) כתב עת בנושא חינוך אזרחי בישראל ، עורך ד"ר/ דן אבנון، 14 ، 2005 .
- המלונים :

- آبن شوشن، أبرهه : الملون الءءءء، الؤؤؤؤ قريؤ سؤر، يروشليم.
- اور، يهوءء، الملون العبري، الؤؤؤؤ ءبري، تل آبيب، تش"ن .

ؤالؤاً مواء شبكة المعلوماء :

- www.lprc.org.il/lprc/pdf/16-report.pdf-islamtoday.net/
- nawafeth/services/imagesprintart-95—8893.htm.
- www.almogaz.com/politics/news/2012/02/21/195504Arabic.b
- ayynat.org.ib/nashretbayanat/makalat-344-2hlm.
- www.ahewar.org/debat/show.art-asp?aid=4186.
- <http://montada.arahman.net/t3372.html>
- يعقوب .أوس ءاووء : تهويء الؤليم في مقدمة المخططاء الإسرائيلية لتهويء القدس ، مئاح بئاريخ ١٢-٢-٢٠١٢
- www.nooreladab.com/vb/showthread.php?p=49607
- بئاريخ ١٢-٢-٢٠١٢ ، - إسرائيل (تشوه) اللغة العربية بالؤليم
- <http://www.aljazeera.net/news/pages/32260b46-35c8-42ec->
- بئاريخ ٣-٣-٢٠١٢ [c179f3264f7-f052](http://www.aljazeera.net/news/pages/32260b46-35c8-42ec-c179f3264f7-f052)
- <http://www.airss.net/site/2011/12/18/>
- أبو الرب (حسن طاهر) : اؤليم اللغة العربية في المءارس اليهودية في إسرائيل (المرحلة الإءاءية) ، بءؤ مءم إلى مؤؤمر : الواء اللؤوي في فلسطين ، المنعء بئاريخ ٢٥-١١-٢٠٠٦
- [http://scholar.najah.edu/sites/scholar.najah.edu/files/conference-paper/teaching-arabic-jewish-schools-israel-elementary-](http://scholar.najah.edu/sites/scholar.najah.edu/files/conference-paper/teaching-arabic-jewish-schools-israel-elementary-stage.pdf)
- [stage.pdf](http://scholar.najah.edu/sites/scholar.najah.edu/files/conference-paper/teaching-arabic-jewish-schools-israel-elementary-stage.pdf) مئاح بئاريخ ٢-٢-٢٠١٢

[-aljazeera.net/NR/.../B500151E-226D-4047-85B0-0D57B7A8A874m.ht...](http://aljazeera.net/NR/.../B500151E-226D-4047-85B0-0D57B7A8A874m.ht...)

- www.albayan.co.uk/MGZaricle.asp?ID=602

القلالي ، عبد الكريم : التمييز العنصري في مناهج التعليم الصهيونية

- التعليم العربي في إسرائيل <http://arab.education.org/?p=46>

- يوسف عودة ، تعليم العرب في إسرائيل

www.ahewar.org/debat/show.art-asp?aid=41806

متاح على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٢٠١٢-١-٢

- www.jai-pal.org/pie/Identity%20in%201948%20area.doc

- مناهج التدريس الرسمية – جهاز تحكم بيد دولة إسرائيل لمحو الهوية الفلسطينية في مناطق ٤/٨ ، بقلم جنان عبده، ٢٠٠٧ .

رحلة إلى الماضي ؛ ميلاد عالم حديث (القرن التاسع عشر) دراسة في المحتوى

د. هاني عبد العزيز سالم
كلية الآداب - جامعة عين شمس

obeikand.com

مقدمة

يأتي المقرر تحت عنوان : ((מסע אל העבר, עולם מודרני נולד, המאה ה-19, על פי תוכנית הלימודים החדשה בהיסטוריה לבית הספר הממלכתי. היסטוריה לכיתה ח' בבית הספר הממלכתי באישור משרד החינוך המרכז לטכנולוגיה חינוכית תל אביב 2003 " : رحلة إلى الماضي ميلاد عالم حديث - القرن التاسع عشر، وفقاً لمنهج التاريخ الجديد للمدارس الحكومية. التاريخ للصف الثامن من التعليم الأساسي لطلاب المدارس الحكومية، بتصديق وزارة التعليم، مركز تكنولوجيا التعليم، تل أبيب ٢٠٠٣ م)) ؛ هذا ولم يتم على إعداد الكتاب شخص واحد فقط ؛ وإنما طاقم ترأسته ((كاتسيغه أبيالی طيبیان : קציעה אביאלי- טביאן)). وطاقم من المستشارين العلميين تكون من:

دكتور/ رافي فاجو (ד"ר רפי ואגו) - قسم التاريخ العام - جامعة تل أبيب.

دكتور/ أبيباه حلميش (ד"ר אביבה חלמיש) - قسم التاريخ - الجامعة المفتوحة، المعهد الأكاديمي - נתانيا.

دكتور/ ميري شافير (ד"ר מירי שאפר) - قسم تاريخ الشرق الأوسط وأفريقيا - جامعة تل أبيب.

ولا شك والمقرر قائم عليه كل هؤلاء أن يتأكد لدينا للوهلة الأولى، أهمية هذا المقرر وأهمية جمهور المتلقين، كما يمكن أن نشعرنا ويدفعنا في آن واحد للاهتمام والتفكير بجدية في مقرراتنا والاهتمام بها وجمهور المتلقين، خاصة إن كنا سنوجهه لصبية في مرحلة تشكيل الهوية، ولا ننسى كذلك أن نؤكد أنه مقرر تاريخ بمعنى أننا أمام مقرر يشكل هوية أمة يصنع ماضيها في قلوب وعقول حاضرها ومستقبلها، أي جمهور المتلقين - أطفال اليوم وشباب الغد وقادة المستقبل.

أولاً: عرض الكتاب

الوحدة الأولى: "نحو العالم الجديد"

الفصل الأول: "بداية الليبرالية والقوميات في أوروبا"

يتناول الصراع حول تشكيل وجه أوروبا، وكذا الثورات التحررية التي انتابت أوروبا في القرن التاسع عشر، ثم ينتقل بنا مؤلف الكتاب ليتناول الثورات التحررية وظهور القوميات في أوروبا وأسبابها، وأسباب الصدام بين التقدميين والمحافظين.

الفصل الثاني: "الثورة الصناعية وبداية ظهور الحركات العمالية"

يتناول الفصل حركة التصنيع في أوروبا وماهية الثورة الصناعية في نهاية القرن ١٨م، والتي انطلقت من بريطانيا، وأسباب النهضة الصناعية، ثم ينتقل لإبراز شكل المجتمع القديم وأثر التصنيع في انقسام المجتمع.

استراحة المؤرخ: "الأطفال في الثورة الصناعية - رؤية أدبية": يتناول المؤلف حياة الأطفال أثناء الثورة الصناعية - من زاوية الأدب -

الفصل الثالث: "العصر الحديث عصر الجماهير"

يتناول الفصل التغيرات التي طرأت على حياة الفرد والمجتمع في أوروبا، وينتقل بنا المؤلف إلى الأماكن الجديدة، وكيفية انخراط اليهود بها، ويشدد أن هذا الاندماج كان نتيجة ما ناله اليهود من حقوق.

الوحدة الثانية: اليهود في عالم يتغير

الفصل الرابع: "اليهود في غرب أوروبا وشرقها: ثمن الحرية"

يتناول الفصل التغيرات التي طرأت على وضع اليهود بعد الثورة الفرنسية في عدد من دول أوروبا، وكذلك التحول في وضعهم نحو المساواة في حقوق المواطنة عام ١٨٤٧م، وكيف أثرت على حياة اليهود. كما يتناول التيارات المتطرفة داخل حركة الإصلاح وتوجهاتها الفكرية وتحولات العقيدة والعبادة ويتحول المؤلف لفكرة الترابط بين الطوائف اليهودية في الغرب، ويعطى نموذجاً لذلك بقضية فرية الدم، وما كان من نتائج ذلك نشأة منظمة "كل اليهود أصدقاء" في باريس من أجل للدفاع عن اليهود المضطهدين في أنحاء العالم.

الفصل الخامس: "يهود رومانيا: بحثٌ عن الهوية":

يهتم الفصل بسياسات الحكومات نحو إصلاح أوضاع اليهود، وكذلك حركة التنوير بين يهود روسيا ثم التحول من الإصلاح إلى القومية.

الفصل السادس: "معادة السامية في العصر الحديث":

يناقش المؤلف أسباب معاداة السامية في العصر الحديث وملاحظتها في وسط وغرب أوروبا، مركزاً على دور السلطات الروسية في إزكاء روح معاداة السامية. ويرتكز المؤلف في رؤيته لجذور معاداة السامية على النظرية الداروينية، وقد سبقت معاداة السامية الحديثة كراهية تقليدية لليهود غذتها الكنيسة المسيحية، حيث اندلعت في العصور الوسطى أحداث ضد اليهود كان على رأسها "فرية الدم"^(١) التي اتهم فيها اليهود بقتل المسيحيين، هكذا ظهر اليهودي كتاجر يزداد ثراء من إدارة أعماله بالخداع والربا الظالم لجيرانه المسيحيين، ونمت معاداة السامية مع تطور الوعي القومي بين شعوب أوروبا ونمو الحركات القومية، ثم يتناول المؤلف الوسائل الحديثة لمعاداة السامية وأبرزها الأحزاب السياسية التي ظهرت في أوروبا، كذلك منها ظهور صحف تعمل في موضوعات معادية للسامية، كما نشرت كتب معادية للسامية كان منها كتاب ادوارد دريمون "فرنسا الموحدة" عام ١٨٨٦م، الذي نال اهتماماً كبيراً ووزع منه مائة ألف نسخة خلال شهرين تقريباً. كما كان من أشهر كتب معاداة السامية على الإطلاق كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون"، هذا وقد لاقى اليهود الهجوم عبر الرسوم الهزلية "الكاريكاتير" الذي قدّم اليهود في صورة مشوهة مزيفة تثير الاشمئزاز، وفي الفن أيضاً؛ حيث عُرضت مسرحيات قدمت الشخصية اليهودية كشخصية بئسة تثير السخرية.

(١) اتهام لليهود بأنهم يقتلون صبيّاً مسيحياً في عيد الفصح سخرية واستهزاء من صلب المسيح. ونظراً لأن عيد الفصح المسيحي واليهودي قريبان، فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد أن اليهود يستعملون دماء ضحيّتهم في شعائره الدينية وفي أعيادهم؛ حيث أشيع أن خبز الفطير غير المختمر والذي يؤكل فيه يُعجن بهذه الدماء. للمزيد راجع، المسيرى (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، مج ١، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣، ص ١٥٠.

ينتقل بنا المؤلف لقضية دريفوس وتجليات معاداة السامية في فرنسا، وسجن "ألفريد دريفوس" الضابط اليهودي في أركان الجيش الفرنسي والذي أتهم بإفشاء أسرار عسكرية لألمانيا. وكذلك مشاركة السلطات الروسية في معاداة السامية فيما أطلق عليه الأدباء العبريون "عواصف النقب"^(١)، ويبدو أن سبب الاعتداءات هو اتهام اليهود بقتل قيصر روسيا، الذي وقع قبل الاعتداءات بشهرين، ورغم أن من قتل القيصر هم الثوار الروس؛ إلا أن اليهود أتهموا بقتله. وقد أصيب في هذه الأحداث أكثر من مائتين من الطوائف اليهودية، وفرّ منهم عشرات الآلاف. كذلك ظهرت السياسات المعادية لليهود في التشريعات؛ حيث بدأ عصر جديد للسياسات المعادية لليهود، عصر حكومي رسمي، حينما أعلن وزير الداخلية الروسي في مايو ١٨٨٢م إصلاحات سميت "اللائحة المؤقتة" واستمر العمل بها ما يقارب خمس وثلاثون عاماً.

استراحة المؤرخ: الرسوم الهزلية (الكاريكاتير) في خدمة السياسة، حيث يهتم بدور الرسوم الهزلية في إذكاء روح التعصب ومعاداة السامية واضطهاد اليهود.

الوحدة الثالثة: "عالم جديد قديم"

الفصل السابع: "سباق توسع الإمبراطوريات الكبرى في آسيا وأفريقيا؛"

يتناول نتائج صدام هذه القوى غير المتكافئة في احتلال آسيا وأفريقيا.

الفصل الثامن: "حوض البحر المتوسط ماضٍ حاضِرٌ صراع وأزمة؛"

وهو يناقش الدولة الإسلامية في صدامها مع الغرب، وانحيار الدولة العثمانية، ثم تحول اليهود من الحكم الإسلامي لحكم الغرب، كما يتناول يهود المغرب وأوضاع اليهود في حوض البحر المتوسط. ينتقل بنا المؤلف إلى مظاهر معاداة السامية هناك؛ حيث لم يمنع الوضع الجديد الأذى عن اليهود، بل ازداد بمرور الوقت، فعلى سبيل المثال نشر التجار الفرنسيون مشروب

(١) وهي أعمال عنف ومذابح اندلعت في جنوب روسيا ضد اليهود في الفترة من ١٨٨١ - ١٨٨٢م عقب اتهامهم بقتل القيصر الروسي ألكسندر الثاني. ولهذا سُميت بعواصف النقب حيث الجنوب. للمزيد راجع الموقع الإلكتروني،

<http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-22604-PreYaan,00.html>

أسموه "ضد اليهودي"، وكذا سجائر تحت مسمى "ضد اليهودي"، كما وُجّهت حملة من الاضطهاد ضد اليهود في الأندية والمقاهي التي يرتادها اليهود أو لهم عضوية بها، وكذا ضد المصانع والمتاجر التي يعمل بها اليهود، حتى قام أصحاب المحال التجارية بوضع لافتات أمام الأبواب تقول "لا يوجد يهود في هذا المتجر"، "هذا المصنع كاثوليكي"، كما تعالت شعارات مثل: "اليهود تجرأوا على رفع الرأس ويجب إذلالهم"، "يجب أن نسقى شجرة الحرية بدماء اليهود"، الأكثر من ذلك أن الحكومة الفرنسية لم تدافع عن اليهود.

الفصل التاسع: "فلسطين الماضي والحاضر":

يناقش الفصل المصالح المتضاربة في فلسطين وسمات الطائفة اليهودية القديمة بها. كما يتناول التحول بعد الاحتلال العثماني لفلسطين بعد خضوعها للمماليك عام ١٥١٧م. وكذلك حجم السكان بعد الفتح العثماني وأن جلّهم من العرب المنظمين في عشائر كبرى. أما المواطنون اليهود فجلّهم من السفارديم الذين تركزوا في المدن المقدسة الأربعة. ويتناول كذلك سمات الطائفة اليهودية وظروف حياتها في فلسطين، ونشأة المستوطنات الزراعية.

استراحة المؤرخ: "سائحون في الأرض المقدسة": يتناول المسافرين لفلسطين من غرب أوروبا وأمريكا في القرن التاسع عشر الميلادي.

الوحدة الرابعة: "الصهيونية بين النظرية والتطبيق"

الفصل العاشر: "الهجرة الأولى ورواد الهجرات القومية":

يناقش الفصل أسباب ظهور القومية اليهودية متمثلة في جماعة "محبّة صهيون"^(١) "חבבת ציון"، ثم ينتقل إلى الحديث عن مفكرها بادئاً بموشيه هس وكتابه "روما والقدس" وتأسيسه جمعية استيطان فلسطين "החברה ליישוב א"י"، ثم الرباني تسيقي كالisher الذي دعا للهجرة لأرض إسرائيل^(٢) والعيش بها، ثم ينتقل المؤلف للحديث عن

(١) وهي حركة يهودية قومية نشأت في روسيا بعد أحداث النقب عام ١٨٨١م، للعمل على عودة اليهود إلى فلسطين. للمزيد راجع الموقع الإلكتروني، متاح حتى ٢٥/١٠/٢٠١٢

<http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13259-MTMyNTIfMjg2OTcxNjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan.00.html>

(٢) وهي فلسطين، أو أرض كنعان التاريخية، والتي يطلق عليها اليهود اسم أرض إسرائيل، فطبقاً لاعتقادهم تعتبر فلسطين هي الأرض التي عاش عليها أجدادهم، وظلت في انتظارهم خالية، تحلم بيوم عودتهم لها.

الحنين اليهودي لصهيون، مدعياً أن التحول للقومية لم يكن نتيجة للأحداث التي وقعت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي؛ وإنما نتيجة للحنين والشوق لصهيون الذي استمر لأجيال طويلة، وهو يرى أن البداية الحقيقية للصهيونية كحركة قومية كانت في ظهور جماعة "محبّة صهيون"، وتأثير عواصف النقب، حيث نشر بنسكر عام ١٨٨٢ م كراسة بالألمانية تحت عنوان "التحرر الذاتي" دعوة لبنى شعبه من يهود روسيا، واعتمد في فكرته الرئيسة على فقرة من المنشأ كتبها في بداية كراسته تقول: "إن لم أهتم بنفسى فَمَنْ سيهتم"، ينتقل المؤلف لهجرة يهود اليمن نتيجة الحنين لصهيون وعوامل أخرى منها ما أشيع من أن روتشيلد يُقسّم الأراضي على اليهود. يختتم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن إحياء اللغة العبرية.

الفصل الحادي عشر: "الصهيونية السياسية بنيامين زئيف هرتسل":

يناقش رؤية وجهود هرتسل السياسية، والصهيونية لتحقيق أهداف الحركة، وكذلك منظمات الحركة الصهيونية. يتناول المؤلف أهم المنظمات والأحزاب الاشتراكية اليهودية التي نشأت في كنف الصهيونية منذ عام ١٨٩٧ م، والتي عملت من أجل الاستقلال الثقافي لليهود في الشتات عبر المزج بين القومية والاشتراكية. وبعض الحركات الصهيونية مثل مزراحي^(١) "המזרח" وكذلك أجودات إسرائيل^(٢) "אגודת ישראל".

استراحة المؤرخ: رحلة لتتبع زيارة هرتسل لفلسطين ١٨٩٨ م. ويكتفى المؤلف بوضع عنوان موقع إلكتروني يطلب من التلاميذ الدخول إليه للمتابعة.

الفصل الثاني عشر: "الهجرة الثانية استمرار وتغيير":

يتناول الوحدة الإيديولوجية والاجتماعية للهجرة الثانية، ثم انتظام العمال في العمل وانتشار العبرية كلغة وثقافة، وكذا أحزاب عمال الهجرة الثانية مثل حزبي العامل الصغير

١ () وهي مزيج من كلمتي مركز و روجي، وقد طرحت الحركة شعار أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتوراة إسرائيل، ولأخص الشعار في عبارة "תורה ולבונה"، ومعناها أنه على الصهيوني الحق المتدين أن يتعلم الشريعة. للمزيد راجع: المسيرى، المرجع السابق، مج ٢ ص ١٥٠.

٢ () حزب تأسس عام ١٩١٢ م كتنظيم ديني يضم الجماعات الدينية الأرثوذكسية في كل من ألمانيا وبولندا وليتوانيا ضد الحركة الصهيونية لمحاولة تغيير بنية ومضمون الحياة اليهودية. للمزيد راجع: المرجع السابق، ص ٢٩٩.

"הפועל הצעיר" في فلسطين ١٩٠٥م وحزب عمال صهيون "פועלי ציון" خارج فلسطين ١٩٠٦م، ونشأة منظمة بر جيورا^(١) "בר גיורא" السرية .

استراحة المؤرخ: نغنى لك يا وطن. وهو عنوان مأخوذ من فقرة شعرية للشاعر المسرحي والمترجم يعقوب أورلاند. المهمة الرئيسة للاستراحة هي جمع الأشعار المحببة للأطفال والمتعلقة بالهجرة لفلسطين واستيطانها.

الوحدة الخامسة: "العالم الحديث في أزمة"

الفصل الثالث عشر: "الحرب الكبرى ١٩١٤-١٩١٨م":

يتناول أسباب الحرب العالمية ووقائعها ونتائجها.

الفصل الرابع عشر: "الحركة الصهيونية واليهود في فلسطين زمن الحرب":

يتناول الحرب وصعوبات الاستيطان واتساع العلاقات مع بريطانيا. ويرى أن المصالح البريطانية هي ما دفعتها لإصدار وعد بلفور.

ثانياً: الأفكار والمفاهيم التي يطرحها المقرر:

١ طمدى ترحيب الجماعات اليهودية بالانعتاق:

يقول المؤلف: "إن تطور الطب، الاهتمام بنوعية الغذاء، وسائل المواصلات، وطرق الوقاية الصحية، أدى بلا شك لازدياد مطرد في عدد السكان اليهود في أوروبا؛ حيث وصل عدد اليهود في أوروبا في ثمانينيات القرن التاسع عشر إلى ثمانية ملايين يهودي. وقد أدى ازدياد عدد اليهود لازدياد ضائقتهم،" وهنا نستطيع أن نتساءل كيف ازدادت ضائقة اليهود،

١ (منظمة عسكرية صهيونية أسسها كل من اسحق بن تسفي وإسرائيل شوحط في فلسطين عام ١٩٠٧م، وكان شعارها "بالدم والنار سقطت يهودا" و"بالدم والنار ستقوم يهودا"، وقد استلهمت اسمها(عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، مج ٢، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣، من شمعون بر جيورا أحد المتطرفين من قادة التمرد اليهودي ضد الرومان عام ٧٠م، والذي انتهى بما يعرف في الذاكرة اليهودية بالانتحار اليهودي الجماعي، ودمار المعبد الثاني. للمزيد راجع، المسيرى (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيرى جديد، ج ٧، دار الشروق، القاهرة، ص ١٤٠.

ومن المفترض أن أعداد اليهود ازدادت نتيجة التطورات الإيجابية التي حلت بأوروبا، وما يؤكد ذلك ما يلي:

- (١) تمتع اليهود بما تمتع به الأوروبيون، ومن ثم ازدادت أعدادهم.
 - (٢) المعروف أن الأعداد تتزايد حينما يشعر الأفراد بالأمان على أنفسهم وأموالهم.
 - (٣) إذا كان اليهود في ضائقة، فما الذي منعهم من الهجرة.
- والمثير للتعجب أن هجرة اليهود، كما يقول، جاءت فقط نتيجة العوامل الطبيعية كالمجاعة في إيرلندا، وكان اليهود في ذلك مثلهم مثل الأوروبيين. والغريب أيضاً أن المؤلف لا يذكر السبب وراء ازدياد تلك الضائقة في شرق أوروبا مكتفياً فقط بقوله: "أن ذلك كان في شرق أوروبا على وجه الخصوص. ففي روسيا على سبيل المثال لم يُسمح لليهود بالسكن إلا في مستوطنات خاصة بهم، وقُتنت أنشطتهم؛ مما أدى لضائقة اقتصادية"، ويبدو أن لذلك أسباباً، مما أدى لتغير الوضع بعد أن نال اليهود حق المواطنة، ومن ثم استطاعوا التحرك بحرية من مكان لآخر وانفتحت أمامهم سبل العيش؛ حتى أن هذه الهجرات كانت - مثل الأوروبيين - إلى مدن أوربية أخرى بعيدة عن المجاعة وما شابه ذلك. ليس هذا فحسب؛ بل إن اليهود انخرطوا في مناح الحياة المختلفة حيث حلوا.
- وقد كان لازدياد تيار الديمقراطية في أوروبا، أن مُنحت كثير من الجاليات حق المشاركة في الانتخابات، حتى طالبت السيدات بحقوقهن، وبهذا الشكل نال اليهود حق المواطنة وأصبحوا مواطنين في إطار الانعتاق، فماذا يعنى ما يتحدث عنه المؤلف من ضائقة، وما هي أسبابها. تلك التي يغفلها المؤلف، مكتفياً بالحديث عن مجرد ضائقة، لإلهاب مشاعر الصبية الذين يوجه إليهم حديثه. لقد انخرط اليهود في المجتمعات الأوربية ونالوا حق المواطنة، بكل ما تعنيه الكلمة؛ فالتحقوا بمناح التعليم المختلفة، حتى الجامعة، ودخلوا لكل مناحي الحياة الاقتصادية، ولم تجد المجتمعات الأوربية غضاضة في الاقتراض منهم باعتبارهم مواطنين، وفتحت أمامهم كل سبل الحياة حتى تقلدوا أرفع المناصب في أوروبا، فكان منهم القاضي والأستاذ الجامعي ومستشارو الملوك.

يعود المؤلف للحديث عن أزمة اليهود في أوروبا فيقول: "لكن هذه المساواة كان لها ثمن فادح"، مما يدفعنا لسأل، ماذا كانوا يريدون؟ هل المساواة أم العيش في إطار الأقليات؟ لقد رأى المؤلف الأزمة اليهودية من منطلق أن اندماجهم سيمنعهم حقوق الأقليات، ولكن السؤال هل حقوق الأقليات أهم وأفضل أم حقوق المجتمع ككل، بالفعل تنازل اليهود عن امتيازات الأقليات التي نالوها فيما سبق، فتنازلوا عن استقلالهم الطائفي، وكذا توقفت صلاحيات القضاء الطائفي، والتزم اليهود بالالتحاق بالجيش الفرنسي باعتبارهم مواطنين فرنسيين، لكن ذلك كان وضعاً طبيعياً في إطار تحولهم لمواطنين بعيداً عما ادعوه من اضطهاد ملأوا الدنيا صراخاً لشاعته، لقد انتشرت المساواة في أوروبا، فتنحصر اليهود، وإن اختلف وضعهم من مكان لآخر حسب طبيعة الحكم، واكتملت عملية التحرر اليهودي في غرب ووسط أوروبا حينما قبل اليهود في أوشفيتس العتق أو التحرر عام ١٨٧٤م. ويبدو أن هذا كان الثمن الفادح الذي يرويه المؤلف للصبيّة.

وعن منعهم من ممارسة الحياة السياسية كحق الانتخاب والتصويت، يقول المؤلف: "إن القانون الانجليزي ألزم كل المرشحين لوظائف حكومية أن يقسم قسماً مسيحياً"، والحقيقة أنى لا أجد غضاضة في ذلك؛ فكون اليهود جماعة منعزلة، لا يمكنهم بطبيعة الحال أن ينالوا مكانة خاصة داخل الدولة، خاصة وأنهم منتشرون داخل دول أوروبا كافة، وهو ما يعنى أنه ربما تحشى دولة أن يشكل اليهود طابوراً خامساً؛ خاصة وأن ذلك ما حدث مثلاً أثناء الحرب العالمية الأولى؛ حيث ساند يهود الدولة العثمانية بريطانيا ضد الدولة التي يعيشون في كنفها، وساند يهود الجزائر الفرنسيين في الاستيلاء على الجزائر. أضف لذلك أن هذه الحدود زالت تدريجياً، ثم تغير الوضع عام ١٨٥٨م، وصّدق البرلمان على اقتراح يسمح لكل مجلس بأن يحدّد نص القسم. كما لا يمكن التغاضي عن دعوات الأوربيين لاستيعاب اليهود، ومنهم فيلهلم دوم الذي ناشد الحكومة منح اليهود حقوق المواطنة مدعياً أن ذلك سيجعل منهم أناس طبيعيين صالحين أكثر، وأن فائدتهم للدولة ستزيد، رأى دوم أنه ينبغي على الدولة فتح المجال أمام اليهود للانضمام لمناخ الحياة الاقتصادية، زراعة، حرف، مهن، وعلوم، مما أثار

جدلاً واسعاً، وهذا ما يمكن أن يعطينا انطباعاً بأن أوروبا لم يكن لها مصلحة في عزل اليهود، بل على العكس كان من صالحهم استيعاب اليهود رغم المخاطر التي يمكن أن يشكلونها. كذلك رأى المؤلف أن اليهود في فرنسا قد انسحبوا من التحرر في عهد نابليون حينما جدد النقاش حول وضع اليهود في مناطق حكمه القيصري، وكانت النتيجة أن فُرضت عليهم بعض الحدود عام ١٨٠٨م حينما صدر نابليون ما عُرف بـ "المرسوم المشين"^(١)، ويبدو أن المؤلف تناسى ترحيب اليهود في فرنسا بالاندماج وبقرارات نابليون، كما يبدو أنه اعتاد أن يذكر السلبيات فقط ويركز عليها بغية إظهار اليهود مضطهدين مقهورين.

حقيقة كانت استجابة كثير من اليهود لهذا التحرر والاندماج تتأرجح بين القبول والرفض، لكن الاستجابة الرسمية لهذا الوضع الجديد لم تتأخر، لقد أتت في صورة مرسوم أصدره المجلس اليهودي الذي دعاه نابليون للانعقاد ١٨١٢م، والذي قرر قبول التنازل عن الأفكار والمعتقدات السياسية التي نشأت عن العقيدة اليهودية منذ القدم، والتي وضعت أسس تتناسب والمجتمع اليهودي في فلسطين قديماً، عندما كانت إسرائيل مملكة لها ملوكها وكهنتها وقضاها. وقد بعث المجتمعون بالرسالة التالية رداً على مطالب نابليون وأسئلته التي وجهها للمجلس اليهودي جاء فيها: "يعلن المجلس باسم كل الفرنسيين المعتقدين في دين

(١) مراسيم أصدرها نابليون لتنظيم علاقة اليهودية بالدولة الفرنسية. ففي عام ١٨٠٨، أصدر مرسومين تم بمقتضى الأول إقامة نظام من المجالس الكنسية، وهي لجان من الحاخامات والرجال العاديين للإشراف على الشؤون اليهودية تحت إشراف مجلس كنسي مركزي، وكان من مهام هذه المجالس أن ترعى معابد اليهود وغيرها من المؤسسات الدينية، وتنفذ قوانين التجنيد وتشجع اليهود على تغيير المهن التي يشتغلون بها. أما المرسوم الثاني، فقد اعترف باليهودية ديناً كما ألغى الديون اليهودية المستحقة للمرابين الإشكناز، وأعفى السفارديم من ذلك المرسوم، وأصبح الحاخامات مندوبين للدولة مهمتهم تعليم أعضاء الجماعات اليهودية تعاليم دينهم وتلقينهم الولاء للدولة وأن الخدمة العسكرية واجب مقدس، ورغم أن الأدبيات اليهودية والصهيونية تطلق على هذه القرارات اسم (القرار المشين)، فإنه كان قراراً مرحلياً يهدف إلى تحديث اليهود، ولذا فإنه لم يُطبق على السفارديم. وقد نجح بالفعل في دمجهم بالمجتمع الفرنسي. للمزيد راجع، المرجع السابق، ج٤، ص

موسى، وهم يشعرون بأعمق أحاسيس العرفان والحب والاحترام بشخصه المقدس صاحب الجلالة الإمبراطورية الملكية، يعلن أنهم مصممون جميعاً على إثبات أنهم جديرون بهذه النعم التي يقصدهم بها جلالته، وذلك عن طريق الإذعان المدقق لمقاصده البابوية، وعن طريق إثبات أن دينهم سيجعل واجباً عليهم أن يحترموا قانون الملك على أنه القانون الأعلى في المسائل المدنية والسياسية، وأنه بالتالي إذا كان قانونهم الدينى أو تفاسيره مخالفة للقانون الفرنسى، فلتتوقف هذه الوصايا بالطبع، وبما أنه يجب عليهم قبل كل شئ الاعتراف بالملك وإطاعة قوانينه، فقد اعتبر اليهود في كل الأزمنة أنه من واجهم طاعة قوانين الدولة، وأنهم منذ الثورة ككل الفرنسيين لم يعترفوا بأية قوانين أخرى"، ويعتبر هذا إعلاناً بالتنازل عن كل الأفكار التقليدية التي جعلت اليهود مجموعة متميزة من البشر، أو كدولة تعيش مستقلة داخل الدولة الفرنسية. وقد عبّر أحد أعضاء السنهدين عن هذا بقوله: "نحن لم نعد نكوّن أمة داخل الأمة... فرنسا بلدنا. أيها اليهود هذا هو موقفكم اليوم، لقد تحددت التزاماتكم والسعادة في انتظاركم"، وقد تلقى اليهود أخبار الحريات المدنية الممنوحة لهم بترحيب شديد، يظهر هذا في الكلمة التي ألقاها بير اسحاق الذي مثّل اليهود أمام المجلس القومى الفرنسى حيث قال: "لقد عادت إلينا الحقوق التي سُلبت منا منذ ألف وثمانمائة عام .. فبنعمة الله وبفعل الشعب الفرنسى أصبحنا اليوم ليس فقط بنى آدميين، وليس فقط مواطنين ولكننا أصبحنا أيضاً فرنسيين..... ففي السابع والعشرين من سبتمبر كنا الوحيدين في هذه المملكة العظيمة الذين، كما يبدو، كتب علينا أن نبقى إلى الأبد في قيود العبودية، ولكن في اليوم التالى ٢٨ / ٩ / ١٧٩١م نلنا حريتنا". وقد انتشرت بين يهود فرنسا موجة من روح الوطنية عبّر عنها أحد اليهود المعاصرين هو صمويل ليفى في أحد الصحف الباريسية بقوله: "فرنسا التي محت عنا عار يهوذا، هي أرض إسرائيل بالنسبة لنا، فالشعب الذي استعبد أكثر من أي شعب آخر سيصلى من أجل الشعب الذي كسر قيود عبوديته، سيصلى لفرنسا ملاذاً المقهور^(١)".

(١) حسن (محمد خليفة)، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودي، دار المعارف ، ط١، القاهرة ١٩٨١م، ص ٣٣ - ٣٥.

لقد منحت الثورة الفرنسية اليهود كل حقوق المواطنين وحاولت دمجهم في المجتمع عن طريق فتح المدارس لأبنائهم، وتشجيعهم على التخلي عن تميزهم داخل المجتمع، وقد استمر نابليون في نفس الاتجاه فأصدر لاحقاً عدة قرارات لتنظيم علاقة بين اليهود وفرنسا، ففي عام ١٨٠٨م أصدر مرسومين، تم بمقتضى المرسوم الأول إقامة لجان من الحاخامات وغير الحاخامات للإشراف على الشئون اليهودية تحت إشراف كنسى مركزي، وكان من مهام هذه المجالس أيضاً أن ترعى معابد اليهود وغيرها من المؤسسات الدينية، وتنفذ قوانين التجنيد وتشجع اليهود على تغيير المهن التى يشتغلون بها، أما المرسوم الثانى، فقد اعترف باليهودية ديناً، وألغى الديون المستحقة لليهود المرايين، وأصبح الحاخامات مندوبين للدولة مهمتهم تعليم أعضاء الجماعات اليهودية تعاليم دينهم وتلقينهم الولاء للدولة، وتعزيز الخدمة العسكرية كواجب مقدس. وكان على الحاخامات توجيه أعضاء الجماعات اليهودية إلى الوظائف النافعة. كما اعترفت الحكومة الفرنسية باليهود بوصفهم أقلية، وأصبح لهم كيان رسمى داخل الدولة، فحصلوا على حقوقهم ومُنحوا شرف الجندية، ولم يُسمح لهم بدفع بدل نقدي عن الجندية، وشُجعوا على العمل بالزراعة. وحرّم نابليون على اليهود الإشكناز ممارسة التجارة دون الحصول على إذن بذلك، ولم يكن الإذن يجدد إلا بعد التأكد من مدى إحساس التاجر اليهودي بالمسئولية الأخلاقية نحو المجتمع. كما طُلب من أعضاء الجماعات اليهودية أن يتخذوا دائماً أسماء على الطريقة الغربية. ورغم أن الأدبيات اليهودية والصهيونية تطلق على هذه القرارات اسم "المرسوم المشين"؛ إلا أنها أدت بالفعل إلى دمج اليهود في المجتمع الفرنسى، ثم صهرهم تماماً في النهاية، حتى أن فرنسا كان يُطلق عليها عبارة "البلد الذى يأكل اليهود"^(١)، هكذا كان وضع اليهود في فرنسا، لقد عملت الثورة على دمج الجماعة اليهودية باعتبارها جزءاً من المجتمع وليس دولة داخل الدولة، ومع ذلك تمتع اليهود بحقوقهم في إدارة شئونهم الداخلية ورعاية مؤسساتهم الدينية، دون العبث بها، هذه هى فرنسا وذلك كان موقف الثورة من اليهود.

(١) المسيري (عبد الوهاب)، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ٣، القاهرة

٢٠٠٣م، ص ٢٣ - ٢٤.

وفي ألمانيا ظهرت اليهودية الإصلاحية، وممثليها أفراهام جايجر وهولدهايم، كان جيگر من أكبر زعماء حركة الإصلاح، وقد أيد تطوير التراث الدينى اليهودي ليناسب متغيرات العصر؛ حيث اعتبر أن السمة الأساسية لليهودية أنها ليست نظاماً محدوداً من القوانين الواجب تطبيقها في حياة الفرد؛ وإنما يجب أن تسمو لتصبح نظاماً أخلاقياً عالمياً في اتجاهه وتطبيقه، وهذا نفسه يعتبر عند جيگر هدف الإصلاح الذي لابد وأن يحرر الحياة اليهودية من قيود التشريعات التى لا تلائم العصر، وبناء عليه يجب على حركة الإصلاح أن تنشر المثل العليا العصرية بين اليهود مع مراعاة تعديلها لتناسب التراث اليهودي، ولأن اليهودية ديانة متغيرة وقابلة للتطور فهى تستطيع تطوير مُثل جديدة للإنسان اليهودي كبديل لهذا النظام من الوصايا والقوانين الذي لا يبدو كافياً لحل التناقض القائم بين ميوله الحديثة ومتطلبات دينه. وقد كان هذا تبريراً كافياً لجيگر وغيره من زعماء الإصلاح للتغيرات التى أحدثوها في الديانة اليهودية، وقد وضع جيگر كتاباً للصلاة حُذفت منه الإشارات إلى المسيح وصهيون، واستبدلها بصلاة لخلاص البشرية ككل، كما حاول التخلص من كل العناصر التى تجعل من اليهودية ديناً خاصاً كالعنصر القومى مثلاً^(١).

كذلك يؤكد المؤلف على أن الألمان اعتبروا أن إخلاص اليهود إنما إخلاصهم فقط "لوطنهم" في فلسطين، ولذلك لا يمكن أن يكونوا مواطنين مخلصين لألمانيا. كذلك ادعى أن اليهود يستطيعون تكوين جزء من المجتمع فقط بعد أن يغيروا عقيدتهم "فطالما لم يتحرر اليهود من دينهم وقوميتهم الوهمية؛ فإنهم لن ينالوا المساواة وحقوق المواطنة، ولذلك اقترحوا طرد اليهود من ألمانيا". هكذا يؤكد أن فلسطين كانت في نظرهم ونظر الألمان الأغيار الوطن القومى التاريخى لليهود، ومع ذلك يشهد تاريخ الجماعات اليهودية في أوروبا أن اليهود نالوا التحرر واندمجوا في أوروبا ونالوا حق المواطنة وأصبحوا مواطنين كاملي الأهلية، وكان منهم القاضى والمحامى والأستاذ الجامعى... الخ، وذهب البعض حد التطرف في الاندماج حتى تناسوا العقيدة اليهودية أمثال هولدهايم؛ الذي دعا طائفته للإجازة يوم

(١) المرجع السابق، ص ٣٨.

الأحد بدلاً من السبت، لأنه لا يمكن باعتبار جنسيتهم ألمانية أن يكون في ألمانيا يومان عطلة في الأسبوع.

الحال ذاته في روسيا حيث اتخذ المتنورون اليهود الروس من بيت الشعر الذي قاله "يهودا ليف جوردون"^(١) (١٨٣٠-١٨٩٢) "كُن إنساناً خارج بيتك ويهودياً داخله" شعاراً لهم، كما اعتقدوا أن تغير طبيعة التعليم سيؤدي لاندماج اليهود في حياة المدينة، وأصبح هذا البيت الشعري أيقونة التغيير بين يهود أوروبا.

وعودة للتأكيد على أن المؤلف يتجاهل أحداث وتواريخ بعينها نال فيها يهود أوروبا الحرية والمواطنة، وسعت فيها أوروبا لدمج اليهود، ومنحهم الحقوق وإعادة تهم ثنائية للحياة المجتمعية، كما لم يتذكر أو يُذكر الصبغة إلا بما أراد من تواريخ وأحداث يؤكد بها ما يريد أن يزرعه في نفوسهم وعقولهم من اضطهاد لليهود، بل إنه لم يكلّف نفسه عناء البحث حول أسباب وقوع هذه الأحداث، أو مجرد مناقشتها مناقشة موضوعية، واكتفى بأن يظهر الطائفة اليهودية في دور الضحية المهزومة، كما أنه لم يهتم في عرضه لهذا القرن بانزواء اليهود وتقوقعهم في المجتمع، أو تغلغلهم في كافة مناحي الحياة وأهمها الاقتصاد الذي سيطروا عليه.

يبدو أن تحسن أوضاع اليهود أغواهم للسعى لمزيد من التطلعات السياسية؛ فأبقوا على أسطورة الاضطهاد وصولاً إلى حشد الطاقات اليهودية في شتى أنحاء العالم لإنشاء كيان سياسي خاص بهم، وكانوا يتخذون من حادث فردى أو محلي أو إقليمي يقع على اليهود ذريعة لإثارة ضجة هادرة يتردد صداها خارج حدود الإقليم، لإثارة المشاعر بسبب الاضطهاد الذي يدعيه اليهود، وإشعال حماس الرأي العام اليهودي في مختلف البلدان، واعتبار هذا الاضطهاد أكبر مظهر للمسالة اليهودية، والحث على المطالبة بإيجاد حل لهذه

(١) هو يهودا ليف أشير جوردين ولد في مدينة فيلنا عام ١٨٣٠م، نال تعلماً دينياً، وكان من دعاة التنوير والخروج من أسوار الجيتو اليهودي والاندماج في المجتمع، ومن أهم أشعاره استيقظ يا شعبي. للمزيد راجع الموقع الإلكتروني - متاح في يوم ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٢

http://he.wikipedia.org/wiki/יהודה_לייב_גורדון

المشكلة، مع الحرص على الإشارة إلى أن تحرير اليهود واندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها ليس حلاً جذرياً للمسألة اليهودية^(١).

وبشأن الصور والرسوم التي يستخدمها المؤلف، فقد عمد لتقديم صور ورسوم تعبر عن اضطهاد اليهود رغم حرصهم على الاندماج. ولم يقدم لنا صوراً تؤكد حياة الاندماج أو التسامح الأوروبي تجاه اليهود مع انتشار قوانين الاندماج والحريات، كما لم يهتم بإظهار طابع اليهود في أوروبا أو المنحى الذي اتخذته اليهود في حياتهم كممثلين للرأسمالية المستغزة المستغلة للمواطنين. واكتفى بعرض صور ليهود بائسين يعمل بعضهم في بيع الخبز، ويعمل آخرون منهم في نقل وبيع المياه، كما أكد في صور كاريكاتيرية ساخرة على بعض مناح الاندماج، والتحول عن العقيدة اليهودية الخالصة من خلال دخول اليهود هيئة القضاء أمثال جبرائيل رايسر في عام ١٨٦٠م، والسخرية من اختراقه جدار يؤدي به هيئة القضاء بالمحكمة العليا بهامبورج.

وبالنسبة للوثائق يقدم لنا المؤلف عدداً من الوثائق؛ فيقدم وثيقة خاصة بتحول افراهام مندلسون^(٢) للمسيحية هو وزوجه وأبنائه الأربعة؛ حيث رأى أن ذلك هو الطريق الصحيح للمجتمع الألماني، والأفضل لأبناء أسرته، وهناك وثيقة ثانية تقدم جزءاً من قصيدة للشاعر اليهودي يهودا ليف جوردون "استيقظ يا شعبي"، تدعو اليهود للاندماج. وي طرح المؤلف عدداً من الأسئلة كان أهمها:

(١) الخولي (حسن صبري)، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، مج ١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣م، ص ١٣.

(٢) رائد حركة التنوير اليهودية. وُلد في دساو لأب فقير يعمل في كتابة مخطوطات التوراة. أصيب بمرض في طفولته تسبب في تقوُّس عموده الفقري وأثر في جهازه العصبي. تلقى مندلسون تعليماً تقليدياً ثم سافر إلى برلين حيث درس الطب والفلسفة واللغات اليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية، وكان هذا أمراً غير عادي بالنسبة لأعضاء الجماعات اليهودية في أوروبا آنذاك. اشتغل مندلسون مدرساً خصوصياً لأولاد صاحب مصنع حرير ألماني يهودي ثم عمل محاسباً عنده، واستوعبت الوظيفة كثيراً من وقته، ولكنها أتاحت له فرصة الإقامة في برلين كيهودي يتمتع بالحماية بسبب نفعه. وظل يعمل طيلة حياته تاجراً وتزوج من حفيدة يهودي البلاط صموئيل أوبنهايمر، للمزيد راجع، المسيرى (عبد الوهاب)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، مج ٣، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.

- كيف حوّل الاندماج المجتمع اليهودي لمجتمع علماني؟
- ما هي وسائل كل من القيصر ألكسندر الأول ونيقولا الأول لتشجيع اليهود على التنصر؟

ويتضح من هذه الأسئلة رؤية المؤلف للتنوير والاندماج وما أدى إليه، طبقاً لوجهة نظره، من تحول المجتمع اليهودي المتدين لمجتمع علماني، يتعد عن تعاليم دينه. كذلك يؤكد على أن القيصرية كانوا يشجعون على التنصر، وكأنه يرى أن التنوير والاندماج كان يساوى التنصر. وأخيراً يأتي سؤال عن اللغة العبرية وعلاقتها بالهوية القومية، وكأن العبرية والابتعاد عنها والتنوير يعنى الابتعاد عن الهوية القومية، متناسياً أن اليهود كانوا يتحدثون لغة مختلفة تماماً عن العبرية في دول العالم التي نشأوا وعاشوا بها.

أما أهم الهوامش التي قدمها المؤلف؛ فكان الهامش الخاص بتعريف الشعار الذي اتخذته الألمان عام ١٨١٩م أثناء محاولتهم العودة للنظام القديم قبل الثورة الفرنسية بعد انتهاء الحكم الفرنسي لألمانيا، ويأتينا المؤلف بهذا الهامش تحت عنوان عام هو "تراجع أوضاع اليهود في ألمانيا"، وهذا الشعار هو "הפ הפ מוות ליהודים" والتي تعنى "יהודיים אבודה أي "القدس ضاعت". ومن غير المفهوم استخدام الألمان لهذا الشعار، وما علاقتهم بالقدس؟ وما هو سبب إثارة موضوعها في هذا التوقيت؟ وبالأحرى ما علاقة يهود ألمانيا في عصر التنوير والاندماج بالقدس؟ والمعروف أن أحداث العنف كانت متعلقة باستغلال اليهود كرأساليين لطبقات الشعب الروسي، فماذا يدفعهم لرفع هذا الشعار؟! الأصوب أن يطالب الألمان جماعة اليهود بالخروج للقدس للتخلص منهم؛ خاصة فقد افترض المؤلف قبلاً أن الألمان رأوا أن اليهود ليسوا مواطنين ألمان وأن وطنهم هو فلسطين وليس ألمانيا، فلماذا يناقض نفسه الآن!

ط الحركة الصهيونية أسبابها ونتائجها :

حاول الصهاينة وأنصارهم إرجاع الحركة الصهيونية بمفهومها السياسي إلى عصور تاريخية موهلة في القدم، ويذكرون أنها مرت بأدوار عديدة؛ فيقرر بعضهم أنها ترجع لما يعرف

بـ"السبي البابلي" عام ٥٨٦ ق.م. ويرى آخرون أنها ترجع لدمار الهيكل الثاني في عهد الرومان عام ٧٠م. ويرى فريق ثالث أنها ترجع للطرد من أسبانيا، والواقع أن الصهاينة قد اتخذوا من هذه الأحداث التاريخية نقاط ارتكاز للتضليل، وإظهار الحركة الصهيونية بمظهر الحركة القومية العريقة، عميقة الجذور، والبعيدة كل البعد عن أية علاقة بالاستعمار الأوروبي الحديث، والحقيقة أن اليهود ظلوا عبر العصور يمنون أنفسهم بفلسطين، ولكن ذلك لم يخرج عن مجرد الأمانى التي كانت تطفو ثم تعود وتخبو، وقنعوا فقط بالتغنى في الكتب الدينية بالعودة لصهيون، وكان المقيمون منهم في فلسطين منذ جاء الإسلام أقلية بالنسبة للسكان العرب، وقنع عجائزهم بالبكاء عند سور هيكل سليمان حتى أُطلق عليه حائط المبكى. ومما أضفى على الحركة الصهيونية نوعاً من القوة أن النصف الثاني من القرن ١٩م حفل بكثير من الحركات القومية التحررية بأوروبا، وعمل الصهاينة على إدماج حركتهم في إطار هذه الحركات، رغم أن الحركة الصهيونية كانت تهدف إلى الاستيلاء على فلسطين وإخلاء سكانها، أما الحركات القومية فكانت تهدف إلى إجلاء المستعمر الأجنبي والتحرر، وليس الاحتلال والاستيلاء على أراضي الغير^(١).

وعن أسباب الحركة يورد المؤلف مجموعة من الأسباب يمكن تصنيفها لصنفين أساسيين هما أسباب غير مباشرة يمكن تقسيمها إلى أسباب خارجية تمثلت في الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا، وهو يرى أن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود اتخذ عدة أشكال تمثلت في معاداة السامية المتمثلة في ظهور الأحزاب المسيحية الاشتراكية المعادية لليهود، والهجوم عبر الصحافة والرسوم الهزلية، وظهور الكتب المعادية لليهود وأهمها كتاب بروتوكولات حكماء صهيون كمؤلف مدسوس عليهم من الروس، كذلك قضية الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي دريفوس، وأسباب أخرى داخلية تمثلت في الحنين لأرض الميعاد؛ ذلك الوطن القومي التاريخي لليهود حسب اعتقادهم، أما السبب المباشر الحاسم؛ فتمثل في عواصف النقب، تلك (المذابح) التي تعرض لها اليهود في روسيا نتيجة الاتهام بقتل قيصر

(١) الخولي، ص ١٧ - ١٨.

روسيا، ولكن يبدو أن المؤلف كعادته يتناسى أو يغفل ذكر الأسباب أو حتى النظر للأحداث بنظرة تحليلية.

ولمحاولة مناقشة الأسباب غير المباشرة (الخارجية) للصهيونية، وأهمها تصاعد الأحزاب المسيحية المعادية لليهود؛ نجد أن ظهور هذه الأحزاب كان لمواجهة الرأسمالية المتمثلة في اليهود؛ وبناء عليه لم تأخذ هذه الأحزاب موقفاً معادياً من اليهودي؛ إلا لأنه رأساً لا يسيطر على الاقتصاد الأوربي، وهو في نهاية الأمر غريب يمتص دماء المواطنين. الغريب أن المؤلف يقول: "مع بزوغ الفكر الاشتراكي، انضم اليهود لصفوف الاشتراكيين؛ حيث رأى اليهود في الأفكار الاشتراكية التي دعت للمساواة في المجتمع وإلغاء الفوارق الطبقية بين بنى الإنسان، حلاً لمشكلة اليهود. وعلى الرغم من ذلك فقد عمل مفكرو الاشتراكية على دعم معاداة السامية؛ فاليهود الرأسماليين الأثرياء اصطدموا بالاشتراكيين؛ حيث أيقن الاشتراكيون الفارق بين اليهود هذه الفئة الرأسمالية المستغلة للجموع وبين اليهودية. في الوقت ذاته زعم كارل ماركس أن المال هو الإله الحقيقي لليهودية والرأسمالية؛ ومن ثم هوجم اليهود باعتبارهم ممثلي الرأسمالية"، أليس ذلك بغريب؟ يناقض المؤلف هنا ذاته، فكيف انضم اليهود لصفوف الاشتراكيين ويضطهدهم الاشتراكيون في أن واحد لأنهم رأسماليون يسيطرون على الاقتصاد العالمي!، إن الوضع الاقتصادي لليهود كان وضعاً يشجع على التعامل معهم بنوع من التنكيل؛ ذلك أن الملوك من ناحية والكنيسة من ناحية أخرى ومن ورائها الإقطاع قد حرّموا على اليهود الزراعة، وضيقوا عليهم الخناق في التجارة والصناعة؛ إذ حرّموا على المسيحيين أن يخدموهم أو يتعاملوا معهم، فلم يعد أمامهم من مجال للكسب إلا في تجارة الذهب والمجوهرات والقيام بالإقراض بربا فاحش، وكل ذلك من شأنه أن يخلق أحقاداً وعداوات، وأن يعطى عن اليهود صورة قبيحة كتلك التي قدمها لنا شكسبير في تاجر البندقية. وليس عجباً أن نجد في ظل ذلك حارة لليهود لها أحكام وقود مخصوصة تنشأ في مدينة البندقية الإيطالية، على أمل الحد من جشع اليهود في الاستغلال الاقتصادي وممارسة الربا والسعي لتخريب حياة المسيحيين وتدميرهم بالابتزاز^(١).

(١) (ظاظا (حسن) وآخرون، الصهيونية العالمية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧١، ص ٥٨ - ٥٩.

ولكن عن أي يهود يتحدث المؤلف؟ إن جلّ يهود روسيا لا ينحدرون من نسل يعقوب، وهو ما ينفي إدعاء الصهاينة من الأساس والقائلة بأن اليهود الروس حين هاجروا؛ إنما هاجروا لفلسطين، وعادوا لأرض آبائهم وأجدادهم. هذا، وقد عانى المجتمع الروسى من مواطنيه الذين يدينون بالدين اليهودي؛ ذلك أن اليهود الروس سلكوا سلوكاً أثار عليهم حذر باقى شرائح المجتمع الروسى، مما حدا بالحكومة الروسية إلى أن تلجأ إلى فرض قيود تحرمّ عليهم كثيراً من الحقوق المدنية التى تتمتع بها باقى المواطنين حماية للصالح العام. ولما لم توقف قرارات الحكومات الروسية المتعاقبة فساد اليهود الذي استشرى داخل المجتمع الروسى، قام الكسندر الأول بتهجير ما يقرب من ستين ألف أسرة يهودية من الريف إلى المدن في الفترة من ١٨٠٨ حتى ١٨١٠م، غير أن اليهود بعد تهجيرهم عمدوا لخلق تكتلات اجتماعية في المدن منفصلة عن المجتمع الروسى ولجأوا للعزلة، فعاد الصدام معهم^(١).

ولمزيد من الاستيضاح والتفصيل وجدنا لزماً علينا أن نستعرض أوضاع بعض الجماعات اليهودية في الشرق والغرب لنقف على حقيقة الأمر. بداية بألمانيا يقول المؤلف: "في البداية أسس القس "أدولف شتيكر" "حزب العمال المسيحي الاشتراكي" عام ١٨٧٨م كحزب معادٍ للسامية في ألمانيا، معلناً في برنامجه لجمهور الناخبين عن دعاية معادية للسامية. وأكد شتيكر أن اليهود هم أبناء شعب أجنبى يعيش بين الألمان ويستغل ألمانيا؛ وبذلك انتخب أدولف شتيكر نائباً في البرلمان الألماني عام ١٨٨١م، لكن ما الغضاضة في ذلك؟ ألم يكن ذلك واقعاً ملموساً؟ ألم يكن اليهود في ألمانيا يسيطرون على الحياة الاقتصادية، مستغلين الألمان أنفسهم، لكن كيف لا تستغل الصهيونية ذلك في الترويج لدعواها السامة. ولم يكتف المؤلف بذلك بل إنه تبنى فكرة اضطهاد اليهود في ألمانيا، وكأن اليهود في العالم يجب أن يسيطروا على أرزاق العباد، ومقدرات البلاد!

وفي الشرق حيث الجزائر نموذجاً، والتي خان اليهود فيها الجزائريين، وساندوا الفرنسيين سواء بالترجمة أو الإرشاد أو بالمعاونة، ينقلب الفرنسيون عليهم ويضطهدونهم،

١ (سليم (محمد عبد الرؤوف)، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ - ١٩١٨م، القسم الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٥٢ - ٥٣.

والغريب أن المؤلف لم يذكر لماذا وقع هذا الاضطهاد بعد كل ما قدمه اليهود للفرنسيين هناك؛ بل اكتفى المؤلف بذكر أن الفرنسيين تحولوا وأداروا ظهورهم لليهود واضطهدوهم بدون سابق إنذار. ولفهم حقيقة وضع اليهود في الجزائر نورد بعض النقاط التي قد تبين الأسباب:

(أ) تمتع اليهود في الجزائر تحت الحكم الفرنسي بعدد من الامتيازات، كحرية السكن بصرف النظر عن العقيدة والانتماء الطبقي، كما أولى الفرنسيون اليهود أهمية خاصة فمنحوهم حق الإدارة، وتعيين رئيس للطائفة اليهودية، كما تحملت الجزائر نفقات رجال الدين اليهود، وأعطت المجالس اليهودية حرية التصرف في تعيين الموظفين اليهود في الدوائر اليهودية، وشجعتهم على تعليم أبنائهم في المدارس العامة، كما سعت فرنسا لتجنيس اليهود بالجنسية الفرنسية؛ فالتحقوا بالجيش الفرنسي نتيجة لشبكة العلاقات المتداخلة بين اليهود والفرنسيين، والحقيقة أن ذلك ليس بمستغرب على اليهود في الجزائر، فقد مدّوا يد العون للمستعمر، نجده بكل سهولة ويسر يندمج ويخدمه عسكرياً، فبدلاً من مقاومة الاحتلال باعتبارهم مواطنين جزائريين ينضم اليهود لصفوف الجيش الفرنسي، وهو ما يكشف لنا عن طبيعة الشخصية اليهودية في الجزائر والتي اهتمت بخدمة مصالحها فقط، دون النظر لأية اعتبارات أخرى.

(ب) تعاملت الثورة الجزائرية مع يهود الجزائر المعاملة نفسها التي تعاملت بها مع المواطنين ودعتهم للانضمام إلى الثورة الجزائرية، كما أنها لم تمارس ضغطاً يذكر على يهود الجزائر لكسب تأييدهم لها، لقد أظهر يهود الجزائر عداءهم للعرب والثورة العربية في الجزائر من خلال قيامهم بالعديد من الهجمات ضد العرب، والأحياء العربية هناك، حتى قام الجزائريون بالانتقام منهم، فيظهر اليهود في الجزائر على أنهم مضطهدون؛ مما مهّد الطريق للحركة الصهيونية لترويج دعاياتها بالاضطهاد ومعادة السامية، وحث اليهود على الهجرة لفلسطين.

ونتساءل، أكان من المفروض أن يكون اليهود في الجزائر بهذا الشكل من الخيانة للدولة التي ضمتهم وحتمهم منذ العصر الروماني، والانحناء والخضوع والخنوع للمستعمر، والخداع

والبحث عن المصلحة، وتكون النتيجة أن يرحب بهم الجزائريون الذين قاموا بالثورة ضد المستعمر، ودعوا اليهود للانضمام لها؛ فما وجدوا منهم سوى الغدر والخيانة!!

وقد أبدى يهود المغرب أيما سعادة كبيرة بالغزو الفرنسي للمغرب، مما أثار سخط المغاربة عليهم، وقد جعل الفرنسيون منهم حلقة الوصل مع المغاربة، ونتيجة لهذه الروح وتلك الحريات؛ أصبحت ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية أفضل من باقى المغاربة، كما توسعت صلاحيات المجالس اليهودية، وازداد عدد اليهود الذين يتلقون تعليمهم في ظل الاحتلال الفرنسى، ويفترض المؤلف كذلك أن من الأسباب غير المباشرة الهجوم عبر الصحافة، والكتب والرسوم الهزلية، والحقيقة أن هذا كان رد فعل طبيعى على الانزواء اليهودي والطبيعة الحياتية التى اعتادوها وتميزوا بها في كثير من المناحي؛ خاصة حياتهم الاجتماعية داخل المجتمعات الأوروبية، أما كتاب البروتوكولات؛ فالحقيقة أنه لازال حتى الآن مؤلف يدور حوله لخلاف في صحة نسبه لليهود^(١)، يرى كثيرون أنه مدسوس عليهم، كما يرى آخرون أنه عمل يهودي أصيل، لكن الحقيقة التى لا تغرب شمسها أن هذا المؤلف نسب لليهود أو دُسَّ عليهم يتوافق مع المخططات الصهيونية عبر التاريخ. أما دريفوس الذى قال عنه المؤلف أنه اضطهد وعُزل بدافع أنه يهودي، متناسياً قضايا خيانة أخرى؛ بل تناسى أن دريفوس نال محاكمة عادلة؛ وإلا لما بُرِّئ وعاد لرتبته، ألم يحاكم أمام قضاء أدانته بالأدلة، ثم عاد وبرّاه أيضاً بالأدلة، وإذا افترضنا أنه اضطهد وظلم فلماذا بُرِّئ ثانية، لقد نال دريفوس كافة حقوقه بعد الحكم ببراءته، لكن الغريب أن المؤلف لم يذكر حالات الخيانة أو التجسس الأخرى، كما لم يُشر لأسباب اتهام دريفوس أو أدلة إدانته أو براءته، هذا ولا يمكن التغاضي عن حقيقتين مهمتين ألا وهما: أن الحادثة وقعت في وقت أزمة قومية واقتصادية في فرنسا، والثاني أنه حُكم عليه حينما اتُّهم، وبُريء حينما قضت المحكمة بذلك وعاد لوظيفته فأخذ

(١) يرى الدكتور عبد الوهاب المسيرى أن البروتوكولات ما هى إلا تلفيق وادعاء باطل، وأنها من عمل الأقلام الروسية، للمزيد حول هذا الموضوع، راجع: المسيرى، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، ص ١٧ - ٢٤.

القضاء مجراه، ولو كان الأمر متعلق باضطهاد لما بُرئ ولما عاد لوظيفته في الجيش، كما أن هناك حالتان قبل دريفوس نشرا في الصحف أنه تم اتهامهما بإفشاء الأسرار العسكرية والتجسس ولم يُحدثا كل هذه الضجة، لكن السؤال الأهم هو؛ إذا كان دريفوس نموذجاً لليهود المضطهدين في أوروبا، رغم كل ما أوردناه آنفاً فلماذا لم يقدم المؤلف إجابة عن طبيعة اليهود الذين كانوا يعملون في أرفع المناصب في أوروبا، وكذلك التيارات اليهودية المتنورة في أوروبا والتي بدأت مع جوردن وغيره من دعاة التنوير، كذلك لم يذكر لنا كيف وصل دريفوس وأمثاله للجيش الفرنسي، وبالأحرى قيادة أركان الجيش الفرنسي، ذلك المكان الخطير جداً والذي يمسك بكل مفاصل الجيش بل وربما مفاصل فرنسا نفسها!

لقد ذهب زعماء الصهيونية إلى أن الروح المعادية لليهود لا تزال كامنة في نفوس الأوروبيين، على الرغم من إلغاء القوانين المقيدة لحرية اليهود ونشاطاتهم الاقتصادية، واستندوا إلى أن إلغاء هذه القوانين لم يمنع من اضطهاد اليهود، كما استغلوا في الفترة من ١٨١٥ حتى ١٨٣٠م ما ادعوه من اضطهاد لليهود، وكان من ذلك قضية الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي دريفوس الذي اتهم بتزويد الملحق العسكري في السفارة الألمانية في باريس بمعلومات سرية عن القوات المسلحة الفرنسية، وعن خطط وزارة الحرب الفرنسية لغزو جزيرة مدغشقر، وكذلك أسلحة الميدان الثقيلة التي يستخدمها الجيش، وتشكيلاته الجديدة. وصدر حكم المحكمة بثبوت تهمة الخيانة العظمى عليه، خاصة وأن من الأدلة ما كانت المخابرات العسكرية الفرنسية قد وضعت يدها عليه من وثيقة كتبت بخط يده، كانت تحوى معلومات خطيرة كما أسلفت، وقد ركزت أجهزة الدعاية الصهيونية نشاطها على هذه القضية وصورت الضابط بمظهر اليهودي البرئ، وأنه ضحية الاضطهاد والتعصب، وجعلت من هذه القضية الفردية قضية جماعية تمس أمن اليهود في أنحاء العالم كله، ومظهراً من مظاهر الاضطهاد والتعصب، واستمرت توالى القضية اتهامها وتُصعدها حتى خضعت الحكومة الفرنسية للضغط الصهيوني، وأمرت بإعادة الضابط من منفاه إلى فرنسا حتى أُعيدت محاكمته وصدر الحكم بعد عدة جولات بالبراءة وأُعيد للجيش ورُقّي ومُنح وسام الشرف، يبدو أن الأموال اليهودية الوفيرة استطاعت شراء القادة ليتحولوا عن مواقفهم، كما أن المحاكمة

الأخيرة كانت بعد ١٣ عام، وكان معظم الشهود في القضية قد توفوا^(١)، ويبدو أن المؤلف كعادته تناسى أن من بين اليهود من عارضوا الصهيونية، كما ظهرت بين اليهود اتجاهات كبيرة عارضت الحركة ولفظتها؛ فالمحاولة الصهيونية لاستلاب اليهودية عن طريق إعادة صياغتها على أسس عرقية، لاقت معارضة قوية من جانب كثير من المفكرين اليهود، فقد وصف الحاخام الاصلاحى يهودا ماجنس الصهيونية بعد تحوله عنها بأنها "الصوت اليهودى الجديد" الذي يتحدث من فوهة بندقية"، أما البروفيسور إسرائيل شاحاك، الأستاذ بالجامعة العبرية، فقد بين أن إضفاء صبغة مثالية يهودية على دولة إسرائيل الصهيونية أمر لا أخلاقي ومعاكس للتيار الرئيس للعقيدة اليهودية، ولا بد أن يؤدي بإسرائيل إلى كارثة"، وقال شاحاك في كلمات، هي تقريبا صدى لكلمات ماجنس: "يبدو لي أن غالبية شعبي قد تركوا الرب، واستبدلوه بوثن وضعوه مكانه، وهو يُشبه بالضبط ما حدث عندما آمنوا بالعجل الذهبي في الصحراء". وكان اليهود المحافظون الذين لم يفهم التيار الصهيوني مثل ناطوري كارتا^(٢) أول من رفعوا لواء مناهضة الفكرة الصهيونية، وبنوا معارضتهم للمبدأ القائل بتكريس جهود يهود العالم على اختلاف أهوائهم ومشاربهم وميولهم السياسية لإنشاء دولة يهودية قومية في فلسطين على أساس أن عودة اليهود لهذا الإقليم إنما هي فكرة دينية محضة لا تتخذ أية صفة سياسية أو قومية، وحسب تعاليم التلمود تكون العودة إلى القدس وإنشاء مملكة إسرائيل أمراً لن يتحقق إلا بعودة المسيح، واعتقدوا أن الرب سوف يبعث المسيح ليقود عملية العودة لفلسطين دون تدخل الإنسان، وتمشياً مع هذا الاعتقاد رأى اليهود المتدينين أن المبادئ الصهيونية تتعارض مع أحكام الديانة الموسوية ونصوص التوراة^(٣).

أما السبب الداخلى — كما يفترض المؤلف — فهو حنين اليهودي لأرض الميعاد ذلك الوطن القومى التاريخي لليهود، والأسئلة الآن ما هي طبيعة العلاقة بين اليهود وأرض كنعان؟ ثم ما هو الحق التاريخي والوطن التاريخي لشعب إسرائيل؟ هل كانت أرض كنعان

(١) الخولي، ص ٥٧: ٦٤.

(٢) جماعة يهودية أرثوذكسية ترفض الاعتراف بالدولة الصهيونية.

(٣) سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ - ١٩١٨م)، ص ٢٥٤.

أرضاً الآباء التاريخية؟ هل كانت أرض بلا شعب لشعب بلا أرض؟ هل كانت ملكاً لبنى إسرائيل؟ ما هي طبيعة العلاقة بين الجماعة والأرض عبر العصور؟ أسئلة نجيب عنها فيما يأتي.

الحقيقة أن أرض كنعان لم تكن أبداً خاوية، وحتى حينما هاجر إليها العبرانيون كان يسكنها عدد من الشعوب السامية، يخبرنا بها العهد القديم ذاته، ومنها الكنعانيون، العنانيون، العماليق، اليبوسيون، الحوييون، الفرزيون، الجرجاشيون، الاموريون، كذلك سكنتها شعوب غير سامية مثل: الرفائيون، المديانيون، العمونيون، المؤابيون، الادوميون^(١)، لم تكن أرض كنعان أبداً خاوية تنتظر من يسكنها، وحتى بعد هجرة ابراهيم وسكن العبرانيون لها، لم يكونوا منفردين، والمتبع لتاريخ أرض كنعان بدقة، وعلاقتها بالعبرانيين وما قدمه العهد القديم في هذا الشأن يجد أن التوراة تبدأ بحقيقة مهمة جداً صادق عليها المؤرخون؛ ألا وهي أن فلسطين وطن الكنعانيين، ولذا فإن تاريخ فلسطين تاريخاً عربياً بفضل الهجرات العربية المتوالية للمنطقة السورية من قلب شبه الجزيرة العربية، والتي ساهمت في تكوين البنية السكانية الأساسية للمنطقة السورية، ومن ذلك شعوب بلاد الرافدين حيث أدت الهجرات لتغيير البنية السكانية هناك، وتحويل سكانها من هندوآوريين لعرب ساميين، وقيام أول دولة عربية سامية هناك وهي دولة أكد، كما امتد تأثير الهجرات العربية من شبه الجزيرة لمناطق أخرى من بينها مصر القديمة.

إن أقدم ذكر للفلسطينيين في التوراة ورد في سفر التكوين (١٠ / ١٣ - ١٤) في ذكر مواليد حام بن نوح حيث يذكر "الفلسطين" على أنهم من مواليد مصرايم بن حام بن نوح. ويتضح من ذلك التصنيف للأجناس أنه يُخرج الفلسطينين من دائرة العرب الساميين، رغم أن الأرض المنسوبة إليهم تقع في فلسطين، ثم يذكر هذا الاسم في زمن اسحق؛ حيث يذكر أن اسحق اتجه إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين؛ حيث أمره الرب بالتغرب في أرض فلسطين، كما

(١) القتامي، هند بنت دخيل الله بن وصل، اثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ، ص ١٠٠ - ١١٥م.

تنص التوراة في سفر التكوين (٢٨ / ٤) على أن يعقوب عليه السلام سكن في أرض غربة أبيه في أرض كنعان، وذلك قبل أحداث الخروج، هكذا كانت أرض كنعان (فلسطين) بنص التوراة، أرض غربة إبراهيم واسحق ويعقوب، وقد استمر هذا الوضع حتى خرج يعقوب بجماعته إلى مصر، وبذلك لم يكن هناك وجود حقيقى لهم في فلسطين قبل خروج يعقوب لمصر، كما ينص العهد مع موسى على إعطاء بنى إسرائيل أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها.

كما يرد ذكر الفلسطينيين مرة أخرى عندما خرج موسى بجماعة بنى إسرائيل من مصر. ففي اختيار طريق الخروج يذكر سفر الخروج (١٣ / ٧): "أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لثلاثين الشعب إذا رأوا حرباً فارجعوا على مصر"، وبعد دخول أرض كنعان يؤكد الإصحاح الأول من سفر القضاة على اندماج بنو إسرائيل في الجماعات التي أقاموا بينها واختلطوا بهم وعبدوا معبوداتهم وتزوجوا بناتهم، كما توزعت القبائل الإسرائيلية بين الكنعانيين وغيرهم من الأقوام، مما أدى لعبادة معبوداتهم.

وتعطينا التوراة أدلة قوية على الوجود المبكر للفلسطينيين، إذ يرد ذكرهم مرتبطاً بحروب يشوع بن نون، فبعد ذكر حروب يشوع ضد الكنعانيين والعموريينالخ، يذكر سفر يشوع (١٣ / ٢) أنه لم يبق سوى أرض الفلسطينيين.

ويروى سفر (القضاة ص ٤) سيطرة الفلسطينيين على بنى إسرائيل، وبعض علاقاتهم الاجتماعية بهم، ومنها زواج شمشون من ثمنه الفلسطينية، ثم تسلط الفلسطينيين على بنى إسرائيل، ويؤكد سفر صموئيل الأول (ص ١٧) نفس الأمر؛ حيث مواصلة الفلسطينيين حربهم ضد بنى إسرائيل في عهد شاول، ثم تحدث المبارزة الشهيرة بين جليات وداود، ثم يؤكد سفر صموئيل الأول (ص ٢٧ / ١) على لجوء داود للفلسطينيين هرباً من مؤامرات شاول عليه لاغتياله يقول الإصحاح: "وَقَالَ دَاوُدُ فِي قَلْبِهِ: إِنِّي سَأَهْلِكُ يَوْمًا بِيَدِ شَاوُلَ، فَلَا شَيْءَ خَيْرٍ لِي مِنْ أَنْ أَفْلَتَ إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، فَيَبْأَسُ شَاوُلُ مِنِّي فَلَا يَقْتَسِحَ عَلَيَّ بَعْدُ فِي جَمِيعِ تَحُومِ إِسْرَائِيلَ، فَانْجُو مِنْ يَدِهِ"، ثم يشير سفر صموئيل الأول (إصحاح ٢٨) إلى شروع الفلسطينيين في حرب جديدة ضد بني إسرائيل بعد أن يصبح داود ملكاً، أما في فترة

الانقسام فإن العهد القديم يشغل برواية قصة الصراع بين المملكتين، إلا أن الفلسطينيين يعودون للظهور ثانية في عصر أحاز ملك يهوذا؛ حيث اقتحم الفلسطينيون المدن الساحلية وسكنوها.

هكذا يشير العهد القديم كمصدر رئيس لتاريخ أرض كنعان للوجود الفلسطيني القوى، وهو ما يحاول المؤرخون الصهاينة إهماله والتستر عليه في التاريخ الحديث، وربما كان لجوء داود للفلسطينيين هرباً من مطاردة شاول أكبر دليل على مكانة الفلسطينيين ودورهم السياسي في النزاعات الإسرائيلية. الأكثر من ذلك أن أرض كنعان لم تمتنع على العبرانيين وبنى إسرائيل ثم اليهود؛ إلا أنهم كانوا دائماً أبداً يتركونها للبحث عن أماكن أخرى أفضل، بداية من إبراهيم مروراً بإسحق فيعقوب الذي عاش بمصر برفقة يوسف، ثم موسى ربيب القصر الفرعوني المصري، ولم يعد اليهود لأرض كنعان إلا مع يشوع بن نون عبر الزنا والتجسس، كما أكد سفر يشوع ذاته (ص ٢)، وفي عصر بالقضاة عرف بنو إسرائيل شعوباً كانت تسكن أرض كنعان وتسلط عليهم كالفلسطينيين الذين أذلوا بنو إسرائيل في عهد شمشون.

وفي العصر اليوناني والروماني عرف العالم مراكز انتشار اليهود خارج فلسطين، كان من أبرزها وأكبرها في مصر، وبابل، وسوريا، وروما، وأثينا، ثم خرج اليهود تماماً بعد دمار الهيكل الثاني، وكان خروجاً نهائياً، ولم يعد لفلسطين وجود إلا في أحلامهم وأمانهم حينما يهنون بعضهم البعض في الأعياد "العام القادم في أورشليم".

وبالإضافة إلى قوة الوجود الفلسطيني الذي يشهد عليه العهد القديم كمصدر للتاريخ الفلسطيني، هناك عدة شهادات تاريخية على تعاظم الوجود السياسي للفلسطينيين قديماً، وعلى وجودهم القوى والمستمر في فلسطين، واعتبار غيرهم من الجماعات التي عاشت في فلسطين عنصراً وافداً، ومن هذه الأدلة أن فلسطين اتخذت اسمها الذي عرفت به في التاريخ من الفلسطينيين، وكل المسميات الأخرى التي أطلقت على منطقة فلسطين ليست أصيلة مثل أرض إسرائيل وأرض كنعان وهي تسميات توراتية يهودية للمكان، والغريب أن المؤرخين اليهود يعتبرون تسمية فلسطين تسمية رومانية فرضها الرومان لصرف الأنظار عن التسميات

اليهودية للمنطقة، وذلك على الرغم من أن العهد القديم هو الذي استخدم عبارة أرض الفلسطينيين، وهو الثابت من العرض السابق، قبل استخدام الرومان للتسمية بمئات السنين، فالبلد سمي بفلسطين نسبة لأصحابه الأصليين الفلسطينيين وبشهادة العهد القديم نفسه.

دليل آخر ومهم على عدم وجود صلة أو علاقة بين فلسطين والجماعات اليهودية، هو ما شهدته فترة الفتح الإسلامي لفلسطين؛ حيث لم يجد أمير المؤمنين عمر معبداً أو هيكلًا يهودياً؛ وإلا لأمر بالإبقاء عليه وصيانته ورعايته، والمحافظة على نقوشه ومحتوياته، مثلما أمر بالمحافظة على كنائس المسيحيين ومزاراتهم، وما فيها من صور وصلبان وتماثيل. بعبارة أخرى؛ لو كان في القدس، وقت الفتح الإسلامي، معابد أو هياكل أو آثار يهودية، لما كان هناك ما يدعو بعض جنرالات إسرائيل، أمثال "يغال يادين"^(١) وغيره ممن تحولوا إلى علماء آثار ينقبون في القدس وما حولها عن تاريخ يهودي قديم، دون أن نسمع أنهم وجدوا شيئاً يستحق الذكر والثقة، وما من أحد من المؤرخين، بمن فيهم يوسفوس الذي كتب كتابه الشهير "تاريخ القدس" ذكر أن المسلمين هدموا معبداً يهودياً أو طمسوا أثراً يهودياً، أو استولوا على معبد يهودي عندما فتحوها، وأن القدس لم تكن مدينة يهودية آنذاك؛ وإنما كان أهلها عرب من نسل كنعان، وكانوا يتكلمون العربية ويدينون بالمسيحية، بالإضافة لأقلية يهودية مكروهة من المسيحيين والحكام الرومان على السواء^(٢).

هذا، ويذكر المؤلف ذاته أن حجم السكان بعد الاحتلال العثماني كان خمس وعشرون ألف نسمة معظمهم من العرب منظمون في عشائر كبرى، كما يؤكد أن الطائفة اليهودية في

(١) يغال يادين (١٩١٧ - ١٩٨٤م)، عالم آثار إسرائيلي معروف، تدرج في الجيش الإسرائيلي حتى عمل رئيساً لهيئة أركانه حتى عام ١٩٥٠م، ثم تفرغ للعمل الأثري بحثاً عن تاريخ لليهود في فلسطين. للمزيد راجع الموقع الإلكتروني المتاح في يوم ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٢

<http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13950-MTM5NTBfMzY2NTM3NjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan.00.html>

(٢) الكاتب (عبد الحميد)، القدس - الفتح الإسلامي، الغزو الصليبي، الهجمة الصهيونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٨م، ص ١٥٥، ١٦٠.

فلسطين استجابت لعمليات التبشير المسيحية في فلسطين، من خلال دعم التعليم ومساعدة المسيحيين عبر المدارس والمستشفيات ودور الأيتام، وأن الربانيين حينما شعروا بخطورة نشاطات هذه المؤسسات على اليهود أصدروا فتوه تحرم على اليهود الذهاب إلى هذه الدور بأية صورة، كما أفتوا بأن من يموت في عيادات التبشير لا يدفن في مقابر اليهود، مما ردع اليهود بشكل مؤقت لكنهم عادوا لارتداد المؤسسات التبشيرية تحت ضغط الحاجة، ومع ذلك لم يتنصر سوى عدد قليل، أي أن بعض اليهود ممن أقاموا في فلسطين لم يجدوا حرجاً من التنصر لنيل امتيازات ومنافع خاصة، دون النظر لخصوصية الديانة اليهودية. هكذا شهد العهد القديم على السيادة الفلسطينية على بنى إسرائيل إلى الحد الذي يعتبر فيه الفلسطينيون المحور الرئيس لتاريخ المنطقة، وبخاصة في الفترة من الخروج من مصر وحتى قيام مملكة داود وسليمان عليهما السلام ثم الانقسام، وهى الفترات التى شهدت تواجداً فعلياً لهم في أرض كنعان.

هذا هو الحنين لصهيون الذي يحدثنا عنه المؤلف! والذي يشير لبزوغ جذور الحركة القومية في روسيا، وكأن ذلك الحنين كان مقدراً له أن يظل في القلوب ملء الحناجر والأسماع فقط، ولا يمكن تطبيقه رغم أن أرض فلسطين كانت دائماً أبداً مفتوحة أمامهم، ولم يدفع ذلك الحنين الغالبية منهم للتفكير في السفر إليها ولو لمجرد الزيارة.

الأهم من ذلك أن رد فعل اليهود كان متمثلاً في هجرة أسر بكاملها اختارت ترك روسيا بين أعوام ١٨٨٢-١٩١٤م لأمريكا؛ حيث هاجر منها مليوناً يهودي ونصف، رغم هذا الحنين للوطن القومي، كما فضّل البعض الهجرة لإسرائيل أثناء الهجرة الأولى عام ١٨٨٢م أو في الثانية عام ١٩٠٣م.

أما السبب المباشر للحركة الصهيونية، طبقاً لوجهة نظر المؤلف، فهو عواصف النقب؛ حيث تعرض اليهود لأعمال عنف نتيجة تورطهم في قتل قيصر روسيا، تلك الحادثة التى ينفيها اليهود، وترجع تلك الأحداث إلى اتهام اليهود باغتيال القيصر ألكسندر الثاني في عام ١٨٨١م، وقد اتهم ابنه القيصر ألكسندر الثالث اليهود باغتيال والده، وبدأ بتحريض الجماهير

المسحوقة اقتصاديا ضد اليهود، أضف لذلك اتهام الجماهير الروسية اليهود بأنهم المسئولين عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المهين الذي وصل إليه الشعب الروسى، ولدينا استفسار مهم يتعلق بحديث المؤلف الذي يذكر فيه أن عواصف النقب ١٨٨١م أدت لظهور منظمات قومية سرية في شرق أوروبا مثل "محبة صهيون" وغيرها، والسؤال هل كانت هذه المنظمات اليهودية هي الوحيدة التي مارست العمل السري؟ هل كانت هذه المنظمات هي التنظيم الأول الذي عمل ضد الدول التي احتضنت اليهود وآوئهم؟! وهل كان من الطبيعي أن يرحب الروس باليهود بعد كل ما تسببوا فيه من أذى للجماهير الروسية؟ سواء كان أذى مادي من خلال المعاناة من الفقر والتمييز عن الجماهير الروسية، أو أذى معنوي بمقتل القيصر، أو تسبيهم فيما وصلوا إليه من انكسار وانسحاق اقتصادي؛ فإذا كان مقتل القيصر هو القشة التي قسمت ظهر البعير، فاعتقد أن الروس كانوا محقين في هذه اللحظة فيما فعلوه دفاعاً عن أرضهم وحياتهم ومستقبلهم ومستقبل أبنائهم.

يقدم المؤلف عدداً من الصور الخاصة بأسباب الحركة الصهيونية، وأهمها صور للاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا، بكافة أشكاله التي قدمها في ثنايا الفصل؛ فيقدم لنا على سبيل المثال صورة ليهودي من النمسا يركب سيارة ممثلاً للرأسمالية المستغلة متفاخراً متباهياً بذاته وخلفه امرأة تمسك بمظلة، وبعد تدقيق النظر وجدناه يستبدل موتور السيارة بشخصين من الدماء يقومان بمهمة الموتور، وآخرون يقفون على جانب الطريق في تحية هذا اليهودي، صورة أخرى لغلاف كتاب البروتوكولات في ترجماته المختلفة، تأتي النسخة البولندية بغلاف يمثل شخص يهودي في هيئة قبيحة يجلس فوق عدد كبير من الجماجم البشرية تعلو رأسه نجمة داود، وتأتي النسخة اليونانية بصورة أخرى دمية ليهودي يسيطر على العالم وأمامه نجمة داود، صورة رابعة لدريغوس في مراسم كسر سيفه وعزله من الخدمة على خلفية إدانته بالخيانة العظمى، ثم عدد من الرسوم الهزلية التي تعكس السخرية من اليهود فيما يسميه المؤلف بالاضطهاد عبر الرسوم المسيئة، ويبدو أن المؤلف من أنصار الفكرة الصهيونية، وهو ما ينعكس في وفرة الصور والرسوم في هذا الشأن، كما يبدو أنه لا يحاول

إجهد ذاته في اكتشاف الحقيقة أو البحث عنها، مكتفياً فقط بأن يثبت في عقول الصبية أن اليهود عانوا طويلاً من الاضطهاد حتى أصبح لهم وطن آمن يعيشون فيه ويتنفسون عبير الحرية، وكأن العالم الأوروبي لم يشهد في هذه الفترة أي موقف أو حدث إيجابي تجاه اليهود. يعرض المؤلف كذلك عدداً من الوثائق أتت في مجملها تتحدث عن معاداة السامية والاضطهاد كسبب رئيسي ومباشر في تصاعد الدعوى الصهيونية؛ إلى جانب وثيقة تصور جزء من خطاب دريفوس لزوجته لوسى يروى لها عن يوم طرده من الخدمة في الخامس من يناير ١٨٩٥م، ووثيقة أخرى لـ "إميل زولا" تحت عنوان "أنا أتهم"، والتي يتهم فيها قادة بالجيش الفرنسي بالضلوع في قضية دريفوس، هناك عدد آخر من الوثائق المتعلقة بمذابح روسيا، وأقوال مأثورة لمن عُرفوا بمبشري الصهيونية، كما يقدم المؤلف العديد والعديد من الوثائق في ذات الموضوع، وذلك لما تعكسه الوثيقة من مصداقية وإضفاء روح الثقة في وقوع الاضطهاد، وبناءً عليه يجب أن يدرك الصبية بهذا الشكل كم تعرض أجدادهم لاضطهاد شديد أدى في النهاية لظهور الصهيونية.

قدم المؤلف عدداً كبيراً من الأسئلة، كان من أهمها:

- وضح كيف استغلت معاداة السامية الديمقراطية لتحقيق أهدافها؟
- فسّر الادعاء التالي " قضية دريفوس خلقت في المجتمع الفرنسي مواجهة بين اليسار واليمين، وأعلنت من مسألة حقوق الإنسان والمواطن، وكذا وضع اليهود في الدولة"، صف الحقائق المؤسسة لهذا الزعم؟

يتضح من الأسئلة الخط العام الذي ينتهجه المؤلف؛ ألا وهو أن اليهود كانوا مضطهدين في أرجاء أوروبا، متغاضياً عما كان يشكله اليهود من مخاطر على المجتمعات الأوروبية في ذلك القرن، وما أثاروه من مشكلات دفعت المجتمع لمثل هذه الاتجاهات المعادية لهم.

وعن استراحة المؤرخ يقدم لنا المؤلف موضوعاً مثيراً وهو الاضطهاد عبر الرسوم المسيئة لليهود تحت عنوان "الرسوم الهزلية في خدمة السياسة"؛ حيث يرى المؤلف أن السياسة استخدمت الرسوم لاضطهاد اليهود، فيقدم لنا عدداً كبيراً من الصور والرسوم الهزلية المسيئة

لليهود؛ فمن صورة لتطور حياة أوزة لتصبح في النهاية يهودياً، وكذا صورة أخرى لجماعة من اليهود يرتدون البزة الرسمية للجيش النمساوي ويرفعون علماً كُتب عليه "أرباح اقتصادية - وسيطرة على المسيحيين"، وثالثة لنظرية داروين التي ترى أن الإنسان في الأصل كان قرداً، يبدو أن المؤلف كعادته يحاول أن يبرز الصورة السلبية التي رأتها المجتمعات الأوروبية لليهودي دون أن يذكر الأسباب التي كونت هذه الصورة لديهم، كما أنه لا يحاول أن يبرز الجانب الآخر للصورة.

وأخيراً الهوامش؛ حيث يقدم لنا المؤلف عدداً من الهوامش أبرزها هوامش عن عواصف النقب، ورموز الصهيونية أمثال موشيه هس ويهودا القلعي، ويبدو أنه تناسى الأصوات والتيارات المعارضة للصهيونية، لكنه بطبيعة الحال في سبيله لإقناع الصبية لم يثنه عن تحقيق هذا الهدف أي شيء، المهم أن يصل لعقول وألباب الصبية بما يريد.

ج) جهود الحركة الصهيونية؛

كان لا بد للحركة الصهيونية أن تبحث عن ستار تخفي وراءه أطماعها، وقد وجدت ضالتها في المشكلة اليهودية؛ فادعى الزعماء الصهاينة أن حركتهم إنما قامت لحل هذه المشكلة، وإنقاذ اليهود من الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له. غير أن هؤلاء الزعماء لم يلجأوا إلى محاربة اضطهاد اليهود بالعمل على نشر الدعوة إلى التسامح بين الأديان، وتوجيه اليهود بالعمل على نشر الدعوة للتسامح والاندماج، بل كان الرأي الذي نادى به الزعماء الصهاينة يتبلور في إنشاء موطن للحياة القومية اليهودية في فلسطين، وتحقيقاً لذلك سعوا لتهجير يهود العالم إلى هذا الموطن، هكذا أصبحت عبارة المشكلة اليهودية تتردد على ألسنة الزعماء الصهاينة استدراراً لعطف الشعوب والحكام نحو اليهود بقدر ما كانت وسيلة لتخويف اليهود ودفعهم للالتفاف حول الداعين للحركة الصهيونية، وكان الزعماء الصهاينة يوقنون دائماً أنه طالما ظلت ظاهرة الاضطهاد ماثلة أمام اليهود، ارتبط هؤلاء بحركتهم وشجعوها، ووجدوا فيها ملاذاً يلوذون به كلما هددهم شبح معاداة السامية، وقد أمعن زعماء الحركة في استغلال دعوى اضطهاد اليهود، حتى أن بعضهم تعاون في كثير من الأحيان مع

مدبري الاضطهاد، وفي أحيان أخرى كان هؤلاء الزعماء يثيرون موجات الاضطهاد ضد اليهود^(١).

يقول المؤلف أن البداية الحقيقية للحركة كانت مع نشر بنسكر كراسته عام ١٨٨٢م بالألمانية تحت عنوان "التحرر الذاتي"، وطبقاً لوجهة نظره فشل التحرر الأوربي لليهود، لأنه لم يستطع أن يجد حلاً لكل الشعب اليهودي، لذا عليه أن يعمل بنفسه من أجل حريته. وقد ادعى أن معاداة السامية ستسود طالما عاش اليهود في الغرب، وأن اليهودي كالميت الحي، أمة بلا أرض، أمة بلا لغة، بلا حكومة، تثير الخوف الدائم بين الشعوب وهو ما عُرف بـ "الخوف المَرَضِي من اليهود" أو "יידופוביה".

وبمبادرة من بنسكر عُقد مؤتمر كاتوفيتس لحركة محبة صهيون، وقد دعا بنسكر في الافتتاح للعودة للزراعة في فلسطين؛ ولذا قرر المؤتمر إرسال وفد لفلسطين يتحرى عن امتيازات ومشكلات المستوطنين الأوائل، وكذا وفد للسلطان العثماني لإقناعه منح اليهود تصريح للإقامة في فلسطين، لكن السلطات العثمانية رفضت الطلب. ويبدو أن ضعف التمويل أدى لعرقلة نشاطات الحركة.

وعن سرد المؤلف لموقف ألمانيا يقول: "توجه هرتسل لألمانيا ونال دعم قيصرها فيلهلم الثاني الذي فشل في إقناع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بخطة هرتسل". ويبدو أن المؤلف لم يقنع بموقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني حين قال: "انصحوا الدكتور هرتزل بأننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض؛ فهى ليست ملك يمينى، بل ملك شعبى، ولقد قاتل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه؛ فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مُزقت إمبراطوريتى يوماً فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً فى جثتنا، إننى أخبرهم أن عليهم أن يستبعدوا فكرة إنشاء دولة فى فلسطين لأننى لازلت أكبر أعدائهم"^(٢)، وكان ذلك هو ما دفع اليهود لإسقاطه من خلال نفوذهم الكبير في جمعية تركيا الفتاة وذراعها لجنة الاتحاد والترقي، والتي

(١) سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ - ١٩١٨م)، ص ٢٣.

(٢) الننتشة (رفيق شاكر)، عبد الحميد الثاني وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، القاهرة ١٩٩١م، المقدمة.

قامت بالانقلاب العسكري عليه، وإجباره على التنازل عن العرش^(١). إن المؤلف يتجاهل أيضاً رد السلطان على مطالب هرتسل، ويكتفى فقط بالإشارة لفشله في نيل اعتراف السلطان. كما ينبغي أن نؤكد كذلك أن هرتسل لم يكن أبداً كما ادعى المؤلف - وهو أحد منظري الحركة، ورئيس مؤتمرها - متمسكاً بفلسطين، بل إنه دعا لاستئجار أوغندا في المؤتمر الصهيوني الثالث، واتفق المجتمعون على دراسة الأمر، وكان موت هرتسل وحده هو ما أدى لفشل المشروع. وعن دور ألمانيا الذي يغفله المؤلف عمداً كعاداته؛ تروى صفحات التاريخ أن الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني قام بزيارة فلسطين بعد انتهاء زيارته الرسمية للسلطان عبد الحميد الثاني في الآستانة، وقد انتهز هرتسل زيارته تلك وقام بالذهاب إلى فلسطين على رأس وفد صهيوني سعياً وراء مقابلة إمبراطور ألمانيا في "أرض الميعاد"، وأملأ في الحصول منه على تأييد الحركة الصهيونية، لقي أعضاء الوفد الصهيوني مساعدة من بعض رجال الحاشية الألمانية لتنظيم أمر المقابلة وحدد الإمبراطور اليوم الثاني من نوفمبر ١٨٩٨ م موعداً للمقابلة في بيت المقدس، وقد أدلى الإمبراطور للوفد الصهيوني بتصريح نشرته دائرة المعارف اليهودية جاء فيه: "إن الإمبراطور يؤيد الجهود التي يبذلها اليهود للنهوض بالزراعة في فلسطين من أجل رفاهية الدولة العثمانية وتقدمها، طالما كان اليهود يحترمون السيادة العثمانية ويدينون بالولاء للسلطان العثماني"، والواضح أن ذلك كان تصريحاً دبلوماسياً ليس فيه أي مكسب للقضية الصهيونية، فقد قصر الإمبراطور كلامه على المجال الزراعي في فلسطين، حيث يبذل فيه اليهود نشاطهم بشرط أن يدينوا بالولاء للسلطان العثماني، ولم يتكلم فيلهلم الثاني عن دولة يهودية في فلسطين، ولم يُشر إلى جعل فلسطين إقليماً يهودياً في نطاق الإمبراطورية العثمانية، يتمتع باستقلال ذاتي؛ ولهذا جاء تصريح إمبراطور ألمانيا مخيباً لآمال الصهاينة. وكان تقدير الإمبراطور الألماني للموقف أنه إذا مضت ألمانيا في تأييد الحركة الصهيونية أثارت شكوك السلطان ونسفت الجهود التي بذلتها منذ عام ١٨٨٣ م لغزو الدولة العثمانية غزواً اقتصادياً وسياسياً وثقافياً، وبعبارة أخرى خلص الإمبراطور إلى أن صداقة الدولة العثمانية

(١) صالح (محسن محمد)، فلسطين - دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٣ م، ص ٣١.

أُثمن لألمانيا من صداقة القائمين على الحركة الصهيونية، ولذلك لم يكن في مقدوره أن يدلى في تلك الفترة بتصريح يرضى عنه الألمان والصهيوني؛ لأنه كان حريصاً كل الحرص على تدعيم الصلات مع الدولة العثمانية، حيث أن تقرب ألمانيا للشرق كان رُكناً أساسياً في سياستها^(١). هكذا لم تكن ألمانيا أبداً في صف الصهيونية، ولم تعمل من أجل إقامة الدولة اليهودية، ولم تسع لها عند السلطان العثماني؛ وإنما كانت حريصة كل الحرص على مصلحتها الشخصية، وتؤكد الوثائق العثمانية أن تلك الدولة كانت معارضة وبشكل قاطع لإقامة أو هجرة اليهود إلى فلسطين، فحينما أراد يهود روسيا النزوح لفلسطين عام ١٨٨٢م تدخل بعض كبار اليهود لدى القنصل العام في أوديسا كي يمنح اليهود تصريحاً بالاستقرار بفلسطين، فكان رد الدولة العثمانية حاسماً في شكل إعلان صدر في أبريل ١٨٨٢م، جاء فيه أن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة بأنه ممنوع عليهم الإقامة في فلسطين، وأن الدولة تسمح لهم بالإقامة في أي إقليم آخر بشرط أن يكونوا رعايا عثمانيين ويخضعون لقوانين الدولة. وإمعاناً من الباب العالي؛ فقد أبلغ في ٢٢ يناير ١٨٨٣م رؤساء البعثات الدبلوماسية في الأستانة رسمياً بقرار مجلس الوزراء العثماني بمنع استيطان أو استقرار اليهود الروس في فلسطين^(٢)، وعن مشروع قبرص والعريش يقول المؤلف: "أما بريطانيا فقد اقترحت على هرتسل الاستيطان في أي من ممتلكاتها بالقرب من فلسطين في قبرص أو العريش، لكن الخطة فشلت نتيجة لصعوبات اكتفتها"، يبدو أيضاً أنه تناسى أن هرتسل هو من اقترح على بريطانيا هذا الطلب وليس العكس، لقد أجرى هرتسل في عام ١٩٠٢م محادثات سياسية مع جوزيف تشمبرلن وزير المستعمرات في وزارة بلفور بهدف استصدار موافقة من الحكومة البريطانية على توطين اليهود في جزيرة قبرص أو في شبه جزيرة سيناء، وقد صرح هرتسل لوزير المستعمرات البريطاني أن توطين اليهود في أيهما سيؤدي لتمكين بريطانيا من الاستيلاء على فلسطين، حيث كان هرتسل يرى أنه إذا سُدَّت جميع السبل في وجه اليهود فلا بأس من

(١) الخولي، ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١١ - ١٢.

توطين اليهود في إحدى الممتلكات البريطانية على حد قوله، وفي خلال المحادثات حرص هرتسل على تملق وزير المستعمرات فوصفه قائلاً: "أنتم أعظم قوة مؤثرة في شعبنا منذ تشرده"^(١).

هذا وقد تجمعت عدة أسباب حملت حكومة لندن على هذا التحول في موقفها من مشروع بسيناء، كان أهمها : أن اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر كان غير متحمس للمشروع، وكان يرى أنه يتطلب تحويل مقادير هائلة من مياه النيل لسيناء مما يؤثر على كميات المياه اللازمة للزراعة المصرية، وأن تنفيذ المشروع الصهيوني يزيد من متاعب بريطانيا في حكم مصر، وأن الانجليز يواجهون العديد من المشكلات وليس من الحكمة إضافة المزيد منها، وأن الرأي العام في مصر كان يعارض المشروع معارضة شديدة.

اعترضت الحكومة التركية على هذا المشروع، حيث إن فرمانات الصادرة من السلطان العثماني لولاية مصر من أسرة محمد على لا تخول لهم الحق في الموافقة على توطين جماعات من السكان الأغراب عن البلد، ومنحهم الحكم الذاتي في المنطقة التي ينزحون إليها ويقيمون فيها. وبذلك أرسلت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة مؤرخة في ١٩ يونيو ١٩٠٣م إلى هرتسل قررت فيها أنه يتعذر عليها المضي في بحث مشروع توطين اليهود في سيناء. ثم أردفت هذه المذكرة بأخرى مؤرخة في ١٦ يوليو ١٩٠٣م ورد فيها أنها قررت بصفة نهائية ترك مشروع سيناء ووضعه على الأرفف^(٢)، هكذا كان الواقع مختلفاً كثيراً عما أورده المؤلف؛ حيث إن مشروع سيناء لم يرفضه الصهاينة بسبب المياه وإنما تراجعت بريطانيا عن مجرد بحثه لما فيه من مشكلات أثرت بريطانيا فيها السلامة، وأن مشروع سيناء كان اقتراحاً من هرتسل وليس من بريطانيا العظمى.

ويأتي دور من أسماهم بمبشري الصهيونية؛ فرغم تأثر غالبيتهم بالفكر الغربي؛ إلا أنهم لم يدعوا إلى إنشاء دولة بفكر مسبق؛ وإنما نتيجة لظهور القوميات في أوروبا، ويأتي على رأس

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٩٤ - ٩٥.

هؤلاء المبشرين موشيه هس وكتابه "روما والقدس" الذي يزعم فيه أن اليهود أمة، ولذلك فإن حل مشكلة الأمة اليهودية ربما يكمن في إقامة طائفة يهودية اشتراكية في فلسطين متأثراً بالفكر القومي في أوروبا. ويبدو أن موشيه هس الذي يُفترض أنه يعلم دقائق علم التاريخ والسياسة لا يعي ماهية الأمة كمصطلح سياسي، أن الأمة بمعناها السياسي القومي كما تقول النظريات السياسية تتكون من الأفراد الموجودين في الدولة، وكذلك تشمل الآباء والأجداد السابقين والمقيمين على الإقليم الخاص بالدولة في الماضي، والأحفاد الذين سيتواجدون في المستقبل باعتبار أن ذلك يوضح ويحدد ضمير الأمة الذي تعبر عنه في لحظة معينة^(١)، وبهذا فتعبير الأمة لا ينطبق البتة على الطوائف والجماليات اليهودية التي كانت منتشرة في العالم بأى صورة من الصور؛ فلم تكن الطوائف اليهودية أو أية طائفة في أية دولة من دول أوروبا شرقها أو غربها تتمتع بوجودها على أرض وحدود سياسية معروفة، أو حتى تتمتع بطابع سياسي، أو عاش عليها الأجداد وصولاً للأحفاد، هذا إضافة إلى الصدام مع الجماعات الدينية التي اعترضت على أفكارهم لأنها تدعو لتسريع النهاية، خاصة وأن المسيح لم يأت بعد. في حين أن الطوائف اليهودية التي كانت منتشرة في أوروبا سعت ونالت حق المواطنة، بما يعنى أنها لم تكن تألو بالاً لمجرد فكرة الوطن أو القومية.

يقول المؤلف كذلك إن المؤلف الحقيقي للصهيونية كحركة قومية تمثل في كراسة بنسکر التي نشرها في عام ١٨٨٢م بالألمانية تحت عنوان "التحرر الذاتي" كدعوة لبنى شعبه من يهود روسيا، وطبقاً لوجهة نظره فشل التحرر الأوربي لليهود، لأنه لم يستطع أن يجد حلاً لكل الشعب اليهودي، لذا عليه أن يعمل بنفسه من أجل حريته. وقد ادعى أن معاداة السامية ستسود طالما عاش اليهود في الغرب، وأن اليهودي كالميت الحى، أمة بلا أرض، أمة بلا لغة، بلا حكومة، تثير الخوف الدائم من اليهود بين الشعوب (ייִדןפֿוביה)، هكذا كانت الدعوة موجهة فقط لبنى شعبه، لكنه يرى أن بنى شعبه هم يهود روسيا، وليس اليهود المنتشرين في كل ربوع الأرض، كما يتناسى بنسکر في مؤلفه أن شعبه هذا هو الذي رفض التحرر بأفعاله

(١) فتح الباب (ربيع أنور)، النظم السياسية - السلطة، الدولة، الحكومة صورها وأساليبها، القاهرة

وخيانته واغتيالاته وتشكيله دولة داخل الدولة، وطابور خامس يعمل على هدم الدولة التي احتضنته، ويعود ويؤكد كالعادة على أن اليهود هم مشردو الأرض ومضطهدوها، حتى أصبحوا بالفعل مثيري القلق والخوف لدى الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها.

وبشان الصور يقدم المؤلف عدداً من الصور تدعم الفكر الصهيوني، كان أهمها صورة لعلم اقترحه هرتسل يقسمه اللونين الأزرق والأبيض وفي المنتصف نجمة داود محاطة بسبع نجوم ذهبية، وصورة ثانية لنجمة داود كرمز للمؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م، وصورة ثالثة لهرتسل يقف متأملاً فوق جسر على نهر الراين. يبدو أن المؤلف يقدم هذه الصور للصبيبة مثنياً على هرتسل وجهوده ومعاناته، ومصوراً لهم هذا الرجل باعتباره منقذ الأجداد من القهر والظلم والعذاب، ويؤكد المؤلف ذلك بتقديمه صورة أخرى لجنازة رسمية وشعبية لهرتسل بما يعنى التأكيد على أفكاره عن هذا الرجل.

وعن الخرائط يقدم لنا المؤلف خريطة واحدة في هذا الشأن هي خريطة لفلسطين في القرن التاسع عشر قبل الهجرة الأولى، نجد فيها فلسطين مقسمة لأربع مناطق هي عكا، ونابلس، والقدس وغزة، وقد جاءت هذه الخريطة بمسميات عبرية خالصة، حيث وردت كل المناطق والقرى والمدن والبلديات بمسمياتها في العهد القديم؛ رغم أن اليهود لم تكن أقدامهم قد وطأت أرض فلسطين بعد، حتى يبعث برسالة مفادها التأكيد على أحقيتهم في أرض الآباء التي كانوا يصورونها بأنها خاوية كما تركوها.

وبشان الوثائق يقدم لنا المؤلف عدداً من الوثائق المتعلقة بذات الفكرة؛ حيث يقدم لنا وثيقة عن المسألة اليهودية في أعين بنسكر من خلال كراسته "التحرر الذاتي" والذي يتناول فيها مشكلة "اليودوفوبيا" باعتبارها مرضاً نفسياً لا علاج له يصيب النفس البشرية منذ أكثر من ألفى عام، كما قدّم المؤلف وثيقة أخرى عن اصطلاحات جماعة بيلو، والتي أعلنت أنها ستبذل قصارى جهدها لتخليص شعب إسرائيل وإعادة لوطنه القومي إرث آبائه، ولغرسه لينمو بشموخ، ولمساعدته لئلا يخطئ، ولدعمه لئلا يسقط، ولنفخ روح الحياة في أوصالهم، وربما لا نستغرب زيف إدعاءات الوثائق، لكن المستغرب أن يأتينا المؤلف بهذه الصورة التي تبدو إيجابية جداً، ويتناسى نتائج دعوة الجماعة للهجرة للغرب الأوربي وأمريكا وجنوب أفريقيا.

ويقدم لنا المؤلف عدد لا بأس به من الأسئلة المتعلقة بجهود الحركة، كان من أهمها ما أتى في نهاية الوثائق ليؤكد مغزى الوثيقة في عقول الصبية، فيذيل المؤلف وثيقة بنسكر بعدد من الأسئلة هي:

- من خلال كلمات بنسكر حدد جملتين أثرا فيك على وجه الخصوص، ثم وضح سبب اختيارك؟

هكذا يراهن المؤلف كذلك على مشاعر الصبية ومدى انفعالهم بكلمات مثل معاداة السامية، والمقارنة بالشعوب الأخرى، وتأثير بنسكر وكلماته في الصبية والتأكيد على هذا الإحساس.

عدد من الأسئلة يُذيل به المؤلف وثيقة بيلو أيضاً، وقد جاءت الأسئلة على النحو التالي:

- ما هي طبيعة اليهودي التي حاولت جماعة بيلو إنتاجه؟

مرة أخرى يراهن المؤلف على دور الجماعات في صناعة اليهودي الجديد، رغم كل العراقيل التي وضعت في طريقها؛ إلا أنها كانت مُصرّة على القيام بدورها التاريخي! وعن جهود هرتسل جاءت الأسئلة الآتية:

- زعم هرتسل أن دولة اليهود مطلب دولي ولذلك سيتحقق؟ وضح من وجهة نظرك لماذا كان مطلباً دولياً؟

- لماذا رأى معارضو هرتسل أن خطته درب من الجنون؟

- ضع عنواناً رئيسياً لصحيفة وبها خبر عن مؤتمر بازل؟ اقترح مكان صدور الصحيفة وسمات جمهور القراء؟

- لماذا قبل هرتسل مشروع أوغندا؟ بين موقفك؟

- كيف يمكن تفسير قبول يهود غرب أوروبا لمشروع أوغندا رغم رفض يهود شرق أوروبا له؟

- هل تظن أن مناقشة مشروع أوغندا من دروب ديمقراطية الحركة الصهيونية؟

هكذا كانت الأسئلة تخدم — كعادة المؤلف — أهدافه في تبجيل الصهيونية ومنظرها، وتبجل هرتسل وجهوده وجهود الحركة وتعطيه المبررات، أو تدفع الصبية لإعطائه المبررات لذلاته وسقطاته كمشروع أو غندا، أو كما يمكن أن نسميه الضربة الاستباقية، فيسبق الصبية بتبرير مقبول لمشروع أو غندا قبل أن يعبروا عن امتعاضهم منه، كما يفترض أن ذلك كان من قبيل الديمقراطية ليس إلا؛ فاليهود كانوا سيرفضونها في النهاية، ثم يعود ويؤكد على السنة الصبية في إجاباتهم المتوقعة أن يهود غرب أوروبا قبلوا مشروع أو غندا نتيجة لضائقتهم. وبشان الهوامش، يقدم المؤلف هامشاً خاصاً بعلم هرتسل يفترض فيه أن النجوم السبعة المحيطة بالعلم هي عدد ساعات العمل اليومي السبع، والتي ستدفع المزيد من اليهود للهجرة لفلسطين. ويقدم المؤلف عدداً من الهوامش الأخرى التي يقدم فيها بعض الصهاينة من مختلف التيارات الصهيونية التي هاجرت لفلسطين ونشطت هناك، هامشاً آخرًا للقائد الصهيوني ماكس نورداو الذي دعم هرتسل، وكان من مؤيدي مشروع أو غندا.

د) اتجاهات موجات الهجرة

تؤكد الإحصائيات الخاصة بأعداد اليهود قبل الحرب العالمية الأولى، والمنششرين في العالم إلى أن التجمع اليهودي في روسيا عام ١٩١٠م كان يمثل أكبر تجمع يهودي في أوروبا بل وفي العالم بأسره، حيث وصل عددهم إلى ٥,٦٠٠,٠٠٠ نسمة، ويأتي يهود النمسا في المرتبة الثانية بما يقارب مليوني نسمة، وقد انتشرت الأفكار الصهيونية بين يهود روسيا، لأنهم لم ينعموا بالحرية التي نعم بها أقرانهم في وسط وغرب أوروبا، واعتنق هؤلاء فكرة العودة إلى فلسطين "بلد أجدادهم"؛ غير أنه لم تكن لديهم أية علاقة بفلسطين من ناحية الجنس، فلم ينحدروا من نسل يعقوب كما يدعى الصهاينة، بل أنهم يرجعون إلى الجنس المغولي الفنلندي القادم من آسيا ووسط أوروبا في القرن الأول الميلادي واستوطنوا شرق أوروبا إلى أن اجتاحتهم روسيا فاضطروا للتهود في القرن السابع الميلادي^(١)، وقد كان تصفية الشتات اليهودي أو "جمع شتات المنفيين" (קייבוץ הגלויות)، من الثوابت الرئيسة في صلب بنيان الأيديولوجية الصهيونية، حيث كان أساس الفكر الصهيوني هو تفريغ الشتات اليهودي بشتى الوسائل،

(١) سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ - ١٩١٨م)، ص ٢٦ - ٢٧.

والدفع بهم إلى فلسطين تمشياً مع العقيدة الصهيونية الرامية لاستعمار "فلسطين"، فالحركة الصهيونية بزعامة هرتسل وأعوانه هي التي خلقت هذا الكيان الاستيطاني الاستعماري، ورغم ذلك لم يكن مهماً في البداية أين يقام هذا الكيان في أوغندا أو الأرجنتين أو غيرهما، ثم جاء التحول إلى فلسطين ليكون الدين اليهودي قوة دفع وجذب لليهود الشتات في هجرتهم إلى فلسطين تنفيذاً للأفكار التوراتية بـ "الأرض الموعودة"، ومن هنا سعت الحركة الصهيونية لإنجاز نجاحات استيطانية سياسية ودينية على الرغم من المعارضة من قطاع كبير من اليهود، وحدث انقسام واختلاف فكري وديني حول ذلك، ولكن في النهاية نجحت الصهيونية في بناء هذا الكيان على أرض فلسطين حيث يقول هرتسل: "إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى ... وأن هذا الاسم وحده سيظل صحيحة لم الشمل القوية لشعبنا".

وقد أيقن المهاجرون لإسرائيل أنه لا أمل في العيش في روسيا، وأنهم دائماً كانوا أجنب؛ لذلك فالمخرج الوحيد هو التنظيم القومي والعمل على إقامة دولة لليهود في فلسطين أرض الآباء، وقد ذكر المهاجرون أن كثيراً من اليهود فضّلوا البقاء والعمل في روسيا، وانضم شباب اليهود إلى الحركات الثورية في روسيا، حيث اعتقدوا أن الثورة ستغير الوضع اليهودي في روسيا. وتناسى المؤلف أن هذه الهجرة كانت رد فعل على استخدام الصهيونية وزعمائها لأحداث "مذابح" روسيا التي تعرض لها اليهود نتيجة مشاركتهم في قتل قيصر روسيا ألكسندر الثاني في عام ١٨٨١م، بل والأكثر من ذلك أنه أورد قضية مقتل القيصر على أنها لفقت لليهود في إطار حديثة عن اضطهاد اليهود ليس أكثر. وفي الهجرة الثانية تناقضت الأعداد الرسمية؛ فقد هاجر ما يقرب من ٣٥ ألف يهودي أغلبهم من روسيا وبولندا اختاروا إسرائيل لكنهم كانوا يمثلون ٤٪ فقط من مجموع المهاجرين، وتوجه بقية المهاجرين إلى أمريكا. ومن العوامل التي أدت للهجرة نحصى مذابح روسيا ١٩٠٥م التي دفعت عدداً كبيراً من اليهود لليأس والهجرة. كذلك حفّز مشروع أوغندا الهجرة؛ حيث رأى كثيرون أن اقتراح أوغندا خيانة لصهيون ومن ثم هاجروا لفلسطين. ورغم هجرة عدد كبير بعد دعوة يوسف فيتكن ١٩٠٥م؛ إلا أن أكثر من ٩٠٪ من اليهود المهاجرين ارتدّوا نتيجة ظروف الحياة، واندلاع الحرب العالمية الأولى، يبدو أن المؤلف تغاضى عن حقيقة هامة ألا وهي أن

من اليهود من تحمس بشدة لمشروع أوغندا، وبلغ من حماسهم أن استعدت أفواج كثيرة من يهود رومانيا للهجرة إلى أوغندا^(١).

وفي فلسطين، فضّل الفلاحون اليهود منذ البداية العمال العرب، على عكس العمال اليهود الذين أرادوا اقتناص العمل من أيدي العرب. وكان العمال في الهجرة الثانية مثل الأولى؛ حيث لم يألّفوا العمل في أجواء فلسطين خاصة في فصل الصيف، ثم يتناول نشأة المنظمات السرية نتيجة لهجمات العرب والشركس على المستوطنات وسرقتها، قامت في يافا ١٩٠٧م منظمة سرية باسم "بر جيورا"، وكان شعارها "بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم وبالنار يهودا ستقوم"، بهدف حماية اليهود من العرب "للصوص المهمجين"، ولا غرابة في ذلك، فالعربي يُقدم للصبيّة اليهود بأنه لص قاتل همجي، يحارب الوجود اليهودي في "وطنه التاريخي"، والغريب أن أول منظمة سرية جاءت تحت اسم بر جيورا؛ ذلك الرجل المدعو شمعون بر جيورا الذي كان يقود عصاة يعيش معها على نهب أهالي الخليل، ويهاجم القرى ويدمرها ويقتل من بها من أبناء جلدته بمساعدة جماعته المسماة بالسيكاريم أي حملة الخناجر. ولا عجب أن نجد آحاد هعام^(٢) أحد مفكري الصهيونية المدعو يقول مندهشاً في مقال له في جريدة هامليتس حينما زار فلسطين وتعرف على أوضاع المهاجرين هناك: "ماذا يفعل إخواننا في فلسطين؟ إنهم كانوا عبيداً في المنفى، وفجأة وجدوا أنفسهم أحراراً، بلا حدود وبلا رادع، إن هذا التحول قد خلق في نفوسهم حالة من الميل إلى الاستبداد، كحالة العبد الذي يتحول إلى سيد، إنهم يعاملون العرب بروح العداة والشراسة، ثم يفاخرون بما يفعلون، ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف في وجه هذا الميل الخسيس والخطير في آن واحد^(٣)".

(١) الخولى، ص ٩٩.

(٢) عبارة تعنى أحد العامة، وهو الاسم الذي اشتهر به الكاتب الروسي أشر جرينبرج، والذي كان يكتب بالعبرية، ويعد احد أهم الكتاب والمفكرين في الأدب العبرى الحديث، كما يُعد فيلسوف الصهيونية الثقافية والمؤسس الحقيقي للفكر الصهيوني، للمزيد راجع، المسيرى، الموسوعة الموجزة، ص ٣٠٢.

(٣) ظاظا، ص ٦٦.

وعن الصور يقدم المؤلف عدداً من الصور تمنح الأمل في مستقبل الدولة، كان منها صورة لمزارع الكروم في مستوطنة جدارة، يبدو أن المؤلف يتفاخر بظهور المستوطنات والمصانع اليهودية في فلسطين، ويحاول التأكيد على قدمها وقدم اليهود في فلسطين.

وبشأن الخرائط؛ قدّم المؤلف خريطة لموجات الهجرة في الفترة من ١٨٥٠ حتى ١٩١٤م، واتجاهاتها المتنوعة، ويحصى أعداد المهاجرين لكل من كندا، والولايات المتحدة، وأمريكا الجنوبية، والأرجنتين، وجنوب أفريقيا، وأستراليا، وفلسطين، ويبرز من الإحصاء أن المهاجرين إلى فلسطين جاءوا في المرتبة الثالثة، بعد الولايات المتحدة التي هاجر إليها ٢,٠٤٠,٠٠٠ يهودي، والأرجنتين التي هاجر إليها ١١٥,٠٠٠ يهودي؛ حيث هاجر إليها ٦٥,٠٠٠ يهودي، كما أن الخريطة تشير بشكل غير مباشر إلى ذلك الحين المزعوم حينها يقدم لنا الولايات المتحدة على أنها هي أرض الميعاد وليست فلسطين؛ حيث هاجر إليها ٢,٠٤٠,٠٠٠ يهودي مقابل ٦٥ ألف يهودي فقط هاجروا إلى فلسطين في أربع وستين عام، فأين كان الحنين اليهودي للوطن القومي طيلة ٦٥ عام ادعى اليهود والصهيونية فيها الاضطهاد بكافة أشكاله.

هذا، ويعتمد المؤلف في هذه الجزئية أيضاً عدداً من الخرائط المتعلقة بفلسطين، يعتمد فيها الأسماء العبرية لكل المدن والمناطق، رغم ما كان ينبغي عليه باعتباره أستاذاً جامعياً من اعتماد أسماء هذه المدن كما هي في هذه الفترة، لكنه آثر دعم الفكرة الصهيونية القائلة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، لم يأت المؤلف بأية قرية أو مدينة عربية متجاهلاً الوجود العربي تجاهلاً تاماً.

ثم يؤكد المؤلف أفكاره للصبيّة بطرح عدد من الأسئلة متعلقة بالخريطة؛ حيث جاء رأس السؤال: اقرأوا الخريطة ودققوا النظر بها وبالعهد القديم ثم أجبوا؟

١- في أي مناطق "أرض إسرائيل" أقيمت مستوطنات الهجرة الأولى؟ مثلاً؟

٢- تفحصوا خمسة أسماء لمستوطنات الهجرة الأولى ثم فسروا مصدرها الأصلي؟

هكذا يؤكد المؤلف في رأس السؤال على الاتصال بين الأجداد! والأحفاد، بين العبرانيين وبنى إسرائيل واليهود ثم الصهاينة على أرض الميعاد، ثم نستطيع أن نرى كيف يتجاهل في تقديمه للخريطة الوجود العربي، ويتجاهل أن اليهود كانوا مجرد مهاجرين سلبوا الحق العربي، ويتجاهل أن هذه القرى والمدن كانت في هذا التوقيت عربية ذات أسماء عربية. يبدو واضحاً من طبيعة الطرح أن الأسئلة موجهة لصبية عُرس في عقولهم وقلوبهم مجموعة مفاهيم أهمها أن هذه الأرض هي أرض الآباء، وهي ملكهم بتاريخها وحاضرها ومستقبلها، انتظروها وانتظرتهم والآن حان موعد اللقاء! كما يؤكد المؤلف أن الحياة كانت هادئة ومتطورة، وأن مستوطنات الهجرة كانت تنعم بحياة هادئة تميزت بالتقدم والتطور، ويجب على الصبية أن يلمسوها بأنفسهم، وكأنها لم تحدث ردة أو انسحاب أو عودة بعد الهجرة.

يطرح المؤلف عدداً آخراً من الأسئلة متعلقة بذات الموضوع، كان منها:

١ - التحرر يعنى التقدم، ومعاداة السامية تعنى الانسحاب، وضح كيف أثر الاثنان على القومية اليهودية؟

٢ - ما هي العوامل التي ساعدت على تسريع الهجرة الأولى لفلسطين، وماذا جذبهم لها؟
هكذا يفترض أو يتخيل المؤلف أنه كان بفلسطين استيطان يهودي قديم ذو تأثير ومميزات، كما يتوهم أن معاداة السامية أدت لدفع اليهود للهجرة، كذلك يظن أن اليهود انجذبوا لفلسطين بدافع مهم هو الحنين لفلسطين أرض الآباء بعد ما يقرب من ألفى عام! أسئلة أخرى تتعلق بجهود إلعيزر بن يهودا في إحياء اللغة العبرية، كان منها: ما هي الصعوبات التي واجهت بن يهودا؟ هات الكلمات الجديدة التي قدمها بن يهودا؟ هل لازالت مستخدمة حتى اليوم؟ يبدو أن المؤلف عندما تحدث عن بن يهودا يبجله ويطالب الصبية بالبحث عن جهوده وتثمينها.

وبشأن الهوامش الجانبية، يورد هنا المؤلف عدد من الهوامش لعدد من أبرز المهاجرين أمثال إسرائيل باك "ישראל ב"ק" مؤسس جماعة "كل إسرائيل أصدقاء"، لكنه يتجاهل تماماً أعداد اليهود الكبيرة التي هاجرت للغرب الأوروبي أو لأمريكا أو اليهود الذين رفضوا الهجرة من الأساس.

يقدم المؤلف في استراحته هنا باختصار موضوع يخدم أفكاره فجاء تحت عنوان "سائحون في الأرض المقدسة"؛ حيث يناقش المؤلف موضوع يتعلق بسفر اليهود بكافة طوائفهم — باحثين وأدباء، رجال ونساء — لفلسطين ويؤكد على وجود التواصل بين اليهود في شتى أنحاء العالم وأرضهم الموعودة. وجاءت المهمة الأساسية للاستراحة هي إعداد إعلان عن رحلة تحت عنوان "سافروا للأرض المقدسة"، أي أنه يطلب من الأطفال تنظيم برنامج للسفر لفلسطين والترويج له، وبما أن الصبية الذين سيقومون بذلك سيتسابقون هم بالأحرى للتمسك بها، كما يقدم المؤلف استراحة ثانية تحت عنوان: نغنى لك يا وطن. يقوم فيها بجمع عدد من الأشعار الخاصة بالمهاجرين لفلسطين ويقدمها كأشعار وأغانٍ وطنية تلهب مشاعر الصبية وتحفزهم نحو التقارب والانتفاء.

هـ اليهود والحرب العالمية الأولى:

يحاول المؤلف أن ينسج قصصاً بطولية حول اليهود تظهرهم في أفضل الصور، فيذكر أنه أثناء الحرب العالمية توقفت الهجرة لصعوبة الحياة هناك، حيث رفض اليهود المواطنة العثمانية. حتى لا ينخرطوا في الخدمة الإلزامية في الجيش العثماني، رغم أنه عاد ليذكر أن بعضاً من اليهود ساندوا الدولة العثمانية طمعاً في فلسطين، وأن من فضلوا التجنيد في الجيش جُندوا برغبتهم، يقول المؤلف: "رفض معظم اليهود المواطنة العثمانية، خشية ظروف الخدمة الإلزامية الصعبة، حيث عانوا من الرشوة، وقسوة العقوبات والتنكيل بالجند، لكن قليلاً من اليهود جُندوا برغبتهم، حيث رأوا أن الخدمة في الجيش التركي ستعود بالفائدة على القضية، لكنهم بعد التجنيد والمعاناة من أوضاع الجيش حاولوا البحث عن وسيلة لترك الخدمة". وحينما أيقن يهود الدولة العثمانية نجاح بريطانيا، عملوا على مساندتها عبر الكتائب المهمشة التي عملت في الإمداد والتموين، وكذلك في شبكات التجسس، هكذا كان حال اليهود المواطنين داخل دولة آوتهم وحمتهم لقرون طويلة، يقول المؤلف: "حينما اقترب الجيش البريطاني من فلسطين، قام جمال باشا والى فلسطين بطرد ٥٠٠٠ يهودي من يافا وتل أبيب للشمال خشية مساندتهم للانجليز، مما زاد من معاناة اليهود، وكلما اقتربت بريطانيا من احتلال فلسطين، تعالت أصوات اليهود المناذية بتحسين العلاقات مع بريطانيا، مما أدى

لإنشاء كتائب عبرية داخل الجيش البريطاني، وكان من الساعين لذلك زئيف جابتونسكي ويوسف ترومبيلدور، حيث تكونت كتيبة راكبي البغال تحت قيادة يوسف ترومبيلدور بهدف الإمداد والتموين وليس الحرب، ومع نهاية الحرب كانت هناك ثلاث كتائب عبرية عملت في كل من بريطانيا والولايات المتحدة وفلسطين، كما أُقيمت شبكة تجسس عام ١٩١٥م نتيجة اليأس من سياسات جمال باشا، أخيراً يأتي المؤلف ليذكر لنا أنه بانتهاء الحرب العالمية، أصدرت بريطانيا وعد بلفور، ويعدد الأسباب، ويذكر أن منها أو على رأسها تعاطف رئيس وزراء بريطانيا بلفور مع الحركة الصهيونية".

والحقيقة أن الحكومة العثمانية ظلت ترتاب في النوايا الصهيونية، وتشك في أهدافها، حتى أصدر جمال باشا قبيل نشوب الحرب أمره بمكافحة النشاط الصهيوني الذي وصفه بالشغب والضرر بعد أن أدرك أن الصهاينة يسعون لإنشاء حكومة يهودية في القسم الفلسطيني من الإمبراطورية العثمانية، وقد دعم هذا الإدراك تلك التقارير التي رفعها بهاء الدين بك، والتي لفت فيها نظر الحكومة إلى الظواهر التي كان يتسم بها الاستعمار الصهيوني في فلسطين، ومنها احتفاظ اليهود بجنسياتهم الأجنبية، وتقديم دعاواهم إلى محاكم يهودية واستعمالهم أوراق عملة خاصة بهم، فضلاً عن الشعارات الخاصة بالدولة اليهودية، ومنها الطوابع البريدية الصهيونية والعلم الصهيوني ذو اللونين، واستبدالهم العمال اليهود بالعمال العرب^(١).

والحقيقة أن الإجراءات التي اتخذها جمال باشا كان يجب اتخاذها من قبل، فهي تتناسب مع مظاهر التحرر اليهودي من سلطان الدولة والاستقلال عن سلطاتها، وتتفق مع التعدي الصهيوني على حق الدولة الشرعي في السيادة، وربما كان المسئولون الأتراك يمنون أنفسهم باتخاذ مثل هذه الإجراءات منذ بدأ اليهود في فلسطين يخرجون على نظام الدولة العثمانية بهذه الأساليب لولا أنهم حسبوا حساباً كبيراً لتدخل الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة وألمانيا، ثم وجد جمال باشا في ظروف الحرب فرصة سانحة فأطلق يده وقام بما لم يقيم به

(١) سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ - ١٩١٨م)، ص ١٢٩.

سابقوه، على أن تطور الأحداث أثبتت أن اليهود كانوا يشكلون خطراً على أمن البلاد في تلك الفترة الحرجة، وخير دليل على ذلك نشاط جماعة "عتليت" التي تزعمت العمل الصهيوني في فلسطين، وقُبض على من حاول منهم البقاء في البلاد، وعلى ذلك يمكن القول بأن إجراءات جمال باشا إنما كانت إجراءات أمن اقتضتها ظروف الحرب، غير أن زعماء الصهيونية خارج فلسطين ادعوا أن القائد التركي كان يحقد على اليهود ونددوا بسياسته في فلسطين حين نشر بلاغاً هدد فيه بعقوبات شديدة لمن يقوم بعمل يعضد القضية الصهيونية، وحين أمر بإغلاق البنك الانجليزي الفلسطيني، كان ذلك لأن البنك شكل عماد المستعمرات اليهودية في فلسطين؛ على أن القائد التركي أمر بإغلاقه بعد أن تبين له أنه أُسس على أنه شركة مالية انجليزية، وبذلك يدخل في نطاق الإجراءات التركية التقليدية المتبعة ضد الأعداء. وكان من شأن هذه الضغوط أن تساهلت الحكومة العثمانية كثيراً مع يهود فلسطين رغم أن الإجراءات التي اتخذت مع سكان فلسطين من اليهود لا يمكن أن تقاس بما قاساه عرب الشام على يد نفس الرجل^(١)، وقد كان لأمره بإخلاء يهود يافا صدى كبير على اليهود خارج فلسطين؛ رغم أن الأمر لم يتشدد في الإخلاء، وإنما أُرجئ بناء على طلب اليهود ليومين بعد الانتهاء من احتفالات عيد الفصح، كما سعى جمال باشا إلى مساعدة المتضررين من أمره بمنحهم قروض مالية، وقد يكون من المقبول أن يحتج اليهود لو أن الأمر كان خاصاً بهم فقط؛ لكنه كان أمراً عاماً على جميع السكان في المنطقة، وما أصاب اليهود أصاب العرب، مع الفارق في أن اليهود كالعامة وجدوا من يدافع عنهم، فقد رأت تنفيذ الإخلاء حتى لا تتأثر ممتلكات السكان ومنقولاتهم وأرواحهم حينما تصبح مدينتهم ساحة للمعركة مع بريطانيا الزاحفة تحت قيادة الجنرال اللنبي، إلى جانب ذلك ربما خشت تعاون يهود يافا مع الجيش البريطاني، كما عمل يهود بولندا مع الجيوش الألمانية المتقدمة لغزو المقاطعات البولندية من الإمبراطورية الروسية^(٢).

والحقيقة أنه عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤م، وقف اليهود بكل منظماتهم الصهيونية منكمشين في البداية؛ ذلك أنهم كانوا يريدون كالعامة أن يكونوا عملاء

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٥ - ١٤٦.

للاستعمار لتحقيق أهدافهم، فتمسكوا بالحذر حتى تتكشف الجولات الأولى ونتائجها، ولهذا لم يحرك يهودي ساكناً حتى صيف ١٩١٦م، كان الأتراك والألمان يحاربون بريطانيا، ونتيجة خوفهم من الطلائع اليهودية التي كانت موجودة بفلسطين، ولا سيما المتطرفين منهم؛ شددوا الرقابة عليهم، وراحوا يعتقلون المشتبه فيهم، ويصدرون قرارات إبعاد لمن لا يحمل إقامة دائمة من اليهود عن البلاد، إذاً كان اليهود عنصراً من العناصر المثيرة للقلق، بل شكلوا طابوراً خامساً داخل الدولة العثمانية خاصة في فلسطين، وبالتالي كان على العثمانيين أن يتخذوا من الإجراءات ما يكفل لها تأمين أراضيهم حتى ولو كان ذلك عبر الطرد خاصة وقت الحرب، وخاصة أن اليهود لم يعلنوا عن موقفهم من اللحظة الأولى، ولم يقفوا جنباً إلى جنب مع الدولة العثمانية؛ وإنما فضّلوا الوقوف لجانب الانجليز بعد أن بدأ الانتصار يلوح لهم.

ومع اندلاع الحرب العالمية ودخول تركيا الحرب، تقدمت جماعة من الصهاينة من يهود تركيا باقتراح للحكومة يقضى بتخصيص فرقة عسكرية من اليهود للعمل في صفوف الجيش التركي المخصص للدفاع عن فلسطين، ورأوا في اقتراحهم أن تتألف هذه الفرقة من ١٠.٠٠٠ رجل، واشتروا على الحكومة التركية أن تمنحهم ضماناً قاطعاً قبل تكوين هذه الفرقة باستعمار اليهود لفلسطين بعد الحرب إن انتصرت تركيا^(١)، أي أن اليهود في محاولة ابتزاز عرضوا على الأتراك المساعدة في مقابل الاستيلاء على فلسطين، لكن الأتراك رفضوا عرضهم، فاتجهوا لابتزاز الإنجليز، وحينما وضعت الحرب أوزارها، واتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك الدولة العثمانية، وجدت الصهيونية فرصتها للوصول إلى "أرض الميعاد"، فلما دخلت تركيا الحرب إلى جانب الحلفاء عمل حاييم وايزمان على توثيق علاقته بكبار الساسة الانجليز، ووعدهم ببذل الجهد لوضع فلسطين تحت الحماية البريطانية إذا أيدتهم بريطانيا في تحقيق أمانهم في الوطن القومي، وبهذا الشكل صدر وعد بلفور بعد أن أصبحت فلسطين من نصيب بريطانيا^(٢)، والحقيقة أن الدارس بعمق لوعده بلفور يوقن أن هناك سببين

(١) المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) ظاظا، حسن وآخرون: الصهيونية العالمية، المرجع السابق نفسه، ص ٩٢-٩٣.

لتصريحه هذا ألا وهما: أولاً: خوف الوزارة البريطانية من أن تسبقها ألمانيا في إصدار التصريح لليهود باستيطان فلسطين على غرار التصريح البريطاني، حيث أرادت بريطانيا أن تكسب إلى جانبها يهود دول الوسط، ألمانيا والنمسا، وأن تجعل يهود روسيا الذين أسهموا في الإطاحة بحكم أسرة رومانوف يعملون على إبقاء روسيا في الحرب بعد الثورة البلشفية التي كانت قد اندلعت في مارس ١٩١٧م. والثاني: كان عسكرياً حيث أن فلسطين كانت البوابة الشرقية لمصر وقناة السويس، وكانت بريطانيا مطمئنة إلى وجود صحراء سيناء شرق القناة، معتقدة أن هذه الصحراء هي حصن طبيعي يقى مصر خطر الزحف عليها، بل وهي مقبرة للغزاة قبل أن يصلوا الضفة الشرقية لقناة السويس، ثم جاءت الحرب العالمية فغيّرت المفاهيم العسكرية؛ ذلك أن تركيا هاجمت مصر من جهة العريش بجيش كبير، كما أن كلاً من فرنسا وروسيا طالب بالحماية على فلسطين، مما دفع بريطانيا للتعجيل بإصدار وعد بلفور، لتحقيق هدفها الاستعماري العسكري، وهو تأمين الدفاع عن مصر وقناة السويس بإبعاد فرنسا عن حدود مصر الشرقية وإنشاء دولة حاجزة تكون ركيزة لبريطانيا في قلب العالم العربي لضرب الحركات التحررية. إذاً لم يكن الوعد عطفاً على أوضاع اليهود بقدر ما كان يمثل مصلحة بريطانيا في الأساس، وما كان اليهود إلا قطعة شطرنج حُركت لإيقاف مخططات الفرنسيين والروس وأطماعهم في المنطقة.

بشأن الصور يقدم لنا المؤلف عدداً من الصور المؤكدة على أفكاره، كان أهمها صورة لكتائب اليهود في خدمة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى، وأخرى لمن يسميهم المطرودين من فلسطين أثناء الحرب، وثالثة لمنزل أهارونسون رئيس شبكة نيلي التجسسية لصالح بريطانيا، وصورة أخيرة لمشهد سيارة نقل جنود، وقد اجتمعت الفتيات حولها ترحب بهم وتشجعهم وتثنى عليهم، الغريب أن المؤلف يقدم هذه الصور وكأنها لأبطال قوميين يفتخر بهم فيعرض صوراً لمنزل جاسوس يبدو أنه تحول لمزار سياحي.

وبشأن الوثائق نجد وثيقة خاصة بضربة الجراد التي حلت بفلسطين عام ١٩١٥م، ووثيقة أخرى عن تحقيق المحقق العثماني حسنى بك مع بن جوريون، ووثيقة ثالثة عبارة عن خطاب من السيدة رفقة شرتوك مُرسل لأخيها موشيه المتطوع في الجيش التركي، والذي خدم به ضابطاً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، تخبره بنأ طردها من فلسطين، وجدير بالذكر

أن موشيه عمل وزيراً لخارجية إسرائيل ثم رئيساً لوزرائها، وهناك وثيقة أخرى تحمل أحد أشعار الجنود المتطوعين في الكتائب العبرية لصالح بريطانيا، وهى أغنية أسد أسد، ووثيقة أخيرة تقدم إعلان بلفور

وكثير من الوثائق كالعادة ذُيّلت بأسئلة كان منها ما ارتبط بواقعة طرد رفقة مثل:

- ما هو انطباعك الشخصى عن طرد المواطنين من منازلهم وأماكنهم في أعين رفقة؟
- وضح الصراع الذي عاناه اليهود في فلسطين أثناء الحرب العالمية ممثلاً في رفقه التي خدم أخوها في الجيش العثماني؟ يبدو أن المؤلف الذي ردد كثيراً أمر خدمة الجيش الانجليزي بكتائب عبرية وشبكات تجسس، نسى المؤلف تلك النماذج التي خدمت الجيش التركي.
- وفي وثيقة إعلان بلفور كانت الأسئلة:

- ما هى التطمينات التي أعطتها بريطانيا للصهاينة؟
- توجد بالإعلان رموز للصعوبات التي تجلت مع ظهور البيت القومى، وضح هذه الصعوبات؟

وعن الهوامش جاء من أهمها هامش لكل من زئيف جابتونسكى، ويوسف ترومبلدور مثنياً على جهودهما.

obeikandl.com

نتائج البحث

بعد دراسة هذا المقرر توصل الباحث للنتائج التالية:

أولاً: الشكل:

١- جاء المقرر تحت عنوان "مسע אל העבר، עולם מודרני נולד، המאה ה-19، על פי תוכנית הלימודים החדשה בהיסטוריה לבית הספר הממלכתי، رحلة إلى الماضي ميلاد عالم حديث، القرن ١٩ م، وفقاً لمنهج التاريخ الجديد للمدارس الحكومية، היסטוריה לכיתה ח' בבית הספר הממלכתי، באישור משרד החינוך، המרכז לטכנולוגיה חינוכית، תל אביב 2003، التاريخ للصف الثامن للطلاب في المدارس الحكومية، بموافقة وزارة التعليم، مركز تكنولوجيا التعليم، تل أبيب عام ٢٠٠٣، للمؤلفة קציעה אביאלי-טביביאן كاتسيعة ابيالى طيبیان. وطاقم من المستشارين العلميين تكون من أساتذة للتاريخ بجامعات إسرائيلية كبرى، مما يؤكد أهمية المقرر وجمهور المتلقين.

٢- يقع الكتاب في ثلاثمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير مقاس ٢٦.٥ سم×21 سم، وينقسم الكتاب لخمس وحدات تضم كل وحدة ثلاثة فصول عدا الوحدة الأخيرة؛ فهي تضم فصلين اثنين فقط، هذا إضافة الى موضوع يطرحه المؤلف في كل وحدة تحت عنوان "استراحة المؤرخ" (סדנת ההיסטוריון)، يطرح فيه موضوع مرتبط برؤية خاصة به وبالوحدة، تنوع بين الأدب والصحافة والرسوم الهزلية.

٣- يعتمد مؤلف المقرر بشكل أساسي على الصور والرسومات والخرائط والوثائق وهوامش التوضيح. ورد بالمقرر عدد ٢٨١ صورة (تراوحت بين الصور، والرسوم الهزلية، والرسوم البيانية)، وعدد ٢٢ خريطة، وعدد ٨٥ وثيقة، وعدد ٩٨ هامش جانبي يأتي عادة في قطاع طولي في يسار الصفحة. ومن اللافت أننا لاحظنا حين دراسة هذا المقرر أنه لم تكد تخلو صفحة واحدة من صفحات المقرر من أى من هذه الصور الجاذبة للصبية، كذلك من اللافت استخدام القائمين على المقرر الألوان الجذابة بشكل كبير، بما يمكن تفسيره على خلفية جمهور المتلقين. كذلك ينتهي كل فصل وهو ما يمكن أن نسميه في مقررانا الدراسية بـ

"تذكر أن" (מזכיר, ١٩٦٦)، يأتي في شكل نقاط للتذكر واسترجاع المعلومات والتأكيد عليها، وتأتي أحياناً في صورة أسئلة ذات الإجابات القصيرة؛ ليؤكد في نقاط مركزة على الأفكار التي يود غرسها في قلب وعقل الصبية، كما تنتهي بعض الفصول بـ (אנחנו לא) "من المهم أن تعرف"، وهي تتناول موضوعاً ذا صلة بالفترة التاريخية، ولكن لبعده عن الموضوع الرئيس للفصل في معظم الأحيان، ولأهميته الضئيلة في دراستنا؛ آثرنا تحيته جانباً، كذلك تتعدد الأسئلة سواء بعد كل موضوع أو بعد كل فصل بهدف التذكر والمراجعة أيضاً.

ثانياً: المضمون:

١ - **المادة العلمية طبقاً للأفكار المطروحة:** اهتم المؤلف بعرض ما أراد من أحداث وبت ما أراد من أخبار ووقائع دونها النظر لمصادقية البحث أو موضوعيته، فكان في أغلب أنحاء البحث يروج لأفكار صهيونية على حساب الحقيقة والوقائع التاريخية، ومثال ذلك ما أورده بشأن التأكيد على الضائقة التي تعرضت لها الجماعات اليهودية في أوروبا في القرن التاسع عشر رغم ما عُرف عن أوضاعهم من انتشار مبادئ الإخاء والمساواة وحقوق المواطنة وإعلان حقوق الإنسان التي لم تفرق بين يهودي ومسيحي في أوروبا، وكذلك نتائج الثورة الفرنسية الايجابية على أوضاعهم، كما أنه في عرضه تجاهل دور المتنورين ودعواتهم للتحرر واهتم بإبراز الاضطهاد ومعاداة السامية. كذلك حين تناول الحركة الصهيونية، قدمها على أساس أنها قامت لتحرير اليهود نتيجة ما لاقوه من آلام ومعاناة من المجتمعات الأوروبية، وحينما تناول هذه المعاناة تناولها بما يصح — من وجهة نظره — أن يقدمه للصبي اليهود؛ فقدم الجلال في صورة الضحية، وأغفل أدوار اليهود المشينة في أوروبا وكذلك دورهم المشين في فتح الطريق لاحتلال الغرب للشرق، وانزوائهم، وتعاملاتهم المالية، وخيانتهم لمجتمعاتهم، ونهجهم في الاغتيالات والمؤامرات، كما أنه أغفل كذلك الأصوات الكثيرة المعارضة للفكر الصهيوني. كما أغفل الحديث عن علاقة اليهود بفلسطين عبر العصور، وأنها كانت دائماً أبداً مفتوحة لكنهم دائماً أبداً لم يفكروا فيها بل كان تفكيرهم دائماً أبداً في منافعهم الاقتصادية، كما أنها لم تكن ملكية خاصة في الفترة التي عاشوا فيها في فلسطين، بل على العكس كانوا

وباعتراف العهد القديم أغراباً في هذه الأرض، كذلك أغفل نظرة بريطانيا للأفكار الصهيونية ورفضها منحهم ملكية فلسطين، وكذلك ألمانيا ورفضها مساندة الحلم الصهيوني، ورفض السلطان العثماني القاطع لأطماع اليهود مهما كانت التضحيات، كذلك اغفل أن الكثافة الكبرى لليهود كانت في روسيا، وأن هجرات هذه الأعداد توجهت في الأساس لغرب أوروبا والأمريكتين، كما أغفل الحديث عن أصول هؤلاء اليهود الذين مثلوا الأغلبية العظمى في أوروبا. كذلك يؤكد المؤلف - بما يخالف الحقيقة والقوانين والنظم السياسية - على مصطلح الشعب اليهودي!، كما تناسى أن القلة التي هاجرت لفلسطين ارتد كثير منهم فيما عُرف بظاهرة التساقط "נשימה"، كما يؤكد خلصة على رؤيته للعربى وهو ما يحاول زرعه في عقول الصبية، فيورد أن منظمات مثل بر جيورا "בר גיורא"، وشومير "השומר" ظهرت في المقام الأول لصد هجمات العرب القتل للصوص، وأخيراً يؤكد المؤلف على أن التجسس - فيما قدمه للصبية من جماعة نيلى التجسسية داخل الدولة العثمانية لصالح بريطانيا - أمر يدعو للفخر والفخر.

٢- **الصور، الرسوم، الأشكال البيانية، والخرائط:** قدّم المؤلف عدداً من الصور والرسوم جاء بعضها معبراً عن اضطهاد اليهود، رغم حرصهم على الاندماج؛ فلم يقدم صورة واحدة تؤكد حياة الاندماج أو التسامح الأوربي تجاه اليهود مع انتشار قوانين الاندماج والحريات، كما لم يهتم بتقديم صور لطباع اليهود في أوروبا أو المنحى الذي اتخذه اليهود في حياتهم كممثلين للرأسمالية المستغلة للمواطنين، واكتفى بعرض صور ليهود بائسين بعضهم يعمل في بيع الخبز. كما قدّم المؤلف صوراً أخرى قدمها المؤلف لتأكيد الاضطهاد منها صورة لغلاف كتاب البروتوكولات في ترجماته المختلفة، وتأتى النسخة البولندية بغلاف يمثل شخصاً يهودياً في هيئة قبيحة يجلس فوق عدد كبير من الجماجم البشرية، تعلو رأسه نجمة داود. ويقدم المؤلف كذلك عدداً من الصور تدعم الفكر الصهيوني، كان أهمها صورة لعلم اقترحه هرتسل يقتسمه اللونان الأزرق والأبيض وفي المنتصف نجمة داود، وصورة أخرى لنجمة داود كرمز للمؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في عام ١٨٩٧م، ويبدو أن المؤلف

يقدم هذه الصور مثبته على هرتسل وجهوده ومعاناته للصبيّة، مبرزاً هذا الرجل للصبيّة بأنه الذي أنقذ الأجداد من القهر والظلم والعذاب، ويؤكد المؤلف ذلك بتقديمه صورة لجنّازة رسمية وشعبية لهرتسل بما يعنى التأكيد على أفكاره عن هذا الرجل، أخيراً يقدم المؤلف صورة لكتائب اليهود في خدمة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الأولى، وأخرى لمن يسميهم المطرودين من فلسطين أثناء الحرب، وثالثة لمنزل أهارونسون رئيس شبكة نيلي التجسسية لصالح بريطانيا وكأنه أمر يدعو للفخر.

٣- الوثائق: يقدم المؤلف العديد والعديد من الوثائق المتعلقة بموضوعات مقررته؛ وذلك لما تعكسه الوثيقة من مصداقية وإضفاء روح الثقة في وقوع الحدث، وبناءً عليه يجب أن يدرك الصبيّة بهذا الشكل كم تعرض أجدادهم لاضطهاد شديد، ويقدم لنا المؤلف عدد من الوثائق جاءت تتسق مع الأفكار التي قدمها المؤلف في ثنايا مؤلفه، كان منها تلك الوثيقة الخاصة بتحول افراهام مندلسون للمسيحية هو وزوجه وأبنائه الأربعة، ووثيقة أخرى تلزم أبناء الطائفة اليهودية — طبقاً لحق المواطنة — بالالتحاق بالجيش، ووثيقة ثالثة تقدم جزء من قصيدة يهودا ليف جوردون استيقظ يا شعبي، تدعو اليهود للاندماج، وهي نموذج واضح لتحول مثقفى اليهود نحو الاندماج، هذه هي نوعية الوثائق التي يقدمها المؤلف متناسياً أن يقدم وثائق لمن رفضوا الاندماج من اليهود وعارضوه، ومتناسياً كذلك أن هذا الاندماج دفع كثيرين للتصريح والابتعاد عن العقيدة اليهودية، ولم يكن كل اليهود في صفوف المندمجين، ومن ثم حاول المؤلف التأكيد على أن اليهود اضطهدوا رغم أنهم رحّبوا بالاندماج، ويعرض المؤلف كذلك عدداً من الوثائق أتت في مجملها تتحدث عن معاداة السامية والاضطهاد كسبب رئيس ومباشر في تصاعد الدعوى الصهيونية؛ فقدم رؤية أدولف اشتيكر — مؤسس الحزب الألماني المسيحي — لليهود كدولة داخل الدولة، وأخرى تصور جزءاً من خطاب دريفوس لزوجه لوسى يروى لها عن يوم طرده من الخدمة في الخامس من يناير ١٨٩٥م، ووثيقة ثالثة لإميل زولا تحت عنوان "أنا أتهم"، والتي يتهم فيها قادة بالجيش الفرنسي بالضلوع في قضية دريفوس، وهناك عدد آخر من الوثائق المتعلقة بمذابح روسيا، وأقوال

مأثورة لمن عُرفوا بمبشري الصهيونية، كما قدم لنا المؤلف وثائق تتعلق بالهجرة لفلسطين كان منها وثيقة خاصة بتحقيق المحقق العثماني حسنى بك مع بن جوريون، وأخرى من السيدة رفقة شرتوك لأخيها موشيه المتطوع في الجيش التركي، والذي خدم به ضابطاً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، تخبره نبأ طردها من فلسطين.

٤- **الأسئلة:** جاءت الأسئلة إما في نهاية موضوع أو وثيقة أو نهاية الفصل، ومن ذلك يطرح المؤلف عدداً من الأسئلة جاءت تخدم أهدافه في التأكيد على اضطهاد اليهود وأهمية الصهيونية والسعى لقيام الدولة، كان أهمها:

- كيف حوّل الاندماج المجتمع اليهودي لمجتمع علماني؟ لماذا كانت العبرية مشكلة الهوية القومية؟
- ما هي القيود الجديدة للعالم الحديث والتي دعمتها معاداة السامية؟
- وضح كيف وسّعت الديمقراطية من معاداة السامية؟
- وضح كيف استغلت معاداة السامية الديمقراطية لتحقيق أهدافها؟
- أتنظن أن مناقشة مشروع أوغندا من دروب ديمقراطية الحركة الصهيونية؟ وضح
- مميزات الاستيطان القديم؟
- ما هي العوامل التي ساعدت على تسريع الهجرة الأولى لفلسطين، وماذا جذبهم لها؟

- يعتبر وعد بلفور بداية الخلاص أو المعجزة - لماذا؟

كانت هذه نوعية الأسئلة التي يطرحها المؤلف على مدار مؤلفه، حيث جاءت بشكل يؤكد على الاضطهاد، ويمجد الجهود الصهيونية، ويُعلّي من قيمة الدولة اليهودية وجهود منظري الصهيونية.

٥- **الهوامش:** جاءت الهوامش في خدمة الموضوعات التي طرحها المؤلف وأكدها عبر هذه الهوامش، وكان من أهمها هامش لتعريف الشاعر "הפ הפ מוות ליהודים" ويوضح المؤلف في الهامش أن البعض يرون أن "هب هب" هي اختصار لـ **Hierosalyema est**

perdita والتي تعنى **ירושליים אבודה** أي القدس ضاعت، دون أن يوضح كعادته مبرر ذلك، أو مدى علاقة الألمان بالقدس أو معرفتهم بها، وما أسباب إثارتها في هذا التوقيت. يقدم لنا المؤلف عدداً آخر من الهوامش أبرزها هوامش عن عواصف النقب، ورموز الصهيونية أمثال موشيه هس، ويهودا القلعي، وتسيفى هيرش كاليشر، وماكس نورداو، وحاييم وايزمان، متناسيا كالعادة الأصوات المعادية للصهيونية. وجاء بهوامش أخرى كان من أهمها هامش لكل من زئيف جابتونسكى، يوسف ترومبلدور، وأهارون أهارونسون، وكأنها جاءت باعتبارها نماذج مشرفة!

٦- **الاستراحة**: جاءت "استراحة المؤرخ" لتضع اللمسات الأخيرة لأفكار المؤلف وتؤكددها، فجاءت تتوافق تماماً مع أفكاره التي ييثرها في عقول وقلوب الصبية. ومن ثم جاء بعضها تحت عناوين تخدم أهدافه؛ حيث جاء منها: الرسوم الهزلية في خدمة السياسة، سائحون في الأرض المقدسة، رحلة في أعقاب هرتسل لفلسطين ١٨٩٨م، نغنى لك يا وطن. هكذا جاءت حتى في عناوينها تؤكد على الاضطهاد في أوروبا، عمق العلاقة مع أرض الأجداد، والارتباط بفلسطين باعتبارها الوطن القومي لليهود.

أخيراً، يؤكد الباحث أن منهج التاريخ المقدم للصبية في المدارس هو بمثابة بذور بذور الشر والعداء تجاه العرب، وينطوي على مغالطات منهجية وتاريخية فادحة، إن المقرر يزرع بقلوب وعقول الصبية روح الحقد على المجتمع الدولي الذي شرده وآذاه في الداخل والخارج، ويدفع للتمسك بروح التعصب الأعمى، عبر أفكار الصهيونية التي ادعت عبر موقف فردى أو شخصى الاضطهاد العام لكافة اليهود، وأن المقرر المقدم لأطفال في عمر الزهور تناسى عبر صفحاته أنه عمل علمى مؤسسى ينبغى النأي به عن المغالطات المتعمدة بهدف خدمة أغراض خاصة، إن مثل هذه المناهج تعتبر بحق أعمالاً ضد الإنسانية تشجع على العنف وتحض على بث روح العداء بما تبته من مغالطات وافتراءات تزيد من روح الحقد والتعصب والكراهية.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغة العبرية:

- 1 - טביביאן (קציעה אביאלי), מסע אל העבר, עולם מודרני נולד, המאה ה - 19, על פי תוכנית הלימודים החדשה בהיסטוריה לבית הספר הממלכתי, היסטוריה לכיתה ח' בבית הספר הממלכתי באישור משרד החינוך המרכז לטכנולוגיה חינוכי, תל אביב 2003.

ثانياً: باللغة العربية:

١. حسن (محمد خليفة)، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، دار المعارف، ط١، القاهرة ١٩٨١ م.
٢. الخولي (حسن صبري)، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين، مج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣ م.
٣. سليم (محمد عبد الرؤوف)، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٨٩٧ - ١٩١٨ م)، القسم الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٤ م.
٤.: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة (١٩١٤ - ١٩١٨ م)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة ١٩٧٠.
٥. صالح (محسن محمد)، فلسطين - دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات فلسطينية، ط١، القاهرة ٢٠٠٣ م.
٦. ظاظا (حسن)، وآخرون، الصهيونية العالمية وإسرائيل، القاهرة ١٩٧١.
٧. فتح الباب (ربيع أنور)، النظم السياسية - السلطة، الدولة، الحكومة صورها وأساليبها، القاهرة ٢٠١١ م.
٨. القثامي (هند بنت دخيل الله بن وصل)، اثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، ماجستير، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ م.

٩. الكاتب (عبد الحميد)، القدس، الفتح الإسلامي، الغزو الصليبي، الهجمة الصهيونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٨ م.

١١- المسيري (عبد الوهاب)، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق، ط ٣، القاهرة ٢٠٠٣ م.

١٢- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، مج ٤، ٧، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٩ م.

١٣- الموسوعة الموجزة، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣.

١٤- التتشة (رفيق شاكرا)، عبد الحميد الثاني وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من اجل فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٣، ١٩٩١ م.

ثالثاً: مواقع الكترونية متاحة حتى ٢٠١٢/١١/٦:

- <http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13950-MTM5NTBfMzY2NTM3-NjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan,00.html>

- <http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-13259-MTM5NTBfMjg2OTex-NjZfMTQ4Njg3MjAw-FreeYaan,00.html>

- <http://www.ynet.co.il/yaan/0,7340,L-22604-PreYaan,00.html>

- http://he.wikipedia.org/wiki/יהודה_לייב_גורדון

**مناهج التعليم والأنشطة المدرسية المختلفة في إسرائيل بين التهويد
وترسيخ مفهوم التعايش مع الآخر العربي
”دراسة تطبيقية“**

أ / دعاء محمد سيف الدين طه
كلية الألسن – جامعة عين شمس

obeikandl.com

مقدمة

تقوم مناهج التعليم في إسرائيل بدور مؤثر وفعال في بث الدعوة الصهيونية المعادية للعرب في نفوس التلاميذ، كما تستخدم المناهج التي تقررها وزارة المعارف الإسرائيلية في ترسيخ المفاهيم المغلوطة والنظرة الدونية إلى العرب في الوجدان اليهودي منذ مراحل الدراسة الأولى^(١).

نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية على موقعها الإلكتروني نص خطاب أرسله تلاميذ المدارس الحكومية الدينية الإسرائيلية (الصف من السابع حتى العاشر، ما يقابل المرحلة الإعدادية في مصر) للجنود الإسرائيليين الاحتياط عند اقتحامهم لطولكرم في إطار أحداث انتفاضة الأقصى التي بدأت عام ٢٠٠٠م، بسبب اقتحام إريئيل شارون^(٢) لساحة المسجد الأقصى، وورد في هذا الخطاب ما يلي: (عزيزي الجندي، تجاوز كل القوانين واقتل أكبر عدد من العرب - العربي الطيب هو العربي الميت - فليحترق كل الفلسطينيين - محاربهم - في جهنم)^(٣).

وبالطبع كان لهذه النصوص التوراتية التي اتخذها الحاخامات المتطرفون مصدرًا لفتاوى القتل والطرْد أثر كبير في تغطية الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية، وتدريسها في المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بمعالجة نقدية تذكر، وكان لها تأثير بدون شك على سلوكيات الجنود الإسرائيليين والضباط أيضًا تجاه التعامل مع (الآخر) الفلسطيني^(٤).

^(١) العرابوي (آمال)، نظام التعليم في إسرائيل، بورسعيد: كلية التربية، ب.ت، ص ١٥٤.

^(٢) هو رئيس وزراء إسرائيل الحادي عشر، في عام ٢٠٠١م قام ومعه جيش الاحتلال الإسرائيلي باقتحام المسجد الأقصى بالأحذية. أصيب بجلطة دماغية عام ٢٠٠٦م ولا زال في غيبوبة حتى الآن.

^(٣) منصور (منصور عبد الوهاب)، فتاوى الحاخامات: رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ١١.

^(٤) علام (عمرو عبد العلي)، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص ١٠٤.

لكن هذه الفتاوى لا تحظى بقبول جميع الإسرائيليين، ففي كتابه عن الأصولية اليهودية في إسرائيل الصادر عام ١٩٩٩م ينتقد "إسرائيل شاحاك" الفتاوى الدينية التي يصدرها حاخامات اليهود، والتي تبرر القتل والعنف^(١).

بالإضافة إلى احتوائها على قيم تمجد القوة والعنف والنزعة العدوانية ضد الآخر العربي، وهي بذلك تعكس مفاهيم مجتمع يُعد العنف فيه خاصية من خصائص وجوده. وتُعد كتب التربية الاجتماعية من أهم المواد الإنسانية التي تستغلها الصهيونية لبث أفكارها فيها ومن بينها كتاب "هذا موطني" للصف الخامس الابتدائي الذي يذكر أن "تحديات واستفزات العرب الذين يسرقون ويحتقرون المستوطنين الجدد ويحاولون سلب ممتلكاتهم قد كثرت وازدادت. ويشير كتاب الجغرافيا للمرحلة ذاتها إلى أن "المظالم التي تعرض لها اليهود في اليمن دفعتهم إلى الهجرة إلى إسرائيل"^(٢).

- طبيعة المناهج التعليمية في إسرائيل:

يذكر كتاب "تاريخ شعب إسرائيل" للصف الثامن الابتدائي بأن "الأهداف العربية الظاهرة والمعلن عنها لا تنحصر في احتلال المنطقة الإسرائيلية فحسب بل أيضًا الإبادة الشاملة للسكان والاستيطان اليهودي فيها". فإسرائيل -كما يشير كتاب الجغرافيا للصف السادس الابتدائي- تقع في قلب العالم العربي الذي يصرح بوضوح عن وجود مخطط لمحو إسرائيل من على وجه الخريطة... ولذا يلزم على إسرائيل -وبحسب كتاب "هذا موطني" أن تعد نفسها لتسليح كل يهودي سواء كان شابًا أو شابة، وأن هذا الأمر ما هو إلا عبارة عن عمليات دفاعية تقوم بها القيادة الإسرائيلية... وتبين الأفكار ذاتها في مناهج المراحل التدريسية الأخرى التي تحرص على تذكير الطالب بأنه محاط بمن يهددون كيانه ودولته وأن مسألة البقاء هي القضية الأساسية والمحورية^(٣).

^(١) محمد (عبد العليم)، القضية الفلسطينية في مفترق الطرق، القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ١٧٠

^(٢) سعد الدين (نادية)، الصهيونية والنازية وإشكالية التعايش السلمي مع الآخر، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٩-٢٧٠.

^(٣) المرجع سابق، ص ٢٧٠-٢٧١

فمنذ إقامة إسرائيل سعت سلطاتها إلى طمس الهوية العربية وإزالة كل ما يربط العرب بجذورهم وتاريخهم وتراثهم، ولم تجد مجالاً يحقق لها ذلك أفضل من مجال التعليم، فاتجهت إلى حذف التاريخ العربي، وكذلك التراث، من المناهج الدراسية، وأصبح لزاماً على التلاميذ العرب أن يدرسوا التاريخ والثقافة والتراث والديانة اليهودية، في حين لا يدرس اليهودي في المقابل شيئاً يذكر عن العالم العربي، تاريخه وحضارته أو تراثه^(١)، وقد أظهر بحث أجرته الجامعة العبرية في القدس أن ميزانية الإثراء والتعزيز المخصصة للطلاب اليهودي في المدارس الإعدادية تزيد خمسة أضعاف عن تلك المخصصة للطلاب العربي^(٢) فالتمييز لم يقتصر على مناهج التعليم فحسب بل شمل أيضاً الميزانيات المقدمة له.

جاء في تقرير أعده معهد "فان لير: ١٦ لير" حول "التعليم العربي في إسرائيل" أنه منذ إقامة دولة إسرائيل لم يكن في الوسط العربي جهاز تعليمي جدير بهذه التسمية، ذلك أن معظم المثقفين العرب، بمن فيهم المعلمون، غادروا البلاد أثناء الحرب، فكان العرب الذين بقوا، أغلبهم من القرويين الأميين^(٣).

ففي عام ١٩٤٨م كانت في الوسط العربي ٥٤ مدرسة ابتدائية، ومدرسة ثانوية واحدة، وعشرة رياض للأطفال، تعلم فيها جميعاً أحد عشر ألفاً ومائة تسعة وعشرين تلميذاً، ومع إقامة الدولة، أقامت وزارة المعارف جهازاً للتعليم العربي تبعاً لقانون التعليم الإلزامي وتم استيعاب التلاميذ في جهاز التعليم في ظروف بالغة الصعوبة تمثلت في عدم توافر حجرات للتدريس، عدم وجود برامج تعليمية واضحة وكتب للتدريس، وجود معلمين غير مؤهلين. كل هذه الظروف تركت آثارها على طبيعة جهاز التعليم العربي إلى مدى بعيد^(٤).

^(١) جاد (عماد)، فلسطين الأرض والشعب: من النكبة إلى أوصلو، القاهرة: مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٩م، ص ١٤٥.

^(٢) <http://www.arabs48.com/display.x?cid=1&sid=32&id=64988>

(موقع عرب ٤٨) متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ إبريل ٢٠١٢م.

^(٣) החברה היהודית והחברה הערבית בישראל: חומר רקע למורה, מכון ון ליר בירושלים, משרד החינוך והתרבות, ירושלים, 2005, עמ' 50.

^(٤) שם, עמ' 50.

فبالرغم من أن التعليم الابتدائي إلزامي في إسرائيل لجميع الأطفال من سن (٥ - ١٥ سنة)، إلا أنه لم يطبق في الوسط العربي بالدقة التي يطبق بها في الوسط اليهودي، ولذلك بلغت نسبة التسرب في المدارس العربية حتى الصف الثامن ٣٢٪، وقد انعكس ذلك في تدني نسبة أبناء العرب في مدارس الحضانة (من سن ٣ - ٥ سنوات) فقد بلغت نسبة العرب في الحضانة في العام الدراسي (١٩٨٦ / ١٩٨٧)، ٢٧.٥٪ من الأطفال في هذه الفئة العمرية مقابل ٩٦.٨٪ لدى اليهود، الأمر الذي يعني حرمان نحو ٧٢.٥٪ من الأطفال العرب من دخول رياض الأطفال، كذلك وجد في العام الدراسي نفسه أن ٩٤.٢٪ من العرب من سن ٦ - ١٣ سنة في الدراسة مقابل ٩٦.٧٪ لليهود، ومع ارتفاع مستوى التعليم يتزايد التساقط العربي حيث بلغت نسبة من هم في الدراسة في سن ١٤ - ١٧ سنة ٥٠٪ من العرب مقابل ٨٠٪ من اليهود^(١).

وفي هذا الشأن تقول أفيثا أفيف: "عززت دراسة الثقافة الإسرائيلية والتقدم داخل النظام التعليمي الإسرائيلي الإحساس بعدم المساواة لدى الشباب العرب. لأنهم وبقدر ما يتبنون الرؤية الراسخة في الثقافة الإسرائيلية الأساسية، التي تقضي بأن من يعيش في المجتمع الإسرائيلي شريك متساوٍ فيه، يبرز الفارق بين الوضع الفعلي للعرب وبين هذا الافتراض^(٢). يقول الضابط شاماي ليويفتر^(٣) "إن النظام التعليمي في إسرائيل يغذي مشاعر الخوف المرضي من الجميع ويردد دائماً أن العالم كله يقف ضدنا، هذا النوع من التعليم يؤكد نمط العيش بالسيف على حساب قيمنا، عندما كنا في الشتات كان اليهود يشغلون أنفسهم بقضايا

^(١) لمزيد من المعلومات انظر: جاد، ص ١٤٥: ١٤٩

^(٢) أفيثا (أفيثا)، المجتمع الإسرائيلي: صراعات وتوترات، ترجمة وتعليق: محمد أحمد صالح، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٦، ١٩٩٨م، ص ١٣٥.

^(٣) هو أحد الضباط الذي نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في ٢٥ يناير ٢٠٠٢م خطابهم - عدد ٥٢ ضابط وجندي- والذي عبروا فيه عن رفضهم للخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة وبالتحديد في الضفة الغربية وقطاع غزة... لمزيد من المعلومات انظر: حسن (أحمد)، التمرد، عدده ٤٦٥، القاهرة: دار أخبار اليوم، ٢٠٠٣، ص ٧.

اجتماعية وأخلاقية وروحية مثل الأعمال الخيرية والاهتمام بالمرضى والمحتاجين والمسنين ودراسة التوراة. وما أن حصلنا على استقلالنا وأصبحت لنا دولة تجاهل تعليمنا هذه القضايا لصالح مشاعر القومية المتطرفة وربما أقول لصالح "تقديس السلاح"^(١).

ومن جانبها سعت سلطات الاحتلال إلى الحد من استمرار ارتفاع معدلات التعليم في الأراضي المحتلة والتحكم في مسار التعليم بطريقة تضمن توجيهه إلى مسارات غير جامعية، بالإضافة إلى إبقائه في وضع متردٍ مقارنةً بنظيره الإسرائيلي^(٢)، كما كانت السيطرة الإسرائيلية تمتد لتشمل النشاطات المدرسية من اجتماعات ونشاطات ثقافية ورياضية، والقيام بإغلاق الجامعات والمدارس واللجوء إلى استخدام القوة من قبل الجيش والشرطة لمنع أية محاولة اعتراض من قبل الطلاب. وقد شملت تلك السيطرة الإسرائيلية أيضًا التدخل في مناهج التعليم في المدارس العربية وحذف أية إشارة معادية للحركة الصهيونية بالإضافة إلى منع تداول بعض الكتب التي تتحدث عن الفكر الإسلامي وعن المجتمع العربي في فلسطين^(٣).

وكان مستوى التعليم من التغييرات التي تزعم إسرائيل أنها قدمتها لعرب ٤٨ الذين يعيشون في إسرائيل، حيث إن ارتفاع مستوى الثقافة لعرب ٤٨ هو أحد التغييرات الجوهرية التي قامت بها إسرائيل، وأثبتت ذلك من خلال جدول يوضح مستوى التعليم في إسرائيل منذ ١٩٥٥م حتى ١٩٩٠م، وكذلك انخفاض معدل الأميين ليصل إلى ٥٠٪ في نهاية الستينات إلى ٣٦.١٪ في السبعينات، وإلى ١٨.٩٪ في الثمانينات^(٤).

ولكن هذا الأمر غير صحيح فعلى الرغم من أن الشعب الفلسطيني يعد من أقل الشعوب العربية في نسبة الأمية منذ مطلع الستينات، ورغم أن نسبة الأمية كانت تسير بسرعة تجاه التقليل، إلا أن إسرائيل توسعت في سياسات الحد من تصاعد معدلات

^(١) (حسن، ص ٧، ٢٦).

^(٢) (جاد، ص ١٩٢).

^(٣) (سعد الدين، ص ١٤٨).

^(٤) (ألحاحا' (مأغد')، حنينוך בקרב הערבים בישראל، ירושלים: הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס،

האוניברסיטה העברית، 2006، עמ' 19.

التعليم، فقد بلغت نسبة الأمية في الضفة عام ١٩٦٧م، ٥٦٪ مقابل ٧٤٪ في مصر، و ٧٠٪ في الأردن، و ٦٥٪ في سوريا. ومع استمرار تقلص نسبة الأمية في الأراضي المحتلة اتجهت سلطات الاحتلال إلى التركيز على محتوى التعليم ومساره، فعلى صعيد تقلص نسبة الأمية فقد تراجعت في الضفة من ٤٧.٥٪ عام ١٩٧٠م إلى ٢٣.٨٪ عام ١٩٨٧م ثم إلى ١٦.٨٪ عام ١٩٩٤م، هذا في الوقت الذي بلغت فيه نسبة الأمية في إسرائيل ١٢.٢٪ عام ١٩٧٠م، انخفضت إلى ٦٪ عام ١٩٨٨م ثم إلى ٤.٣٪ عام ١٩٩٧م^(١).

وتحاول إسرائيل من جانبها أن تثبت أن وجودها في حياة عرب ٤٨ قد أدى إلى رقيهم الثقافي والتعليمي، فقد جاء في ورقة عمل "للمركز الإسرائيلي للديمقراطية" أن مستوى ثقافة عرب ٤٨ قد شهد تحسناً ملحوظاً، ففي إحصاء أُجري لهذا الشأن ثبت ارتفاع مستوى ثقافة عرب ٤٨ من ١.٥٪ في عام ١٩٦١م إلى ١٥.٣٪ عام ١٩٩٦م، إلا أن مستوى ثقافتهم أقل من مستوى ثقافة الطلاب اليهود^(٢).

أما على مستوى التعليم الجامعي، تشير ورقة العمل إلى ارتفاع مستوى التعليم لدى الطلاب العرب من عام ١٩٧٤م وحتى ١٩٩٧م بمقدار ٢.٣ في مرحلة الليسانس/بكالوريوس، وبنسبة ٢.٧ في مرحلة الدكتوراة، وهذا ما يوضحه الجدول رقم ٧^(٣).

وفيما يتعلق بالتعليم الجامعي وبالرغم من أنه اعتمد على إسهام القطاع الخاص الذي أقام جامعات على الأراضي الفلسطينية المحتلة منها في الضفة، فإن سلطات الاحتلال تعمل على تضيق الخناق عليه بأكثر من وسيلة، منها فرض الأوامر العسكرية التي تتنافي مع كافة الأعراف والقوانين الدولية مثل الأمر العسكري رقم ٨٥٤ الذي يهدف إلى الحد من حرية التعليم بجعل مصير هذا التعليم في يد ضابط التربية الذي يمنح الجامعات تراخيص مؤقتة

^(١) جاد، ص ١٩٢

^(٢) غبيزون (רות) وأبي-ريأ (عسאם)، השסע היהודי-ערבי בישראל: מאפיינים ואתגרים، נייר עמדה מספר 13، המכון הישראלי לדמוקרטיה، ירושלים، ניסן 1999، עמ' 53-56.

^(٣) שם، עמ' 53-56

للعمل، تجدد سنوياً ويعطي لهذا الضابط حق التدخل في القواعد المنظمة للجامعات ولوائحها سواء بالتعديل أو التغيير، كما يعطي لهذا الضابط وقائد الشرطة في المنطقة التي تقع فيه الجامعات، إقرار سياسة الجامعة وأنشطتها وطلابها وأساتذتها، وبموجب ذلك لا يحق لطلبة القطاع وعرب ٤٨ دخول الضفة إلا بتأشيرة خاصة^(١).

أما فيما يتعلق بالسيطرة على محتوى العملية التعليمية ومسارها في إسرائيل، فقد تم ذلك من خلال عدة سبل أبرزها:

- فرض تدريس اللغة العبرية إجبارياً على الطلاب العرب في الوقت الذي يكون تدريس اللغة العربية أمراً اختيارياً للطلاب اليهود، وذلك لأن تصريحات الكنيست وكتاب القوانين في إسرائيل يكونان بالعبرية، فالعبرية هي لغة الأغلبية وهي اللغة المستخدمة في التعليم وفي القرارات الرسمية للحكومة^(٢).

- اعتبار اللغة العربية لغة اختيارية في المدارس اليهودية. وذلك على العكس من اللغة العبرية التي تدرس باعتبارها لغة إجبارية في كل المدارس العربية^(٣)، حيث تدرس اللغة العربية حتى الصف الثالث، ثم تدرس العبرية ومعها الإنجليزية من الصف الرابع^(٤).

- السيطرة الإسرائيلية على جميع الأنشطة المدرسية من اجتماعات وأنشطة ثقافية ورياضية، والقيام بإغلاق الجامعات والمدارس واللجوء إلى استخدام القوة من قبل الجيش والشرطة لمنع أية محاولة اعتراض من قبل الطلاب، وقد شملت تلك السيطرة الإسرائيلية أيضاً التدخل في مناهج التعليم في المدارس العربية، وحذف أية إشارة معادية للحركة

^(١) جاد (عماد)، مرجع سابق، ص ١٩٣: ١٩٤

^(٢) ليش (أهرون): عורך، הערבים בישראל: רציפות ותמורה, הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס, המכון למחקר ע"ש הרי.ס.טרומן למען קידום השלום, האוניברסיטה העברית, ירושלים, 1991, עמ' 201

^(٣) رم (أوري): عורך, החברה הישראלית: היבטים ביקורתיים, ברירות, תל-אביב, 1993, עמ' 191

^(٤) שם, עמ' 50.

الصهيونية، إضافة إلى منع تداول بعض الكتب التي تتحدث عن الفكر الإسلامي وعن المجتمع العربي في فلسطين^(١).

• سعي سلطات الاحتلال إلى إخضاع التعليم في الأراضي المحتلة وعزله عن الثقافة العربية، حيث ألحقت النظام التعليمي في القدس بالنظام الإسرائيلي مباشرة بعد إعلان ضم القدس وفرضت سيطرتها على محتوى المناهج الدراسية من خلال عدة وسائل وطرق أبرزها:
أ. إخضاع التعليم للإشراف المباشر للحاكم العسكري وحذف كل ما يراه هذا الحاكم من مواد تمس بسلطات الاحتلال مع فرض تدريس اللغة العبرية^(٢).

ب. تدخل السلطات العسكرية في تفاصيل العملية التربوية في مدارس الضفة والقطاع بدءاً من تعيين المعلمين، والموافقة على بناء مدارس جديدة وتجهيزها، وانتهاء بتعديل المناهج الدراسية حسب رغبة الحاكم العسكري^(٣).

ج. إعادة توزيع الطلبة في المدارس الثانوية بطرق تعرقل سير العملية التعليمية^(٤).

د. إهمال مرحلة ما قبل المرحلة الابتدائية - رياض الأطفال - وعدم تطبيق إلزامية التعليم الابتدائي^(٥).

هـ. ممارسة الضغوط على أعضاء هيئة التدريس، وذلك باعتقالهم أو بمنع أعضاء هيئات التدريس الزائرين من العمل في جامعات الأراضي المحتلة إلا بعد التوقيع على وثيقة سياسية تتضمن العداء الصريح لمنظمة التحرير الفلسطينية^(٦).

و. الإغلاق المستمر للمدارس، حيث يلجأ الحاكم العسكري إلى إغلاق المدارس لفترات زمنية طويلة ومتكررة مما يعرقل سير العملية، فقد تم خلال عام ١٩٨٧م إغلاق

^(١) (سعد الدين، ص ١٤٨).

^(٢) (جاد، ص ١٩٣ - ١٩٤).

^(٣) (جاد، ص ١٩٣ - ١٩٤).

^(٤) (لمزيد من المعلومات انظر: التعليم في القدس، مؤسسة القدس الدولية، يناير ٢٠١٠م، نسخة إلكترونية، ص ٢٠-٥٢).

^(٥) (لمزيد من المعلومات انظر: التعليم في القدس، ص ٢٠-٥٢).

^(٦) (لمزيد من المعلومات انظر: المرجع السابق، ص ٢٠-٥٢).

الجامعات والمعاهد لمدد مختلفة تراوح إجمالها ٤٢٣ يوماً كان نصيب جامعة بيرزيت منها ١٣٧ مقابل ١٢٣ لجامعة بيت لحم و ٤٩ يوماً لجامعة النجاح ، وقد ازداد هذا الإغلاق خلال عام ١٩٨٨ بشكل عرقل أداء المؤسسات التعليمية^(١).

ويمكن من ذلك أن نخلص إلى أن المناهج التعليمية في إسرائيل يتنافى محتواها العلمي مع ميثاق اليونسكو الذي ينص على ضرورة جعل التربية وسيلة لتحقيق التفاهم والتعايش السلمي، وأيضاً تتعارض مع الوثيقة الصادرة عن اليونسكو عام ١٩٩١م حول "خطوط توجيهية ومعايير لتطوير وتقويم ومراجعة المناهج والكتب الدراسية المدرسية والمناهج التعليمية الأخرى في موضوع التربية الدولية من أجل تعزيز البعد الدولي في التعليم" الذي يوصي بضرورة تضمين المناهج التعليمية واحتوائها على مفاهيم المساواة بين الشعوب والحفاظ على السلام والتعاون مع الآخر ورفض الحرب والعنف والتأكيد أنه للجميع حق في الحياة وتقرير المصير^(٢).

- أصوات تنادي بالتعايش بين اليهودي والعربي :

بدأت تعلق أصوات في إسرائيل حول خلق سبل للتعايش مع الجانب العربي مثلما تعالت أصوات لخلق التعايش بين اليهود أنفسهم، حيث:

- يقول "לבד א-סלאם מנאסרה: عبد السلام مناصرة"^(٣) :

- "أؤمن بالتعايش بين اليهود والعرب، وفي نشاطي السياسي أسعى من أجل تحقيق هذا الأمر"^(٤).

^(١) للمزيد من المعلومات انظر: المرجع السابق، ص ٢٠-٥٢.

^(٢) وثيقة اليونسكو لعام ١٩٩١م، [http://www.unesco.org/new/ar/education/about-](http://www.unesco.org/new/ar/education/about-us/who-we-are/history/key-publications/)

[us/who-we-are/history/key-publications/](http://www.unesco.org/new/ar/education/about-us/who-we-are/history/key-publications/) ، متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢

إبريل ٢٠١٢م.

^(٣) هو الأمين العام للمجلس الصوفي الإسلامي الأعلى لبيت المقدس، وهو يدعو بالتسامح والتعايش بين الأديان إلا أنه لا يسعى للتعايش بين اليهود والعرب على حساب الحق الفلسطيني في الأراضي المحتلة -على العكس مما يقره الكاتب الإسرائيلي "יוסי מלמן: יוסי מלמן" في كتابه "הישראלים החדשים: מבט אישי על חברה בשינוי" عن لسان عبد السلام مناصرة.

^(٤) ملמן (יוסי)، הישראלים החדשים: מבט אישי על חברה בשינוי، ירושלים ותל-אביב: הוצאת שוקן، ١٩٩٣، ص ١٩٨.

- من هذه الأصوات كذلك أصوات المجندين في الجيش الإسرائيلي، فيقول "نال بيلو": "إنني لا أريد أكثر من حقي في الحياة أن أكل وأشرب وأرقص وأقرأ.. أعتقد أننا في حاجة للتعايش مع العرب.. ولكن ليس على طريقة اتفاقات أوسلو.. فهذه الاتفاقات كانت تفترض تقسيم الأرض وأن نعيش بجوارهم ولكن لا يرى أحد منا الآخر.. هم هناك في دولتهم ونحن هنا في دولتنا.. وقد يرى البعض أن ذلك حلاً مثاليًا ولكني أراه بلا معنى. حلمنا أن نعيش في هذه المنطقة وإذا لم نتعلم كيف نتعايش مع العرب، فإننا لن نستطيع العيش هناك. سنظل نعيش في خوف دائم. نعيش وسط دول عربية لديها لغتها وثقافتها وموسيقاها وتقاليدها المميزة.. إننا لا نعيش في أوروبا أو أمريكا.. خوفنا من العرب هو خوفنا من الآخر.. فكرة أنهم يريدون أن يدمرونا فكرة مضللة ليس هناك شر مطلق وحتى لو كان، فإن ذلك لا ينطبق على العرب وحدهم^(١).

- ويطرح الكاتب الإسرائيلي "دنييل بر-طل: ٦٧١٤٤ بر-٥٧" في كتابه "العيش مع صراع: לחיות עם הסיכסוך" بعض الحلول التي تساعد الجانب الإسرائيلي والجانب العربي على إنهاء الصراع القائم بينهما والعمل على خلق لغة للتفاهم والتعايش بينهما من خلال بعض الاقتراحات التي ستساعدهما في التغلب على آلام الماضي وخلق علاقات جديدة والتصالح بينهما، وتمثلت هذه الاقتراحات فيما يلي^(٢):

١. تقديم الاعتذار للآخر: يشير أغلب الباحثين على أن الاعتذار المتبادل من كلا الطرفين يعمل على إذابة كل آثار الماضي التي تقف عقبة أمام عملية المصالحة بشرط أن يكون هذا الاعتذار اعتذارًا رسميًا، ويضرب المثل بالاعتذار الرسمي الذي قدمته ألمانيا في يناير ١٩٧٧م للتشيك معترفة بالأحداث التي تعرض لها التشيك أثناء الحرب العالمية الثانية، في الوقت الذي قدمت فيه جمهورية التشيك اعتذارًا من جانبها على ما لحق من أضرار بالشعب الألماني بعد الحرب، فإذا حدث في مسيرة المصالحة بين اليهود الإسرائيليين والفلسطينيين هذا

^(١) حسن، ص ١١٢-١١٣.

^(٢) (دنيال بر-طل، לחיות עם הסיכסוך: ניתוח פסיכולוגי-חברתי של החברה היהודית בישראל،

הוצאת כרמל، 2007، עמ' 315-326

النوع من الاعتذار المتبادل فإنه سيؤثر بشكل إيجابي على العلاقات بينهما، فهو يرى أن الاعتذار، سواء قبل إيجاد حل لهذا الصراع أو أثناء مسيرة عملية السلام أو بعدها قد يعمل على منع الأضرار الناجمة عن هذا الصراع.

ولعل أحد جوانب هذا الاعتذار هو الاعتراف بأخطاء الماضي والتقصير، حيث يقول "אריה נאור: أرييه ناؤور"^(١) : "يبدو لي أن الطابع المميز لدولة إسرائيل، إذا تأملناه من ناحية الأداء الحكومي، هو الاهتمام بصغائر الأمور وإهمال الأمور المهمة... فلمرة واحدة فقط انعقدت جلسة الحكومة لمناقشة قضية "عرب إسرائيل"، نهاية فترة وايزمان - وبداية فترة أرنس، المعينون من أجل معالجة هذا الأمر. ومنذ ذلك الحين، لم تطرح الحكومة هذه القضية على طاولة النقاش خلال أربعين عامًا. وثمة قرارات اتخذت، ولكن دائمًا ما تتعلق بأمر خطير حدث للتو ولا بد من البت فيه دون المحاولة لاستنتاج النتائج استنادًا إلى افتراضات مبنية على حقائق وعلى تقدير المواقف"^(٢).

٢. تشكيل لجان من أجل المصالحة: وتقوم هذه اللجان بالبحث وراء أحداث الماضي، لتشكيل فريق يعمل على خلق شعور حقيقي بين الطرفين الخصمين من أجل التصالح، الأمر الذي يساعد على تشكيل ذاكرة جديدة للطرفين. ويشير إلى وجود مثل هذه اللجان في أفريقيا والأرجنتين والسلفادور والأوروغواي ورواندا.

٣. دفع التعويضات.

٤. كتابة تاريخ مشترك لطرفي النزاع: فقد قامت منظمة "أبحاث السلام في الشرق الأوسط" بعمل مبادرة عام ٢٠٠٢م من أجل إقامة مشروع لتطوير مناهج التعليم التي تضم

^(١) هو أستاذ دكتور في جامعة بن جوريون في النقب. من أشهر كتبه: ארץ ישראל השלמה - אמונה ומדיניות: إسرائيل الكبرى- الإيمان والسياسة.

...http://web.bgu.ac.il/som/PublicDep/Staff/Academic/Arye_Naor.html

(صفحة الكاتب الشخصية على موقع الجامعة على الإنترنت)، متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ إبريل ٢٠١٢م.

^(٢) (ليבוביץ (ישעיהו)، עם, ארץ, מדינה יהדות, היסטוריה ואקטואליה, ירושלים: הוצאת שורשים, 1992, עמ' 95-96

معلومات حول الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني المتعلقة بالصراع بينهما، وذلك عن طريق عمل ورش عمل تجمع ستة مدرسين فلسطينيين مع ستة مدرسين إسرائيليين كي يطوروا كتاب مادة التاريخ ليضم منهجاً مشتركاً يتم تدريسه في مدرستين فلسطينية وإسرائيلية.

٥. توظيف وسائل الإعلام: بحيث تكون ثمة قناة تعمل على نشر مبادئ السلام والحث على التصالح والتعايش معاً، وهذه المبادئ تصل للجمهور من الطرفين.

٦. إذاعة المقابلات: التي تتم بين زعماء الطرفين؛ وذلك لأن العديد من الأبحاث أثبتت أن اللقاءات السرية بين القادة يكون لها أثر سلبي على الجمهور بحيث تزيد حدة الصراع.

٧. تفعيل دور الأحزاب الحكومية: في عملية السلام، والتي لها قدرة كبيرة في توصيل رسالة التعايش والتصالح بين الطرفين المتنازعين عن طريق الدعم المالي.

٨. إنشاء مشروعات مشتركة في مختلف المجالات.

٩. تنشيط السياحة: حيث تعمل على خلق الثقة بين الطرفين، فليس من الممكن أن يسافر أحد إلى مكان لا يشعر فيه بالراحة والثقة.

١٠. التبادل الثقافي: وذلك من خلال ترجمة الكتب، والأفلام ومن خلال برامج التلفزيون.

١١. وضع سياسة تعليمية تحقق التقارب بين الطرفين: فمما لاشك فيه أن التعليم يُعد أحد الطرق المهمة في دفع مسيرة التصالح النفسي بين الأطراف المتنازعة، فإرساء مبادئ السلام داخل الطلاب من خلال التعليم يساعد على بناء شخصيتهم.

بل والأكثر من ذلك، أن ثمة محاولات من مؤسسات بحثية داخل إسرائيل وخارجها بالتعاون مع مؤسسات إسرائيلية دراسة بُدلت لدراسة الوضع الذي وصل إليه اليهود والعرب وذلك في شكل أبحاث واستطلاعات للرأي موثقة، وإخراج هذه النتائج للرأي العام كي تضع المجتمع بأسره في إسرائيل أمام حقيقة العلاقات بين الطرفين ومستقبلها.

وفي دراسة أجرتها " تمار هرمان: تמר הרמן^(١) " و "إفرايم يعر- يوكتان: אפרים יער-יוכטמן" بعنوان "השפעת הדת על השיח בנושא הסכסוך הישראלי-ערבי: تأثير الدين على الحوار في شأن الصراع الإسرائيلي-العربي" وذلك لمعرفة مدى تأثير الدين على لغة الحوار في قضية الصراع العربي-الإسرائيلي، اتضح أن الصراع بين المتدينين والعلمانيين يلعب دورًا مهمًا في مسار هذه القضية، فمن خلال استطلاع لرأي المجتمع اليهودي الإسرائيلي بمختلف انتماءاته "علمانيين ومتدينين... إلخ" خلال الفترة ما بين (١٩٩٤م - ١٩٩٧م) حول اتفاقيات أوسلو، ثبت:

"أن الحريديم هم أكثر الأطراف الإسرائيلية التي ترفض السلام والتعايش مع الجانب الفلسطيني بنسبة تصل إلى ١٠٠٪، بينما تميل الأحزاب اليسارية في إسرائيل بنسبة ٦٩.٨٪ إلى التعايش مع الفلسطينيين إلا أن الأحزاب اليمينية ترفض هذا التعايش بنسبة ٤٧.٩٪. ونظرًا لأن المجتمع الإسرائيلي ما بين مؤيد ومعارض للتعايش مع الجانب الفلسطيني، سواء على مستوى الأفراد أو الأحزاب، فإن هذا الأمر انعكس بشكل واضح في تدهور العلاقات بين المتدينين والعلمانيين - الأمر الذي ألقينا عليه الضوء في المبحث السابق^(٢) .

وقد قام مركز هارفرد كينيدي سكول: HARVARD Kennedy School

للأبحاث العلمية بإعداد تقرير باللغة الإنجليزية بعنوان "التعايش في إسرائيل: بحث قُطري- Coexistence In Israel" ترجم بعد ذلك للغة العبرية بمساعدة البروفيسور

^(١) هي أستاذة دكتور في قسم علم الاجتماع والعلوم السياسية والاتصال في الجامعة المفتوحة في إسرائيل. مجالات اهتماماتها البحثية: الاهتمام بالحراك السياسي والاجتماعي للسياسة الإسرائيلية وعمليات تسوية النزاعات وحركات السلام ونشاطاتها. درست في العديد من الجامعات داخل إسرائيل مثل: "جامعة تل أبيب والجامعة العبرية بالقدس" وخارجها مثل: "جامعة جورج ميسون، فيرفاكس بولاية فرجينيا" في الولايات المتحدة الأمريكية.

(الصفحة http://www.openu.ac.il/Personal_sites/tamar-hermannE.html ...)

الشخصية للكتابة على موقع الجامعة المفتوحة (الإلكتروني)، متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ إبريل ٢٠١٢م.

^(٢) (تמר) و يوكتان (أفرام يعر): عوركنم، יחסי דתיים-חילוניים בישראל: השלכות חברתיות ופוליטיות 27-28 בנובמבר، מרכז תמי שטינמץ למחקרי שלום، תל-אביב، 1998،

"سامي سموحا: Sammy Smooha": "١٦-كיום בישראל: מחקר ארצי"، كما ترجم كذلك إلى العربية والروسية. وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقات بين اليهود والعرب في إسرائيل، واعتمدت على أخذ عينة من كلا الطرفين (١٠٠٠ مواطن بالغ يهودي في مقابل ٧٢١ من عرب ٤٨).

طرحَت هذه الدراسة مجموعة من الأسئلة على عينة الدراسة من المواطنين اليهود ومواطني عرب ٤٨ بإجابات محددة لتقيس نسبة القبول والرفض عليها وذلك من أجل الوصول لنتائج قد تساعد في حل الصراع بين الجانب العربي والجانب اليهودي وكذلك في حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ونذكر منها^(١):

• إلى أي مدى تدعم التعايش بين اليهودي والعربي؟

"يجب أن تكون إسرائيل مجتمعاً يحترم فيه المواطنون العرب واليهود كلاً منهما الآخر وأن يكونوا متساويين في الحقوق".

جاءت إجابات الجانب العربي أن حوالي ٧٨.٥٪ يوافقون و١٥.٨٪ يميلون للموافقة في التعايش مع اليهودي، أي أن نسبة الموافقة قد تصل إلى ٩٤.٤٪ في مقابل ٥٪ نسبة الرفض. وترى الباحثة أن هذه النسبة الكبيرة من التأييد غير صحيحة إلى حد بعيد نظراً لأن عرب ٤٨ يرون في اليهود عدوًّا استولى على دولتهم وأراضيهم وبعد ذلك يرغب في التعايش معهم، وهو الأمر والمنطق غير المقبولين بل يرفضه أي عقل آخر بأن تكون نسبة الموافقة على العيش مع العدو تزيد عن الـ ٩٠٪.

أما إجابات اليهود جاءت أن حوالي ٥٧.٥٪ يوافقون على التعايش مع العربي وبنسبة ١٥.٥٪ يميلون للموافقة لتصبح النسبة الإجمالية ٧٣٪ في مقابل ٢٥.٦٪ ترفض هذا التعايش، وإذا افترضنا صحة هذه الدراسة فإن النتيجة النهائية توضح أن إقبال العرب على التعايش مع اليهود أكثر من إقبال اليهود أنفسهم على هذا التعايش.

• هل التعايش بين الطرفين له فوائد؟

^(١) op. cit., p2: 22.

أظهرت نتيجة هذا السؤال أن نظرة العرب نحو فوائد التعايش في مجال الاقتصاد والثقافة والأمن كبيرة مقارنة برأي اليهود، بينما ترى الأغلبية العظمى من اليهود أن التعايش مع العربي لن يوفر الجانب الأمني للجميع لذلك جاءت نسبة الرفض عالية لتصل إلى ٦٥.١٪.

• من هو المسئول عن تحقيق التعايش بين الطرفين (الأفراد أم الحكومة)؟

توضح دراسة "مركز هارفارد للأبحاث العلمية" أن العرب واليهود يتفقون على أن تحقيق التعايش بين الطرفين داخل المجتمع الإسرائيلي يعتمد على الأفراد أكثر من اعتياده على الحكومات، حيث جاءت النسب المثوية مؤيدة لذلك.

وفي كتاب "יחסי דת חברה ומדינה: תסריטים לישראל: علاقات الدين والمجتمع والدولة: سيناريوهات لإسرائيل" الذي جمع مادته "שלومو حاسون: שלמה חסון" (١) جاءت بعض السيناريوهات التي من المفترض حدوثها في إسرائيل حتى عام ٢٠٣٠م، ويشرح فكرة هذه السيناريوهات قائلاً إن السيناريو يعرض مستقبلاً ممكن حدوثه لكن لا يشترط الرغبة في حدوثه، فلا يوجد سيناريو "جيد" أو سيناريو "سيء"، فهو يضع تصورًا للتطورات الممكنة وكيفية التعامل معها في حالة وقوعها بالفعل (٢)، فهو يرى أن السنوات الأولى من الألفية ستكون غير مستقرة على المستوى السياسي، وأن مسيرة السلام ستتقدم ببطء لكنها لن تتوقف بشكل كلي، وكذلك سيحدث انقسام داخل صفوف الحريديم بشأن مسيرة السلام. إضافة إلى ذلك فهو يضع بعض التصورات المستقبلية الأخرى مثل (٣):

(١) أستاذ الجغرافيا. عمل في الجامعة العبرية في الفترة من ١٩٦٦م إلى ١٩٧٧م، ثم عمل في جامعة كاليفورنيا في الفترة من ١٩٧٧م إلى ١٩٧٩م هذا إلى جانب تقلده العديد من المناصب في الجامعات الإسرائيلية والأمريكية أيضاً. حصل على العديد من الجوائز منها: جائزة معهد القدس للدراسات الإسرائيلية عام ١٩٩٦م.

(٢) حסון (שלמה) עורך, יחסי דת חברה ומדינה: תסריטים לישראל, ירושלים: מכון פלורסהיימר למחקרי מדיניות, 2002, עמ' 43.

(٣) חסון, שם, עמ' 77-92, 75,73-89.

- بحلول عام ٢٠١٠ م، ستوقع إسرائيل اتفاقية سلام مع الجانب السوري الأمر الذي سيعيد العلاقات الإسرائيلية الإيرانية من جديد، إضافة إلى إخلاء الجولان على مراحل تستغرق ثلاث سنوات مع وقف نزيف العنف فيه.
- في الفترة من عام ٢٠١٠ م حتى ٢٠١٥ م ستصبح مدينة القدس أغلبها من المتدينين والحريديم.
- في الفترة من عام ٢٠١٥ م إلى ٢٠٢٠ م سيزداد التوتر بين المتدينين والعلمانيين، وعلى الرغم من تقدم إسرائيل في تلك الفترة فإنها ستعد دولة من دول العالم الثالث.
- بحلول عام ٢٠١٦ م، ستعرض إسرائيل لأزمة اقتصادية.
- ستعلو أصوات في عام ٢٠١٧ م ضد أحقية إسرائيل في الأرض، حيث سيتطور الأدب والشعر والسينما الإسرائيلية ويثبت فشل التجربة الصهيونية في خلق عالم جديد لليهود، وأنه لا مناص من العودة إلى الشتات ثانية.
- بحلول عام ٢٠٣٠ م، ستصبح إسرائيل دولة متعددة القوميات ومتعددة الثقافات. وستكون القرارات القومية في الأساس حول الجيش، البنية، إدارة أزمة المياه.
- سيُزوّج الحاخامات زواجاً مدنيّاً، مصحوباً بالطقوس "العبرية".
- **تدريس ثقافة التعايش بين اليهودي والعربي في إسرائيل:**

يرى الكاتب الإسرائيلي "دانييل بر-طل:" דניאל בר-טל" أن هذا الصراع سيظل متوارثاً للأجيال القادمة وذلك من خلال نظام التعليم ومزجه بسلوك المجتمع^(١)، ففي خلال عدة سنوات، اهتمت بعض الأبحاث بدراسة كيفية تقديم صورة العربي في الكتب التعليمية العبرية في إسرائيل، وفي بحث أجري عام ١٠٨٥ م، خلص الباحث إلى أنه حتى عام ١٩٣٠ م لم تتناول الكتب الدراسية صورة العربي خاصة في مادة "التاريخ"، وعندما بدأت تقدم هذه الأبحاث صورة العربي داخل المناهج التعليمية ظهر وكأنه أحد "مصائب الطبيعة:" לארץ

^(٢) (בר-טל, שם, עמ' 139.

טבע، وقد اضطر اليهود إلى التعامل معه في بناء مجتمعهم الجديد، وفي مادة التاريخ كان العرب يظهرون على أنهم "لصوص وأنذال وهمج ويمكن استغزائهم بسهولة الخ"^(١).

وذلك بالإضافة إلى قيام عدد من الخبراء في إسرائيل بتحليل مضامين مئات من الكتب الدراسية الإسرائيلية في تعاملها مع الآخر وتقديم صورته لتلاميذ المدارس، وركزوا في ذلك خاصة على الإنسان العربي المسلم وتاريخه وديانته^(٢).

فمنذ إقامة دولة إسرائيل وحتى سنوات السبعينيات، كانت الكتب الدراسية تتناول العربي بشكل سلبي للغاية؛ حيث تناولت المناهج التعليمية التي تم تأليفها بعد إقامة دولة إسرائيل مباشرة، (الجيل الأول من المناهج التعليمية) على أنها أرض فقراء وليست آهلة بالسكان، وكذلك تناولت سكانها من العرب على أنهم متوحشون ضعفاء جناء يميلون للعنف ولم يهتموا بالأرض، وأنه خلال هذه الفترة لم يستخدم واضعو المناهج مصطلح "فلسطين: פלשתינה" في الكتب الدراسية واستخدموا بدلاً منه "إسرائيل: ישראל" أو "أرض إسرائيل: ארץ ישראל"^(٣).

مع تصاعد ظاهرة العنصرية داخل المجتمع الإسرائيلي ومحاولات ترسيخ أسس الديمقراطية، خاصة في مجال التعليم، ظهر تساؤل حول "كيفية تعزيز وترسيخ الديمقراطية والتعايش بين اليهودي والعربي في المجتمع"، وقد أثار هذا التساؤل لغطاً كبيراً، وقد أدى إلى طرح المزيد من التساؤلات مثل: "هل نظام التعليم يجب أن يتعامل مع هذا الأمر؟ وكيف؟ وفي أي مرحلة من العمر؟ وما هي الموضوعات التي يمكنها أن تعالج هذه القضية"، والنتيجة الرئيسة جاءت لتؤكد أن هذا السؤال من اختصاص إدارة التعليم التي يجب أن تبذل

^(١) בר-טל، שם، עמ' 221 .

^(٢) أبو غدير (محمد محمود)، الحقائق المغيبة في قضية المناهج التعليمية في إسرائيل، مجلة القدس، مركز الإعلام العربي، القاهرة، العدد ٨١-٨٢ سبتمبر وأكتوبر، ٢٠٠٥م، ص ١٢٤.

^(٣) בר-טל، שם، עמ' 222 .

المزيد من الجهد لتطوير المناهج الدراسية، لتهدف إلى تناول الديمقراطية بشكل عام، والتعايش بين اليهودي والعربي بشكل خاص^(١).

ففي عام ١٩٨٣م، ولأول مرة في تاريخ دولة إسرائيل، حددت وزارة التعليم والثقافة خطوطاً أساسية لبرنامج "تدريس ثقافة التعايش بين اليهودي والعربي"، وأعلن عن مبادئ هذا البرنامج في الأول من فبراير لعام ١٩٨٤م^(٢).

وفي عام ١٩٨٥م، قام "يتسحاق نافون: לאהק נבון" وزير التعليم والثقافة الإسرائيلي آنذاك بوضع بعض الأهداف بشأن هذا الأمر، حيث يقول: "هدفنا هو ترسيخ مفهوم الديمقراطية بمعناها الداخلي العميق، وهو المساواة بين الجميع دون تفرقة في عرق أو جنس، أما تدريس ثقافة التعايش بين اليهودي والعربي فهو أمر مهم، قُدر علينا، بوصفنا أبناءً لإسحاق وإسماعيل، أن نعيش معاً في مكان واحد، الأمر الذي لا يمكن أن يتغير مع مرور الوقت. فعلينا أن نتعايش في سلام من أجلنا ومن أجل أبنائنا من بعدنا، لذلك فإن تدريس ثقافة التعايش بين اليهودي والعربي، من أجل كرامة الإنسان ومصيره تُعد من الأهداف المهمة لنظام التعليم في إسرائيل، كل مؤسسات التعليم ملزمة بتجنيد كافة جهودها - بشكل غير روتيني - في العملية التعليمية من أجل تحقيق تلك الأهداف". فهو يرى أن ترسيخ مبادئ الديمقراطية والتعايش في مناهج التعليم أساسه ترسيخ القيم^(٣).

والخطة التي اقترحها "يتسحاق نافون: לאהק נבון" عبارة عن مجموعة من الأنشطة التي لا تتعلق بالخطة التعليمية الأساسية، حيث تقدم بشكل متواصل ومحدد داخل الفصل الدراسي، فهي تعتمد على أن يستغل المعلم في المدرسة أو في الروضة فرصاً مختلفة لممارسة تلك الأنشطة مما يتيح الفرصة لوصول الرسالة التعليمية ولاستيعابها - فالطفل عندها يتعلم مبادئ الديمقراطية، ليس بالضرورة أن يتصرف بشكل ديمقراطي - لذلك، فعلى المعلم أن

^(١) (المכללה לחינוך ע"ש דור ילון, ילד יהודי-ילד ערבי: דו-קיום יהודי-ערבי כסוגיה בחינוך לדמוקרטיה בגיל הצעיר - לקט פעילויות למורה ולגננת, ירושלים, 1988, עמ' 7 .

^(٢) (הוכמן (רמי): עורך, חינוך לדו-קיום בין יהודים לערבים: מקורות עזר, יולי 1986, עמ' 1.

^(٣) (المכללה לחינוך ע"ש דור ילון, שם, עמ' 9 - 7 .

يبدل قصارى جهده حتى يستوعب الأطفال هذه المبادئ، فهم جزء من مجتمع يتمتع فيه الناس كافة بالحقوق وهذا الأمر ليس قاصراً على فئة السلطة الحاكمة فقط^(١).

ومن ناحية أخرى، استجاب معهد "فان لير" بالقدس، المختص بتنفيذ نشاطات متنوعة في مختلف الأنحاء في إسرائيل، إلى طلب وزارة التعليم والثقافة في تطوير نظام التعليم فيما يخص العلاقة بين اليهود والعرب داخل إسرائيل، وبين إسرائيل وجيرانها من العرب، وذلك من خلال دورات متخصصة ومقابلات تعليمية وخطط تعليمية كتدريس اللغة العربية باعتبارها لغة حديث ولغة أدبية، وكذلك من خلال عرض أفلام وشرائط فيديو وهكذا^(٢). وفيما يلي نلقي الضوء على كلا التجربتين بشيء من التفصيل:

أولاً: الملامح الأساسية لبرنامج "تدريس ثقافة التعايش بين اليهودي والعربي" - السبت ١ فبراير

١٩٨٤م^(٣) :

يحاول هذا النظام أن يرسخ في عقلية الطلاب اليهود والعرب في إسرائيل مجموعة من القيم:

• ضرورة وجود علاقات بين اليهود والعرب في إسرائيل على أساس من المساواة في المواطنة وفي نمط الحياة لبلد متعدد الثقافات.

• حاجة إسرائيل إلى تبادل العلاقات مع جيرانها العرب، ويُعد طرح هاتين النقطتين يُعد أمراً مهماً في نظام التعليم؛ وذلك لوجود ضرورة ملحة، وهي أن العرب سيظلون مواطنين داخل إسرائيل، وكذلك سيظل بجوار إسرائيل سكان من العرب، وتجاهل هذين الأمرين في مجال التعليم من شأنه أن يرسخ داخل الجيل الشاب الجهل والشعور بالاغتراب لكل الأمور التي ستواجهه.

• ألا توصف العلاقات بين إسرائيل والعرب بمصطلح "٦١٥٥٥: الصراع" فالتناقض بين اليهود والعرب المبني على أساس أنهم أعداء لا يشكل الجانب الوحيد للعلاقة بينهما، بل

^(١) (المכלلة לחינוך ע"ש דוד ילון, שם, עמ' 9 .

^(٢) (רמי הוכמן (עורך), שם, עמ' 1 .

^(٣) (הוכמן, שם, עמ' 3-5 .

لابد من إيجاد جوانب أخرى ترسم شكل العلاقة بينهما، مثل علاقة السلام مع الجانب المصري منذ عام ١٩٧٩م، وإقامة علاقات ثنائية بين البلدين في كثير من المجالات كالسياسة، وكذلك مع الأردن فمنذ عام ١٩٧٦م، توجد جسورٌ مفتوحة بين الطرفين؛ وذلك لأن الأردن تحافظ على توفير الهدوء على الحدود المشتركة بينهما.

- عرب إسرائيل هم مواطنون في الدولة وجزء لا يتجزأ منها، ويتمتعون بالمساواة في كافة الحقوق، حيث لابد من التفرقة بين العرب مواطني الدولة وعلاقاتنا بها، وبين الدول العربية التي نعيش وسطها على خلاف وصراع مستمرين.
- تعليم الطلاب تاريخ الشعوب العربية، لغتها وآدابها وثقافتها الماضية والحالية، وتدرّس الدين الإسلامي والدين المسيحي، تدرّس كل ما يخص اللغة العربية بنوعيتها: العامة والفصحى.

ويقول "إلغزر شموئيلي: אלילאזר שמואלי" المدير عام بوزارة التعليم والثقافة: إن هذه المبادرة لم تقدم للمدارس والمدراء والمعلمين فقط، إنما للمؤسسات التعليمية الأخرى، كالجامعات^(١).

ثانيًا: الخطة التي اقترحها "يتسحاق نافون":

وهذه الخطة يقترح تطبيقها على الأطفال من سن (٤-٩) سنوات، والسبب أنه لا يمكن طرح هذه القضية على أطفال أصغر من هذه السن، بالإضافة إلى أن الأطفال في هذا العمر تحديدًا لا تتكون شخصيتهم من خلال تجارب شخصية إنما من خلال ما يسمعون من الوسط المحيط بهم. فإذا سمعوا ذات مرة في هذا السن أمرًا كـ "לרבי מסריח: العربي نتן" أو "אני רוצה כדי להרוג לרבי: أشتهي قتل العربي" سيخلق بداخله شعورًا بالعنصرية نحو العربي. إلا أن اقتراحه أنه إذا أعطينا للطفل الفرصة ليتعرف على العربي بوصفه فردًا له قيمة، فبذلك ستخلق بداخله أساسًا إيجابيًا نحوه^(٢).

^١ (הוכמן, שם, עמ' 6-7 .

^٢ (המכללה לחינוך ע"ש דוד ילין, שם, עמ' 9-10 .

هذه الخطة التي وضعها "يتسحاق نافون" اشترك في تنفيذها معهد فان لير بالقدس الذي قدم العديد من الأبحاث حول إشكالية "التعايش"، ومركز تعليم (عرب إسرائيل)، بحيث يكون الصف الأول والصف الثاني في مدرسة "ארגונייה: أرجنتينا" بالقدس هما العينة التي سيطبق عليها هذه الخطة. إضافة لما سبق، فإن الوالدين يلعبان دورًا مهمًا في تنفيذ هذه الخطة، لذلك لا بد من وجود حلقة وصل معهم حتى يستوعبوا تفاصيل الخطة بأنها لا ترسخ أفكارًا حزبية، وإنما ترسخ قيم مجتمعية عالمية^(١).

أنشطة هذه الخطة تنقسم إلى الأنواع الآتية:

- القصص: סיפורים.
- الألعاب: משחקים.
- الأفلام: סרטים.
- أنشطة للتعرف على الجار العربي: פעילויות להכרת השכן הערבי:
- معجم عبري - عربي للكلمات المتشابهة: מלון עברי-ערבי למילים אחיות.
- لقاء شخصي: פגישה אישית.
- تبادل خطابات: חליפת מכתבים.

١- القصص: סיפורים:

- توجد معايير خاصة بناءً عليها يتم اختيار هذا النوع من قصص الأطفال التي تدعو للديمقراطية والتعايش هي^(٢):
- قصص تساهم في توضيح ضرورة التعامل مع الآخر بوصفه إنسانًا وأن نتبادل الرأي معه.
 - قصص وأشعار تثير قضية الهوية، لمن يشعر أنه غريب، "وضيع" أو أي شيء من هذا القبيل.
 - قصص تتناول بشكل مخيف ما يثير الشخص الغريب، غير المعروف "مجهول الهوية".

¹ () המכללה לחינוך ע"ש דור ילון, שם, עמ' 10-11 .

² () המכללה לחינוך ע"ש דור ילון, שם, עמ' 12-13 .

- قصص تتعرض للصور الإنسانية غير النمطية من أبناء الشعوب المختلفة.
 - قصص لمؤلفين عرب عن الأطفال وعن صورة الآخر من أبناء الشعب العربي.
 - قصص توضح العلاقة بين الخوف والتفكير غير الموزون.
 - قصص تتناول حالات من عدم المساواة بين البشر.
- وهناك عدة أسباب تجعل من القصص أحد العناصر المهمة التي تساعد على ترسيخ أي مفهوم عند الطفل في عمر ما بين (٤-٩)، فيرى "يسرائيل كاتس: ישראל כץ"^(١) في بحث له نشر بعنوان "רגשות וסיפורים מלולים: المشاعر التي تظهرها القصص"، أن القصص تتمتع بعدة عوامل تجعلها من أهم العوامل التي يعتمد عليها كتاب أدب الطفل في ترسيخ قيمة فكرية معينة، وترجع هذه العوامل لما يلي^(٢):
- حب الأطفال للقصص.
 - من خلال القصص يمكن توصيل رسائل مركبة لها أكثر من مغزى.
 - تشكل القصص حافزاً مهماً في خلق حالة حوار أو نقاش حول قضايا تخص المجتمع.
 - تتيح القصص للأطفال "الخروج من القمقم"، إلى "العالم الخارجي"، حيث المعرفة، والمشاعر التي تتعلق بالعربي أو بأي إنسان آخر.
 - تتيح للأطفال الفرصة لتكوين تجربة صحيحة، بشكل موثوق فيه وليس بشكل تقليدي.

^(١) كان عضواً في الكنيست الإسرائيلي في دورته الرابعة عشرة (١٨ نوفمبر ١٩٩٨م - ٧ يونيو ١٩٩٩م) حتى دورته الثامنة عشرة (٢٤ فبراير ٢٠٠٩م). شغل منصب وزير الزراعة وتنمية القرى في الحكومة الثلاثين (٢٨ فبراير ٢٠٠٣م: ١٤ يناير ٢٠٠٦م) وعمل وزيراً للنقل وسلامة الطرق في الحكومة الثانية والثلاثين (٣١ مارس ٢٠٠٩م).

http://www.knesset.gov.il/mk/heb/mk.asp?mk_individual_id_t=69... (معلومات)

عن "ישראל כץ: يسرائيل كاتس" على الموقع الرسمي للكنيست الإسرائيلي على شبكة المعلومات الدولية، متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ إبريل ٢٠١٢م.

^(٢) המכללה לחינוך ע"ש דוד ילין, שם, עמ' 14-15.

ويضيف كاتس قائلاً: "القصص الجيدة تخلق لغة حوار كثيرة بداخلنا...تجعلنا نتعرف على آراء لم نعرفها من قبل".

ويوجد العديد من قصص الأطفال التي تعالج ثقافة التعايش مع العربي، نلقي الضوء على نماذج منها على سبيل المثال لا الحصر^(١): "شقة للإيجار: דירה להשכיר" تأليف "لينا جولديرج: לנאה גולדברג"^(٢):"

• ملخص القصة:

تدور أحداث هذه القصة في شقة داخل بيت مشترك، حيث يترك الفأر المستأجر السابق لإحدى شقق هذا البيت ليتنقل إلى بيت آخر، وتصبح شقته معروضة للإيجار. في شقق البيت الأخرى تسكن حيوانات (الدجاجة، السنجاب، القطة، وقواق). ومع مرور أحداث القصة تظهر على مسرح الأحداث حيوانات أخرى (النملة، الخنزير، البلب، الأرنب) حتى يستأجروا الشقة. يتنافس الجميع في الحصول على تلك الشقة لكن تظهر عيوب في الشقق الأخرى ولم يخف الأبطال من التعبير عن انطباعاتهم بشكل لاذع ومؤثر. وفي النهاية تقرر الحماة أن تستأجر الشقة، فعلى الرغم من أنها لم تكن سعيدة بهذا المبنى، إلا أن السكان يعجبونها جداً.

• أهداف القصة:

- تنمية الشعور بالقدرة على كشف الشيء الجيد الإيجابي سواء في شيء ما أو في شخص ما.

^١ (המכללה לחינוך ע"ש דור ילון, שם, עמ' 17-22 .

^٢ (هي شاعرة وكاتبة ومترجمة. عاشت في الفترة (١٩١١ - ١٩٧٠). وبعد هجرتها إلى إسرائيل، قامت بنشر أعمال أدبية تهتم بالأطفال من خلال جريدة رسمية نقدية خاصة بالأدب والفن. ومن أشهر أعمالها: ידידי מרחוב ארנון: أصدقاء من شارع أرنون- أربع قصص (1943)، והוא האור: وهو النور- رواية (1946)، שבעת הערבים: الغريب السبعة (1950) .

החידשה: قاموس الأدب العبري الحديث- موقع خاص بأشهر الأدباء في إسرائيل)، متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ إبريل ٢٠١٢م.

- تقبل الآخر والتسامح معه.

• النشاطات:

بعد أن سمع أطفال الصف الثاني هذه القصة، لعبت المدرسة لعبتين مع الأطفال:

- الأولى: أحضرت مجموعة من النظارات ذات اللون الزهري واللون الأسود، وطلبت من الأطفال أن يعبروا عن رأيهم فيما يحيط بهم. فعندما وضعوا النظارات السوداء على أعينهم كان رأيهم فيما حولهم "سلبى - كل شيء سيء..." ولكن عندما وضعوا النظارات الزهرية اللون على أعينهم كان رأيهم "إيجابي، متفائل، في كل ما يحيط بهم من أشياء وأشخاص".

الثانية: أنها طلبت منهم أن يضعوا أنفسهم مكان كل فرد من أفراد القصة ويقولون ماذا يشعرون تجاهه وتجاه مواقفه وجاءت آراء الطلاب متباينة عندما طُرحت عليهم بعض الأسئلة، وذلك على النحو التالي: "ما رأيكم في هذه القصة؟ هل هي قصة حول الحيوانات أم أنها حول أمر آخر؟

أوفير : لكل واحد من أبطال القصة رأي سلبي يخص

المستأجرين، الذين جاءوا ليؤجروا الشقة.

شلومي : نفس المستأجرين، الذين لم ينالوا رضا الآخرين،

رأت الحمامة أنهم طيبون

عنت : لقد رأت الحمامة المستأجرين من خلال نظارة

وردية اللون.

كيرين : هذه القصة مثل اللعبة التي لعبناها "نظارات

سوداء ونظارات وردية اللون"

أوريت : الحمامة رأت الجوانب الحسنة

وترى الطالبة أن هذه القصة على سبيل المثال، واحدة من قصص كثيرة تناقش مفهوم التعايش عند الأطفال، وذلك من خلال ترسيخ مبدأ "لا تنظر إلى نصف الكوب الفارغ..."

انظر إلى النصف الممتلئ"، فإذا نشأ الطفل منذ نعومة أظافره على نظرة التفاؤل نحو كل ما يحيط به، فعندما يكون شاباً سيثقل مجتمعه بالقيم التي تربي عليها ويصلح من حاله.

بعد ذلك طلبت المعلمة أن يجسد الأطفال هذه القصة بحيث يقومون بدور الحيوانات ولكن بوصفهم أشخاصاً موظفين يعملون ويسكنون في منزل مشترك. وقام الأطفال ببناء هيكل لهذا المنزل. ثم دعت باقي الأطفال كي يستأجروا الشقة الفارغة، وكان لكل منهم تعليق خاص، فمنهم من كان له رأي متطرف بعض الشيء في استئجاره لهذه الشقة، ولكن سرعان ما يرد عليه زميله قائلاً "לאנצו! יאנצו!" واصفاً إياه بالعنصرية. وهناك من يرفض استئجار الشقة، لوجود شخصين غير مرغوب فيهما من بين السكان، ويأتي الرد من طفلة أخرى بأن يتم ترحيل هذين الشخصين غير المرغوب فيهما لأنهما من العرب، ثم تطرح المدرسة سؤالاً:

- "فلنطرد العريين إذن، ولكن بعد طردهما هل ستستأجر هذه الشقة؟"

- "فيرد طفل آخر: "ولماذا نطرد العرب فهما طيبان!"

هذه التجربة البسيطة عند تطبيقها مع الأطفال في إسرائيل في محاولة لتقبل الآخر العربي والتعايش معه، وفي الوقت نفسه يدرس في مناهجه التعليمية أمراً متناقضاً تماماً حول صورة العربي البغيض والكريه كما سبق وذكرنا في جزء التمييز، فإن ذلك لا بد أن يؤثر على البنية الأساسية لشخصية هذا الطفل فيعاني من صراعات داخلية لا يستطيع أن يحسمها عندما يصبح رجلاً وصاحب قرار، فهل يبقى على المفاهيم العدوانية والصهيونية التي تزرعها إسرائيل في الأطفال من خلال المناهج التعليمية ضد العربي، أم يتعين عليه التعايش معه.

"السيد كف والسيدة نكودا: מר קו וגברת נקודה" تأليف "حجيت بنزيان: חגית

בנזיאן^(١):"

(١) ولدت في تل أبيب عام ١٩٤٠م. وهي شاعرة وكاتبة وأغلب أشعارها للأطفال تتناول مسألة أحداث النازي ما بين عالم الأطفال وعالم الكبار البالغين. من أشهر أعمالها: (כשאבא היה קטן: عندما كان أبي صغيراً (1983)، שירי לידה: أغاني الميلاد (1984)، כשנוסעים לארץ אחרת: عندما سافرنا لأرض أخرى (1985)، מי צחק אחרון: من يضحك أخيراً (1986)، הורים משגעים: أباء رائعون (1996).

החדשה: قاموس الأدب العبري الحديث- موقع خاص بأشهر الأدباء في إسرائيل، متاح على شبكة المعلومات العالمية في ٢ إبريل ٢٠١٢م. <http://library.osu.edu/sites/users/galron.1/01547.php> ... (לקסיקון הספרות העברית

• ملخص القصة:

"كف ونكودا: קו ונקודה" منذ أن تقابلا، أحبا بعضهما البعض وقررا الزواج إلا أن هذا القرار قوبل بمعارضة شديدة من قبل أسرة "كف"، خاصة والده الذي يتمتع بآراء قديمة. فهو يرى أن "نكودا" مخلوق وضع لأنها غريبة "من الأغيار".

هذه القصة قد تعطي إيحاء بأن زواج اليهودي من العربية كان في الماضي مرفوضاً، أما اليوم فإذا قرر الطرفان الزواج فإن الأمر لا يمثل أية مشكلة سوى اعتراض الأسرة اليهودية. وعند قص هذه القصة على الشريحة التعليمية، أطفال الصف الثاني: كما سبق ذكره، فإن المعلمة رأت أن يقص الأطفال هذه القصة على آبائهم، وأن يقول كل طفل ما رأي والديه فيها وبماذا نصحاه. فكانت ردود الفعل متباينة، فهناك أطفال لم يعارضوا هذه الفكرة مطلقاً مؤيدين ذلك تحت مبدأ "أنهما أحبا بعضهما البعض"، ومنهم من اعترض بشدة على هذا الزواج لأن "كف" لم يحسن الاختيار، فقد اختار من الأغيار وليس من شعبه. وهناك طفل آخر عبر عن رأي والديه اللذين رفضا زواج ابنتهما من "أشكنازي" فكيف له أن يقبلا الزواج بالعربية أو عربي.

بعد ذلك قامت المعلمة بطرح الموضوع من زاوية مختلفة، وهي: أن الفتاة العربية "نكودا" كانت تعاني بالفعل من الحزن واليأس كما وصفها والد "كف"، فهل من الممكن أن يعطيني أحدكم أمثلة أخرى مشابهة لهذا الوضع. وإذا وحدث وتزوجا، فهل من مشاكل سيواجهونها؟".

"ميخي أفطيحي: מיכי אפטיחי" تأليف "نيرا هارثيل: נירה הרצל":

تدور حول صداقة بين عربي ويهودي تعترض عليها الأسرة اليهودية لأن العربي يلعب مع الأشرار.

من القصتين السابقتين إلى جانب (باقي القصص التي تضمنها مشروع يتسحاق نافون^(١)) نخلص إلى أن مبادئ التعايش التي ترسخها هذه القصص تعلم الطفل اليهودي أن يتقبل الآخر العربي لكن دون أن يكون معه أدنى علاقة "زواج حب أو صداقة... الخ".

^(١) (لمزيد من المعلومات حول هذه القصص، انظر: המכללה לחינוך ע"ש דוד ילין, שם, עמ' 37

٢- משחקים: الألعاب^(١) :

• "لعبة أغلبية وأقلية: רוב ומיעוט":

تهدف هذه اللعبة إلى ترسيخ مبدأين لدى الأطفال:

- مبدأ الأغلبية: وهم يفوزون بالعديد من الجوائز في نهاية اللعبة، ويكونوا الطرف الأقوى، كما يقسمون جوائزهم مع من كان من الأقلية.
 - مبدأ الأقلية: وهم الخاسرون في اللعبة.
- وفي نهاية اللعبة وبعد أن يشترك الصف بالكامل فيها تسأل المعلمة الأطفال بعض الأسئلة:

- كيف كان شعورك عندما كنت مع الأغلبية/ مع الأقلية؟
- هل تفضل أن تكون مع الأغلبية/ مع الأقلية، ولماذا؟
- هل قرار الأغلبية يسمح بوجود الأقلية أم لا يسمح، وما هو الأصوب من وجهة نظرك؟

وتوجد قاعدة مهمة في هذه اللعبة ألا وهي: "إذا رفض طفل في فريق الأغلبية أن يقتسم هديته مع فريق الأقلية، فإن المعلمة يمكنها أن تقسم الفرق من جديد وسيكون هذا الطفل في فريق الأقلية ليحرب أن يكون من الأقلية. ويلاحظ أن كافة الأنشطة السابق ذكرها تعتمد على وجود معلمة سيده وليس رجلاً بحيث تلعب دور الأم في تربية الابن وترسيخ بعض القيم في ذهنه منذ نعومة أظافره".

بالإضافة إلى لعبة "أغلبية وأقلية" توجد ألعاب أخرى مثل:

• لعبة: "من يجب ماذا؟ מי אוהב מה؟"

• لعبة: "أنا هكذا، وأنت آخر: אני כזה, אתה אחר."

٣- الأفلام: "أفلام قصيرة: סרטונים" (٢) :

^(١) (שם, עמ' 38-43 .

^(٢) (שם, עמ' 44-51 .

وهما فيلمان طبقاً لما جاء في خطة "يتسحاق نافون":

בלבוק: בלבוק

בوتقة الصهر:

أولاً: "בלבוק בלבוק": فيلم رسوم متحركة بالألوان ومدته سبع دقائق ونصف^(١) :

هذا الفيلم القصير تدور أحداثه حول حرب دائرة بين "فريق الدوائر: קבוצת לאגולים" و "فريق المربعات: קבוצת ריבועים" ولكل شخصية من شخصيات هذا الفيلم يدان وقدمان ولها القدرة على الكلام.

وتتسم هذه الحرب بين الفريقين بتغير صورة كلا الفريقين إلى صورة واحدة - فأصبحوا بعدها سعداء. وفي النهاية، يبدو الفريقان صورة واحدة، شخصية واحدة - وهي المثلث، أي اخترعوا لغة جديدة.

يوضح هذا الفيلم معاناة الحرب وكيف يصبح الحال بعد التخلص من هذه المعاناة من خلال اتفاق الأطراف المتخاصمة والتعايش بينها.

وقبل عرض هذا الفيلم، تقول المعلمة للأطفال أن هذا الفيلم قصير جداً وذلك حتى يحددوا منذ بدايته مَنْ يحارب مَنْ، وبعد مشاهدة الفيلم، يعبر الأطفال عن مشاعرهم وفقاً لبعض الأسئلة:

- ماذا حدث بالفيلم؟
 - لماذا تقاتلوا؟
 - ما الذي أحببتموه في هذا الفيلم؟ وما شعوركم تجاهه؟
 - ما الذي أغضبكم؟
 - هل يوجد مثل هذه الحروب بين الأطفال؟
- وبعد عرض الفيلم، طلبت المعلمة من الأطفال أن يقصوا، أو يرسموا حرباً أو قتالاً أو أي شيء من هذا القبيل. ومن حوار المعلمة مع الأطفال يتطرق الحديث إلى الحروب مع العربي، وتسألهم:

¹ (שם, עמ' 44-48 .

- "لماذا توجد حرب مثل هذه مع العرب؟"

- فيرد الأطفال:

* "لأنهم متساوون معنا".

- المعلمة: "هل هم متساوون معنا؟"

* "نعم".

* "لا".

* "ليس بالضرورة أن كلهم متساوون معنا".

* "هناك عرب طيبون وهناك عرب سيئون".

ثانياً: "بوقة الصهر: دور היתוך" فيلم رسوم متحركة ملون مدته سبع دقائق^(١) :

تدور أحداث هذا الفيلم القصير حول صراع دائر بين فريقين، الفريق الأول هو فريق الأغلبية، والثاني هو فريق الأقلية. وكالعادة تطرح المعلمة مجموعة من الأسئلة حول "ما هو موضوع الفيلم؟"، هل أمر كهذا يمكن أن يحدث على أرض الواقع بين البشر؟ وتتفاوت إجابات الأطفال.

أنشطة للتعرف على الجار العربي: فعاليات להכרת השכן הערבי (٢) :

حدد هذا النموذج أن تكون أولى الخطوات في التعرف على العربي من خلال الحوارات والقصص، مثل "هدية لعيد ميلاد: מתנת ליום הולדת"، "رحلة إلى أرض المطر: מסע לארץ הגשם". وفي هذا المجال توجد أنشطة أخرى للتعرف على العرب منها:

- عمل قاموس عبري - عربي للكلمات المتشابهة.
 - عقد مقابلات بين الطلاب اليهود والطلاب العرب من غير اليهود.
 - تبادل الرسائل الكتابية والرسومات بين الطلاب.
- والهدف من ذلك هو محاولة تقريب الأطفال اليهود من جيرانهم العرب ومن اللغة العربية.

¹ (שם، עמ' 48-51 .

² (שם، עמ' 52- 62 .

وقد أدت تلك المحاولات سابقة الذكر إلى ظهور منظمات وهيئات ومؤسسات تدعو لوجود تعايش بين اليهودي والعربي غير اليهودي من خلال ترسيخ مفاهيم وقيم التعايش بينهما عن طريق تطوير الأنظمة التعليمية والمناهج الدراسية، وبجانب هذه المؤسسات والهيئات والمراكز السابقة، ظهرت بعض الدورات التدريبية التي تعمل على إعداد كوادر قادرة على التعايش مع العربي غير اليهودي داخل إسرائيل باعتباره مواطن إسرائيلي. كما بدأ عدد كبير من المتخصصين في شئون العلاقات العربية-الإسرائيلية الإعلان عن أنفسهم في وسائل الإعلام وعبر الصحف والمجلات لتقديم دروس تأهيلية ودورات متخصصة في تعليم كيفية التعامل مع العربي وكيفية التعايش معه في إطار مجتمع واحد متعدد القوميات.

على الرغم من مبادرة وزارة التعليم في إسرائيل بطرح اقتراح حول تغيير المناهج التعليمية في المدارس، في نهاية السبعينات، وعلى الرغم من حدوث تطوير داخل المناهج الدراسية، إلا أن صورة العرب ظلت كما هي ذات طابع سلبي وهمجي، فالكتب التعليمية الخاصة بمادة الجغرافيا لطلاب المدارس الابتدائية والإعدادية تتناول السمات السلبية للعرب خاصة فيما يتعلق بأحداث الماضي، فيظهر العرب همجيين، أوساخ، عدائين وأعداء لليهود^(١).

ويكشف "دانييل بَرتل" عن الدوافع من وراء توجيه المناهج الدراسية الإسرائيلية لتشويه صورة الإنسان العربي بالقول: "بأن ذلك يعود إلى البحث المستمر عن بنية نفسية تحتية تساعد المجتمع الإسرائيلي على الصمود في وجه العربي الذين يعتبرونه العدو الرئيس للدولة". ومن هنا يؤكد "دانييل بَرتل" أن الأسس التي تقوم عليها المناهج الدراسية المطبقة في إسرائيل تدعو إلى التركيز على عقيدة استمرارية الصراع مع الآخرين، وإبراز أهمية الجيش باعتباره ضامناً للأمن الإسرائيلي، وهذا تطلب في نظره عدم الاهتمام بتعميق ثقافة السلام بين الدارسين الإسرائيليين، أو تقديمها في صورة غامضة ومبهمه^(٢).

^(١) (لابر-تل، عم' 226-223).

^(٢) (أبو غدير، مرجع سابق، ص ١٢٧).

ويترتب على ما سبق ترسيخ ثقافة جديدة تمامًا لدى الجيل الشاب في إسرائيل من خلال المناهج الدراسية، ليست بثقافة صراع أو ثقافة تعايش، إنما ثقافة الخوف، حيث لعبت المناهج الدراسية الإسرائيلية دورًا مهمًا في ترسيخ نزعة الخوف لدى الأجيال الشابة حول الصراع العربي-الإسرائيلي خاصة في سنوات الخمسينيات وحتى السبعينيات من القرن العشرين، حيث كانت تركز على عزلة اليهود، ومعاداة السامية، والتهديدات بتدمير إسرائيل والحرب التي يشنها العرب ضدهم، أحداث النازي... الخ. كذلك تتعرض الكتب الدراسية الإسرائيلية للصراع العربي-الإسرائيلي من جانب واحد وهو جانب تشويه صورة العرب ورسمها على أنهم أعداء وهمج ويميلون لاستخدام العنف ضد اليهود ورغبتهم في تدمير إسرائيل، لذلك يرى "دانييل برطل" أن هذه الصورة السلبية للعربي خاصة في مناهج التعليم الإسرائيلية قد زرعت ثقافة الخوف في نفوس الطلاب^(١).

وفي كتاب جيل إيل الذي صدر في صيف ٢٠٠٥م، يدعو إلى الاستمرار في تعميق المعرفة بالجانب العربي على غرار ما فعله الآباء قبل إقامة الدولة حين حرصوا على تعلم اللغة العربية، وعلى دراسة سلوكيات وأنماط حياة عرب فلسطين والعرب عامة، انطلاقًا من مقولة: "إن بناء دولة يهودية في فلسطين لن يتحقق فقط بقوة السلاح بل أيضًا بإقامة علاقات عادية واتصالات مع هؤلاء العرب حتى يتسنى للدولة إعادة اكتشاف الشرق الأوسط من جديد، سواء في الأيام الحالية أو في المستقبل أيضًا"^(٢).

^١ (بر-سل, שם, עמ' 291: 292 .

^٢ (أبو غدير، مرجع سابق، ص ١٢٧-١٢٨ .

الخلاصة

توصل البحث إلى النتائج التالية:

- تقوم مناهج التعليم في إسرائيل بدور مؤثر وفعال في ترسيخ ثقافة العنف والكرهية، وبث الدعوة الصهيونية المعادية للعرب في نفوس التلاميذ.
 - منذ إقامة إسرائيل والسلطات الإسرائيلية تسعى إلى طمس الهوية العربية وتهويد كافة المعالم العربية والتراث العربي، وإزالة كل ما يربط العرب بجذورهم وتاريخهم خاصة في مجال التعليم، فاتجهت إلى حذف التاريخ العربي وكذلك التراث العربي من المناهج الدراسية، وأصبح لزاماً على التلاميذ العرب أن يدرسوا التاريخ والثقافة والتراث والديانة اليهودية.
 - ظهور أصوات منادية بالتعايش مع الجانب العربي، تأصلت في مناهج التعليم والأنشطة المدرسية المختلفة، يمكن من خلالها بلورت رؤية المجتمع الإسرائيلي من التعايش مع العرب إلى ثلاثة أقسام:
- أ. قسم يرى إمكانية الوصول إلى تعايش حقيقي ينتقل بإسرائيل من حياة الحرب غير الطبيعية إلى الحياة الطبيعية، وهذا القسم يضم الحركات والمنظمات التي تصف نفسها بدعاة السلام في إسرائيل، ولكن هذا التعايش مشروط بعدم التنازل عن مبادئ القوة والحرب باعتبارها أساس التعامل في حالة فشل إقامة علاقات بين اليهود والعرب من ناحية، وباعتبارها من الأدوات المهمة والضرورية لتحقيق سياسة الهيمنة على المستويات السياسية والعسكرية من ناحية أخرى.
- ب. القسم الثاني ينظر إلى ثقافة التعايش مع الجانب العربي على أنها مجرد هدنة لمراجعة حسابات القوة والضعف، واتخاذ خطوات الاستعداد اللازمة للمواجهة الجديدة.
- ج. القسم الثالث من المجتمع الإسرائيلي يتبنى موقفاً صريحاً وواضحاً، يتمثل في رفض التعايش. ويمثل هذا القسم اليمين المتطرف داخل إسرائيل والتيار الديني الحريدي. ولعل مبادئ القوة والحرب مع الجانب العربي هو العامل المشترك بين الأقسام الثلاثة.

- ظهور ثقافة الخوف لدى الجيل الشاب في إسرائيل؛ حيث لعبت المناهج الدراسية الإسرائيلية دورًا مهمًا في ترسيخ نزعة الخوف لدى الأجيال الشابة حول الصراع العربي-الإسرائيلي حيث كانت تركز على عزلة اليهود، ومعاداة السامية، والتهديدات بتدمير إسرائيل والحرب التي يشنها العرب ضدهم.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المراجع بالعربية:

■ المراجع:

- حسن (أحمد)، التمرد، القاهرة: دار أخبار اليوم، عدد ٤٦٥، ٢٠٠٣ م.
- أفيث (أفيثا)، المجتمع الإسرائيلي: صراعات وتوترات، ترجمة وتعليق: محمد أحمد صالح، مراجعة: محمد محمود أبو غدير، تقديم وإشراف: محمد خليفة حسن، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٦، ١٩٩٨ م.
- العرباوي (آمال)، نظام التعليم في إسرائيل، كلية التربية، بورسعيد، ب.ت.
- التعليم في القدس، مؤسسة القدس الدولية، يناير ٢٠١٠ م، نسخة إلكترونية.
- محمد (عبد العليم)، القضية الفلسطينية في مفترق الطرق، القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- جاد (عماد)، فلسطين الأرض والشعب: من النكبة إلى أوسلو، القاهرة: مؤسسة الأهرام - مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، ١٩٩٩ م.
- علام (عمرو عبد العلي)، المجتمع الإسرائيلي وثقافة الصراع، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧ م.
- منصور (منصور عبد الوهاب)، فتاوى الحاخامات: رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- سعد الدين (نادية)، الصهيونية والنازية وإشكالية التعايش السلمي مع الآخر، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.

■ المجلات:

- أبو غدير (محمد محمود)، الحقائق المغيبة في قضية المناهج التعليمية في إسرائيل، مجلة القدس، مركز الإعلام العربي، القاهرة، العددان ٨١-٨٢ سبتمبر وأكتوبر، ٢٠٠٥ م.

ثانيًا: المصادر والمراجع بالعبرية:

المصادر بالعبرية:

- המכללה לחינוך ע"ש דור ילין, ילד יהודי-ילד ערבי: דו-קיום יהודי-ערבי כסוגיה בחינוך לדמוקרטיה בגיל הצעיר-לקט פעילויות למורה ולגננת ירושלים 1988.

المراجع بالعبرية:

- ליש (אהרן): עורך, הערבים בישראל: רציפות ותמורה, הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס, המכון למחקר ע"ש הרי ס.טרומן למען קידום השלום, האוניברסיטה העברית, ירושלים, 1991.
- רם (אורי): עורך, החברה הישראלית: היבטים ביקורתיים, תל-אביב: ברירות, 1993.
- בר-טל(דניאל), לחיות עם הסיכסוך: ניתוח פסיכולוגי-חברתי של החברה היהודית בישראל, הוצאת כרמל, 2007.
- החברה היהודית והחברה הערבית בישראל: חומר רקע למורה, מכון ון ליר בירושלים, משרד החינוך והתרבות, ירושלים, 2005.
- מלמן(יוסי), הישראלים החדשים: מבט אישי על חברה בשינוי, ירושלים ותל-אביב: הוצאת שוקן, 1993.
- ליבוביץ(ישעיהו), עם, ארץ, מדינה יהדות, היסטוריה ואקטואליה, ירושלים: הוצאת שורשים, 1992.
- אלהאג' (מאג'ד), חינוך בקרב הערבים בישראל, הוצאת ספרים ע"ש י"ל מאגנס, האוניברסיטה העברית, ירושלים, 2006.
- גביזון (רות) ואבי-ריא (עסאם), השסע היהודי-ערבי בישראל: מאפיינים ואתגרים, נייר עמדה מספר 13, המכון הישראלי לדמוקרטיה ירושלים, ניסן 1999

• הוכמן (רמי): עורך, חינוך לדו-קיום בין יהודים לערבים: מקורות עזר יולי 1986.

• חסון (שלמה) יחסי דת חברה ומדינה: תסריטים לישראל מכון פלורסהיימר למחקרי מדיניות 2002.

• הרמן (תמר) ויוכטמן (אפרים יער): עורכים יחסי דתיים-חילוניים בישראל: השלכות חברתיות ופוליטיות 27 - 28 בנובמבר מרכז תמי שטינמן למחקרי שלום תל-אביב 1998.

ثالثاً: المراجع بالإنجليزية:

• & others, "Coexistence In Israel")Todd L.(Pittinsky HARVARD Kennedy School- Center For Public Leadership, -HARVARD University, Cambridge, Massachusetts, 2008, e version:

<http://dspace.mit.edu/bitstream/handle/1721.1/55715/coexistenceinIsrael.pdf?sequence=1>, Accessed on 2 April, 2012.

- مواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

(تمت مراجعة كافة الروابط التالية وهي تعمل حتى يوم ٢ إبريل ٢٠١٢م)

• <http://www.arabs48.com/display.x?cid=1&sid=32&id=649>

8 (موقع عرب ٤٨)

• [http://www.unesco.org/new/ar/education/about-us/who-](http://www.unesco.org/new/ar/education/about-us/who-we-are/history/key-publications/)

[we-are/history/key-publications/](http://www.unesco.org/new/ar/education/about-us/who-we-are/history/key-publications/) (الموقع الرسمي لمنظمة اليونسكو).

• <http://web.bgu.ac.il/som/PublicDep/Staff/Academic/Arye>

[Naor.html](http://web.bgu.ac.il/som/PublicDep/Staff/Academic/Arye)... (جامعة بن جوريون).

- http://www.openu.ac.il/Personal_sites/tamar-hermannE.html ... (موقع الجامعة المفتوحة).
- <http://atar.mscc.huji.ac.il/~geo/personal/Hasson.html> ... (صفحة الكاتب شلومو حاسون الإلكترونية على شبكة الإنترنت).
- http://www.knesset.gov.il/mk/he_b/mk.asp?mk_individual_id_t=69 ... (الموقع الرسمي للكنيست الإسرائيلي على الإنترنت).
- <http://library.osu.edu/sites/users/galron.1/02000.php> ...
- صفحة الكاتبة "ليئا جولدبرج: لآה גולדפרג" على موقع (לקסיקון הספרות העברית החדשה: قاموس الأدب العبري الحديث - موقع خاص بأشهر الأدباء في إسرائيل).
- <http://library.osu.edu/sites/users/galron.1/01547.php> ...
- صفحة الكاتبة "حجيت بنزيمان: חגית בנזימן" (לקסיקון הספרות העברית החדשה: قاموس الأدب العبري الحديث - موقع خاص بأشهر الأدباء في إسرائيل).

obeikand.com

يهود البلدان العربية والإسلامية في المناهج التعليمية في إسرائيل

د. ناهد راحيل

كلية الألسن – جامعة عين شمس

obeikand.com

مقدمة :

إن المجتمع الإسرائيلي يتكون من طوائف عدة، أهمها الاشكناز واليهود الشرقيون، والصراع بينهما طويل تعود جذوره إلى بداية ظهور الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، والمتابع عن كثب للمجتمع الإسرائيلي يستطيع أن يقف على عنصرية واضحة في التعامل مع النسيج الاجتماعي في إسرائيل، تتمثل في التفرقة الطائفية التي يتبناها الصفوة ومؤسسو الدولة من الاشكناز تجاه يهود البلدان العربية والإسلامية.

والمعروف أن الصراع الطائفي بين اليهود في إسرائيل ليس ظاهرة جديدة طفت على السطح بعد قيام الدولة، إنما يعود جذوره إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حين أخذت جماعات مختلفة من اليهود الأوروبيين تهاجر إلى فلسطين في موجات عرفت باسم "الهجرات اليهودية". وقد أدت الأصول الأوروبية لهؤلاء المهاجرين إلى رفض كل ما هو شرقي، والنظر إلى مهاجري الدول العربية والإسلامية نظرة دونية. ومازالت هذه النظرة تجدد أصداء لها داخل المجتمع اليهودي في إسرائيل^(١).

وإذا تطرقنا إلى تعريف الطائفة، نجد أن الطائفة هي "مجموعة من الأفراد جاءوا من بلد واحد، يحافظون على سمات الثقافة التي حملوها معهم من بلدهم الأصلي"^(٢)، ويؤدي رحيل طائفة ما عن وطنها الأصلي وعدم اندماجها في مجتمعتها الجديد إلى ظهور مشاكل عديدة تنبع في الأساس من اعتبار أفرادها أقلية وافدة على المجتمع غير مشاركة في تأسيسه أو تطويره. وتواكب مشكلة التوترات الطائفية التاريخ العالمي؛ فالاحتلال والنفي وارتحال الشعوب لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية وأمنية أدت إلى تبلور أقليات في دول مختلفة، وتطور فيما بينها نظام من العلاقات بين المجموعات الحاكمة من جهة، والأقليات المحكومة من جهة أخرى، والأقلية ليست حتمًا مجموعة صغيرة عددًا من السكان، فمن الممكن أن تكون كثيرة العدد ولكنها غير حاكمة^(٣).

^(١) أبو غدير (محمد محمود): المسرح العبري والصراع الطائفي في إسرائيل مجلة إبداع، العدد ٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مارس ١٩٩٥، ص ١٠٢.

^(٢) أفييف (أفييفا): المجتمع الإسرائيلي، ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٦، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ١٩٩٨، ص ٦٦.

^(٣) مناحم (ناحوم): توترات وتفرقة طائفية في إسرائيل، تل أبيب، مركز الدراسات والمعلومات، ١٩٨٣، ص ١٢.

وتفرض الطائفة الحاكمة ثقافتها على الحياة الاجتماعية، وعلى مؤسسات التعليم، ووسائل الإعلام، والتشريع، وعلى مجالات أخرى تتعلق بالقيم، من خلال إظهار نظرة احتقار، وإلغاء القيم الثقافية والتراث للطائفة المحكومة، ومحاولة إظهارها بمظهر حقير لزيادة الإحباط، ومنع قبولها في القيمة الوطنية، وهذا الأمر يخلق السيادة والسيطرة الثقافية للطائفة الحاكمة، ومن الناحية الطبقة تنشأ تقسيمات طبقية طائفية؛ إذ لا يكون بين الطوائف المختلفة مساواة في مستوى المعيشة، والثقافة، والحرف، والكرامة، واتخاذ القرارات، وعدم المساواة في الفرص؛ مما يجعل طوائف معينة مصنفة في الطبقات السفلى، وطوائف أخرى مصنفة في الطبقات العليا^(١).

وعلى الرغم من سياسة دمج المنافي التي اتبعتها إسرائيل من أجل خلق ما يسمى بـ "الإسرائيلي الجديد" الذي يسلك حسب النموذج الغربي المتطور، فإن الفوارق والفجوات بين الاشكناز واليهود الشرقيين لاتزال قائمة، هذه الفوارق والفجوات تشمل سنوات التعليم والوضعين الاقتصادي والإسكاني والهوية الذاتية الانتمائية^(٢).

فالتركيب المتباين هو حقيقة واقعة في المجتمع الإسرائيلي، إلا أن هناك من يميل للفكرة التي تبطل أهمية هذه الحقيقة، وأصحاب هذه الفكرة يعتقدون أن إسرائيل تمثل "بوتقة صهر" ثقافي تمزج الثقافات والتقاليد اليهودية المختلفة، وقد أثبتت هذه الفكرة فشلها بعد أن أصبح الجميع تحت وطأة عملية طمس هويات أصلية ومحاولة اندماج في ثقافة مختلفة وهوية إسرائيلية جديدة^(٣).

وبرغم أهمية هذه العلاقات بين اليهود الشرقيين والاشكناز، إلا أنها تمثل جزءاً من نظام العلاقات الذي يتم تحديده عن طريق مشاهدة المشهد العرقي كله في المجتمع الإسرائيلي،

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) خمائسي (راسم): تركيبة اليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ٢٠٠٣، ص ٨٧-٨٨.

(٣) دشن (שלמה)، شوكد (משה): לימודי יהדות המזרח בחברה הישראלית، מתוך שלמה דשן، משה שוקד (עורכים): יהודי המזרח، עיונים אנתופולוגיים על העבר וההווה، הוצאת שוקן، תל אביב، 1984، עמ' 11.

فظهر قطاعات عرقية إضافية مثل عرب إسرائيل ومهاجري أثيوبيا، خلق بنية جديدة قلت فيها أهمية الفجوة بين الشرقيين والاشكناز^(١).

ويسود المجتمع الإسرائيلي دمج تفضيلي تقوده المجموعة الأوروبية للمستوطنين الأوائل، فلكل فئة مكانة مختلفة في الإطار العام. وقد نُظر إلى الشرقيين باعتبارها الفئة التي يجب صهرها في الفئة المتماهية مع الإطار العام للدولة^(٢).

وهنا تم عرض اليهود الشرقيين في صورة أشخاص محافظين وغير مثقفين وبدائيين، وفي المقابل تم عرض اليهود الاشكناز بوصفهم عصريين وأصحاب هدف ثقافي. وقد رأى بن جوريون أن هؤلاء المهاجرين الشرقيين رعا، وأن تحويلهم لشعب مثقف هو أمر صعب، لأنه حقاً "جزء كبير من المهاجرين أتوا إلى المجتمع الجديد دون معرفة الأبجدية، وبلا إشارة لتعليم يهودي أو إنساني"^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن التربية في أي مجتمع تستمد أصولها وأهدافها من الفلسفة السائدة في ذلك المجتمع وأهدافه، فهي انعكاس لمطالبه واحتياجاته ووسيلة لوضع هذه الأهداف موضع التنفيذ.

ولعل الارتباط بين أهداف المجتمع الإسرائيلي وحاجاته وبين أهداف التعليم الإسرائيلي أوثق صلة وأوضح للرؤيا مما هو الحال في بلدان أخرى، وذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع الإسرائيلي، ومن الممكن أن نستخلص ثلاثة أهداف رئيسة للتعليم في إسرائيل، **أولاً** - تكوين مجتمع عضوي موحد من أشتات اليهود التي تجمعت في أرض فلسطين، **وثانياً** - بناء دولة عصرية، **وثالثاً** - المحافظة على التراث اليهودي ونشره وتعميقه بين الناشئة اليهود في إسرائيل^(٤).

^(١) فرس (يوحنا)، بن-رפאל (أليعزر): كيرבה ומריבה, שסעים בחברה הישראלית, תל-אביב, הוצאת ספרים עם עובד, 2006, עמ' 160.

^(٢) أديب (أودي): الهوية الشرقية بين الطائفية والأسرلة، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ٢٠٠٣ ص ٢٨-٢٩.

^(٣) حקק (לב): פרקים בספרות יהודי המזרח במדינת ישראל, ירושלים, הוצאת קרית-ספר, 1985, עמ' 18.

^(٤) بشور (منير)، يوسف (خالد مصطفى الشيخ): التعليم في إسرائيل، سلسلة كتب فلسطينية-٢٢، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩، ص ٤٠.

أما المصادر التي يستمد منها المجتمع الإسرائيلي هذه الأهداف، فيمكن حصرها أيضًا في ثلاثة مصادر: أولاً- الدين اليهودي بوصفه تجسيدًا لمعتقدات اليهود وحاملًا لتراثهم عبر التاريخ. ثانيًا- الحضارة الغربية. ثالثًا- الحركة الصهيونية بوصفها خلاصة تاريخية للتفاعل بين المصدر الأول (الدين اليهودي) والمصدر الثاني (الحضارة الغربية)^(١).

وإذا كان الدين وسيلة رئيسة استخدمتها الصهيونية لاستقدام اليهود إلى فلسطين والعمل على صهرهم في مجتمع جديد، وبالرغم من الصدام المستمر بين اليهودية والصهيونية، فإن هناك عاملاً آخر وقف في وجه محاولات الصهيونية لتكوين مجتمع عضوي موحد، وهو الاختلاف بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين من الناحية الحضارية، وذلك لارتباط الصهيونية بمصادر الحضارة الغربية التي كانت غريبة بالنسبة لليهود الشرقيين.

ومن هنا كان التحدي الآخر الذي تواجهه الصهيونية وهو "تغريب" اليهود الشرقيين، متبعة في ذلك استراتيجية خاصة في نظام التعليم، تقوم على^(٢):

- التأكيد على الريادة وتصوير الرواد واضعي أسس الدولة بوصفهم نماذج يجب الاقتداء بها.
- التعلق بالأرض، فالأرض ليست مكانًا للعمل والسكن فحسب إنما هي الجامع والموحد لآمال اليهود.
- تنمية الروح العسكرية، والعسكرية هنا عامل توحيد بين مختلف فئات المجتمع.
- اللغة العبرية بوصفها وسيلة توحيد الثقافة، لذلك تعد العبرية لغة التعليم الرسمية في المدارس الإسرائيلية، تأتي بعدها اللغة الإنجليزية اعترافًا بأنها الباب الأوسع للولوج إلى الثقافة الغربية.

مدخل نظري:

إذا كانت الحركة الصهيونية قد انقسمت إلى عدة تيارات، إلا أن هذه التيارات قد اتفقت في معظمها على ضرورة الهجرة إلى فلسطين، لإيجاد حل لما يسمى بـ "المشكلة اليهودية" عن

^(١) (المرجع السابق، ص ٤١).

^(٢) (المرجع السابق، ص ٤٣-٤٥).

طريق إقامة دولة لليهود والعمل على إيجاد هوية جديدة موحدة لهم، ومن ثم تدافعت الهجرات اليهودية من كل مكان إلى فلسطين، قبل قيام الدولة وبعد قيامها^(١).

فقد سعت الحركة الصهيونية إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين عن طريق الهجرة اليهودية، بعد أن اتضح لقيادة هذه الحركة أن الربط بين المركب التاريخي والمركبات الدينية و"القومية" يشكل حافزاً مقنعاً لليهود الموزعين في أنحاء العالم، بما في ذلك الدول العربية والإسلامية، للهجرة إلى فلسطين، لتحقيق الادعاء بوجود حق تاريخي ديني مزعوم ومرغوب فيه من قبلهم.

وتعود بذور الانقسام الحالي بين اليهود الشرقيين والغربيين في إسرائيل إلى بداية الحركة الصهيونية؛ "فالصهيونية حركة أطلقها يهود أوروبيون استجابة لأزمة الوجود اليهودي في أوروبا وبخاصة أوروبا الشرقية، وأعضاء المنظمة الصهيونية هم يهود أوروبيون اتجهت نشاطاتهم نحو يهود أوروبا. وقد صورت الصهيونية نفسها على أنها حركة تحرير كامل للشعب اليهودي، ولكن الأوروبيين كانوا يؤمنون ويتصرفون على أساس أن لا حاجة هناك لاستشارة سائر يهود العالم أو تجنيدهم"^(٢).

ويتبنى الأديب والناقد السياسي سامي شالوم شطريت الرأي نفسه الخاص بأن الحركة الصهيونية، والفكر الصهيوني السياسي أوروبي بالكامل، الظروف التي أنتجت أوروبية وهي "معاداة السامية"، والفكر الاستعماري، ويؤكد على ذلك بقوله: "لقد توصلت للاعتراف بأن ليس لي ولمن حولي ولأبناء عمومتي الشرقيين أية علاقة بالفكرة الصهيونية؛ فهناك عاملان أساسيان أديا إلى ظهور الصهيونية الاشكنازية هما: معاداة السامية التي نبعت من الصراع اليهودي-المسيحي، وسياسة الاستعمار الأوروبي للشرق، فأتباع الصهيونية الاشكنازية وقادتها لم يكونوا بعيدين حقاً عن مشاعر التملك والسيطرة الخاصة بأبناء شعوب أوروبا على

(١) أبو خضرة (زين العابدين): إشكالية الهوية في القصة العبرية، مجلة رسالة المشرق، المجلد السابع، الأعداد ٤/١، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ١٩٩٨، ص ٩٢.

(٢) Swirski (Shlomo): Israel the Oriental Majority, translated by Barbra

Swirski, London: Atlantic Highlands, NJ, 1989, p. 11 .

بقية شعوب العالم؛ فعندما نظر يهود أوروبا إلى أفريقيا والشرق الأوسط لم يفرقوا بين المسلمين واليهود، فكان الجميع في نظرهم بربريين مثلما وصفهم هرتسل وطلب أن يتم بناء درع من أجل حماية «العالم الأوروبي المتمدن» من هؤلاء البربريين^(١).

وقد أشاعت الدعاية الصهيونية أن ظهور الحركة الصهيونية، وقيام دولة إسرائيل، إنما جاء لتحقيق رغبة كامنة في روح الإنسان اليهودي وهي رغبة العودة، إلا أنه بعد قيام دولة إسرائيل لم يهاجر إليها كل يهود العالم، وأن كثيرًا ممن هاجروا إليها، فعلوا ذلك نتيجة لضغوط صهيونية أجبرت الكثير من يهود أوروبا والعالم على الرحيل لفلسطين، ولم يكن استقدام يهود البلاد العربية والإسلامية في بال النخب الأشكنازية التي هاجرت إلى فلسطين قبل قيام الدولة، لكن بسبب قلة الموارد البشرية وعدم التجاوب الكافي من قبل يهود أوروبا وأمريكا مع الفكرة الصهيونية، اتُخذ قرار باستقدام اليهود من الأقطار العربية والإسلامية بسرعة^(٢).

فالصهيونية نشأت في شرق أوروبا وقادها اليهود الاشكناز، وعليه فقد كانت مضامين الصهيونية جديدة بالنسبة إلى معظم يهود البلدان العربية والإسلامية، ولذا نسبت الريادة أو البطولة لليهود الاشكناز^(٣)، فالطائفة الشرقية ليس لها وجود فعلي في إسرائيل لأن المؤسسة الصهيونية الاشكنازية ليس لديها مكان لها، وما يبرر هذا في الفكر الاشكنازي كون الاشكناز "الرواد" هم الذين بنوا الدولة بأيديهم منذ الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤) وقبل ذلك، بينما لم يأت اليهود الشرقيون إلا بعد إقامة الدولة عام ١٩٤٨^(٤)، باستثناء بعض اليهود اليمنيين الذين هاجروا لفلسطين إبان موجة الهجرة الأولى (١٨٨٢ - ١٩٠٤).

^١ (شטרیت (سمي שלום): המהפכה האשכנזית מתה, הרהורים על ישראל מזווית כהה, תל אביב, הוצאת בימת קדם לספרות, 1999, עמ' 174-175 .

^٢ (زيداني (سعيد): اليهود الشرقيون (السفارديم)، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ٢٠٠٣، ص ١٣ .

^٣ (أمارة (محمد): السلوك السياسي لليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ٢٠٠٣، ص ١١١ .

^٤ Elazar (Denial J.): The Other Jews, The Sephardim, New York, Basic Books, 1989, P. 25- 26 .

ومن هنا يمكن القول بأن اليهود الشرقيين "اقتلوا من مدنها وقراها بشكل مفاجئ بسبب الحاجة إليهم بشكل فوري لبناء دولة لم يكونوا شركاء في التخطيط لها، وكانوا منقطعين تمامًا عن العالم اليهودي والحركة الصهيونية، راضين عن ثقافتهم وبيئتهم"^(١)، فهجرة اليهود الشرقيين لم تكن مخططة، إنما جاءت لتخدم بناء الدولة الاشكناز، إلا أنه يمكن القول بأن يهود الشرق لم "يقتلوا" قسرا دون رغبتهم، بل خرجوا بإرادتهم خلف الحلم، ونتيجة لظروفهم الاقتصادية في الشرق ورغبتهم في تحسينها.

"فقد تم إدخال اليهود الشرقيين لمسيرة الثورة الاشكنازية بعد أن بدأت دون «الشعب الذي ينتظرها» وفقاً لأقوال بن جوريون، فقد تم جلبهم للدولة دون أن تكون لهم يد في تشكيل أيديولوجيتها، ودون المبررات والدوافع التي كانت لليهود الاشكناز وبدون أن تصبح لهم أية سيطرة على المسيرة ذاتها"^(٢).

ويرى الاشكناز أن اليهود الشرقيين جماعة يهودية متخلفة بل وبدائية في بعض الأحوال وأنهم في حاجة إلى إعادة تكوين وجودهم وتفكيرهم، وقد وصفهم بن جوريون بأنهم متخلفون ينقصهم التعليم واحترام الذات ويجب أن يجتهدوا للحصول على المميزات العقلية والمعنوية لليهود الأشكناز الذين خلقوا الدولة، ويبقى اليهود الشرقيون عمومًا خارج بوتقة المجتمع الإسرائيلي، وذلك بسبب تدني المستوى المعيشي وممارسة الأشكناز الاضطهاد ضدهم في ميادين العمل والتعليم^(٣).

وفي هذا الصدد يقول عالم الاجتماع شلومو سفيرسكي: "أنا على إيمان تام بما تتطلع إليه الحركة الصهيونية لخلق إنسان يهودي جديد، لكن نتائج نشاط الصهيونية مخالفة لتطلعاتها الأساسية وعلينا تغيير هذا الهدف"^(٤)، وفي هذا الاتجاه نهتم بأقوال سامي سيموكيه، التي وفقاً لها حُددت أهداف الصهيونية من أجل الاشكناز: "كان هدف الصهيونية هو خلق

^(١) (أمرة، ص ١١٢).

^(٢) (شتريت: המהפכה האשכנזית מתה, עמ' 175).

^(٣) (حسن (محمد خليفة): الشخصية الإسرائيلية، دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٢، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، دبت، ص ١٠).

^(٤) (חקק, עמ' 19).

شعب يتحرر من مكانة الأقلية وعقليتها، وقد تأكدت أهداف الصهيونية حيال الاشكناز، فيشعر اليهود الاشكناز قطعاً بشعور الأغلبية، ليس من ناحية العدد فقط، فليس لديهم هوية الأقلية ولا سيكولوجية الأقلية، أعتقد أن يهود الشرق في إسرائيل، بما فيهم أنا، لا يستطيعون التحرر من نفسية الأقلية، أقلية بمعنى مجموعة غير محددة، غير حاکمة، في مجتمع به جماعة حاکمة"^(١).

وقد انتهجت الصهيونية أساليب عدة لتهميش الثقافة الشرقية التي انحدر منها يهود البلدان العربية والإسلامية، ومن المحاولات التي قامت بها دولة إسرائيل لطمس الهوية الشرقية تعمدتها إخفاء تاريخ اليهود الشرقيين في البلدان العربية والإسلامية من المناهج الدراسية التي تُدرس في المدارس الإسرائيلية، واحتكار سرد تاريخ تلك الجماعات وتفسيرها وفقاً لأهدافها الخاصة، وكذلك عملت على عرض صورة يهود البلدان العربية والإسلامية في المناهج الدراسية الإسرائيلية بصورة سلبية بشكل عام.

يهود البلدان العربية والإسلامية في المناهج التعليمية:

وفي هذه الدراسة سيتم عرض يهود البلدان العربية والإسلامية في المناهج التعليمية الإسرائيلية من خلال محورين رئيسيين، الأول: مدى التمثيل، والمقصود به نسبة تمثيل يهود البلاد العربية في هذه المناهج من خلال عرض لعدد من الكتب الدراسية وبيان عدد الصفحات المخصصة لليهود الشرقيين ونسبتها من مجمل صفحات الكتاب. والثاني: سياق التمثيل، والمقصود به السياق الذي تم في إطاره عرض صورة يهود البلدان العربية والإسلامية من خلال نصوص من الكتب الدراسية.

أولاً - مدى التمثيل:

من تحليل بعض الكتب الدراسية التاريخية الحالية في إسرائيل نجد أن معدل تمثيل اليهود الشرقيين لم يتغير مع مرور الوقت فهو يقف عند معدل ٤٪. والجدول التالي يوضح مدى عرض يهود الشرق في عدد من الكتب الدراسية في إسرائيل:

^(١) (٥٥, ٥٥ .

المفاهيم الصهيونية في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل

اسم الكتاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الصفحات المخصصة لليهود الشرقيين	النسبة
שלמה הורוביץ: קיצור תולדות ישראל בעת החדשה	638	6	1. %
יהודה רון: תולדות עם ישראל בדורות האחרונים בארץ ובתפוצה (אין תאריך)	288	6	2. %
שמשון קירשנבויס: תולדות עם ישראל בדורות האחרונים (1986)	400	7	2. %
דוד שחר: מגלות לקוממיות תולדות עם ישראל בדורות האחרונים (1990)	כרך א' 329 כרך ב' 370	2 54	8. %
משה ליפשיץ: ציונות: עם ישראל בדורות האחרונים (1993)	כרך א' 329 כרך ב' 482	7 3	2. %
אלי בר נביא: המאה ה-20: תולדות עם ישראל בדורות האחרונים (1998)	256	12	4. %
אסתר גל און: מתפוצה למדינה פרקים בהיסטוריה של עם ישראל ומדינת ישראל	120	7	4. %

وقد قامت الناقدة روت بيرر، بعد دراستها لهذه الكتب، بإعداد قائمة من الأوصاف السلبية التي تم إلحاقها بيهود البلدان العربية والإسلامية منها: جهود، عجز، شعوذة، فقر وقذارة، ضعف جسدي، انعدام الثقافة، انحطاط وحقارة^(١).

ومن هنا نجد أن هناك تغييراً متعمداً للهوية الشرقية وللوجود العربي داخل المناهج الدراسية في المجتمع الإسرائيلي، فالمؤسسة الصهيونية لا ترى أية حضارة أو ثقافة إلا في الدول الأوروبية، وهذه النظرة لا تختلف كثيراً عن نظرة الأوروبيين للشرق بصفة عامة، فشأ لقاء تصادمي بين الثقافة اليهودية الأوروبية (خاصة الشرق أوروبية)، أو ما يمكن تسميته بالثقافة الاشكنازية، وبين يهود الشرق وثقافتهم وعالمهم وهويتهم، وهذا الصدام لم يختلف عن صدام الأوروبيين مع العالم الذي يسمى «العالم الثالث»، أو «الشرق»، أو العالم الذي كان ملكاً لأوروبا في فترة الاحتلال على مدى مئات السنين.

ثانياً - سياق التمثيل:

تغذت مظاهر العرقية في إسرائيل، سواء في الحياة العامة أو في مجال التعليم من عناصر السلطة نفسها؛ حيث يقول أحد الأشكناز "لقد تجمع لدينا عدد كبير من يهود الشرق الأوسط وآسيا ومعظمهم لديهم بشرة داكنة، وهؤلاء سيئون في غالبيتهم كأنهم عاشوا في الكهوف، في مقابل الذين جاءوا من أوروبا، وفكرة دمج هؤلاء بهؤلاء سوف تكون نتائجها سيئة للغاية"^(٢).

اتضح ذلك في آراء عدد غير قليل من عناصر السلطة، اتضح ذلك على سبيل المثال في قول عضوة الكنيست شوشانا برسيتس "أنتم تعرفون أنه ليس بيننا لغة مشتركة ومستوى ثقافتنا مختلف، كما أن أسلوب حياتهم هو أسلوب حياة العصور الوسطى"^(٣).

^١ (فيرر (روت): سوكנים של החינוך הציוני، תל-אביב، הוצאת הקיבוץ המאוחד، 1985، עמ' 227.

^٢ (Elazar Denial J.): Israel Building a New Society, Bloomington: Indiana University, 1986, P. 50.

^٣ (שטרית (סמי שלום): המאבק המזרחי בישראל، בין דיכוי לשחרר، בין הזדהות לאלטרנטיבה 1948-2003، תל אביב، הוצאת עם עובד، 2004، עמ' 65.

وفي أحد الاجتماعات التي عُقدت لمناقشة إشكالية تعليم مهاجري البلدان العربية والإسلامية عام ١٩٥١، قال بن جوريون: "إن اليهودي اليمني قبل كل شيء يهودي، ونحن نريد تحويله بسرعة كبيرة من يمني إلى يهودي"^(١). يتضح مما سبق نبرة السخرية المتضمنة في أقوال بن جوريون الذي يرفض الاعتراف بوجود يهودي يمني، وكأن الصفتين لا تتلازمان ويجب الفصل بينهما.

ويكشف لنا التأمل في صورة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في السنوات الأولى من إقامة الدولة أصول علاقات القمع الاقتصادي بين الاشكناز واليهود الشرقيين في إسرائيل. وكانت مبررات هذه العلاقات هي فكرة "التحديث" أو فكرة استيعاب الهجرة الرسمية التي نادت ببناء طبقي إثني بررته بمبررات ثقافية، ووفقا لفكرة "التحديث" جاء الشرقيون من مجتمع "متخلف" إلى مجتمع "غربي متمدن" لذلك تم وضعهم في مكانة أوطأ، وبمرور الوقت، عندما يمرون بمسيرة التمدن سيتمكنهم الوصول إلى الدرجات العليا في الاقتصاد والمجتمع، حتى نصبح مجتمعا متجانسا تماما^(٢).

ويبرر كارل فرانكنشتاين - أستاذ مناهج التعليم في إسرائيل - ذلك بقوله: "رغم رغبتنا في منع أية صورة من صور العنصرية، لا نستطيع إغفال حقيقة أن مدى التخلف والتأخر الذي يتجسد في نمط حياة المهاجرين القادمين من هذه المناطق المتخلفة وفي طريقة تفكيرهم، هو الذي يحدد مراحل الصدام وطبيعته"^(٣).

ومن هذا المنطلق وعلى مدى عشرات السنين تحت وزارة التعليم بإسرائيل بمنهجية واضحة تاريخ يهود الشرق من الكتب الدراسية، وقد ساعدت هذه الكتب على خلق وعي كاذب بين التلاميذ يكون تاريخ الجماعات اليهودية بمقتضاه قد بدأ أساسا في شرق أوروبا، وأن اليهود الشرقيين ليس لهم تاريخ جدير بالذاكرة الجمعية.

(١) שם, שם .

(٢) שם, עמ' 72 .

(٣) שטרית (סמי שלום): מערכת החינוך הבלתי שוויונית בישראל, החינוך בישראל- ביקורת

ואלטרנטיבה

<http://www.kedma.co.il/undex.php?id=572> , Accessed on 17, Jan, 2012

وقد نظر اليهود الاشكناز إلى اليهود الشرقيين نظرة سلبية بوصفهم مجموعة متأخرة غير حضارية جاءت من دول متخلفة ولم يرغبوا في الاختلاط بهم، ومن هنا سعوا إلى فصلهم سكنيًا عن المجتمع الاشكنازي المنحدر من الدولة الصناعية المتقدمة من خلال توطينهم في مدن أو أحياء نائية خاصة بهم، ومنفصلة عن مواقع سكن الاشكناز^(١).

ونجد أصداء هذه الآراء واضحة في كتاب استير جل أون (استر جل-أون) "من المهجر إلى الدولة" (מתפוצה למדינה) التي تبرر ذلك بقولها:

"الهجرة من البلاد العربية كانت هجرة لعائلات عديدة ونسبة الأطفال بها كانت مرتفعة، وأغلب تلك الهجرات قدمت من بلاد لم تكن قد بدأت بعد في مسيرة التقدم، وقد واجهت صعوبات في التكيف مع الثقافة الجديدة التي كانت أوروبية- غربية، وقد توقع مركز الاستيعاب من اليهود المهاجرين أن يتلاءموا مع ظروف البلاد الثقافية وطابع الحياة بها، إلا أن أغلب المهاجرين من البلاد الإسلامية كانوا يهودًا محافظين وكان من الصعب أن يتأقلموا مع مجتمع يهودي علماني، وهذا الانتقال الديني والثقافي قد سبب أزمة لليهود المهاجرين"^(٢).

ف تاريخ الحركة الصهيونية يقوم على العنصرية والعرقية والمذهبية، مما جعل اليهود متعالين على الشعوب التي عايشوها، ف "الذاكرة الجمعية التي أسست عليها الصهيونية الأشكنازية فكرتها الكاذبة عن الخلاص، عندما قررت أن تتجه بالحيلة إلى يهود البلاد العربية والإسلامية، هي الذاكرة اليهودية الدينية عن الخراب والمنفى وانتظار الخلاص التي انضم إليها مؤخرًا أحداث النازي، وفي الوقت نفسه طلبت الصهيونية محو الذاكرة الجمعية لليهود الشرق التي بدأت منذ أيام الهيكل الثاني، مرورًا بالخراب والنفي وفترة المشنا والتلمود والأندلس، وحتى اليوم، لأن هذه الذاكرة في نهاية الأمر هي القاعدة المشتركة التي من شأنها أن ينتظم اليهود الشرقيون عليها سياسيًا"^(٣).

^(١) خمائسي، ص ٨١.

^(٢) جل-أون (استر): מתפוצה למדינה, פרקים בהיסטוריה של עם ישראל ומדינת ישראל,

1881-1951, ירושלים, הוצאת מעלות, 1992, עמ' 84.

^(٣) (חכם (רונית): לשורר באשדודית, הכיוון מזרח, כתב-עת לתרבות וספרות, חורף 2004,

עמ' 44.

ولذلك، ومنذ إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، حرص صانعو القرار في الحكومة والحركة الصهيونية على بناء دولة ذات طابع أوروبي يختلف كلياً عن الطابع السائد في المنطقة. وعليه "ارتكزت عملية الاستيعاب على إعلاء شأن الثقافة الغربية في نفوس جميع أبناء الطوائف اليهودية المهاجرة دون استثناء. وفي الوقت نفسه، انتهجت أساليب عدة لتهميش الثقافة الشرقية التي انحدر منها اليهود الشرقيون"^(١).

ففي السنوات الأولى لإقامة دولة إسرائيل اعتقد القائمون على استيعاب المهجرة أن ثقافتهم هي الثقافة الإسرائيلية وفيما عدا ذلك يجب إلغاؤه، وغير ذلك من الثقافات هو "جالوتي"* أو "شرقي" أو "تقليدي" أو "بدائي" أو كل ذلك معاً^(٢).

ومن هذا المنطلق انتهجت المؤسسة الصهيونية عدداً من الأساليب والمحاولات لطمس الهوية الشرقية، منها تعمدتها إخفاء تاريخ اليهود الشرقيين في البلدان العربية والإسلامية من المناهج الدراسية التي تُدرس في المدارس الإسرائيلية، فـ "المناهج الدراسية في المدارس هي التي تشكل الهوية، ولذلك علينا أن نفترض أنها مختارة ومكتوبة باهتمام كبير وبدقة بالغة، وتهدف لخدمة أهداف سامية ومهمة، والسؤال يتحدد في مكانة التاريخ والثقافة اليهودية الشرقية وماهيتها في المناهج الدراسية التي كتبها في الأساس يهود اشكناز"^(٣).

فالصهيونية تتعامل مع التاريخ اليهودي بوصفه إراثاً ثقافياً خاصاً بها دون غيرها، ومن هنا تعمل إسرائيل على احتكار أية قراءة للتاريخ اليهودي سواء كان هذا التاريخ يخص يهود

^(١) (مرعي (عبد الرحمن): الصراع الثقافي في إسرائيل وأثره في اليهود الشرقيين، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ٢٠٠٣ ص ١٤٤.

* المقصود ثقافة المنفى وتشير كلمة "جالوت" إلى المنفى أو المنفى القهري خاصة خارج "أرض إسرائيل"، وقد كان اليهود الهيلينيون يستخدمون كلمة دياسبورا للدلالة على الجماعات اليهودية التي كانت تعيش مشتتة بين الشعوب الأخرى.

المسيري (عبد الوهاب محمد): موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٤، ص ٣٧٥.

^(٢) (دشن (שלמה)، شوكد (משה): לימודי יהדות המזרח בחברה הישראלית، עמ' 14.

^(٣) (שטרית: המהפכה האשכנזית מתה، עמ' 121.

الشرق أو يهود الغرب^(١)، وربما يرجع الهدف من محاولة اليهود الأشكناز السيطرة على سرد التاريخ اليهودي عامة هو تحقيق عدد من الأهداف مرة واحدة، منها: "التعظيم من شأن يهود شرق أوروبا في تاريخ اليهود، والحد من دور يهود البلدان العربية والإسلامية، وكذلك خلق قاعدة تاريخية لأسطورة نجاة اليهود الشرقيين على يد الحركة الصهيونية الاشكنازية"^(٢).

فالصهيونية تحاول فرض سيطرتها على يهود البلدان العربية والإسلامية عن طريق اقتلاع التراث الشرقي من نفوسهم، كما أنها تتبنى موقفاً استعلائياً تجاههم، يتوافق مع كونها حركة استعمارية استيطانية في الأساس لا تسعى إلا لتحقيق أهدافها فقط.

كما أن أحد المركبات الأساسية لوصف تاريخ اليهود في البلدان العربية والإسلامية هو عرض العلاقات بين اليهود والمسلمين بوصفها علاقات خصومة، بالرغم من أن العلاقات بين اليهود والمسلمين في البلاد العربية الإسلامية كانت أفضل وأكثر تناغماً من علاقة اليهود بالمسيحيين في دول أوروبا.

ففي كتاب يهودا رون (יהודה רון) وعنوانه "تاريخ شعب إسرائيل في العصور الحديثة في البلاد وفي الشتات" (תולדות עם ישראל בדורות האחרונים בארץ ובתפוצה) تم تخصيص سطرين فقط لليهود العراق من خلال تشويه واضح للملابسات التي وصل بسببها يهود العراق لإسرائيل، فيقول رون: "العلاقات المعادية للسلطات تجاه اليهود عجلت من هجرتهم لإسرائيل"^(٣)، هكذا بدون إبداء أسباب لهذه العلاقات المعادية وبدون ذكر بدايتها أو نهايتها.

ومرة أخرى في الكتاب نفسه يتم عرض يهود اليمن وإيران بوصفهم قادمين من "الوجهتين الأكثر ظلاماً في الإسلام"^(٤).

^(١) (الرفاعي (جمال أحمد): بين الأدب والتاريخ، دراسة في سيرة بغداد بالأمس للناقد ساسون سوميخ، مجلة الدراسات الشرقية، الجيزة، العدد ٣٨، يناير ٢٠٠٧، ص ٣٨٧ .

^(٢) (شتریت: המהפכה האשכנזית מתה، עמ' 122 .

^(٣) (רון (יהודה): תולדות עם ישראל בדורות האחרונים בארץ ובתפוצה، תל אביב، אב-איל חינוך והשכלה، אין תאריך، עמ' 82 .

^(٤) (שם .

ومن الفرضيات الأساسية التي تحاول الحركة الصهيونية إثباتها كذلك، هي العلاقة المتوترة بين اليهود والمسلمين، والتي مفادها أن اليهود كانوا يعانون من اضطهاد العرب والمسلمين وأن اليهود كانوا يعيشون بمعزل عن مجتمعاتهم وذلك لإيجاد عامل مشترك بين الجماعات اليهودية كلها - أوروبية أو شرقية - ألا وهو الاضطهاد.

ففي كتاب (من المهجر إلى الدولة) تم تخصيص سبع صفحات للحديث عن يهود البلدان العربية والإسلامية تحت عنوان (هجرة الشعوب بعد إقامة الدولة ١٩٤٨ - ١٩٥١)، ونجد أن السارد يربط مصير اليهود الأوروبيين الناجين من "الكارثة النازية" بمصير يهود البلاد العربية، وذلك في قوله:

"الهجرة في الخمسينيات كانت في أغلبها هجرة إنقاذ ليهود البلاد العربية"^(١).

إلا أنه من الممكن دحض هذه الفرضية من خلال التأكيد على أن اليهود في البلدان العربية والإسلامية كانوا جزءاً أصيلاً من تلك المجتمعات؛ فقد تمتع اليهود الذين عاشوا في كنف الحضارة الإسلامية بحياة هادئة ومستقرة، حيث مارسوا شعائرهم الدينية في حرية كاملة دون أي اضطهاد ولولا ظهور الحركة الصهيونية لما رغب اليهود الذين عاشوا في البلدان الإسلامية في تركها؛ فلم تكن هناك تفرقة بين اليهود والمسلمين.

كما أن الصهيونية "تهتم بالتاريخ بوصفه الآلية المثلث التي تعتمد عليها لإثبات فرضيتها المتمثلة في أن نقل اليهود إلى فلسطين من شأنه أن يضع حداً للاضطهاد، ولا تألوا الحركة الصهيونية جهداً في التركيز على محو اضطهاد اليهود، ومن هنا لا تكف عن التنقيب في سجلات التاريخ العربي الإسلامي لإثبات أن تاريخ اليهود العرب لا يختلف كثيراً عن تاريخ الجماعات اليهودية في الغرب وأن السمة الرئيسة الحاكمة لهذا التاريخ تتمثل في الاضطهاد"^(٢)، إلا أنه يمكن نفي ذلك بالتأكيد على أن اضطهاد اليهود الشرقيين جاء فقط من جانب الاشكناز الذين مارسوا ضدهم سياسة من التفرقة على الصعيد السياسي والاقتصادي والتعليمي.

مثال ذلك نجده واضحاً في آراء الكاتب الإسرائيلي شلومو هوروفيتس (שלמה הורוביץ) التي عبر عنها في كتابه "ملخص تاريخ إسرائيل في العصر الحديث" (קיצור תולדות ישראל בעת החדשה)، حيث قال:

(١) גל-און (אסתר)، עמ' 84 .

(٢) الرفاعي، ص ٣٨٧ .

"بينما كانت اليهودية في أوروبا تعاني من ثورة عاصفة حيث نشأ وراء المحيط مركز يهودي جديد يتمتع بقوة وأهمية كبرى، عاش في البلاد الإسلامية المتخلفة التي تقع في آسيا وأفريقيا، جماعات يهودية يصل عددها إلى ثمان مائة ألف شخص، وقد عانت هذه الجماعات من ظلم شرقي وتعصب إسلامي، وعاشت منعزلة في أحيائها الخاصة بها، مقيدة بالعمل في مهن محددة وغارقة في سبات رוחي"^(١).

وفي موضع آخر من الكتاب نفسه يقول هوروفيتس: "كما عاشت هذه الجماعات في فقر مدقع وجهل شديد، وكانوا يشبهون - في أسلوب حياتهم ومستواهم الثقافي - جيرانهم المسلمين شبه المتوحشين... وقد ساد حياتهم ركود تام، فلم يكن هناك ذكر لأية حركة اجتماعية كانت، أو لأي صراع فكري أو تطلع ببناء باستثناء أشواق دفينة لمجيء المخلص"^(٢). ويمكن دحض هذا الرأي بقول مايكل رايس الذي يرى أنه إذا "قارنا بين الأقليات التي عاشت تحت حكم الإسلام والأقليات التي عاشت في أوروبا سنجد أن الأولى تمتعت بحياة مثمرة ومنتجة إلى جانب المسلمين الذين عاشوا معهم في المجتمع الذي يمثلون فيه جميعهم جزءاً منه"^(٣).

كما أن الانعزالية تعد سمة في الشخصية اليهودية ومن مقوماتها الأساسية، فاليهود لا يشعرون بالأمان إلا إذا عاشوا منعزلين في مجموعات حتى يمارسوا حياتهم وشعائرهم الدينية، وهذه العزلة اتخذت عدة أشكال منها "الجيتو" في البلاد الأوروبية وهو من أشهر أشكال الانعزالية، والأحياء الخاصة في البلاد العربية، ولم تكن هذه العزلة إجبارية في أغلب الأحيان.

وتعرض المناهج التعليمية صورة يهود البلدان العربية والإسلامية بطريقة سلبية، وهي بذلك تقوم بترسيخ بذور التفرقة الطائفية بين اليهود، فنجد في كتاب "رحلة في الموشافات الأولى: فصول من تاريخ الاستيطان" (مسلة بموشבות הראشونوت פרקים בתולדות

^(١) (هوروبيز (שלמה): كיצור תולדות ישראל בעת החדשה, מהדורה רביעית, חיפה, הוצאת בית הספר הריאלי העברי, 1996, עמ' 169.

^(٢) (שם, עמ' 170.

^(٣) (رايس (مايكل): الوطن المغتصب، إسرائيل في فلسطين والبحث عن حل، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣، ص ٦٠.

ה'ש"ו) إحدى القصص التي تُدرّس للطلاب في الصف الثالث، تحكي عن طفل يهودي يماني على لسان طفلة اشكنازية بقولها:

"يومًا ما ظهر في حارتنا ولد صغير، كان هذا الولد شاحبًا ونحيفًا للغاية ومختلفًا عن جميع الأولاد الذين عرفتهم... كان يمشي في حارتنا ويتنقل من بيت لآخر ويصرخ جبنا جبنا (جبنة)، بلهجة مختلفة بها شيء من العربية وشيء من العبرية، لهجة غير واضحة. فأغلقت كل الجارات الأبواب في وجهه... نظرت أُمِّي إليه وقالت: إن هذا الولد وصل للقدس منذ أيام ضمن مجموعة تكونت من مائة شخص، يقال إنهم جاءوا لإسرائيل من بلدة بعيدة في اليمن، لكن لا أحد يصدقهم، سألت: ولماذا لا يصدقونهم؟ فقدت أُمِّي صبرها ووبختني: ميراء، منذ متى يوجد يهود شاحبون⁽¹⁾".

وقد خلقت مثل هذه القصص بداخل التلاميذ من يهود البلاد العربية كراهية هدامة واستهانة بالذات العربية الشرقية ونبذًا للموروث الثقافي ومحاولة اكتساب هوية الجنس الأبيض. كما نشأت أجيال من الاشكناز على مثل هذه القصص تؤمن بكامل تمسكها بحق الأفضلية الثقافية وبدورها في تشكيل الشخصية الإسرائيلية وصياغتها بما في ذلك هوية الشرقي.

فالنص السابق يتضمن أوصافًا ساخرة وغير حقيقية عن يهود اليمن، كما يتضح به كذلك إشارات عنصرية، فعند وصف الطفل اليمني لم يشار إليه باسم حقيقي كبقية الأطفال الاشكناز (ميراء - سارة...) لكن تم الإشارة إليه بوصفه (اليمني الصغير)، وقد ظهر (من مكان ما)، كما تم عرضه باعتباره آخر مختلف (شاحب - نحيف - مختلف - غير واضح...). مما يؤكد رأي الكاتب يهودا شنهاف الذي يرى أنه "من خلال دراسة النصوص الأدبية الموجودة داخل الكتب التاريخية اتضح أن التركيب اللغوي ركيزة أساسية، لذلك يجب الانتباه إلى مجموعة المصطلحات التي تنطوي على نبرة استعلائية ونزعة فوقية تجاه يهود البلدان العربية والإسلامية⁽²⁾".

⁽¹⁾ מצוטט אצל שטרית (סמי שלום): המהפכה האשכנזית מתה, עמ' 127 .

⁽²⁾ שנהב (יהודה): ספרי ההיסטוריה של עם ישראל .

وفي النهاية نجد أن عدم المساواة في التعليم هو أمر ثابت ويرجع إلى عدد من الفرضيات الخاصة بالثقافة الشرقية أو العربية، هذه الفرضيات نجمت عن اللقاء غير المتوقع وغير المخطط له بين الصهيونية الأوروبية ويهود البلدان العربية والإسلامية، وقد حاول علماء الاجتماع والقادة الاشكناز حل هذه "الصدمة التاريخية" عن طريق تطبيق نظرية التحديث القائمة على أسس ثقافية أوروبية "متعجرفة وعنصرية"^(١).

وفي هذا الصدد يؤكد سامي شالوم شطريت على أن مثل هذه الكتب الدراسية تقوم بتحقيق الأهداف التي وضعها المؤرخون والصهاينة، وهي محو التاريخ الشرقي وعدم السماح لبلورة هوية شرقية في إسرائيل، وذلك من خلال دعوة يهود البلاد العربية والإسلامية إلى تبني التاريخ الغربي والتقليل من شأن الذات الشرقية واحتقارها^(٢).

وعلى الرغم من التكافؤ العددي بين اليهود الشرقيين والأشكناز، إلا أن الاشكناز يتمتعون بأفضلية سياسية وثقافية واقتصادية. وقد سُحقت هذه الأفضلية بشكل كبير في المجالات السياسية (حيث اقترب عدد اليهود الشرقيين في الحكومة والكنيست والجيش من عدد الأشكناز)، والثقافية (حيث انضم موتيفات شرقية في الأدب والموسيقى والمسرح)، إلا أن الأفضلية الاشكنازية قد ظلت قائمة في مجالي الاقتصاد والتعليم^(٣).

وهنا يرى المفكر اليهودي الشرقي سامي سموحة أن "هناك ضرورة لوضع سياسة تهدف إلى تقليل الفجوة الطائفية بين الطبقات العديدة والطوائف المختلفة، وتأكيد المساواة في تقسيم الموارد بين الطوائف، كما يجب دمج نماذج من الثقافة العربية داخل الثقافة الإسرائيلية خاصة من اللغة والتاريخ والموسيقى والأدب والمعمار، بالإضافة إلى التراث الإسباني والشرقي، فقد يعطي هذا للشرقيين دوراً فعالاً ومكانة ذات قيمة، كما يجب الاعتراف بمسؤولية الحكومة على خلق نوع من عدم التكافؤ بين اليهود عند استيعاب الهجرة في الخمسينيات، وذلك من أجل إزالة الترسبات الموجودة بين الطائفتين"^(٤).

^١ (شطريت: معركة الحינוך הבלתי שוויונית בישראל

<http://www.kedma.co.il/undex.php?id=572>, Accessed on 17, Jan, 2012

^٢ (شطريت: המהפכה האשכנזית מתה, עמ' 124 .

^٣ (פרס (יוחנן), בן-רפאל (אליעזר), עמ' 160 .

^٤ (سموחה (סמי): שסעים מעמדיים, עדתיים ולאומיים ודמוקרטיה בישראל, מתוך אורי רם (עורך), החברה הישראלית, היבטים ביקורתיים, תל אביב- ברירות 1998, עמ' 195 .

الخاتمة

- يتضح لمن يقرأ الكتب الدراسية المختلفة الخاصة بالتاريخ اليهودي أن السارد هو في الغالب يهودي أوروبي؛ لأن هذه الكتب لا تتضمن سوى قصص يهود أوروبا.
- يتضح أن هذه الكتب ليست كتبًا تاريخية تهتم بسرد تاريخ اليهود، لكنها كتبٌ لتعليم تاريخ الصهيونية؛ فهي لا تحكي تاريخ الجماعات اليهودية المختلفة عبر أجيالها لكنها تُخضع السرد بشكل مسلسل لتطور الحركة الصهيونية.
- تظهر القصة الشرقية فقط إذا كانت تخدم القصة الصهيونية، وكأن يهود الشرق ليس لهم دورٌ تاريخي مستقل، ففي المناهج الدراسية التاريخية يظهر يهود البلدان العربية والإسلامية في جزأين فقط، الأول خاص بالنشاط الصهيوني في الأراضي الإسلامية وموجة الهجرة "لإسرائيل"، والثاني متعلق بهجرة الشعوب وتصفية المنافي في الأراضي الإسلامية.
- لم يكن لليهود الشرق فرصة داخل السرد الصهيوني، فالحركة الصهيونية بكل تياراتها الأساسية هي حركة أوروبية وبالتالي لم تحقق إلا أهداف الصفوة اليهودية الأوروبية منذ نهاية القرن التاسع عشر. وأية محاولة للزعم بأن يهود الشرق قد عجلوا من تحقيق أهدافها هو زعم أثبت فشله.
- تم وصف يهود البلدان العربية والإسلامية بأوصاف سلبية، كما تم عرضهم وكأنهم يعيشون طوال حياتهم في معاناة، بمعزل عن المجتمعات الإسلامية، منتظرين خلاص يهود أوروبا. ومن هنا لم تساعد هذه الكتب الدراسية في خلق صورة سلبية بين يهود البلدان العربية وأنفسهم فحسب، بل عمقت من دور الأشكناز الريادي وضرورة التمسك به.
- عند تحليل تلك الكتب الدراسية التي تناول تاريخ الجماعات اليهودية نجدها لا تتضمن تاريخًا سياسيًا لليهود البلدان العربية والإسلامية. على الرغم من أن الجماعات

اليهودية تمتعت بحياة منتجة في البلاد العربية والإسلامية على الصعيدين السياسي والاقتصادي، خلافاً للجماعات اليهودية في أوروبا.

- قامت صياغة الكتب الدراسية على أساس التفرقة بين موضوعين رئيسين، أحدهما خارجي ويتمثل في "الصراع مع الفلسطينيين"، والآخر داخلي ويتجسد في "الفجوة بين اليهود الشرقيين والاشكناز"، والتآلف بين الجانبين، والذي من شأنه خلق واقع واحد، لم يتم التعبير عنه في الكتب الدراسية. فلم تتم صياغة العلاقة بين يهود البلدان العربية والإسلامية والفلسطينيين، وهذا الفصل ساهم في ثنائية تسييس المسألة الشرقية.

المراجع

أولا: المراجع العبرية

- גל-און (אסתר): מתפוצה למדינה, פרקים בהיסטוריה של עם ישראל ומדינת ישראל, 1881-1951, ירושלים, הוצאת מעלות, 1992
- דשן (שלמה), שוקד (משה): לימודי יהדות המזרח בחברה הישראלית, מתוך שלמה דשן, משה שוקד (עורכים): יהודי המזרח, עיונים אנתופולוגיים על העבר וההווה, הוצאת שוקן, תל אביב, 1984
- הורוביץ (שלמה): קיצור תולדות ישראל בעת החדשה, מהדורה רביעית, חיפה, הוצאת בית הספר הריאלי העברי, 1996
- חכם (רונית): לשורר באשדודית, הכיוון מזרח, כתב-עת לתרבות וספרות, חורף 2004
- חקק (לב): פרקים בספרות יהודי המזרח במדינת ישראל, ירושלים, הוצאת קרית-ספר, 1985.
- סמוחה (סמי): שסעים מעמדיים, עדתיים ולאומיים ודמוקרטיה בישראל, מתוך אורי רם (עורך), החברה הישראלית, היבטים ביקורתיים, תל אביב- ברירות, 1998.
- פרס (יוחנן), בן-רפאל (אליעזר): קירבה ומריבה, שסעים בחברה הישראלית, תל-אביב, הוצאת ספרים עם עובד, 2006.
- פירר (רות): סוכנים של החינוך הציוני תל-אביב הוצאת הקיבוץ המאוחד 1985.
- רון (יהודה): תולדות עם ישראל בדורות האחרונים בארץ ובתפוצה תל אביב אין תאריך

- شטרیت (سمي שלום): המהפכה האשכנזית מתחל הרהורים על ישראל מזוית כהנתל אביב הוצאת בימת קדם לספרות 1999
-: המאבק המזרחי בישראל בין דיכוי לשחרר בין הזדות לאלטרנטיבה 1948 - 2003 אתל אביב הוצאת עם עובד، 2004

ثانياً: المراجع العربية

- أديب (أودي): الهوية الشرقية بين الطائفية والأسرلة، اليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر ٢٠٠٣.
- أفي (أفيفا): المجتمع الإسرائيلي، ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٦، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ١٩٩٨.
- أبو خضرة (زين العابدين): إشكالية الهوية في القصة العبرية، مجلة رسالة المشرق، المجلد السابع، الأعداد ١ / ٤، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ١٩٩٨.
- أبو غدير (محمد محمود): المسرح العبري والصراع الطائفي في إسرائيل، مجلة إبداع، العدد ٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مارس ١٩٩٥.
- أمارة (محمد): السلوك السياسي لليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر ٢٠٠٣.
- بشور (منير)، يوسف (خالد مصطفى الشيخ): التعليم في إسرائيل، سلسلة كتب فلسطينية - ٢٢، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٩.
- التمييز العنصري أبرز معالم الصهيونية، إعداد قسم الدراسات، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.

- حسن (محمد خليفة): الشخصية الإسرائيلية، دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٢، الجيزة، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، د.ت
- خماسي (راسم): تركيبة اليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر ٢٠٠٣.
- زيداني (سعيد): اليهود الشرقيون (السفارديم)، اليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر ٢٠٠٣
- رايس (مايكل): الوطن المغتصب، إسرائيل في فلسطين والبحث عن حل، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣
- الرفاعي (جمال أحمد): بين الأدب والتاريخ، دراسة في سيرة بغداد بالأمس للناقد ساسون سومينخ، مجلة الدراسات الشرقية، الجيزة، العدد ٣٨، يناير ٢٠٠٧
- مرعي (عبد الرحمن): الصراع الثقافي في إسرائيل وأثره في اليهود الشرقيين، اليهود الشرقيين في إسرائيل، اليهود الشرقيين في إسرائيل، الواقع واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر ٢٠٠٣ .
- المسيري (عبد الوهاب محمد): موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ١٩٧٤
- مناحم (ناحوم): توترات وتفرقة طائفية في إسرائيل، تل أبيب، مركز الدراسات والمعلومات، ١٩٨٣.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Elazar (Denial J.): The Other Jews, The Sephardim, New York, Basic Books, 1989

Denial J.): Israel Building a New Society, (Elazar –
Bloomington: Indiana University, 1986

Swirski (Shlomo): Israel the Oriental Majority, translated by –
Barbra Swirski, London: Atlantic Highlands, NJ, 1989

رابعاً: مقالات من شبكة المعلومات

<http://hakeshet.tripod.com/articles2/history.htm>, Accessed –
.2012, Jan, 17on

<http://www.kedma.co.il/undex.php?id=572>, Accessed on 17, –
.2012Jan,

توصيات المؤتمر

obeikand.com

في الجلسة الختامية أوصى السادة المشاركون في المؤتمر والحاضرون، بما يلي:

١. التوصية بأن يكون هذا المؤتمر فاتحة لمؤتمرات أخرى تالية، تهتم بدراسة محتوى الكتب الدراسية الإسرائيلية، وتحليل مضمونها، وكذلك الكتب الثقافية العبرية التي تُنشر في إسرائيل.
٢. الاهتمام بتنظيم الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى دراسة المناهج ومضمون الكتب الدراسية العبرية التي تُدرّس في المدارس الإسرائيلية.
٣. دراسة المناهج والكتب الدراسية العبرية التي تُدرّس في المدارس والمعاهد الدينية في إسرائيل.
٤. تشجيع وتوجيه الباحثين المصريين والعرب لدراسة صورة العربي والمسلم في الكتب الدراسية في إسرائيل.
٥. دراسة مناهج التعليم الديني في إسرائيل، وإبراز مدى نجاح هذه المناهج في غرس بذور الكراهية في نفوس النشء من تلاميذ المدارس الإسرائيلية.
٦. إبراز مدى نجاح السياسة التعليمية في إسرائيل في تزيف التاريخ وتنشئة الصغار وتحميلهم بأفكار مغلوطة تتعلق بأحقّيتهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وإنكار حق الفلسطينيين في العيش على أرضهم.
٧. تشكيل لجان من أساتذة اللغة العبرية بالجامعات المصرية لدراسة الكتب الدراسية العبرية بالمدارس الإسرائيلية.
٨. عقد ندوات تُناقش فيها مؤلفات الباحثين المصريين، التي تتناول موضوعات في الدراسات العبرية واليهودية، والتي تُدرس في الجامعات المصرية، وذلك للوقوف على ما تتضمنه من مصطلحات، والنظر في إقرارها، أو التوصية بتغييرها بمصطلحات مناسبة.
٩. تنظيم مؤتمر بعنوان: "الآخر في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل"، يحتوي على المحاور التالية:

- (أ) المسيحية والمسيحيون في الكتب الدراسية العبرية.
- (ب) الإسلام والمسلمون في الكتب الدراسية العبرية.
- (ج) الإسلام والمسلمون في الفلسفة اليهودية في العصرين الوسيط والحديث.
- (د) مفهوم التاريخ في الكتب الدراسية العبرية.
١٠. توجيه الأبحاث في أقسام الدراسات العبرية في الجامعات المصرية لدراسة المقررات الدراسية العبرية في إسرائيل.
١١. الاهتمام بنشر الدراسات الخاصة بالمناهج والكتب الدراسية العبرية في إسرائيل، وذلك عن طريق النشر الإلكتروني على شبكة المعلومات الدولية وإرسالها إلى المكتبات الجامعية في أوروبا وأمريكا، بلغات مختلفة، حتى يتضح هذا التزييف من وجهة نظر أكاديمية بحثية.
١٢. تشكيل لجنة علمية تضم المتخصصين في الدراسات العبرية واليهودية لدراسة موضوع المفاهيم الصهيونية، ويُطلق على هذه اللجنة المقترحة اسم "لجنة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية".
١٣. التوصية بأن تكون الكتب الدراسية لمادتي التاريخ والجغرافيا في المدارس في إسرائيل، أول عمل تعكف اللجنة المقترحة على دراسته وتقديم دراسات محددة بشأنها نظراً لأهمية هذه الكتب على نحو ما تبينه من الأبحاث المقدمة في المؤتمر.
١٤. التوصية بأن توفر الجامعة للباحثين الكتب الدراسية والثقافية العبرية التي تصدر في إسرائيل، والتي تدرس في مراحل التعليم المختلف، حتى يتمكن الباحثون من إخضاعها للبحث والدراسة.
١٥. الاهتمام بإرسال النتائج التي توصلت إليها أبحاث المؤتمر إلى كل من يهيم الأمر، وخاصة الجهات التالية: رئاسة جامعة عين شمس، والجامعات المصرية، جامعة الدول العربية، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومراكز البحث في مصر والدول العربية.

١٦. في ضوء النتائج المهمة التي توصل إليها الباحثون المشاركون في المؤتمر، نوصي بإحياء المشروع الذي سبق أن تقدم به قسم اللغة العبرية بآداب عين شمس، لدراسة المفاهيم الصهيونية في جميع المناهج والمقررات الدراسية في المدارس الإسرائيلية. وبعده.. فإننا نتمنى الاستفادة من هذه الأبحاث التي قُدِّمَتْ في المؤتمر، وشارك فيها عدد من الباحثين المتخصصين في الدراسات الإسرائيلية، ونأمل أن يهتم المسئولون في الدول العربية والإسلامية بالتوصيات التي وضعها المشاركون والحاضرون في المؤتمر، وأن تعمل الجهات المسؤولة على تبني الأفكار والرؤى التي طرحها الباحثون في أبحاثهم.

،،،والله ولي التوفيق،،،

رئيس المؤتمر

أ. د. سعيد عبد السلام العُكش

مقرر المؤتمر

أ. د. محمد الهواري

obeikand.com

obeikand.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة:	٣
البحث الأول: نبي الإسلام "محمد" (صلى الله عليه وسلم) في الكتب الدراسية العبرية في إسرائيل، "أ.د. سعيد عبد السلام العكش"	٩
البحث الثاني: دراسة تحليلية لمحتوى لكتاب "رحلة إلى الديمقراطية الإسرائيلية" د. إبراهيم نصر عبد الجواد	٤١
البحث الثالث: "اليهود والشعوب: تاريخهم حتى الانتهاء من تدوين التلمود" دراسة تحليلية. "د. محمد أحمد صالح"	٧٩
البحث الرابع: المفاهيم الصهيونية في كتاب "رحلة إلى الماضي - القرن العشرون" دراسة وتحليل محتوى. "د. هويدا عبد الحميد"	١١٩
البحث الخامس: تهويد المناهج الدراسية في فلسطين المحتلة، "د. أمل إبراهيم أنور".	٢٠١
البحث السادس: كتاب "رحلة للماضي ميلاد عالم حديث دراسة في المحتوى: د. هاني عبد العزيز سالم"	٢٣١
البحث السابع: مناهج التعليم والأنشطة المدرسية المختلفة في إسرائيل بين التهويد وترسيخ مفهوم التعايش مع الآخر العربي "دراسة تطبيقية":	٢٩١
أ. دعاء محمد سيف الدين طه	٢٩١
البحث الثامن: يهود البلدان العربية والإسلامية في المناهج التعليمية في إسرائيل: د. ناهد صلاح منصور أحمد راحيل	٣٣١
توصيات المؤتمر:	٣٥٧
الفهرس :	٣٦٣